أبو الحسن المسعودي

أخبار الزمان

وعجائب البلدان



تحقيق
خالد على نبهان

مكتبة النافذة

أخبار الزمان

وعجائب البلدان

تأليف : المسعودى

تحقيق :خالد على نبهان

الناشر

مكتبة النافذة

أخبار الزمان

تأليف :المسعودى

الطبعة الأولى :2013

رقم الإيداع :23645 / 2013

الترقيم الدولى : 7-348-436-977-978

الطباعة

دار طيبة للطباعة

الناشر

مكتبة النافذة

المستشار حسن دياب (برج مكة3)المنشية

-الطالبية -فيصل -الجيزة

تليفون :37241803 -فاكس 37241565

محمول :01223595973 -01007265885

Email:alnafezah @hotmail.com

الهـــــدف

الهدف من إخراج هذا الكتاب هو تعريف القارئ العربي بحقيقة ما كتبه المؤرخون العرب ومنهم المسعودي صاحب هذا الكتاب، كتاب (أخبار الزمان) وما يتردد عن أن هذه الكتب تحوي الكثير من الخرافات والأكاذيب!!

ونحاول في هذا الكتاب إثبات حقيقة ما كتبه هذا المؤرخ العربي العظيم عن طريق إثبات مواضع وأماكن المواقع الجغرافية التي ذكرها في كتابه هذا وكذلك إثبات صحة أسماء الملوك ومعانيها التي أوردها بقدر الاستطاعة .

وقد اعتمدنا في طبع هذا الكتاب على نسخة من كتاب (أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران)، طباعة دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٦ م. والمأخوذة بدورها من الأصل الباريسى بالتصوير الشمسى والمحفوظة بدار الكتب الملكية تحت رقم ٨٧٩ تاريخ.

ونحاول في هذا الكتاب الاستدلال على المواقع الجغرافية القديمة من خلال المعاجم الجغرافية والخرائط القديمة أيضاً!

ومثلما يذكر د.كمال سليمان الصليبي في كتابه[1]: "أن أسماء الأماكن هي ضرب من علم الآثار، لأن أسماء الأماكن هي في الواقع آثار "يمكننا بالمثل اعتبار الآلهة المصرية القديمة ما هي إلا تجسيد لملوك أو ملكات قدامى حكموا مصر في الأزمنة القديمة وإما أن يكونوا قد ادعوا الألوهية أو أن الشعب اعتبرهم من الآلهة بعد وفاتهم، فأصبحت الآلهة المصرية ما هي إلا أثر لهذا الملك، وكان الملك ـ في العصور القديمة ـ يدعي الألوهية وعندما يعلم تماماً أنه زائل من

[1] د.كمال الصليبى: (التوراة جاءت من جزيرة العرب)، ترجمة :عفيف الرزاز، ص١٨.

الوجود، ولكي يخلد نفسه كان يدعي أن روحه تتجسد في صورة (كائن حي) مثل الوليد بن الريان (أبو قردان) والوليد بن دومع (القرد) والوليد بن مصعب (الحية) وغيرهم (البقرة) و(الخنفس) و(الفأر) و(الصقر) ومن هنا جاءت فكرة تعدد الآلهة !!

ومن هنا نحاول إرجاع الأسماء العربية للملوك المصريين التي أوردها المسعودي في هذا الكتاب، نحاول إرجاعها إلى فرعونيتها!!

والاستدلال عليها من قوائم الملوك الذين حكموا مصر!

وهذا الكتاب (أخبار الزمان) يعتبر من كتب التراث العربية، فما المقصود بكتب التراث؟

تكاد المعاجم اللغوية العربية تجمع على أن كلمة تراث مشتقة لغة من الفعل الثلاثي ورث، أي تلقى تركة الآباء. وتشير إلى أن كلمة تراث تعني ما يخلفه الرجل لورثته، وأن التاء فيها أصلها واو، فهي الورث، وجاء تعريف المصباح المنير للفيومي المقرى، أن كلمة التراث أصلها من ورث، وورث فلاناً: أي انتقل إليه مال فلان بعد وفاته. ويقال ورث المال والمجد عن فلان: إذا صار مال فلان ومجده إليه. وورث الرجل مالاً: جعله ميراثاً له، وفي لسان العرب أشار ابن منظور إلى أن كلمة تراث أصلها ورث قلبت التاء واواً. والوارث صفة من صفات الله عز وجل، وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق، ويبقى بعد فنائهم سبحانه، والله عز وجل يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، والتراث ما يخلفه الرجل لورثته والتاء فيه بدل الواو. وفي الحديث في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اللهم أمتعني بسمعي وبصرى، واجعلهما الوارث مني، أي ابقهما معي صحيحين سليمين حتى أموت".

وهناك حقيقة تؤكد أن أية أمة بلا تراث هي أمة بلا تاريخ، فالتراث يمثل ماضي الأمة وتطورها، لذلك يعد نشر كتب التراث من الأمور المهمة لما تحويه هذه الكتب التراثية والمخطوطات من فوائد عديدة تتصل بأمور الدين الحنيف واللغة، والعلوم البحتة والتطبيقية.

ولا يمثل التراث رجعة إلى الوراء كما يتوهم البعض، وإنما هو قوة دفع، وليست دراسته والنظر فيه إلا لإحكام النظرة إلى الأمام، لما في هذا التراث من الذخائر والتجارب والحوافز ما لا بد من معرفته والاستناد إليه في تطلعاتنا الحاضرة، ولا بد من وصل التراث بالمعاصرة لأن مستقبل هذه الأمة لا يمكن أن يُفصل عن ماضيها.

وكتب التراث هي كنز الشعوب الخالد والباقي على مر عصور الزمان، ويتميز التراث العربي بضخامته، ووجود رصيد تراثي هائل يضم بين طياته شتى ألوان العلوم والفنون التي تبلغ الملايين من المخطوطات والوثائق التي تحتاج إلى نشر وإخراج، ومن أغراض نشر كتب التراث ربط حاضر الأمة العربية بتاريخها المجيد، الذي يمثل إحدى الركائز الأساسية، في بلورة الهوية العربية الإسلامية.

بقي أن نعرف من هو المسعودي صاحب هذا الكتاب؟

هو علي بن الحسين بن علي الهذلي البغدادي أبو الحسن المسعودي الشافعي ـ المؤرخ الشهير ـ نزيل مصر من ذرية عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل، له من الكتب الكثير، منها على سبيل الحصر: إثبات الوصية ـ أخبار الأمم من العرب والعجم ـ أخبار الخوارج ـ أخبار الزمان ومن أباده الحدثان في التاريخ ـ الأمانة في أصول الديانة الأوسط في التاريخ ـ بشرى الأبرار ـ بشرى الحيوة ـ البيان في أسماء الأئمة ـ التنبيه والأشراف ـ حدائق الأذهان في أخبار بيت النبي صلعم ـ خزائن الملك وسر العالمين ـ ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهر ـ راحة الأرواح في أخبار الملوك والأمم ـ الرسائل والاستذكار لما مر في سالف الأعصار ـ سر الحياة ـ عجائب الدنيا ـ كتاب الاستبصار ـ كتاب الانتصار ـ كتاب الزلف ـ كتاب الصفرة ـ كتاب القضايا في التجارب ـ كتاب المعلى في الدرجات والإبانة في أصول الديانات ـ كتاب الواجب في الأحكام

اللوازب ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ مطبوع في مجلدات ـ مزاهر الأخبار وطرائف الآثار ـ المسالك والممالك ـ المقالات في أصول الديانات ـ الهداية ـ الهداة إلى تحقيق الولاية ـ كتاب ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور.

والمسعودي ولد في بغداد أواخر القرن التاسع الميلادى وأخذ يسافر بعد سنة ٩١٢م وهو في سن الشويبة وطاف في فارس والهند وتيبات[٢] وجزيرة سيلان والأصقاع حول شواطئ بحر قزوين وبعض جهات أفريقيا والسودان وجنوبي جزيرة العرب وبر الشام ومملكة الروم أي بيزنتبوم، وقال صاحب روضات الجنات المشتهر بين العامة بشيعي المذهب نشأ في بغداد وجاء مصر وساح في البلاد فطاف فارس وكرمان سنة ٣٠٩ حتى استقر في اصطخر. ثم قصد الهند إلى ملتان[٣] (أو ملطان) وعطف إلى كنباية فصيمور فسرنديب (سيلان). ثم ركب

---

[٢] المقصود بـ (تيبات) أي التبت.

[٣] (ملتان): هي آخر مدن الهند مما يلي الصين، مدينة عظيمة منيعة حصينة جليلة عند أهل الصين والهند، وأنها بيت حجهم ودار عبادتهم كمكة لنا، وأهلها مسلمون وكفار، والمدينة في دولة المسلمين، وللكفار بها القبة العظمى والبلد الأكبر، والجامع مصاقب لهذه القبة، والإسلام بها ظاهر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شامل؛ كل ذلك عن مسعر بن مهلهل. وقال الاصطخرى: مدينة حصينة منيعة، دار الملك ومجمع العسكر، والملك مسلم لا يدخل المدينة إلا يوم الجمعة، يركب الفيل ويدخل المدينة لصلاة الجمعة، بها صنم يعظمه الهند ويحج إليه من أقصى بلاد الهند، ويتقرب إليه كل سنة بأموال عظيمة، لينفق على بيت الصنم والمعتكفين منهم. وبيت الصنم قصر مبنى في أعمر موضع بين سوق العاجنين وسوق الصفارين، وفي وسط القصر قبة فيها الصنم. قال مسعر بن مهلهل: سمك القبة في الهواء ثلاثمائة ذراع، وطول الصنم عشرون ذراعاً، وحول القبة بيوت يسكنها خدم الصنم والعاكفون عليه، وليس في ملتان عباد الصنم إلا في هذا القصر. وصورة الصنم إنسان جالس مربعاً على كرسي، وعيناه جوهرتان، وعلى رأسه إكليل ذهب، ماد ذراعيه على ركبتيه، منهم من يقول من خشب، ومنهم من يقول من غير خشب، ألبس بدنه مثل جلد السختيان الأحمر، إلا أن يديه لا تنكشفان وجعل أصابعه من يديه كالقابض أربعة في الحساب، وملك ملتان لا يبطل ذلك الصنم لأنه يحمل إليه أموالاً عظيمة يأخذها الملك، وينفق على سدنة الصنم شيئاً معلوماً. وإذا قصدهم الهند محاربين أخرج المسلمون

البحر إلى بلاد الصين وطاف البحر الهندي إلى مداغسكر[4] وعاد إلى عمان، ورحل رحلة أخرى سنة ٣١٤ إلى ما وراء أذربيجان وجرجان ثم إلى الشام وفلسطين وكان يسكن مصر تارة والشام أخرى. وكان يقيم في أواخر عمره تارة في مصر وتارة في بر الشام، ومن سنة ٣٣٦ إلى ٣٤٤ أقام بالفسطاط وأخبر في مؤلفاته بحصول زلزلة عظيمة في بلاد مصر والشام وتوفي بعد ذلك، وكان مشتغلاً بالتآليف الجغرافية في أيام الخليفة المطيع لله بن المقتدر العباسي وتوفي سنة ٣٤٦هـ ٩٥٧م في الفسطاط أي مصر العتيقة واسم أوسع كتاب له هو (أخبار الزمان) لم يصل إلينا استخرج منه مختصر سماه (مروج الذهب ومعادن الجوهر في تحف الأشراف والملوك وأهل الديارات) ـ طبع في بولاق في ٢ جزء سنة

الصنم ويظهرون كسره أو إحراقه فيرجعون عنهم، حكى ابن الفقيه أن رجلاً من الهند أتى هذا الصنم، وقد اتخذ لرأسه تاجاً من القطن ملطخاً بالقطران ولأصابعه كذلك، وأشعل النار فيها، ووقف بين يدي الصنم حتى احترق. وينسب إليها هارون بن عبد الله مولى الأزد، كان شجاعاً شاعراً، ولما حارب الهند المسلمين بالفيل لم يقف قدام الفيل شيء، وقد ربطوا في خرطومه سيفاً هذاماً طويلاً ثقيلاً، يضرب به يميناً وشمالاً لا يرفعه فوق رأس الفيالين على ظهره ويضرب به، فوثب هارون وثبة أعجله بها عن الضرب ولزق بصدر الفيل، وتعلق بأنيابه، فجال به الفيال جولة كاد يحطمه من شدة ما جال به. وكان هارون شديد الخلق رابط الجأش فاعتمد في تلك الحالة على نابيه، وأصلهما مجوف، فانقلعا من أصلهما وأدبر الفيل وبقي النابان في يد هارون، وكان ذلك سبب هزيمة الهند، وغنم المسلمون، فقال هارون في ذلك:

مشيت إليه رادعاً متمهّلاً ... وقد وصلوا خرطومه بحسام
فقلت لنفسي: إنّه الفيل ضارباً ... بأبيض من ماء الحديد هذام
فإن تنكاى منه فعذرك واضحٌ ... لدى كلّ منخوب الفؤاد عبام
ولّما رأيت السّيف في رأس هضبةٍ ... كما لاح برقٌ من خلال غمام
فعافسته حتى لزقت بصدره ... فلمّا هوى لازمت أيّ لزام
وعذت بنابيه وأدبر هارباً ... وذلك من عادات كلّ محامي

انظر القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد.

[4] المقصود بـ (مداغسكر) أي جزيرة مدغشقر.

١٢٨٣هـ وطبع أيضاً في باريس مع ترجمة صحيحة فرنسية في ٩ أجزاء من ١٨٦١ الى ١٨٧٨ باعتناء العلامة باربيه دى ماينرد والعلامة بافت دى كورتايل. وهو موسوعة فيها معدن من المعلومات التاريخية والجغرافية والعمرانية عن الشرق في القرن التاسع للميلاد بل هو تاريخ عام مشتمل على كلام عن جميع الممالك المعروفة في أقسام الدنيا الثلاثة نحو القرن التاسع وهو بسيط الكلام في الجغرافيا ولاسيما بما يتعلق بأفريقيا والهند وأسيا الوسطى.

وكتابه (أخبار الزمان ومن أباده الحدثان) كان يقع في ثلاثين مجلداً ليس منه الآن إلا جزء واحد في خزانة ويانا، وفي هذا الكتاب قدم المسعودي القول: بهيئة الأرض ومدنها وجبالها وأنهارها ومعادنها وأخبار الأبنية العظيمة وشأن البدء وأصل النسل وانقسام الأقاليم وتباين الناس ثم أتبع: بأخبار الملوك الغابرة والأمم الدائرة والقرون الخالية وأخبار الأنبياء ثم ذكر الحوادث سنة سنة إلى وقت تأليف (مروج الذهب ومعادن الجوهر) سنة: اثنتين وثلاثين وثلاثمائة و الذي ذكر فيه أنه ألف كتاباً كبيراً في أخبار الزمان ثم اختصره وسماه (الأوسط) ثم أجمل ما بسطه واختيار ما وسطه في هذا الكتاب. طبع بهامش تاريخ الكامل لابن الأثير من الجزء الأول إلى العاشر (مصر ١٣٠٣) وبهامش نفح الطيب لأحمد المقرئ المغربي (مصر ١٣٠٢ و١٣٠٤)، ولقب بـ (هيرودت العرب) وقد ابتدع طريقة تدوين التاريخ حسب المواضيع، فلم نظم حوادث حول السنين بل حول الدول والملوك والشعوب حسب المواضيع، وهي طريقة جرى على منوالها ابن خلدون وصغار المؤرخين. وكان من أقدم المؤرخين الذين أحسنوا الاستعانة بالقصة أو النكتة التاريخية في سياق البحث. وكان ينتمي إلى المعتزلة القائلين بحرية الرأي. ورحل وهو شاب في طلب العلم على عادة العلماء في زمانه فسار من بغداد مسقط رأسه إلى الشرق حتى زنجبار نفسها وزار أكثر الأقطار الأسيوية ولكن هناك مجالاً للشك في أنه الصين ومدغسكر. أما العقد الأخير من حياته فقد قضاه في مصر والشام عاملاً في تنسيق المواد التي جمعها في مصنف كبير يقع في ثلاثين مجلداً حفظ لنا موجز منه عنوانه (مروج الذهب

ومعادن الجوهر) تنتهي حوادثه في سنة ٩٤٧/٣٣٦. وقد تجلت في هذه الموسوعة التاريخية الجغرافية الفكرة الجامعة في نفس المؤلف وحب الاستطلاع العلمي، بحيث حملته على البحث في ما يقع وراء نطاق المواضيع الإسلامية البحتة فيما يتعلق بتاريخ الأمم الهندية والإيرانية والرومانية والعبرانية وديانات هذه الشعوب. وقبل وفاته في الفسطاط بمصر سنة ٩٥٦ اختصر آراءه في فلسفة التاريخ والطبيعة وأضاف إلى ذلك ما اتصل به من الآراء الفلسفية المعروفة عن درجات الارتقاء الفاصلة بين المعدن والنبات والحيوان، ووضعها في كتاب يقابل بكتاب بلينوس اسمه (التنبيه والاشراف)، وكتابه (التنبيه والأشراف) طبع باعتناء دى جويه (من ضمن المكتبة الجغرافية) ليدن ٤ / ١٨٩٣ ص ٥٠٨ ونقله إلى اللغة الفرنسية الأستاذ كارادى.

ويتناول كتاب أخبار الزمان الحياة منذ بدء الخليقة حتى غرق فرعون، سواء من الناحية التاريخية أو الأثرية أو الجغرافية أو الفلكية، ولقد وضعت التعليقات في الحواشي السفلية للكتاب.

خالد علي نبهان

khalidnabhan@hotmail.com

هنـاك ظـاهرة مشـهودة كـثيراً في اللغـات السـامية وهـي عمليـة القلـب والاستبدال في الجذر المشترك في اللغات، والتحولات في الأحرف التي يقرها علماء اللغات السامية وهي :

ء	←	و،ي
ج	←	غ، ق
د	←	ذ، ز وأحياناً ض، ظ
و	←	ء، ي
ز	←	ذ، ص، ض، ظ
ح	←	خ
ط	←	ت
ي	←	ء، و
ك	←	خ، ق
ن	←	م
ع	←	غ
ف	←	ب
ص	←	س، ض، ز، ظ
ق	←	ج، غ، ك
ش	←	س، ث
س	←	ش
ت	←	ث، ط

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبنا ونعم الوكيل

نبتدئ بحمد الله وذكره وشكره، والثناء عليه والشكر له، والصلاة على أنبيائه ورسله وملائكته، ونخص سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأزواجه وأصحابه، بأفضل صلواته، وأكمل تحياته، وأزكى بركاته. ثم نتذكر ما وقع إلينا من أسرار الطبائع، وأصناف الخلق، مما يكون ذلك مشاكلا لقصدنا، ونصل ذلك بذكر ما يجب ذكره من ملوك الأرض، وما عملوه من عجائب الأعمال، وشيدوه من عجائب البلدان ووصفوه من الآلات المستطرقة والطلاسمات المستعملة، وما بنوا من هياكلهم، وأودعوه نواويسهم، وزبروه على أحجارهم. على حسب ما نقل إلينا من ذلك.

ونبدأ بما جاء من الآثار الشرعية، والمسلة الحنيفية، ثم نذكر ما روي عن الحكماء الأول المتقدمين، وبالله أستعين، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وقد سميت كتابي هذا بكتاب (أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران) فأنا أقول :"أما بعد" فإن الله جل جلاله، وتقدست أسماؤه، خلق خلقه من غير ضرورة كانت منه إلى خلقهم، وأنشأهم من غير حاجة كانت منه إلى إنشائهم، بل خلقهم ليعبدوه، فيجود عليهم بنعمة ويحمدوه، فيزيدهم من فضله فيشكروه ويمجدوه . كما قال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُون (٥٦) مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ(٥٨) ﴾ [الذاريات]، فلم يزده

خلقه إياهم وإيجادهم مثقال ذرة، ولم ينقصه إفناؤهم وإعدامهم وزن شعرة، لأنه سبحانه لا تغيره الأحوال، ولا يدخله الملال، ولا تتقاضى سلطانه الأيام والليال. بل خصهم بأسماع وأبصار، وعقول وأفكار. يصلون بها إلى الحق والباطل، فيعرفون بذلك المنافع والمضار. وجعل لهم الأرض بساطاً، ليسلكوا منها سبلاً فجاجاً، والسماء سقفاً محفوظاً. أنزل منها الغيث المدرار، والأرزاق بمقدار، وأجرى لهم فيها قمر الليل وشمس النهار، يتعاقبان لمصالحهم دائبين. وجعل لهم الليل سكناً، والنهار معاشاً. ومحا آية الليل، وجعل آية النهار مبصرة. ليصلون بذلك إلى العلم بأوقات فروضهم التي فرضها عليهم. من الصلاة والزكاة والصيام والحج، وليعلموا عدد السنين والحساب، وحين تحل ديونهم، وتجب حقوقهم. قال الله عز وجل وعلا: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ (١٨٩)﴾ [البقرة]، وقال :﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إلا بِالْحَقِّ (٥)﴾ [يونس]، إنعاماً منه وطولاً، وإحساناً منه وفضلاً.

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة فقد مضت ستة آلاف ومئون من السنين، وليأتين عليها مئون ليس عليها موحد لله تعالى). وعن نافع عن ابن عمر، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إنما أجلكم في آجال من خلا من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس). وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بعثت أنا والساعة كهاتين) وأشار بالسبابة والوسطى. وفي حديث سهل بن سعد الساعدى قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما مثلي ومثل الساعة إلا كفرسي رهان). وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أول ما خلق الله القلم، خلقه من نور طوله خمسمائة عام، وخلق اللوح المحفوظ من درة بيضاء، حافاته من ياقوت أحمر، عرضه ما بين السماء والأرض، خلقهما قبل أن يخلق الخلق والسموات والأرض. فقال للقلم: اكتب، قال: وما أكتب ؟ قال: اكتب علمي في خلقي إلى يوم

القيامة، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، وما هو في علم الله، ينظر الله تعالى في ذلك اللوح كل يوم ثلاثمائة نظرة وستين نظرة، فيخلق ويرزق ويحيي ويميت، ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد). وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق والسموات والأرض ؟ قال: كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء، ثم خلق عرشه على الماء. وسئل ابن عباس: على أي شيء كان الماء ؟ قال: على متن الريح فلما أراد الباري جل جلاله أن يخلق الخلق سلط الريح العقيم على الماء فطفت أمواجه وارتفع زبده، وعلا دخانه، وصعد فوق الماء وسما عليه، فسماه الله سماء، وجمد الزبد فصار أرضاً فجعل الأرض على حوت، والحوت *هو الذي ذكره الله تعالى في كتابه

---

* في اللغات العروبية نجد أن الجذر (نون) يعنى السمك أو ما كان يعيش في الماء من حيوان، في اللغة الأكادية مثلا: نونو Nunu تعنى: سمك، وفي العربية: النون= الحوت. وقالوا: النون = السمكة. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً(٨٧)﴾[الأنبياء]، هو يونس النبي، سماه الله (ذا النون) لأنه حبسه في جوف الحوت الذي التهمه. والنون: الحوت (لسان العرب، مادة: نون). وفي أسطورة الخلق المصرية أن جبلاً برز من هيولى الماء (نون) وفوقه المعبود (أ ت م) - (التام= الكامل) - وهو الذي خلق نفسه ثم مضى ليخلق المعبود (ش و) - (الهواء= جَوّ) والربة (ت ف ن ت) - (الرطوبة. من مادة (تفل) العربية) - وقد ولد هذان بعدئذ رب الأرض "ج ب" (جبوب) وأخته ربة السماء "ن وت" (مؤنث نوء= النجم) إلى آخر الرواية، وأورد ابن منظور رواية عن ابن عباس أنه قال: (أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، قال: أي رب . .. وما أكتب ؟ قال: القدر، قال: فكتب في ذلك اليوم ما هو كائن لإلى قيام الساعة. ثم خلق النون ثم بسط الأرض عليها. فاضطربت النون فمادت الأرض فخلق الجبال فأثبتها بها)، وقد فُسِّرت النون بأنها السمكة أو الحوت بحسب التصور الأسطوري للخلق على رأي ابن عباس، لكن أسطورة الخلق المصرية تجعل النون هو الماء. ومن المرجح جداً أن النون كانت تعنى (الماء) في العربية أصلاً. ثم انصرفت إلى الحوت أو السمكة. بل الأقرب إلى التصور في القول المنسوب إلى ابن عباس ''ثم خلق النون ثم بسط الأرض عليها'' أن يكون المقصود من النون هو الماء وليس الحوت، وفي اللغة القبطية، وريثة المصرية، نعرف أن كلمة نون Noun بحذافيرها تعني ماء. وقد يكون العكس، فأطلق المصريون النون على الماء وكان يعني في البداية الحوت. وكلا الأمرين جائز من باب إطلاق الخاص على العام أو العام على الخاص. ومع كل هذا تظل الصلة وثيقة بين

فقال: ﴿ نَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ(١)﴾ [القلم]، والحوت في الماء، و الماء على ظهر صفاة، والصفاة على متن الريح، فتزلزلت الأرض فأمر الأمواج فأرست عليها جبالاً جامدة، فاستقرت وثبتت فذلك قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا(١٠)﴾[فصلت]، ﴿وَجَعَلْنَا فِي الأرض رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ(٣١) ﴾[الأنبياء]، قال ابن عباس: أتت اليهود[٦] إلى النبي صلى الله عليه

معاني النون في جميع اللغات العروبية، وهي صلة الماء بالسمك التي لا تنفصل عراها. لكن الحسن وقتادة، وهما من كبار المفسرين ذهبا إلى أن (ن) تعني الدواة (راجع لسان العرب. مادة (نون)). وهذا الرأي الأخير له أهميته ومغزاه. ونحن للأسف، لا ندري عَلامَ استند الحسن وقتادة في قولهما إن (ن) تعني (الدواة) فقد فسّرا هكذا دون إشارة إلى مستندهما اللغوي أو المعنوي. فهل كانت (نون) تدل على (الدواة) عند العرب ؟ هل استند المفسران إلى لفظة قريبة تعني (الدواة)؟

[٦] يذكر د.كمال الصليبي في كتابه (خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل) : ''(يهوذا) في التوراة هو سبط من أسباط إسرائيل، أي قبائل بنى إسرائيل، وقد أخذ هذا السبط اسمه من جده الأعلى يهوذا بن يعقوب الدعو أيضاً إسرائيل. ويهوذا أيضاً اسم الملكة التي استمرت تحت حكم بيت داود بعد وفاة سليمان. ومن اسم هذه الملكة جاء اسم (اليهودية) كدين، لأن عبادة يهوه البدائية تحولت إلى دين خلقى مصقول على أيدى الأنبياء الذين رعاهم ملوك يهوذا. والواضح أن (يهوذا) كان اسماً جغرافياً قبل أن يصبح اسماً لقبيلة من بنى إسرائيل، وصيغته العبرية يهوده هي اشتقاق من (يهد)، الماثلة للعربية (وهد)، وهو جذر يفيد معنى الإنخفاض، ومن الجذر (وهد) بالعربية (الوَهْد) و(الوَهْدَة)، بمعنى المنخفض أو الهوّة في الأرض، و(يهود) و(يهوده) التوراتيتان تأتيان من العبرية (يهد)'' .

ويذكر الأستاذ/ رؤوف أبوسعدة في كتابه (من إعجاز القرآن)، جـ٢، ص، ١٢٣ –١٢٤، بتصرف: ''لا يجئ القرآن قط بلفظة (اليهود) وقد وقعت في كل القرآن ثماني مرات ـ ولا بلفظ (اليهودى) وقد وقعت في كل القرآن مرة واحدة ـ إلا مقترنين بلفظى (النصرانى)، (النصارى)، يعنى أصحاب الملة على ما آل إليه اسمهم في عصره. أما إن أراد القبيلة أو الشعب في عصور سبقت ـ حتى الذين عبدوا العجل في التيه ـ فلا يقول إلا (قوم موسى) أو (بنى إسرائيل)'' : ''
من معاني اليد في لغتنا العربية الصنيعُ والإحسانُ والمعروف، تقول: له على يَدُ، تريد له عندى صنيع أنا له عارف، ممتن شكور. ويجئ على هذا المعنى الجذر العربي (يَدَى)، مجرداً أو مزيداً في أوله بهمزة التعدية (أيْدَى). وعلى هذا المعنى أيضاً يجئ في العبرية الجذر العبرى (يَدَا)، وأصلُهُ بالواو (وَدَا) الذي تستخدم العبرية المعاصرة مُضَعَّفَه (ودّا) بمعنى الإعتراف

وسلم فسألوه عن ابتداء الخلق فقال: " خلق الله الأرض يوم الأحد ويوم الإثنين وخلق الجبال وما فيها من المنافع يوم الثلاثاء وخلق الماء والشجر والمدائن والعمران يوم الأربعاء فذلك قوله جلت قدرته ﴿ قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ(٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ(١٠)﴾ [فصلت]، وخلق يوم الخميس السماء والكواكب والنجوم والملائكة. وخلق يوم الجمعة الجنة[٧] والنار، وآدم[٨] عليه السلام، قالوا: ثم ماذا يا محمد ؟ قال: ثم استوى على العرش، قالوا: قد أصبت، لو أتممت وقلت ثم

والإقرار[٦].ونرى أن (يهود) مكوّنة من مقطعين: (يهوه) + (وَدًا)، نستطيع بذلك أن نفك طلاسم الأسم (يهود) !

وفي معجم (لسان العرب)، مادة (يداه) :اليَدِيُّ نسبة إلى اليد. ورجل يديٌّ أي صناعٌ. ومما سبق نستطيع أن نؤكد أن (يهود) تعنى (يهوه وَدًا) أو(يهوه يَدًا) وتعنى (يهوه صنعهم) أو (يهوه خلقهم) فهم أي (اليهود) فقط هم البشر الذين خلقهم الإله (يهوه)وهذا يتماشى مع المعتقدات اليهودية وأنهم الشعب الذي اختاره الإله (يهوه) ! !

[٧]الجنة: الحديقة ذات الشجر والنخل، ولا تكون الجنة في كلام العرب إلا وفيها نخل وعنب، فإن لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فهي حديقة وليست بجنة. وكانت الحديقة عند قدماء المصريين، مصورةً على آثارهم، لا تكاد تخلو من شجر الجميز والنخيل . . وهذه هي (الجنة) بذاتها.

[٨] يذكر الأستاذ رؤوف أبو سعدة (من إعجاز القرآن، ص ٢١٨، جـ١، بتصرف): فَهُمْ مفسرو القرآن (راجع تفسير القرطبي للآية ٣١ من سورة البقرة) على أنه (أى آدم) مُشْتَق من أدمة الأرض وأديمها، وهو وجهها، فَسُمي بما خُلِقَ منه. وقال بعضهم إنه مشتق من الأدمة (بضم الهمزة) وهي السمرة. وزعم بعضهم أن الأدمة هي البياض، وأن آدم كان أبيض. وليس هذا وذاك بشئ، لأن الأدمة نفسها مشتقة من الأديم، أي من لون الأدمة، وهي إلى السمرة أقرب، ثم إنه لا مدخل للون آدم في تسميته: ليكن آدم أسمر أو أبيض أو ما شئت من أبشار البشر إن صح في لونه عن الصادق المصدوق حديث، ولكنه قبل كل شيء منسوب إلى هذه الأدمة التي جُبِل منها أياً كان لونها وأيا كان لونه. وقد عقب القرطبي رحمه الله على أقوال المفسرين في هذا بقوله: والصحيح أنه مشتق من أديم الأرض وهذا هو التفسير القرآني لمعنى (آدم).

استراح. فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً فأنزل الله عليه﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (٣٨) فَاصْبِرْ عَلَىَ مَا يَقُولُونَ(٣٩) ﴾ [ق]، وفي رواية أسد بن موسى قال: (أمر الله تبارك وتعالى السماء أن ترتفع وتسمو، وأمر الأرض أن تنبسط وتنخفض فانبسطت، فدحاها من موضع بيت الله الحرام). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدنيا موج مكفوف، ولولا ذلك لأحرقت الشمس والقمر الأرض ومن عليها) وبين كل سماء والتي تليها خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والعرش مسيرة ألف عام. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هو الأول فلا شيء قبله، والأخر فلا شيء بعده). وعن زرارة بن أبي أوفي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قلت لجبريل هل رأيت ربك قط ؟ فانتقض، ثم قال يا محمد إن بيني وبينه سبعين ألف حجاب من نور، لو دنوت إلى واحد منها لاحترقت). ولما أراد الله عز وجل أن يخلق آدم أمر جبريل[٩] أن ينزل إلى الأرض ويقبض

---

[٩] (جبريل) علم أعجمي بلا خلاف: إنه تعريب (جَبْريئيل) العبرية. وهو اسم (مَزْجِى)، مُركّب من شقين عبريين: (جَبْرى) + (إيل). أما الشق الأول (جَبْرى)، فأصلها (جِبرْ) وتحولت إلى (جَبْر) ومعناها في العبرية فهي اسم صفة على الفاعلية من الجذر العبري (جَبَرْ) بمعنى (قَوىَ) و(اشتد) وهو الشديد القوي. أما الشق الثاني من (جبريئيل) العبرية الأرامية فهو (إيل) اسم الله عز وجل. معنى (جَبْريئيل) إذن في العبرية ـ الأرامية هو (جَبَّارُ الله) أي مَلَك الله الشديد. وهذا هو نَعْتُ (جبريل) عليه السلام في القرآن: شَديدُ القُوَى ذو المرة (أي ذو القوة). ولكن اسم (جبريل) المحذوف لدلالة السياق عليه في سورتى (النجم)، (التكوير) يظهر بمرادفه الدال على معناه في قوله عز وجل: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى(٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى(٣) إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى(٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى(٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى(٦)وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى(٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى(٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى(٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى(١٠)﴾ [النجم]، وأيضا في قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ(١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ(٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ(٢١) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ(٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣)﴾ [التكوير]. أما (صاحبكم) في السورتين فهو محمد صلى الله عليه وسلم بلا خلاف، و الذي (عَلَّمَهُ)، أي تَنَزَّلَ عليه بالوحى، هو (جبريل) بلا خلاف أيضاً: إنه الذي دنا فتدلى، فأوحى

القبضة التي خلقه منها، فقالت له الأرض أعوذ بالله منك أن تأخذ مني شيئاً، فرجع إلى ربه، وقال يا رب تعوذت بك مني. فأرسل إسرافيل، فقال مثل ذلك، فأرسل ملك الموت فتعوذت بالله منه، فقال ملك الموت إن ربي أمرني وأنا أعوذ به أن أرجع إليه بغير ما أمرني به. وروى بعض أهل الأثر أن أول ما أجرى الله الروح في آدم أجراه في رأسه وعينيه قبل سائر جسده، فلما رأى ثمار الجنة أراد النهوض إليها قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه فلم يستطع، فذلك قوله عزوجل: ﴿ وَكَانَ الإنسان عَجُولا(١١)﴾ [الأسراء]، فلما خلق الله آدم عجبت الملائكة منه فأمرهم بالسجود له كلهم، فسجدوا طاعة لله تعالى إلا إبليس[١٠] فإنه

إلى محمد ما أوحى الله لـ (جبريل) أن يُوحيه إلى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وليس أبلغ من تفسير معنى (جبريل) بأنه ذو قوة عند ذي العرش، فهي نفسها (جبار الله) أي الجبار بتمكين الله إياه، انظر:الأستاذ/ رؤوف أبو سعدة، (من إعجاز القرآن)، جـ١، ص١٧٨-١٧٦، بتصرف.

[١٠] يذكر الأستاذ رؤوف أبو سعدة (من إعجاز القرآن، جـ١، ص٢١٦، بتصرف): ليس في التوراة (إبليس)، وإنما فيها (ساطان) بمعنى العدو، وهي نفسها (شيطان) العربية وفي العبرية أيضاً (عَزازيل) اسما علما لـ (إبليس)، ومعناها (عزيز الله)، على ما يروى من شأنه قبل أن يبلس في أقاصيص أهل الكتاب، وتابعهم فيه لفيف من مفسري القرآن الذين قالوا بأن إبليس كان من الملائكة ثم (أبلس)، وهذا لا يصح فيه عن الصادق المصدوق حديث، بل يعارض صريح القرآن: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ(٥٠)﴾ [الكهف] وربما جاء الخلط عند أهل الكتاب من افتقار العبرية إلى اسم لصنف الجن، بل تُسَوى في الاسم بين الملائكة والجن: كلاهما فيها (روح)، (ملاخ)، أي روح، ملك. وليس في الأناجيل اليونانية أيضا (إبليس)، بل فيها (ساتان) Satan وهي نفسها (ساطان) العبرية على الرسم اليوناني، وتُرجمت في الأناجيل العربية بلفظ (شيطان)، وفي الأناجيل اليونانية اسم آخر للشيطان، وهو (ذِيَبليس) Diabolos والسين فيه للرفع وتحذف في غيره، ومن هذه جاءت Diable و Devil الإنجليزية وأشباههما في اللغات الأوروبية الحديثة بمعنى الشيطان، والذي يصح هو أن تكون (إبليس) بمعنى العاصي، الرافض، المُتَأبي، المتمنع، وليس في الأبلاس من هذه المعاني شيء، والراجح أن (إبليس) تعني (الذي أبَى)، كنية له بحال امتناعه وتأبيه، جاءت على المزجية من (أب + لَيس) أي هو (أبو لَيْسَ)، وقد وردت (إبليس) في القرآن إحدى عشرة مرة، مُعَقبًا على سبع منها بالتأبي والامتناع والرفض: ﴿إِلاَّ

تكبر وامتلأ حسداً ومعصية، فغضب الله عليه ولعنه، وكان ذلك سبب هبوطه إلى الأرض. وأما الحكماء المتقدمين فإنهم يقولون: إن الله تعالى جمع الدرارى في الحمل فجعل الشمس ملكاً، وصير عطارد كالكاتب، والمشترى كالقاضي، والمريخ كالشرطي وكمن يحمل السلاح، والقمر كالخازن، والزهرة كالصاحبة، وزحل كالشيخ المشاور، والجوزهر كالمقوم لأمر الفلك.

وذكرت الأوائل أنه كان في الأرض ثمان وعشرون أمة مخلوقة روحانية ذوات قوة وبطش، وصور مختلفات بحذاء الثمانية والعشرين منزلة، لكل منزلة، أمة مفردة. ويزعمون أن الأمم الماضية، تعالى الله عن قولهم، إنما كان تدبيرها للكواكب الثابتة وهي ألف كوكب وعشرون كوكباً، يقطع كل كوكب منها البرج في ثلاثة آلاف سنة، وهي التي تعمل الأعمال كلها، وبها يكون جميع الأمور. وقال بعض أهل الأثر: إن الله خلق الأفلاك من بخار وإنه لما صعد انعقد وهي سبعة أفلاك، وفوقها البيت المعمور، وله ثلاثمائة وستون باباً، جعلت درجا للفلك، وإن كل رحمة وبركة إنما تنزل من تلك الأبواب، مقسومة على البروج والكواكب حتى تصير إلى الأرض. وقالوا إن الله خلق خلقا هو ملء ملكه يسمى الروح، ومن فوقه الحجب وذلك كله داخل في الكرسي. وهو قوله عز وجل:

إِبْلِيسَ أَبَىَ(٣٤)﴾[البقرة]، ﴿ إِلا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ(١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ إِذْأمرتُكَ(١٢)﴾[الأعراف]، ﴿إِلا إِبْلِيسَ أَبَىَ(٣١)﴾ [الحجر]، ﴿قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ(٣٣) ﴾[الحجر]، ﴿ إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أمرِ رَبِّهِ(٥٠)﴾ [الكهف] ـ وفسق عن الأمر يعني خرج عليه ـ، ﴿ إِلا إِبْلِيسَ أَبَىَ(١١٦)﴾[طه]، ﴿قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ (٧٥)﴾[ص]، وجاءت أيضاً معقباً عليها بالاستكبار الذي يفيد الامتناع مرتين:

﴿ فَسَجَدُواْ إِلا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً(٦١)﴾[الأسراء]، ﴿إِلا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ(٧٤)﴾ [ص]. أما في المرتين العاشرة والحادية عشرة فهما فقط جاءت فيهما (إبليس) على العلمية المجردة غير معقب عليها بشئ: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ(٩٥)﴾[الشعراء]، ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) ﴾[سبأ]، (إبليس) إذن هو (هامة العُصاة)، أي (أبوهم). والله عز وجل بغيبه أعلم.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرض(٢٥٥)﴾[البقرة]، والكرسي وما حوى داخل في العرش، والعرش وما حوى داخل في علم الله، جلت عظمته. وأعلا الدراري السبعة زحل ثم المشترى ثم المريخ ثم الشمس ثم الزهرة ثم عطارد ثم القمر.

وزعم قوم من الحكماء الأوائل أن الكواكب ملائكة، وأنه جعل لها من تدبير العالم ما لم يجعل لغيرها، فلذلك عظموها وعبدوها. وزعم قوم منهم أن الخلق العالية الذين هم الملائكة اثنا عشر صنفاً بحذاء البروج الأثنى عشر، وأنهم يتوارثون، جعل الله فيمن شاء منهم حولاً وقوة يقدر أحدهم أن يكون في صورة تملأ الأرض عظماً، ويقدر أحدهم أن يكون في صورة تدخل من خرق الإبرة لطفاً، ويغوص في تخوم الأرض والبحار والجبال، لا يمنعه من ذلك مانع.

ومنهم من له من الأجنحة مثنى وثلاث ورباع، كما قال الله عز وجل، يلتحقون أقطار الأرض كلمحة البصر، ومنهم مخلوق من نور، ومنهم زرق من نور النار، ومنهم شعاعيون، ومنهم ملائكة الرحمة، ومنهم الحفظة والخزنة. وهؤلاء مخلوقون من رطوبة الماء وهم حسان الوجوه سمر الألوان، ومنهم مشغولون بعبادة الله لا يعرفون غيرها، وهم في صور لا تحصى. وقال أصحاب الطبيعة: إن الأفلاك لما تم خلقها كانت الأجسام لكواكبها وكانت الكواكب كالأرواح لها. وقال هرمس[11] لما خلق الله عز وجل البروج قسم لها دوامها في سلطانه فجعل

[11] قال أبو معشر البلخي المنجم، في كتاب (الألوف): الهرامسة ثلاثة أولهم: هرمس الأول الذي كان قبل الطوفان. ومعنى (هرمس) لقب، كأن يقال (قيصر) و(كسرى).. وتسميه الفرس في سيرها (ابن جهد)، وهو الذي تدعى الحرانية حكمته وتذكر أن جده (جيومرت)، وهو (آدم)، ويذكر العبرانيون أنه (خنوخ)، وهو بالعربية (إدريس). قال أبو معشر: هو أول من تكلم في الأشياء العلوية من الحركات النجومية، وإن جده جيومرت علمه ساعات الليل والنهار، وهو أول من بنى الهياكل ومجد الله فيها، وأول من نظر في الطب وتكلم فيه، وانه ألف لأهل زمانه قصائد موزونة، وأشعاراً معلومة، في الأشياء الأرضية والعلوية. وهو أول من أنذر بالطوفان، ورأى أنه آفة سماوية تلحق بالأرض من الماء أو النار، وكان مسكنه صعيد مصر، تخير ذلك فبنى هنالك الأهرام، ومدائن التراب، وخاف ذهاب العلم بالطوفان فبنى البرابى، وهو الجبل المعروف بالبربا (بإخميم) نحته وصور فيه جميع الصناعات وصنائعها نقشاً، وصور جميع آلات الصناع وأشار إلى

للحمل اثنى عشر ألف سنة، وللثور أحد عشر ألف سنة، وللجوزاء عشرة آلاف سنة، وللأسد ثمانية آلاف سنة، وللسنبلة سبعة آلاف سنة، وللميزان ستة آلاف سنة، وللعقرب خمسة آلاف سنة، وللقوس أربعة آلاف سنة، وللجدي ثلاثة آلاف سنة، وللدلو ألفي سنة، للحوت ألف سنة، فصار للدور ثمانية وسبعون ألف سنة، والباقي لسائر الكواكب. ولم يكن في عدد الحمل والثور والجوزاء حيوان، وذلك ثلاثة وثلاثون ألف سنة، ولا في الأرض عالما روحانياً. فلما كان عالم السرطان تكونت دواب الماء وهوام الأرض، ولما استقام الأسد في سلطانه تكونت ذوات الأربع من الدواب والبهائم. فلما دخل سلطان السنبلة تكون الأنسانان أدمانوس وحيوانوس، وكانت الطيور في سلطان الميزان. وأما مقادير الكواكب عندهم. فقالوا إن الشمس أكبر من الأرض بمائة مرة وثلاث وستون مرة، وزحل أكبر من الأرض بإحدى وتسعين مرة ونصف مرة، والمشترى بإحدى وثمانين مرة، والمريخ بثلاثة وسبعين مرة والزهرة بنيف وستين مرة، وعطارد بثلاث وثلاثين مرة وثلث مرة، والقمر بسبعة عشرة مرة وربع مرة وكانت الشمس كالملك والدرارى كما ذكرنا. ومن الفلاسفة من يقول إن الكواكب حية ناطقة حساسة. ومنهم من قال: أن لها حاسة السمع والبصر واللمس، وليس لها حاسة الذوق والشم. لأنها مشتغلة عن ذلك. ومنهم من زعم أن الفلك حي مميز لجميع ما فيه، ذو صورة فكذلك جميع ما فيه بهذه المنزلة. وقالوا إن ضياء القمر مأخوذ من ضوء الشمس، لأنهما إذا اجتمعا لم يكن للقمر نور. وقال قوم منهم العالم محدث إلا أنه لا يبيد لأنه حكمة وصنعة حكيم، والحكيم لا يفسد صنعته.

ذكر عمر الدنيا

فأما ما ذكروه من توقيت الزمان ومدته إلى انقضائه، فإنهم قالوا فيه أقوالاً لا

صفات العلوم برسوم، حرصاً منه على تخليد العلوم لمن بعده، وخيفة بأن يذهب رسم ذلك من العالم، وللمزيد من المعلومات حول (هرمس) راجع كتابنا: (كشف المستور في سر الهرم المكنون).

تسلم لهم، إنما تسمع وتذكر على ما يتعجب منه لا على جهة التصديق به ـ نعوذ بالله ـ ففي كتاب السند هند الذي عمل منه المجسطي وغيره من الزيجات أن دوران الشمس من أول سيرها من الحمل إنما سيرها ينقضي على ما حسبوه من الآلاف ألف ألف وأربعمائة ألف ألف وعشرون ألف دورة لكل دورة سنة، والسنة ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم. وقالوا إن أصل الدور أربعة آلاف ألف وثلاثمائة ألف ألف وعشرون ألف ألف عند كل بدء ألف سنة، وأما أهل الأثر، فزعم قوم أن عمر الزمان إلى آدم عليه السلام سبعة آلاف منه، ورواية محمد بن جرير الطبري على ما قدمناه ذكره أن من آدم إلى انقضاء الخلق سبعة آلاف، وذكر طلوع الشمس من مغربها قبل انقضاء العالم. وقال قوم: إذا بلغ القلب خمسة عشر درجة من الأسد كان طوفان نار يحرق العالم بأسره فلا يبقى على وجه الأرض حيوان ولا في البحار، وتبقى الأرض خراباً من العالم، ثم يستأنف الله عز وجل ما أراد في الخلق، وكان أرسطاطاليس يرى أن الزمان لا يبيد، ولا ينفد وأن الطبيعة قديمة، وأنه لا أول لها ولا آخر، تعالى الله جل جلاله.

ذكر الأمم المخلوقات قبل آدم عليه السلام

يقال إنه كانت الجملة ثمانيا وعشرين أمة بإزاء المنازل العالية التي يحلها القمر، لأنه المستولى عندهم لتدبير العالم الأرضي بإذن الله تعالى جل ذكره، خلقت من أمزجة مختلفة أصلها الماء والهواء والنار والأرض، فهي متباينة الخلق ومنها أمة طوال خفاف زرق ذات أجنحة كلامهم فرقعة، ومنها أمة أبدانهم كأبدان الأسد ورؤسهم رؤس الطير لها شعور وأذناب طوال كلامهم دوي، ومنها أمة لها وجهان قدامها وخلفها وأرجل كثيرة وكلامهم كلام الطير ومنها الجن.

ومنها صفة الجن، وهي أمة في صور الكلاب لها أذناب وكلامها همهمة لا يفهم، ومنها أمة تشبه بني آدم أفواههم في صدورهم يصفرون تصفيراً. ومنها

أمة في خلق الحيات الطوال لها أجنحة وأرجل وأذناب. ومنها أمة يشبهون نصف شق الإنسان لهم عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة يقفزون تقفيزاً، وكلامهم مثل كلام الغرانيق[١٢].

ومنها أمة لها وجوه كوجوه الناس وأصلاب كأصلاب السلاحف، وفي أيديهم مخالب وفي رؤسهم قرون طوال، كلامهم كعوي الذئاب. ومنها أمة لكل واحد منهم رأسان ووجهان كوجوه الأسد طوال لا يفهم كلامهم، ومنها أمة مدورة الوجوه لها شعور بيض وأذناب كأذناب البقر يزرقون الناس من أفواههم. ومنها أمة في خلق النساء لهم شعور وثدي ليس فيهم ذكر، تلقح من الريح وتلد أمثالها، ولها أصوات مطربة يجتمع إليها كثير من هذه الأمم لحسن أصواتها. ومنها أمة في خلق الهوام والحشرات إلا أنها عظيمة الأجسام تأكل وتشرب مثل الأنعام. ومنها أمة تشبة دواب البحر لها أنياب كالخنازير بارزة وآذان طوال. وبقية الثمانية والعشرين أمة على خلق لا يشبه بعضها بعضاً إلا إنها وحشية المنظر، ويقال ان هذه الأمم تناتجت فصارت مائة وعشرين أمة.

ذكر الجن وأجناسهم وقبائلهم

وسئل أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه، هل كان في الأرض خلق من خلق الله تعالى قبل آدم يعبدون الله تعالى؟ فقال: نعم خلق الله تعالى الأرض، وخلق فيها أمماً من الجن يسبحونه ويقدسونه لا يفترون، وكانوا

[١٢] غَرَانِيقُ: واحدها غُرنوق: طَائِرٌ مِنْ فَصِيلَةِ كَفْيَّاتِ القَدَمِ، طَوِيلاَتِ السَّاقِ، مَائِيٌّ أَبْيَضُ عَرِيضُ الْجَنَاحَيْنِ. ويسمى الكركى، الغُرْنُوق طير أبيض من طير الماء ؛ ذكره في حديث ابن عباس: إن جنازته لما أُتِيَ به الوادي أقبل طائر أبيض غُرْنوق كأنه قُبْطِيّة حتى دخل في نعشه، قال: فرَمَقْتُه فلم أَرَهُ خرج حتى دفن. الأصمعى: الغُرْنَيْق الكُرْكيّ، وقال غيره: هو طائر طويل القوائم. ابن السكيت: الغَرانِيقُ طير مثل الكَراكي.

يطيرون إلى السماء، ويلقون الملائكة، ويسلمون عليهم ويتعلمون منهم الخير، ويعلمون منهم بخبر ما يجري في السماء، ثم إن طائفة من الجن تمردوا وعتوا عن أمر الله عز وجل، وبغوا في الأرض بغير الحق، وعلا بعضهم على بعض، حتى سفكوا الدماء، وأظهروا الفساد، وجحدوا الربوبية. وأقام الآخرون المطيعون على دينهم وعبادتهم وباينوا الذين عتوا عن أمر الله، وكان يصعد إلى السموات عنها للطاعة، وخلق الملائكة كما قدمناه ذكره روحانيين ذو أجنحة يطيرون بها حيث صيرهم الله تعالى، وأسكنهم ما بين أطباق السموات يسبحونه ويقدسونه لا يفترون، حتى اصطفى الله تعالى منهم الملائكة فكان أقربهم منه إسرافيل، ثم ميكائيل ثم جبرائيل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين.

قبائل الجن وأسماء ملوكهم

وأما الجن فذكرت الهند والفرس واليونان ولادات الجن وقبائلهم وأسماء ملوكهم، وزعموا أنهم مفترقون على أحد وعشرين قبيلة، وبعد خمسة آلاف سنة ملكوا عليهم ملكاً منهم، يقال له الملك شمائيل بن أرس جن، ثم افترقوا، فملكوا عليهم خمس ملوك فأقاموا بذلك دهراً طويلاً، ثم أغار بعض الجن على بعض، وكانت بينهم وقائع كثيرة وحروب شديدة، وكان إبليس منهم، وله أسماء كثيرة باختلاف اللغات غير أن اسمه بالعربية الحارث يكنى (أبا مرة)[١٣]. عظيم الخلق مطيقاً وكان يصعد إلى السماء ويقف في صفوف الملائكة، ويجتهد في العبادة، فلما بغى بعض على بعض، وكانت تلك الحروب بينهم اهبط إلى الأرض في جند من الملائكة فهزمهم وقتلهم، وجعل ملكاً على الأرض فتجبر وطغا، وكان امتناعه من السجود لآدم عليه السلام. كما أنبأنا الله عز وجل في كتابه، فاهبط في أقبح صورة وأشرها تشويها فأنكره جميع قبائل الجن واستوحشوا منه. فلما رأى ذلك سكن البحر، وجعل له عرشاً على الماء. ثم جعل له ولادة كما جعلت لآدم عليه السلام. فألقيت عليه شهوة السفاد وجعل لقاحه كلقاح الطير وبيضه

[١٣] (أبا مرة) هي نفسها كنية (الحية)!.

كبيضه. وذكر بعض العلماء صنوف الجن فزعم أن الشياطين خمسة وثلاثون قبيلة وأن الذين يطيرون في الجو خمسة عشر قبيلة وأن الذين مع لهب النار عشر قبائل وأن مسترقي السمع ثلاثون قبيلة، ولهذا القبائل كلها ملوك من كل قبيلة لدفع شرهم.

وحكى أن صنفاً من السعالى يتصورون في صور النساء الحسان ويتزوجن برجال الأنس كما حكي عن رجل يقال سعد بن جبير، أنه تزوج امرأة منهن وهو لا يعلم ما هي: فأقامت عنده وولدت عنده أولاداً وكانت معه ليلة على سطح يشرف على الجبانة، إذا بصوت في أقصى الجبانة نساء يتألمن فطربت وقالت لبعلها أما ترى نيران السعالى شأنك وبنيك استوص بهم خيرا فطارت فلم تعد إليه، ومنهم من يظفر بالرجال الخالى في الصحراء أو الخراب، فتأخذه بيده فترقصه حتى يتحير ويسقط فتمص دمه، ومنهم صنف لا تفارق صور الحياة وربما قتلها الرجل فهلك.. يحكى أن فتى من الأنصار قريب عهد بعرس استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تقدمه يوم الخندق وأن يلم بأهله فأذن له فلما انتهى إلى منزله وجد امرأته قائمة بالباب فأدركته غيرة وأهوى إليها برمحه، فقالت له لا تعجل وادخل حتى تنظر ما على فراشك فدخل فرأى على فراشه حية عظيمة، فطعنها برمحه فقتلها، فمات هو من ساعته.

وتذكر العرب عن عبيد الأبرص الأسدي أنه خرج في سفر له يريد الشام[14]

---

[14] يذكر الأستاذ أحمد عيد (جغرافية التوراة في جزيرة الفراعنة، ص١٩): "وجغرافيا: فإن المنطقة الشمالية لليمن تسمى الشام"، ولابد من الإشارة هنا إلى أن المقصود بالشام في كتابات الإخباريين والجغرافيين العرب، منطقة ما في جزيرة العرب. حددها لنا المؤرخ التاجر (ابن المجاور الدمشقي) في كتابه الشهير (تاريخ المستبصر) في رقعة واسعة من سواحل تهامة اليمن: أما تهامة، فإنها قطعة من اليمن، وهي جبال مشتبكة وكلها مشرف على بحر القلزم مما يلي غربيها، وشرقيها بناحية صعدة وحرض ونجران، وشماليها حدود مكة وجنوبيها من صنعاء على نحو عشر مراحل. وتسمى في عدن الشام، وتسمى في المهجم اليمن، وتسمى عند آل عمران كوش وتسمى باللغة المعروفة زبيد. وقد أتى (ابن المجاور) على ذكر بعض أودية الشام هذه قائلاً: وفي أودية الشام وادي رماع ووادي الكدراء ووادي سردد ووادي مور وجميع هذه الأودية يقطع منها الخشب لأجل العمارة. ويستطرد (ابن المجاور) ليؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الشام جزء

مع نفر، فلما صار ببعض الطريق إذ هو بشجاع يلهث عطشاً وخلفه حية سوداء تطرده، فنزل فقتل الحية السوداء وحل أدواته ونضح على الشجاع من الماء فشرب وانساب حتى دخل جحره، ومضى عبيد حتى قضى حوائجه بالشام. فلما انصرف أغفى وهو في مفازة فلما انتبه وجد قلوصه قد ضل، وهو على غير الطريق فأقام مكانه فلما جنه الليل إذا بهاتف يقول:

يا صاحب البكر البعيد مذهبه ... ما عنده من ذى رشاد يصحبه

دونك هذا البكر منا تركبه ... حتى إذا الليل تولى غيهبه

واقبل الصبح ولاح كوكبه ... فبعد حط رحله تستلبه

فلما سمع عبيد ذلك من الهاتف التفت، فإذا عنده بكر كأحسن ما يكون فركبه فسار به بقية ليلته فأصبح في منزله، وكان بينه وبين منزله إحدى وعشرون مرحلة فنزل عنها وأنشأ يقول:

يا صاحب البكر قد أنجيت من عطب ... ومن حمام يضل المدلج الهادى

ارجع حميدا فقد اوليتنا مننا ... جوزيت من رائح بالخير أو غادي

فأجابه البكر :

أنا الشجاع الذي ألفيتنى ومضا ... في مهمه نازح عن أهله ماد

فجدت بالماء لما ظن جاهله ... أرويت هامي ولم تهمم بأنكاد

الخير يبقى وإن طال الزمان به ... والشر أخبث ما أوعيت من زاد

لا يتجزأ من اليمن: وإلى هجر أربع فراسخ، ومن هنا إلى حران يُعرف بالدرّب.. ومن هذه الحدود إلى زبيد يسمون أهلها (الشّمة) لأن هذه الأعمال تسمى في زبيد الشّام ''، انظر الأستاذ أحمد الدبش: (كنعان وملوك بنى إسرائيل في جزيرة العرب)، ص٤٠.

ثم قال إن الأسود الذي رأيته يطردني عبد من عبيدي أراد قتلي فكفيتني شره، وأرويتني من ظمئي ولن يضيع الخير واستخلف الله عليك. وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: أكثر الحيوان الداجن صفة الجن، وأن الكلاب من الجن، فإذا رأوكم تأكلون فألقوا إليهم من طعامكم، فإن لهم أنفسا - يعني يأخذون بالعين، والعرب تذكر راكبا على حمل في قدر الشاة وفد عليهم بسوق عكاظ [ونادى] ألا من يهبني ثمانين بكرة هجانا وأدما، فلم يجبه أحد. فلما رأى ذلك ضرب حمل وطار به بين السماء والأرض كالبرق، فعجبوا منه فحدثهم رجل قال: لقيت رجلاً في بعض المفاوز راكباً على نعامة وعيناه مشقوقتان بطول وجهه، فأخذتني منه روعة ثم استوقفته فقلت له: أتروي شيئا من الشعر ؟ قال: نعم وأقرضه، وأنشدني: أتاركة تحيتها قطام وضنا بالتحية والسلام حتى أتى على آخرها فقلت له: هيهات سبقك إليها أخو بني ذبيان، فقال: أنا والله يا أخي، نطقت بها على لسانه بسوق عكاظ، وكنت قلتها قبل ذلك بأربعمائة عام. ويقال إن الله تعالى خلق ألفا وعشرين أمة حذاء الكواكب الثابتة منها في البحر ستمائة أمة، ومنها في البر أربعمائة أمة وعشرين أمة أحسنها الإنسان وأتمها وأحبها إلى الباري سبحانه وتعالى وأفضلها، فإنه خلق على صورة إسرافيل عليه السلام وهو أقرب الملائكة إلى الله تعالى. وفي التوراة خلق الله تعالى آدم على صورته، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وفي الحديث: (لا تضربوا الوجوه فإنها على صورة إسرافيل عليه السلام). وفي الحديث: (تلجوا بالنظر إلى وجوه المرد فإن فيها لمحات من الحور العين)، قال إن في الإنسان من كل الخلق، فلذلك سخر له جميع الحيوان وسلط عليها فاقتنصها وذللها وسخر أكثرها، وجمع له المأكول من النبات والحيوان، وله خلقت اللذات جميعاً، وعمل بهذه جميع الأعمال. وله المنطق والضحك، والفكر الفطنة، واختراعات الأشياء، وله خاطب الباري عز وجل، وعليه وقع الأمر والنهي والإنسان هو الذي استنبط الأشياء وجمع العلوم، وعمل الآلات، وأثار المعادن، وأخرج ما في قعور البحار، وسخر له كل شيء.

ومن العجائب خلق النسناس وهو كمثل نصف الإنسان بيد واحدة ورجل واحدة، ويثب وثباً ويعدو عدواً شديداً، وكان ببلاد اليمن[15]، وربما كان ببلاد

[15] لليمن من الجزائر: (زيلع) وهي حيال المندب، ثم (دهلك) وهي حيال (غلافقة) وهي جزيرة (النجاشي)، و(رحسوا) وهي حيال (الدهلك)، و(باضع) وهي حيال (عثر) وهي ساحل بيش بلاد (كنانة). وأما سواحلها فعدن: وهي ساحل صنعاء، وبها مرفأ مراكب الصين، و(سلاهط) و(المندب)، و(غلافقة)، و(الحردة)، و(الشرجة) وهي (شرجة القريص)، و(عثر)، و(الحسبة)، و(السرين)، و(جدة) . انظر اليعقوبي: (البلدان) .

(زَيلَعُ): بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح اللام وآخره عين مهملة. هم جيل من السودان في طرف أرض الحبشة وهم مسلمون وأرضهم تعرف بـ (الزيلع)، وقال ابن الحائك ومن جزائر اليمن جزيرة (زيلع) فيها سوق يجلب إليه المعزى من بلاد الحبشة فتُشترى جلودها ويرمَى بأكثر مسائحها في البحر و(زيلع) بالعين المهملة قرية على ساحل البحر من ناحية الحبش، حدثني الشيخ وليد البصري وكان ممن جال في البلدان أن البربر طائفة من السودان بين بلاد الزنج وبلاد الحبش قال ولهم سنة عجيبة مع كونهم إلى الأبطاءِ منسوبين وفي أهله معدودين وهم طوائف يسكنون البرية في بيوت يصنعونها من حشيش قال: فإذا أحب أحدهم امرأة وأراد التزوج بها ولم يكن كفواً لها عمد إلى بقرة من بقر أبي تلك المرأة ولا تكون البقرة إلا حُبلى فيقطع من ذنبها شيئاً من الشعر ويُطلقها في السرح ثم يهرب في طلب من يقطع ذكره من الناس فإذا رجع الراعي وأخبره والد الجارية أو من يكون ولياً لها من أهلها فيخرجون في طلبه فإن ظفروا به قتلوه وكَفوا أمره وإن لم يظفروا به مضى على وجهه يلتمس من يقطع ذكره ويجيئهم فإن ولدت البقرة ولم يجيء بالذكر بطل أمره ولا يرجع أبداً إلى قومه بل يمضي هاجا حيث لا يعرفون له خبراً فإنه ناحية الحبش فيها طوائف منهم ومن غيرهم. قال: وأكثر معيشة البربر من الصيد وعندهم نوع من الخشب يطبخونه ويستخرجون منه ماءً يعقدونه حتى يبقى كأنه الزفت فإذا كل الرجل منه يضره فإن جرح موضعاً بمقدار غرز الإبرة وترك أهلك صاحبه وذلك أن الدم يهرب من ذلك السم حتى يصل إلى القلب ويجتمع فيه فيفجره فإذا أراد أحد اختباره جرح برأس الإبرة ساقه فإذا سال منه الدمُ قرب ذلك السمَ منه فإنه يعود طالبا لموضعه فإن لم يبادره بقطعه من أوله وإلا قتله وهو من العجائب وهم يجعلون منه قليلا في رأس السهم ويتوارون في بعض الأشجار فإذا مرت بهم سباع الوحوش كالفيل والكركدن والزراف والنمر يرشقُونه بذلك السهم فإذا خالط دمه مات لوقته فيأخذون من الفيل أنيابه والكركدن قرونه ومن الزراف والنمر جلده والله أعلم . انظر ياقوت الحموى: (معجم البلدان): (ج٢، ص٤١٢) .

العجم، والعرب تصيده وتأكله. وفي بعض أخبارهم أن سيارة وقعوا في أرض كثيرة النسانس، فصادوا واحداً وذبحوه وطبخوه وكان سميناً، فلما جلسوا يأكلونه قال أحدهم: لقد كان هذا النسناس سميناً، فقال نسناس آخر، قد اختفى في شجرة بالقرب منهم: إنه كان يأكل السرو فلذلك سمن، فنبههم على نفسه فأخذوه وذبحوه. فقال آخر من شجرة أخرى، قد اختفى فيها عنهم: لو كان عاقلاً صمت ولم ينطق، فأخذوه وذبحوه. فناداهم نسناس آخر تخبأ في بعض خروق الأرض: إني قد أحسنت فلم أتكلم فأخذوه وذبحوه، وكان لهم فيها قوت. وقيل إنه يغتذى بالثمار والنبات، ويصبر على العطش. وقيل إن في شرقى القلزم[16] مما يلي في البحر أمة متولدة من صنف من السباع

[16] (القُلزُم): بالضم ثم السكون ثم زاي مضمومة، وميم القَلزَمة ابتلاعُ الشيء يقال: تقلزَمه إذا ابتلعه، وسمي بحر القلزم قُلزُماً لالتهامه مَن ركبه وهو المكان الذي غرق فيه فرعون وآله. قال ابن الكلبي: استطال عُنُقٌ من بحر الهند، فطعن في تهائم اليمن على بلاد فرسان، وحكم، والأشعرين وعك، ومضى إلى (جُدَة)، وهو ساحل مكة ثم (الجار)، وهو ساحل المدينة ثم ساحل الطور، وساحل التيماء، وخليج أيلَة وساحل رايةَ حتى بلغ قلزم مصر، وخالط بلادها، وقال قوم: (قلزم) بلدة على ساحل بحر اليمن قرب أيلة، والطور، ومدين والى هذه المدينة ينسب هذا البحر، وموضعها أقرَبُ موضع إلى البحر الغربي لأن بينها وبين (الفرَما) أربعة أيام و(القلزم) على بحر الهند، و(الفَرَما) على بحر الروم، ولما ذكر القُضاعى كُوَرَ مصر قال: (راية)، و(القلزم) من كورها القبلية وفيه غرق فرعون و(القلزم) في الإقليم الثالث طولها ست وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها ثمان وعشرون درجة وثُلث. قال المهلبي: ويتصل بجبل القلزم جبل يوجد فيه المغناطيس، وهو حجر يجذب الحديد وإذا دُلِكَ ذلك الحجر بالثوم بطل عمله فإذا غُسل بالخل عاد إلى حاله، ووصف القلزم أبو الحسن البلخي بما أحسن في وصفه، فقال: أما ما كان من بحر الهند من القلزم إلى ما يُحاذي بطن اليمن فإنه يسمى بحر القلزم ومقداره نحو ثلاثين مرحلة طولاً وأوسع ما يكون عرضاً عبر ثلاث ليال ثم لا يزال يضيق حتى يُرَى في بعض جوانبه الجانب المحاذي له حتى ينتهي إلى القلزم، وهي مدينة ثم تدور على الجانب الآخر من بحر القلزم وامتداد ساحله من مخرجه يمتدُ بين المغرب والشمال فإذا انتهي إلى القلزم فهو آخر امتداد البحر فيعرج حينئذ إلى ناحية المغرب مستديراً فإذا وصل إلى نصف الدائرة فهناك القصير، وهو مَرسى المراكب، وهو أقرب موضع في بحر القلزم إلى (قُوص) ثم يمتدُ إلى ساحل البحر مغرباً إلى أن يعرج نحو الجنوب فإذا حاذى (أيلة) من الجانب الجنوبى فهناك (عَيذاب) مدينة البجاءِ ثم

وبنى آدم، وجوهها عراض كثيرة الشعر مثل وجوه السباع، وعيونها مدورة بصاصة، وأنيابها بارزة طوال، وآذانها طوال، وأبدانها كأبدان الناس إلا أن لهم أظفاراً كباراً، معقفة محدودة، وليس وراءهم غيرهم. وطعامهم دواب البحر، ومما يشبه خلق الإنسان أمة يقال لها الواق واق، وهي حمل شجر عظام لشعورها، ولها أيدي وفروج مثل فروج النساء وألوان، ولا يزلن يصحن واق واق، فإن

يمتد على ساحل البحر إلى مساكن البجاء والبجاء قوم سود أشد سواداً من الحبشة، وقد ذكرهم في موضع آخر ثم يمتد البحر حتى يتصل ببلاد الحبشة ثم إلى الزيلع حتى ينتهي إلى مخرجه من البحر الأعظم ثم إلى سواحل البربر ثم إلى أرض الزنج في بحر الجنوب، وبحر القلزم مثل الوادي فيه جبال كثيرة قد علا الماءُ عليها وطُرق السير منها معروفة لا يُهتدى فيها إلا برُبان يتخلل بالسفينة في أضعاف تلك الجبال في ضياء النهار، وأما بالليل فلا يسلك، ولصفاءِ مائه ترى تلك الجبال في البحر، وما بين القلزم وأيلة مكان يعرف بـ (تاران)، وهو أخبث مكان في هذا البحر، وقد وصفناه في موضعه وبقرب (تاران) موضع يعرف بالجبيلات يهيج وتتلاطم أمواجه باليسير من الريح، وهو موضع مخوف أيضاً فلا يسلك، قال: وبين مدينة القلزم وبين مصر ثلاثة أيام، وهي مدينة مبنية على شفير البحر ينتهي هذا البحر إليها ثم ينعطف إلى ناحية بلاد البجة، وليس بها زرع، ولا شجر، ولا ماء، وإنما يُحمل إليها من ماء آبار بعيدة منها، وهي تامة العمارة، وبها فرضة مصر والشام، ومنها تحمل حمولات مصر والشام إلى الحجاز واليمن ثم ينتهي على شط البحر نحو الحجاز، فلا تكون بها قرية ولا مدينة سوى مواضع بها ناس مقيمون على صيد السمك وشيء من النخيل يسير حتى ينتهى إلى (تاران) و(جبيلات) وما حاذى (الطور) إلى (أيلة). قلت: هذا صفة القلزم قديماً فأما اليوم فهي خرائب يباب، وصارت الفرضة موضعاً قريباً منها يقال لها: (سويس) وهي أيضاً كالخراب ليس بها كثير أناس. انظر ياقوت الحموى: (معجم البلدان)، وقال ابن البناء: (القلزم) مدينة قديمة على طرف بحر الصين يابسة عابسة لا ماءُ ولا كلأ ولا زرع، ولا ضرع، ولا حطب، ولا شجر يحمل إليهم الماءُ في المراكب من (سويس)، وبينهما بريد وهو ملح رديء ومن أمثالهم ميرة أهل القلزم من بلبيس وشربهم من سويس يأكلون لحم التيس، ويوقدون سقف البيت هي أحد كُنف الدنيا مياه حماماتهم زُعاق، والمسافة إليهم صعبة غير أن مساجدها حسنة، ومنازلها جليلة، ومتاجرها مفيدة، وهي خزانة مصر، وفرضة الحجاز، ومغوثة الحجاج، والقلزم أيضاً نهر غرناطة بالأندلس كذا كانوا يسمونه قديماً، والآن يسمونه حدّارُه بتشديد الراءِ وضمها وسكون الهاء. انظر ياقوت الحموى: (معجم البلدان)، جـ٣، ص ٤٢٨ .

قطعت إحداهن سقطت ميتة لا تنطق. وفي كتاب الخزانة أنه من جاوز أولئك وقع إلى ما هو أعظم منهن وأحسن أعجازاً وفروجاً ووجوها، فإن قطعت أقامت يوما وبعض آخر، وربما جامعها من يقطعها، وهي تشبه النساء، وأطيب رائحة، وألذ مباضعة، وهذه الأرض أطيب رائحة من الكافور وليس بها إنس. وإنما يحكى ذلك عنها أهل المراكب إذا سقطوا إليها، ومنها خلق بحرية على شبه النساء يقال لها بنات الماء، في صورة النساء الحسان، ذوات الشعور السبط، لها فروج عظام وثدي، كلامهم لا يكاد يفهم، ولهم قهقهة. وحكى بعض البحريين أن الريح ألقتهم إلى جزيرة فيها شجر وأنهار عذبة، وأنهم كانوا يسمعون ضوضاة وضحكاً، فكمنوا لهن وأخذوا منهن امرأتين فأوثقوهما. وأقامتا مع اللذين أخذاهما يقعان عليهما في كل وقت ويجدان لهما لذة عجيبة، وأن أحداهما وثق بصاحبته فأرسلها من وثاقها فهربت إلى البحر ولم يرها بعد ذلك، وبقيت الأخرى، فلما حصلت في المركب رحمها صاحبها فحل وثاقها فحملت منه وولدت له ولدا ذكرا وأنهم ركبوا في البحر فلما حصلت في المركب وقد أنها لا تزول عن ابنها فتغفلته ووثبت في البحر، فلما كان بعد ذلك بيوم، ظهرت له وألقت إليه صدفا فيها در نفيس. قال المسعودي رحمة الله: وقد ذكرنا طرفا من أخبار الروحانية، على ما نقل إلينا والله اعلم بخلقه ومن أشياء كثيرة على طريق التعجب لا من طريق التصديق، فمن قرأ كتابنا هذا فليعلم العذر فيما أوردناه، وبالله التوفيق والتسديد والمعونة والتأييد.

ذكر الأرض وما فيها

روى ابن عبد الحكم قال: خلقت الأرض على صورة الطائر رأسه وصدره وجناحاه رجلاه وذنبه. فالرأس مكة والمدينة واليمن، والصدر الشأم[١٧] ومصر[١٨]،

[١٧] ويذكر الأستاذ أحمد عيد (جغرافية التوراة في جزيرة الفراعنة، ص١٩): ''وجغرافيا: فإن المنطقة الشمالية لليمن تسمى الشام''. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن المقصود بالشام في كتابات الإخباريين والجغرافيين العرب، منطقة ما في جزيرة العرب. حددها لنا المؤرخ التاجر (ابن

المجاور الدمشقي) في كتابه الشهير (تاريخ المستبصر) في رقعة واسعة من سواحل تهامة اليمن: أما تهامة، فإنها قطعة من اليمن، وهي جبال مشتبكة وكلها مشرف على بحر القلزم مما يلي غربيها، وشرقيها بناحية صعدة وحرض ونجران، وشماليها حدود مكة وجنوبيها من صنعاء على نحو عشر مراحل. وتسمى في عدن الشّام، وتسمى في المعجم اليمن، وتسمى عند آل عمران كوش وتسمي باللغة المعروفة زبيد. وقد أتى (ابن المجاور) على ذكر بعض أودية الشام هذه قائلاً: وفي أودية الشام وادي رماع ووادي الكدراء ووادي سردد ووادي مور وجميع هذه الأودية يقطع منها الخشب لأجل العمارة. ويستطرد (ابن المجاور) ليؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الشّام جزء لا يتجزأ من اليمن :وإلى هجر أربع فراسخ، ومن هنا إلى حران يُعرف بالدرّب.. ومن هذه الحدود إلى زبيد يسمون أهلها (الشّمة) لأن هذه الأعمال تسمى في زبيد الشّام ''، انظر الأستاذ أحمد الدبش: (كنعان وملوك بني إسرائيل في جزيرة العرب)، ص٤٠.

[١٨] ويذكر الأستاذ/رؤوف أبو سعدة (من إعجاز القرآن، جـ٢، ص٧٤-٧٦، بتصرف): ''..أما مصرُ الاسم الجغرافي العلم، أعني هذه الأرض التي نعيش عليها أنا وأنت، فليس معناها عربياً البلد أو القطر، وإنما معناها الحائل، أي الحاجز بين الشيئين، أو بين الأرضين، يمنعك من اختراقه أو النفاذ منه، ولفظهُ في العربية ماصر على الفاعلية، وأيضاً مِصْر، وفي العبرية مَصُور وأيضاً مِصِر بكسرتين (راجع في معجمك العربي الجذر مَصّر المشترك على هذا المعنى بين العربية والعبرية). ولكن اسم مصر تجئ أيضاً في العبرية بصيغة المثنى مِصْرَيم، وليس هذا على إرادة التثنية، إنما هو للتعظيم، كما يعرف حذاق اللغة العبرية التي تقول إلوهيم جمع إله على التعظيم تريد الواحدَ الأحد. وربما أيضاً على المجانسة مع تاوى اسم مصر بلغة أهلها المصرية القديمة الهيروغليفية، يعني الأرضان على التعظيم لا التثنية. ومن الأرض اشتق المصريون الأقدمون اسم مصر بلغتهم فقالوا (١) تاوى مثنى تا يعنى الأرض، فهي الأرضان، ومنه نِبْ ـ تاوى أي سيد الأرضين يعنى ملك مصر، والراجح أن التثنية في (الأرضين) هي على التعظيم، وليست على الجمع بين الوجهين القبلي والبحرى. (٢) تا ـ مرى، يعنى أرض المحبوب أو أرض الأحبّة أو الأرض التي تُحَب (٣) تا ـ كِمْت، أو كِمْت فقط اختصارا، وأصل تا ـ كِمْت هو الأرض السوداء، والسواد هنا على معنى الخضرة الضاربة إلى السواد، يعنى الزروع، في مقابل تا ـ دِشِرْت (الأرض الحمراء) يعني الصحراء، ومصر كما تعلم جزيرة وسط رمال يضرب لونها إلى الحمرة، كما قال العرب سواد العراق في مقابل باديته. وقد شاع من هذه الأسماء تاوى، تا ـ مرى، تا ـ كمت أو كمت اختصاراً. مصرُ عند أهلها كما رأيت بلغتهم هم هي الأرض، وإن تعددت النعوت. وقد "علم" القرآن هذا قبل أن يعلمه أحد من الخلق أجمعين عصر نزوله وإلى هذا العصر، فجاءت (مصرُ) في عدة مواضع من القرآن باسم الأرض، وسبحان علام الغيوب ''. وردت مادة (الأرض)

والجناح الأيمن والعراق إلى الواق والوقواق وأمم السند والهند، والجناح الأيسر ناسك ومنسك ويأجوج ومأجوج، وأمم كثيرة والذنب من ذات الحمام إلى مغرب الشمس والبحر الأسود. وفي الحديث: (أن الله عز وجل خلق مدينتين واحدة في المشرق واسمها جابلقا، وأخرى في المغرب واسمها جابرضا، طول كل مدينة عشرة آلاف فرسخ، لكل مدينة منها عشرة الآف باب، بين كل بابين فرسخ، للباب كل ليلة عشرة الآف رجل لا تلحقهم النوبة إلى يوم القيامة، وأنهم يعمرون سبعة الآف سنة إلا ما دونها ويأكلون ويشربون ويتناكحون، وفيهم حكم كثيرة، ولهم خلق عظام تامة، وأن هاتين المدينتين خارجتين من هذا العالم لا

في كل القرآن ٣٥٩ مرة، تلمح في بعضها اسم مصر وراء لفظة الأرض التي في الآية ويوجد أحد عشر موضعاً في القرآن فيها الدليل القاطع على أن الأرض التي في الآية إنما يقصد بها اسم مصر صريحاً، وهي ثلاثة مواضع في سورة يوسف: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأرض حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠)﴾، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) ٥ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأرض إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥)﴾، ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأرض يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) ﴾، وثمانية مواضع في قصة موسى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأرض وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧) ﴾ [الأعراف]، ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأرض وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (٧٨)﴾ [يونس]، ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأرض فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا(١٠٣) ﴾ [الإسراء]، ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأرض وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) ﴾[القصص]، ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأرض وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ(٥)﴾ [القصص]، ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأرض وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) ﴾[القصص]، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأرض الْفَسَادَ (٢٦) ﴾ [غافر]، ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأرض فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) ﴾ [غافر]. انظر: الأستاذ/ رؤوف أبو سعدة، (من إعجاز القرآن)، جـ١ .

يرون شمساً ولا قمراً، ولا يعرفون آدم ولا إبليس، يعبدون الله تعالى ويوحدونه وأن لهم نور يسعون فيه من نور العرش من غير شمس ولا قمر). وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ''مر بي جبريل عليه السلام ليلة أسري بي عليهم فدعوتهم إلى الله تعالى فأجابوني فمحسنهم مع محسنكم ومسيئهم مع مسيئكم''.

روى وهب بن منبه بإسناد له عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ''إن لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد، وما العمران في الدنيا إلا كخردلة في كف أحدكم''. وقال بعض أهل الأثر فيما رواه: إن لله عز وجل دابة في مرج من مروجه، والمرج في غامض علمه رزقها في كل يوم، مثل رزق العالم بأسره سبحان القادر على كل شيء.

ذكر البحر المحيط وما فيه من العجائب

ويقال إن فيه عرش إبليس لعنه الله فوق البحر المظلم، ويحمله نفر من الأبالسة والعفاريت العظام لحمله، ويحيط به عفاريت من الجن الذين هم في طاعته فمنهم من في لججه لا يفارقه، ومنهم من يتصرف عن أمره، وإنه لا يزول مرتبته إلا إلى من يطمع في فتنته أو عبد صالح يريد كيده، والباقون من أعوانه الذين يسعون إلى الناس ويضلونهم، وسجنه في جزيرة منه يحبس فيه من خالفه من الجن والشياطين. وفيه هيكل[19] سليمان[20] النبي عليه السلام، وفيه

---

[19] يذكر الأستاذ/أحمدالدبش (كنعان وملوك بني إسرائيل في جزيرة العرب، ص١٦٥، بتصرف): ذكرت التوراة في أخبار الأيام الثاني، الأصحاح الثاني: (أن سليمان شرع ببناء بيت الرب في أورشليم، في جبل المريا)، وهو في الواقع بقى لنا من الجزر الواقعة الآن بحذاء شاطئ اليمن من المحيط الهندي، هذه الجزر تسمى (جزر خوريا موريا) وهي مجموعة جزر عائمة في المحيط الهندي بالقرب من ظفار باليمن، بشكل ما قديما يسمى (جبل موريا) وهذا الجبل دك بفعل زلزال رهيب إلى قطع متناثرة وتفتت الجبل بالبيت الذي بناه سليمان إلى المحيط الهندي في شكل جزر منمنمة منثورة في المحيط على ما نراه اليوم. وبينما يرى د .كمال الصليبي أن

(المريّا) هي اليوم (المروة) (بالعبرية مروه) وهي قرية من قرى (رجال المع) في منطقة غرب الجزيرة العربية، انظر د .كمال الصليبي: (خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل)، ص١١٢.
ونرى أن سليمان عليه السلام لم يبنِ أي هيكل، والقصة بأكملها من أكاذيب اليهود، ولو كان سليمان عليه السلام بنى هيكلاً للرب لذكره القرآن في إحدى آياته!.

خصوصاً وأنه لم يبنِ ملك من ملوك بني إسرائيل أي هيكل!!

ولا علاقة للصرح الذي كان يقيم به سليمان والمذكور بالقرآن الكريم ـ و الذي دخلته ملكة سبأ ـ بالهيكل المزعوم!!

ولا علاقة أيضاً بين المسجد الأقصى في فلسطين والنبي سليمان!

[٢٠] (فَعْلان) العربية على الصفة، مثل ظمآن وأمثالها، تجئ في العبرية لى وزن (فِعْلُون)، مثل يثْرُون وشِمْعُون وجِدْعُون وأمثاالها. والنون (فِعْلُون) العبرية يجوز حذفها استخفافا كما قيل في (يثْرُون) يثْرو. وعلى (فعلون) جاء (شِلُومُو) ـ بغير نون ـ اسم النبي سليمان بن داود عليهما السلام في النص العبراني لتوراة الأنبياء والكتبة، أي في أسفار العهد القديم: (شِلومو) أصلها (شِلُومون) عبرياً، حُذفت نونها استخفافاً، كما حذفت النون استخفافاً من (يثْرُون) حَمى موسى فقيل (يثْرُو). دليلك في هذا بقاء نون (شِلُومُو) في السريانية (شِلِمُون)، وبقاؤها أيضاً في النص اليوناني للأناجيل) Solomon سُولُومون)، على إبدال السين من الشين كدأب اليونان، وعن اليونانية أخذت اللغات الأوروبية جميعا هذا الرسم اليوناني. أما (شِلُومو) العبرية هذه فهي من الجذر العبري (شَلَمْ) ـ مكافئ (سَلِمَ) العربي بكل معانيه ـ والمصدر منه (شَلُوم) يعني عربيا السلْم والسِلْم والسلام، كلها بمعنى السلام. وتجئ السلْم بفتح السين على الصفة أيضاً في العربية، فيقال (رَجُلٌ سَلْم لرجل) يعنى هو له مسالم، فالسلم على الصفة عربيا يعنى (المسالم). والسلم العربية هذه على الصفة هي نفسها (شَلوم) العبرية على الصفة أيضاً، أي السلم بمعنى المسالم، ولكن (شَلُوم) على مقتضى النحو العبري ـ حين يضاف إليها مقطع الزيادة بالواو والنون الذي في (شِلُومُون) ـ تخطف فتحتها البادئة على الشين فتتحول إلى صوت بين الفتح والكسر (حركة (شوا) العبرية) لا يكاد يحس، وربما هي إلى السكون أقرب، فتقول بدلا من (شَلُومُون): شِلُومُون أو شْلُومُون، ثم تحذف النون، فتقول (شْلُومُو) اسم نبى الله سليمان عليه السلام، من السَلم بمعنى المُسالم. ورغم أن (سليمان) عربية قُح، لا تحتاج من القرآن أن يفسرها للعرب وعلى ذلك فإن القرآن في قصة سليمان مع ملكة سبأ يجئ عَقِبَ (سليمان) بالمرادف القريب الذي يُجَلّي لك المعنى المخصص الذي يفهمه القرآن من هذا الأسم العَلَم من بين مختلف معانى الجذر (سَلِمَ)، فيقول :﴿ قَالَتْ يَأَيُّهَا الْمَلأ إِنِّيَ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ

جسده وهو قصر عجيب في جزيرة، وفيه مواضع لا تزال على مر الزمان ترمى نارا ترتفع على مائة ذراع وفيه أسماك طول الحوت مدة أيام، وكل صورة عجيبة مختلفات الأشكال والصفات الملونة في كل لون من الألوان. وفيه مدائن تطفو على الماء وتغيب عنهم. وفيه الثلاثة أصنام التي عملها أبرهة أحدها أصفر يومئ بيده كأنه يخاطب من جاوزه، ويأمره بالرجوع. والصنم الثاني أخضر رافع يديه باسط لهما كأنه يريد إلى أين تذهب، والصنم الثالث أسود مفلفل الشعر يومئ بإصبعه إلى البحر: من جاز هذا المكان غرق، مكتوب على صدره ''هذا ما صنع أبرهة ذو المنار الحميرى لسيده الشمس تقربا إليه''، وحكى أن فيه كالحصون ترتفع على الماء، ويظهر منها الصور الكثيرة وتغيب في الماء. ويقال إن عمق هذا البحر يختلف، فمنه ما لا يلحق قعره ولا يدرى، ومنه ما يكون سبعة الآف باع وأكثر وأقل، ومنه ما يكون فيه شجر كالمرجان[٢١] وأما البحر الأسود الزفتي وهو متصل به وهو شديد النتن، وليس فيه غير القلعة الفضية، قيل إنها معمولة، وقيل إنها خلقه. ويخرج من هذا البحر بحر الصين أوله من

الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ(٣١)﴾ [النمل]، أما لماذا جاءت (سليمان) العربية في القرآن ممنوعة من الصرف لا تقبل التنوين، فهذا في العربية هو شأن كل مذكر مزيد بالنون يتأنث بفقد النون: فَعْلَى وفَعْلان، وأيضا مصغرهما فُعَيْلَى وفُعَيلى وفُعَيْلان، كما تقول سَلْمى وسَلْمان، وسُلَيْمَى وسُلَيْمان. انظر: الأستاذ/رؤوف أبو سعدة، (من إعجاز القرآن)، جـ٢، ص١٥٩ ١٦٢، بتصرف.

[٢١] المرجان: Coral نبات ينبت في البحر بإذن الله، فإذا استخرج وفارق البحر تحجر وحصلت له هذه الحمرة، وهو حجر من أصناف الأحجار اليابسة، وهو عروق دقاق وغلاظ مثل أغصان الشجر، ويقال إن أصله هو مادة (البسذ). ورد ذكر المرجان في القرآن الكريم، وأجمع علماء العرب على أن المرجان من النبات لأنه يشبه أشجارا ثابتة في قعر البحر ذات عروق وأغصان خضر متشعبة، والصحيح أنه مفرز حيوان وقال التيفاشي: إنه يوجد في مواضع مختلفة من الخلجان والبحار، وخاصة في شواطئ أفريقيا وأجوده ما استوت قصبته واشتدت حمرته وسلم من السوس وهي خروق توجد في باطنه حتى يكون منه شيء خاو كله كالعظم وهو معيبه، والعقد والتشطيب من عيوبه إلا إنها لازمة له لا تكاد تفارقه لكونه أغصانا متشعبة كما ذكرنا.

بلاد الغرب، بحر فارس[٢٢] إلى بلاد الصين، وهو بحر ضيق فيه مغايص اللؤلؤ[٢٣]،

---

[٢٢](بحرُ فارس): هو شعبة من بحر الهند الأعظم واسمه بالفارسية كما ذكره حمزة زراه كامسير وحده من التيز من نواحي مكران على سواحل بحر فارس إلى عبادان وهو فُوهُ دجلة التي تصب فيه، وأول سواحله من جهة البصرة وعبادان أنك تنحدر في دجلة من البصرة إلى بليدة تسمى المحرزّة في طرف جريرة عبادان تتفرق دجلة عنده فرقتين إحداهما تأخذ ذات اليمين فتصب في هذا البحر عند سواحل أرض البحرين وفيه تسافر المراكب إلى البحرين وبر العرب وتمتد سواحله نحو الجنوب إلى قَطَر وعُمَان والشحر ومرباط إلى حضرموت إلى عَدَن وتأخذ الفرقة الأخرى ذات الشمال وتصب في البحر من جهة بر فارس وتصير عبادان لانصباب هاتين الشعبتين في البحر جزيرة بينهما وعلى سواحل بحر فارس من جهة عبادان من مشهورات المدن مهروبان، قال حمزة: وههنا يسمى هذا البحر بالفارسية زراه أفرنك قال: وهو خليج منخلج من بحر فارس متوجهاً من جهة الجنوب صعُداً إلى جهة الشمال حتى يجاوز جانب الأبلة فيمتزج بماء البطيحة آخر كلامه، ثم يمر من مهروبان نحو الجنوب إلى جنابة بلدة القرامطة ومقابلها في وسط البحر جزيرة خارك ثم يمر في سواحل فارس بسينيز وبوشهر ونجيرم وسيراف ثم بجزيرة (اللار) إلى قلعة (هُزُو) ومقابلها في البحر جزيرة قيس بن عُميرة تظهر من بر فارس وهي في أيامنا هذه أعمر موضع في بحر فارس وبها مقام سلطان البحر والملك المستولى على تلك النواحي ثم هرموز في بر فارس ومقابلها في اللجة جزيرة عظيمة تعرف بجزيرة الجاسك ثم تيز مُكران على الساحل فبحر فارس وبحر البحرين وعمان واحد على ساحله الشرقي بلاد الفرس وعلى ساحله الغربي بلاد العرب وطوله من الشمال إلى الجنوب. انظر ياقوت الحموى: (معجم البلدان).

[٢٣]ذكرت مصادر الجواهر والأحجار مناطق معينة توجد فيها مغاصات اللؤلؤ منها مغاص (أوال) وذكر أن أصل الأسم (أراك)، وهي الجزيرة المعروفة بالبحرين، وقديماً كان اسم البحرين يطلق على ساحل الخليج العربي بين البصرة وعمان، انظر الحموى: (معجم البلدان، جـ٢)، ومن المغاصات المعروفة مغاص (دهلك) أو (السرين) كما أسماه الجغرافيون، و(دهلك): جزيرة في البحر الأحمر، وهي مرسى بلاد الحبشة واليمن، وهي غرب مدينة (حلى) اليمانية (ياقوت الحموى: معجم البلدان ٤٩٢/٢) أما (السرين) فهو بلد قريب من مكة على ساحل البحر قرب (جدة) سماها ابن حرمل وعرفها، أما المغاصات الأخرى فهي: (غب سرنديب)، ومغاص سفالة الزنج وأسماه البيروني (صقالة الزنج) (ص٣٤٢) وكذلك مغاص (اسقطرة)، وتكتب (سقطرى)، وهي جزيرة كبيرة في المحيط الهندى، قرب سواحل حضرموت، واشتهرت بمغاصات اللؤلؤ (ياقوت الحموى: معجم البلدان ٢٢٧/٢) ومغاص القلزم، و(القلزم): مدينة قرب مصر وبحر عدّه

وقيل إن فيه اثنى عشر ألف جزيرة، وثمانمائة جزيرة. وفيه الدردور موضوع يدور فيه الماء فإذا سقط فيه مركب لم يزل يدور فيه حتى يتلف، وفيه كسير وعوير وهما جبلان. وفي هذا البحر عجائب كثيرة وصور شتى وحيتان ملونة، منها ما يكون طوله مائة ذراع ومائتي باع وأقل وأكثر يأكل بعضها بعضاً. وفيه جزائر تنبت الذهب وبها معادن الجوهر، وفيه ثلاثمائة جزيرة عامرة مسكونة فيها ملوك عدة، ويقال إن في هذا البحر قصر من البلور، على قلعة تضئ طول الدهر بقناديل فيه لا تنطفئ.

وبعد هذا بحر لا يدرك عمقه، ولا يضبط عرضه، تقطعه المراكب بالريح الطيبة في شهرين وأكثر، وليس في البحر المحيط[٢٤] أكبر منه ولا أشد هولاً،

البلدانيون العرب نهاية البحر قرب السودان وقيل إنها قرب عدن (معجم البلدان ٢٤٤/١) و(المسعودى: مروج الذهب ١٠١-١١٠) .

[٢٤] (البحرُ المُحيطُ): ومنها مادة سائر البحور المذكورة ها هنا غير بحر الخزَر وقد سماه أرسطاطاليس في رسالته الموسومة ببيت الذهب، أوقيانوس وسماه آخرون البحر الأخضر وهو محيط بالدنيا جميعها كإحاطة الهالة بالقمر ويخرج منه شعبتان إحداهما بالمغرب والأخرى بالمشرق فأما التي بالشرق فهي بحر الهند والصين وفارس واليمن والزنج. والشعبة الأخرى في المغرب تخرج من عند سَلا فيمر بالزقاق الذي بين البر الأعظم من بلاد بربر المغرب وجزيرة الأندلس ويمر بإفريقية إلى أرض مصر والشام إلى القسطنطينية كما نذكره، وهذا البحر المحيط لا يُسلَك شرقاً ولا غرباً إنما السلَكُ في خليجيه فقط، واختلفوا هل الخليجان ينصبان في المحيط أم يستمدان منه فالأكثر أن الخليجين يستمدان من المحيط وليس في الأرض نهر إلا وفضلته تصب إما في الشرقى أو في الغربى إلا في مواضع تصب في بُحيرات منقطعة نحو (جَيحون) و(سَيحُون) فإنهما يصبان في بحرية تخصهما والأردُن يصب في البحيرة المنتنة وهي بحيرة (زُغَر) ويقال لها المقلوبة أيضاً وهي غربى الأردُن قربَ أريحا وهي بحيرة ملعونة لا ينتفع بها في شيء ولا يتولد فيها حيوان ورائحتها في غاية النتن وقد تهيج في بعض الأعوام فيهلك كل من يقاربها من الحيوان الأنسى وغيره حتى تخلو القُرى المجاورة لها زماناً إلى أن يجيئها قومٌ آخرون لا رَغبةَ لهم في الحياة فيسكنوها. وإن وقع في هذه البحيرة شيء: لم ينتفع به كائنا ما كان فإنها تفسده حتى الحطب فإن الرياح تلقيه على ساحلها فيؤخذ ويُشعَل فلا تعمَل النار فيه.

وفيه من جميع المعادن من الزمرد[٢٥] ، ومنابت القنا والخيزران، وفيه أيضا كل سمكة يكون طولها أربعمائة ذراع وأقل وأكثر، وسمكة صغيرة بقدر الذراع فإذا طغت هذه السمكة وبغت وآذت سمك البحر ومراكبه سلطت عليها هذه السمكة الصغيرة فصارت في أذن هذه الكبيرة فلا تفارقها حتى تقتلها، وربما لم تقرب الكبيرة ذلك الموضع خوفا من الصغيرة، وفيه سمكة يحكى وجهها وجه الإنسان تظهر في الماء، وفيه أسماك طيارة تطير ليلاً وترعى الندا، فإذا كان قبل طلوع الشمس رجعت إلى البحر. وفيه سمكة تكتب مرارتها الكتابة فتقرأ بالليل. وفيه سمكة خضراء دسمة من أكل منها اعتصم عن الطعام أيام كثيرة لا يريد ذوقه وفيه سمكة لها قرنان كأنهما قرنا السرطان، يرميان بالليل ناراً وفيه سمكة مدورة يقال لها المصح فوق ظهرها كالعمود، مستحد الرأس لا تقوم لها سمكة في البحر، لأنها تلقاهن بهذا القرن فتقتلهن، وربما نقبت به المراكب، وقرنها أصفر كالذهب مجزع، وفيه سمكة يقال لها هفس من صدرها إلى رأسها مثل الترس يطيف به عيون تنظر بها ورأسها طويل مثل الحية في طول عشرون ذراع بأرجل كثيرة مثل أسنان المنشار من صدرها إلى آخر الذنب، فليس تتصل بشيء إلا أتلفته ولا ينطوي ذنبها على أحد إلا أهلكته، يقال إن لحمها يشفي من كل الأوصاب، وقليل ما يوجد وفيه عنبر وبحر آخر يقال هركند[٢٦]، فيه جزائر

وذكر ابن الفقيه أن الغريق فيها لا يغوص ولكنه لا يزال طافياً حتى يموت. انظر ياقوت الحموى: (معجم البلدان).

[٢٥](الزمرد): حجر كريم، استعمل في الحلى وكان يتفاءل به حاملوه ، وكان يظن أن فيه قوة شافية للعيون، من الحسد والمرض، وتذكر الأدبيات القديمة: (إن الأفاعى إذا نظرت إليه ووقع بصرها عليه انفقأت عيونها، وينفع من السم القاتل. ومن منافعه أنه من أدمن النظر إليه أذهب عن بصره الكلال، ومن تختم به دفع عنه داء الصرع)، ومن أنواع الزمرد (الزفين) وهو (الياقوت الأزرق)، وقد نسب هذا الحجر إلى (العفة) وأصبح رمزاً لها، واستعمله المسيحيون في القرون الوسطى رمزاً للقداسة. وجاء في تاج العروس في الكلام عن (الزبرجد) أنه من أنواع الزمرد وهو الأقرب إلى الصواب لأن الزمرد Emerald والزبرجد Beryl تنوعان من نوع واحد.

[٢٦](هركند): بحر في أقصى بلاد الهند بين الهند والصين وفيه جزيرة سرنديب هي آخر جزيرة الهند مما يلي المشرق فيما زعم بعضهم. انظر ياقوت الحموي: (معجم البلدان) ، جـ ٤، ص ٣١٤.

كثيرة وفيه سمك ربما ينبت على ظهره الحشيش والصدف، وربما أرسا عليها أصحاب المراكب فيعتقدون أنه جزيرة فإذا فطنوا به أقلعوا عنها وربما نشر هذا السمك أحد جناحيه الذي في صلبه، فيكون كالجبل العظيم، وإذا رفع رأسه من الماء فيكون كالجبل عظما، وربما إذا رفع أذنيه فيكون مثل المنارة العظيمة، فإذا سكن البحر جر السمك بذنبه ثم فتح فمه فينزل السمك إلى حلقه كأنه ينزل إلى بئر، ويقال له العنبر طوله ثلاثمائة ذراع. وأهل المراكب يخافون منه، فهم يضربون بالليل نواقيس مخافة أن يتكئ على المركب فيغرقه. وفيه حيات عظام تخرج إلى البر فتبتلع الفيلة، وتلتف على صخور في البر فتتكسر في أجوافها ويسمع لها صوت هائل، وفيه حية يقال لها الملكة لا تظهر إلا مرة واحدة، وربما احتال فيها ملوك الزنج فأخذوها وتطبخ حتى يخرج ودكها ويدهن به الملك فتزيد في قوته ونشاطه ويستعمل من جلود هذه الحية - وهي منمرة - فرش إذا جلس عليها صاحب السل ذهب عنه السل ومن جلس عليه أمن السل أن يصيبه أبدا. وريح هذا البحر من قعره، ربما ألقى عند اضطرابه ناراً لها ضوء شديد والبحر الرابع يقال له دوانحد وبينه وبين بحر هركند جزائر كثيرة، يقال ألف وتسعمائة جزيرة، ويقع بين هذه الجزائر عنبر كثير وهذا عنبر ينبت في قعر البحر نباتا، فإذا اشتد هيجان البحر قذفه من قعره فيرتفع مثل الرمل والحمأة، وهو عنبر دسم وقرأت في كتاب الطيب الذي ألفه ابراهيم بن المهدى، أن أحمد بن حفص العطار قال كنت في مجلس أبي اسحق وهو يصلى عنبرا قد أذابه، وقد أخرج ما كان فيه من الحشيش الذي على خلقة مناقير الطير، فسألنى فقلت هذه مناقير الطير الذي يأكل العنبر إذا راثته دوابه، فضحك أبو إسحق وقال هذا قول تقوله العامة. ما خلق الله دابة تروث العنبر، وما العنبر إلا شيء يكون في قعر البحر ولقد عنى الرشيد بالمسألة عن العنبر، فأمر حمادا البدوى في البحث بالمسألة، فكتب إليه أن جماعة من أهل عدن أعلموه أنه شيء يخرج من عيون في قعر البحر تقذفه الريح بالأمواج، كما تخرج أرض هتبة القار وهي أرض الروم[٢٧] الزفت الرومى. وآخر جزائر هذا البحر بـ

[٢٧] (الرُومُ): جيل معروف في بلاد واسعة تضاف إليهم فيقال بلاد الروم واختلفوا في أصل نسبهم، فقال قوم: إنهم من ولد روم بن سماحيق بن هرينان بن علقان بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وقال: آخرون إنهم من ولد روميل بن الأصفر بن اليفز بن العيص بن

إسحاق. قال عدى بن زيد العبادى: وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبقَ منهمُ مذكور وقال ابن الكلبى: وُلد لاسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام يعقوب وهو إسرائيل عليه السلام والعيص وهو عيصو وهو أكبرهم وقد وُلدا تَوأمَين وأنما سمى يعقوبَ لأنه خرج من بطن أمه آخذاً بعقب العيص فولد العيص روم القسطنطينية وملوك الروم، وقال: آخرون سمى يعقوب لأنه هو والعيص وقت الولادة تخاصما في الولادة فكل أراد الخروج قبل صاحبه وكان إسحاق عليه السلام حاضراً وقت الولادة فقال اعقبْ يا يعقوب، فأما الذين هم الروم فهم بنو رومى بن بُزَنْطى بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام وقال أهل الكتاب إنما سمى عيصو بهذا الأسم لأنه عصى في بطن أمه وذاك أنه غلب على الخروج قبله مثل ما ذكرناه وخرج يعقوب على أثره آخذاً بعقبه فلذلك سمى يعقوب قالوا وتزوج عيصو بسمة بنت إسماعيل وكان رجلاً أشقر فولدت له الروم قال الأزهرى: الروم جيل ينتمون إلى عيصو بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام وقال الجوهرى: الروم من ولد روم بن عيص يقال رومى وروم كما يقال: زنجى وزنج فليس بين الواحد والجمع إلا الياء المشددة كما قالوا: تمرة وتمر فلم يكن بين الواحد والجمع إلا الهاء. وقال: ابن الكلبى عن أبى يعقوب التدمُرى إنما سميت الروم لأنهم كانوا سبعة راموا فتح دمشق ففتحوها وقتلوا أهلها وكان سكانها سَكَرَة للعازر بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام والسكَرة الفَعلة واسم السبعة لَوطان وشُوبال وصيفون وغاود وبشُور وآصر وريضان ثم جعلوا يتقدمون حتى انتهوا إلى أنطاكية ثم جاءت بنو العيص فأجْلوهم عما افتتحوا وسكنوه حتى انتهوا إلى القسطنطينية فسكنوها فسموا الروم بما راموا من فتح هذه الكُور وبنى القسطنطينية ملك من بنى العيص يقال له: بُزَنْطى ويقال: سميت الروم بروم بن بزنطى وعندى أنهم إنما سموا بنى الأصفر لشقرتهم لأن الشقرة إذا أفرَطَتْ صارت صُفرة صافية وقيل: إن عيصو كان أصفر لمرض كان ملازما له، وقال جرير بن الخَطَفَى: الشاعر اليربوعى يفتخر على اليمن بالفرس والروم ويقول: إنهم من ولد إسحاق.

وأبناءُ إسحاق الليوثُ إذا ارتَدوا .. حمائل موت لابسين السَّنَورا
إذا افتخروا عدُوا الصبهبَذَ منهم .. وكسرى وعموا الهرمُزان وقيصرا
وكان كتاب فيهم ونبوة .. وكانوا بإصطخر الملوك وتُسترا
أبونا أبو إسحاق يجمع بيننا .. وقد كان مهدياً نبياً مطهَرَا
ويعقوب منا زاده الله حكمةً .. وكان ابن يعقوب أميناً مصورا
فيجمعنا والعز أبناءَ سارة .. أبٌ لا نبالى بعده من تعذرا
أبونا خليلُ الله والله ربنا .. رضيناً بما أعطى الإله وقدرا
بنى قبلةَ الله التي يهتدى بها .. فأورثنا عزا وملكا معمرا

سرنديب[٢٨] في بحر هركند وهي رأس هذه الجزائر كلها، وفي سرنديب أكثر مغايص اللؤلؤ ونبات الجوهر، وببحر سرنديب طرق بين جبال، وهي مسالك لمن أراد بلاد الصين، وفي جبال هذا البحر معادن ذهب فيه أيضا مغايض اللؤلؤ، وفيها بقر وحشية وخلق مختلفة الصور، ويسلك من هذا البحر إلى بلاد المهراج وربما أظلت السحاب هذا البحر يوما وليلة، ولا ينقطع عنه المطر ولا تظهر حيتانه ودوابه وتخرج منه إلى بحر الصنف، وفيه يكون شجر العود وليس فيه أحداً يعرفه ورأسه تخرج من قرب الظلمة الشمالية وتمر أيضاً على بلاد الواق وفيه ملك الجزائر الذي يدعى المهراج، وله من الجزائر والأعمال ما لا يحصى كثرة، ولو أراد مركب من مراكب البحران أن يطوف بجزائره في سنين كثيرة لم

وأما حدود الروم فمشارقهم وشمالهم الترك والخزر ورس وهم الروس وجنوبهم الشام والاسكندرية ومغاربهم البحر والأندلس وكانت الرّقة والشامات كلها تُعدُ في حدود الروم أيام الأكاسرة وكانت دار الملك أنطاكية إلى أن نفاهم المسلمون إلى أقصى بلادهم . انظر ياقوت الحموى: (معجم البلدان)، جـ٢ ، ص ٣٦٠.

[٢٨] (سرنديب) هي الأن (سيلان) أو (سيرلانكا)، وقد أشتهرت في العصور الإسلامية بكثرة مايرى في جبالها من حجارة كريمة، و(سَرَنْدِيبُ): بفتح أوله وثانيه وسكون النون ودال مهملة مكسورة وياءً مثناة من تحت وباء موحدة (ديب) بلغة الهنود هو الجزيرة و(سرن) لا أدرى ما هو. قال الشاعر: وكنت كما قد يعلم الله عازماً . .. أروم بنفسى من سرنديب مقصداً، وهي جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند طولها ثمانون فرسخاً في مثلها وهي جزيرة تشرع إلى بحر هركند وبحر الأعباب وفي سرنديب الجبل الذي هبط عليه آدم عليه السلام. يقال له: الرَهون وهو ذاهب في السماء يراه البحريون من مسافة أيام كثيرة وفيه أثر قدم آدم عليه السلام وهي قدم واحدة مغموسة في الحجر طولها نحو سبعين ذراعاً ويزعمون أنه خطا الخطوة الأخرى في البحر وهو منه على مسيرة يوم وليلة ويُرى على هذا الجبل في كل ليلة كهيئة البرق من غيرسحاب ولا غيم ولا بد له في كل يوم من مطر يغسله يعنى موضع قدم آدم عليه السلام، ويقال: إن الياقوت الأحمر يوجد على هذه الجبال تحدره السيول والأمطار إلى الحضيض فيُلقط وفيه يوجد الماس أيضاً ومنه يُجلب العود فيما قيل. وفيها نبت طيب الريح لا يوجد بغيرها. ولها ثلاثة ملوك كل واحد منهم عاص على صاحبه وإذا مات ملكهم الأكبر قطع أربع قِطعٍ وجُعل كل قطعة في صندوق من الصندل والعود فيحرقوه بالنار وامرأته أيضاً تتهافت بنفسها على النار حتى تحترق معه أيضاً. انظر ياقوت الحموى: (معجم البلدان)، جـ٢، ص٤٥١.

يقدر أن يطوفها، وللملك جميع أفاويه الطيب والكافور والقرنفل والصندل والجوزة والبسباسة والقاقلة والعود، وليس لملك من الملوك ما لملك هذا البحر من أصناف الطيب، ويقال إن فيه قصراً أبيض يسيرعلى الماء ويتراءى لأصحاب المراكب في السحر فيتباشرون به إذا هم أبصروه ويكون لهم دليل السلامة والربح والفائدة وفيه جزيرة برطايل[٢٩]، فيها جبال مسكونة يسمع فيها بالليل والنهار والعزف والطبول والأصوات المنكرة ووجوه أهلها مثل المجان المطرقة، وهم مخرقو الأذان وأكثر البحريين مجمعون على ان الدجال فيها، ومنها يخرج إذا بلغ منتهاه وفيها يباع القرنفل، ويشترونه التجار من قوم لا يبصرونهم وفيه البرابة وهي مدينة لطيفة من حجر أبيض براق يسمع فيها ضوضاء وأصوات، ولا يرى بها ساكن وربما نزل إليها البحريون وأخذوا من مائها فوجدوه أبيضاً زلالاً حلو الطعم فيه روائح الكافور ومنه جزيرة بها مساكن وقباب بيض تلوح وتتزايا للناس فيطعمون فيها وكلما قربوا منها تباعدت منهم فلا يزالون كذلك

---

[٢٩] جزيرة (برطايبل): جزيرة قريبة من جزائر الزانج، قال ابن الفقيه: سكانها قوم وجوههم كالمجان المطرقة، وشعورهم كأذناب البراذين، وبها الكركدن، وبها جبال يسمع منها بالليل صوت الطبل والدف والصياح المزعجة، والبحريون يقولون: إن الدجال فيها ومنها يخرج. وبها القرنفل ومنها يجلب، وذلك أن التجار ينزلون عليها ويضعون بضائعهم وأمتعتهم على الساحل، ويعودون إلى مراكبهم ويلبثون فيها، فإذا أصبحوا ذهبوا إلى أمتعتهم فيجدون إلى جانب كل شيء من البضاعة شيئاً من القرنفل، فإن رضيه أخذه وترك البضاعة، وإن أخذوا البضاعة والقرنفل لم تقدر مراكبهم على السير حتى يردوا أحدهما إلى مكانه، وإن طلب أحدهم الزيادة فترك البضاعة فترك البضاعة والقرنفل فيزاد له فيه. وحكى بعض التجار أنه صعد هذه الجزيرة فرأى فيها قوماً مرداً وجوههم كوجوه الأتراك، وآذانهم مخرمة ولهم شعورهم على زي النسا، فغابوا عن بصره، ثم إن التجار بعد ذلك أقاموا يترددون إليها ويتركون البضائع على الساحل، فلم يخرج إليهم شيء من القرنفل، فعلموا أن ذلك بسبب نظرهم إليهم، ثم عادوا بعد سنين إلى ما كانوا عليه. ولباس هذا القوم ورق شجر يقال له اللوف، يأكلون ثمرتها ويلبسون ورقها. ويأكلون حيواناً يشبه السرطان، وهذا الحيوان إذا أخرج إلى البر صار حجراً صلداً، وهو مشهور يدخل في الاكحال، ويأكلون السمك والموز والنارجيل والقرنفل، وهذا القرنفل من أكله رطباً لا يهرم ولا يشيب شعره. انظر القزويني: (آثار البلاد وأخبار العباد).

حتى ييأسوا منها فينصرفوا عنها ويتصل هذا البحر بالواق، ويقول البحريون انهم لا يعرفون منتهاه غير أن أقصاه جبال تتوقد ناراً ليلاً ونهاراً يسمع لها قواصف مثل قواصف الرعود من شدة التهابة، وربما سمعوا من تلك النار صوتاً عرفوه يدل على موت ملك من ملوكهم أو كبير من كبرائهم، وهذا الموضع لا يدرك قعره. وبعد بحر الصنف الذي ذكرناه بحر الصين، وهو بحر خبيث بارد ليس في غيره من البحار مثل برده، ويقال: إن ريحه من قعره، ويقال إنه بحر مسكون له أهل في بطن الماء. وأخبر الثقة من أصحاب البحر أنهم يرونهم إذا هاج البحر في جوف الليل كهيئة الريح، ويطلعون إلى المراكب: وليس يكون ذلك إلا عند هيجان البحر وذكر البحريون أنهم لا يعرفون بعد بحر الصين بحراً يسلك، وهو بحر يغلى كما تغلى القماقم، وليس صفة ما به كسائر البحار وفي بحر الصين سمكة مثل الحراقة يرمى بها الماء إلى الساحل، فإذا انجذر الماء بقيت على الطين فلا تزال تضطرب مقدار نصف نهار، ثم تنسلخ في اضطرابها ذلك، فيخرج لها جناح فتستقل به فتطير وزعموا أن عرض بلاد الصين الذي تمر عليه المراكب ألف وخمسمائة فرسخ وفي هذا البحر يرى وجه عظيم على صور الناس إلا أنه أعظم منه، مستدير يشبه لون القمر، يغطى ما بين جبلين وأبواب الصين البحر بين كل جبلين فرجة وقيل إن بمدينة بقمولية وهي القسطنطينية الأولى كنيسة في جوف البحر وربما تنكشف يوما في السنة فيحج أهل النواحى إليها ويستعدون لها قبل ذلك فيقيمون فيها يومهم ويتفرقون ويهدون إليها بدونهم فإذا كان العصر بدا الماء في الزيادة فينصرفون ويبادرون الخروج عنها ولا يزال الماء يغطيها فتغيب إلى رأس السنة أيضاً.

ويقال إن في بحر الهند[30] حيوان يشبه السرطان، فإذا خرج من الماء صار

---

[30](بحرُ الهندُ) :وهو أعظم هذه البحار وأوسعها وأكثرها جزائر وأبسطها على سواحله مُدُن ولا علم لأحد بموضع اتصاله المحيط محدوداً لعظم اتصاله به وسعته وامتزاجه به وليس كالمغربى لأن اتصال المغربى من المحيط ظاهر في موضع يقال له: الزقاق بين ساحله الجنوبى الذي عليه بلاد البربر وساحله الشمالى الذي هو بلاد الأندلس أربعة فراسخ بين كل ساحل من الأخر وليس كذلك الهندى ويتشعب من الهندى خلجان كثيرة إلا أن أكبرها وأعظمها بحر فارس والقلزم اللذين تقدم ذكرهما، وقد كنا ذكرنا أن أول بحر فارس التيز آخذًا نحو الشمال فأما أخذه نحو الجنوب في بلاد الزنج وينعطف من تيز الساحل مشرقاً متسعاً فتمر سواحله بالديبل والقس

حجراً يتخذ منه كحل لبعض علل العين وأما بحر المرجان فهو في بحر الأندلس خاصة، ينبت في قعره مثل الشجر فما بعد منه عن درك الغواصين يحتال في قلعه، بأن يربط بالشرايط في كتان القنب، ويثقل بالرصاص ويدلى حتى يصل إلى الشجر، ثم يحرك المركب بالجذب، وتلك منوطة بهايمنة ويسرة حتى يعلم تشبكها في أغصان المرجان، ثم تقلع الشرايط، فيوجد المرجان قد أتخذ، وله نفاق كثير بالحجاز والهند والصين، وفيه عنبر كثير، وفيه سمك من أكل منه رأى كأنه ينكح، وفيه سمك في صور الناس.

خبر تنيس

أما خبر تنيس[31] فكانت جنات وكرومات ومتنزهات وكانت مقسومة بين

وسومنات وهو أعظم بيوت العبادات التي بالهند جميعه وهو عندهم بمنزلة مكة عند المسلين ثم كنباية ثم خور تدخل منه إلى بروص وهي من أعظم مدنهم ثم ينعطف أشد من ذلك حتى يمر ببلاد مَليبار التي يجلب منها الفُلفُل، ومن أشهر مدنهم منجَرُور وفاكنور ثم خور فوفَل ثم المعبر وهو آخر بلاد الهند ثم بلاد الصين فأولها الجَاوة يركب إليها من بحر صَعب المسلك سريع المهلك ثم إلى صريح بلاد الصينَ، وقد أكثر الناس في وصف هذا البحر وطوله وعرضه وقالوا فيه أقوالا ًمفاوتة يقدَح في عقلِ ذاكِرها، وفيه من الجزائر العظام مالا يُحصيه إلا الله، ومن أعظمها وأشهرها جزيرة سيَلان وفيها مُدُن كثيرة وجزيرة الزانج كذلك وجزيرة (سَرَنْديب) كذلك وجزيرة (سُقطرَى)، وجزيرة (كولَم) وغير ذلك وإنما أرسُمُ لك صورة المحيط وكيف تشعب البحار منه في الصورة السادسة المقابلة لتعرَفه إن شاء الله تعالى. انظر ياقوت الحموى: (معجم البلدان).

[31] يذكر د.على فهمى خشيم في كتابه (آلهة مصر العربية، جـ١، ص١٧٣، حاشية رقم (٢٢)): قد لا يُدهش القارئ أن يعرف أن لعبة التنس Tennis العروفة التي يقول عنها معجم اكسفورد إنها دخلت اللغة الأنكليزية حوالى سنة ١٤٠٠ م بصيغةTenesوTenetz، وجاءت في رأيه من الفرنسية Tenez (خذ ـ تقبّل) لا ترجع إلى الفرنسية ـ ولكنها جاءت من نسبتها إلى مدينة (تنس) في مصر (قديماً) وتعرف باسم تانيس Tanis وكانت تشتهر بصناعة ضرب من النسيج الصوفي الرقيق تغطى به الكرة التي يُلعب بها وتتقاذف بالمضرب بين اللاعبين.

ملكين من ولد ابريت بن مصر، وكان أحدهما مؤمناً، والأخر كافراً فأنفق المؤمن ماله في وجوه البر حتى باع حصته منها من أخيه، وفرق الذي أخذ بها في وجوه البر فأفلحها، وزاد فيها عروشاً كثيرة، وأجرى فيها أنهاراً، وبنى فيها بنياناً، واحتاج أخوه إلى ما في يده فكان يمنعه ويفتخر عليه بما له، من المال والجنة فخاطبه أخوه في بعض الأيام مبسطاً عليه فقال له: أنا أكثر منك مالاً وأعزاً نفراً، فقال له أخوه: فما أراك شاكراً لله تعالى على ما أعطاك، ويوشك أن ينزع ذلك منك، ويقال إنه دعى عليه فغرق ماء البحر جميع ما كان له في ليلة واحدة حتى كأن لم يكن قبل ذلك. وقيل إن هذين الرجلين اللذين ذكرهما الله تعالى في كتابه فقال: ﴿ وَاضْرِبْ لهمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً . .. .. إلى قوله . ... لَكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً ﴾[الكهف(٣٢)- (٣٨)] ، وكانت تنيس عظيمة، لها مائة باب وباقي ذكرها عند ذكر مدائن مصر إن شاء الله تعالى. وقيل إن بحيرة تنيس تعذب وقت مجئ النيل وتقيم ستة أشهر حلوة ثم تملح وبالقرب [منها] عين لا يخرج ماؤها إلا عند أوقات الصلوات فيتوضأ منها ثم تفيض لذلك عند وقت كل صلاة، وهي معروفة تسمى عين الأوقات .

ولأهل الهند نهر عظيم معهم عليه شجرة باسقة من حديد أو نحاس وتحتها وعمود من نحاس أو حديد مثبت في الأرض مائل إلى الماء طوله على الأرض عشرة أذرع وعرضه نحو الذراع، ويزيد قليلاً، في رأسه ثلاث شعب غلاظ مستوية محدودة كالمنار، وعنده رجل يقرأ كتاباً ويقول للنهر: يا عظيم البركة، وسيل الجنة، أنت الذي خرجت من عين الجنة، ودللت الناس عليها فطوبى لمن صعد هذه الشجرة وألقى نفسه على هذا العمود، فينتدب الواحد لذلك والعدة ممن حوله ويصعدون على تلك الشجرة، ويلقون أنفسهم على العمود فيقطعون قطعا ويقعون على الماء فيدعون لهم أصحابهم بالطوبى والمصير إلى الجنة واللذة ولهم نهر مكرم ان الذي يمد منه فيما ذكروا منه، وقالوا إنه يخرج من الجنة، وإنه لو لم ينجس بالذنوب لما كان لمن من شرب منه ولهم نهر آخر من سنتهم

أن يحضره رجال بأيديهم سيوف قاطعة، فإذا أراد الرجل من عبادهم أن يتطهر ويتقرب إلى البارى سبحانه، أتى في جماعة يأخذون ما عليه من الحلى واللباس وأطواق الذهب والأسورة والقراطق لأن أبناء الملوك كثير ما يخرجون إلى هذا النهر ثم يطرحونه على لوح عظيم ويأخذون بأطواقه ويضربونه بسيوفهم ويقطونه نصفين فيلقون أحد النصفين في هذا النهر والنصف الأخر في بحر كند ويزعمون أن هذين النهرين يخرجان من الجنة وفي جبال سرنديب وادى الماس وهو بعيد القعر وبه حيات عظام مؤذية فإذا أرادوا إخراج الماس طرحوا فيه ما أمكنهم لحماً حاراً طرى السلخ، فترى أسود تلك الجهة وهي به كثيرة، ذلك اللحم فتنقض عليه وتأخذه وترفعه إلى حيث تأكله خوفا من حيات الوادى، فيقصد طالب ذلك إلى موضع المأكول فيجدون بها ما تعلق باللحم من الماس على قدر العدسة والفولة والحمصة، وأكبر ما يجدونه قدر الباقلا، ويتخذ منه الملوك فصوصاً لخواتم يلبسونها.. وذكر صاحب المنطق أن من الماس حجارة كبار إلا أنه يوصل إليها لأجل الحيات التي في ذلك الوادى.

وبالهند وادى القرنفل ولم يدخل إليه من التجار ولا ممن سلك البحار ولا ذكروا أنهم رأوا شجرة، وإنما تبيعه الجن فيما يقول الناس.. يرسون بالمراكب في جزيرتهم، ويجعلون بضاعتهم على الساحل ويعودون إلى مراكبهم فيكونون بها، فإذا أصبحوا جاءوا فوجدوا إلى جانب كل بضاعة جزءاً من القرنفل وربما ترك البضاعة والقرنفل إذا طلب الزيادة فربما يزاد فيه، وذكر عن بعض الناس أنه طلع إلى الجزيرة وأمعن فيها فرأى قوماً صفراً بغير لحى، في زى النساء، ولهم الشعور فغابوا عنه، وأن التجار أقاموا بعد ذلك مدة يترددون إلى ساحل تلك الجزيرة، فلا يخرج إليهم بشيء من القرنفل، فعلموا أن ذلك من أجل من كان نظر إليهم، ثم عادوا بعد سنين إلى ماكانوا عليه. ويقال إنه رطبا كان حلو المطعم يأكلون منه فلا يمرضون ولا يهربون، وذكر أن لباسهم من ورق شجر عندهم فهم يلحفونها ولا يعرفها الناس. وأما الجزائر فذكر بطليموس أن في البحر الأخضر[٣٢] سبعا وعشرين ألف جزيرة عامرة وغير عامرة، منها جزيرة فيها

[٣٢] البحر الأخضر هو الاسم القديم للبحر الأبيض المتوسط.

أمة من بقايا النسناس، ولهم شجر يقال له اللوب يأكلون ثمره ويلتحفون بورقة ويأكلون لحوم الدواب البحرية وجزيرة المرجان فيها شجر المرجان في ضحضاح بين الملوحة والعذوبة وقد اطلعت رؤوساً مشعبة، فإذا سقطت إليها مراكب أخذوا من ذلك المرجان ما قدروا عليه، وجزيرة في وسطها كالضم العظيم من حجر أسود براق لا يدرى ما داخله وحوله أموات وعظام كثيرة . وقد كان بعض الملوك سار إليها فلما نزل عليها وقع إلى أصحابه النعاس وخدر الأجسام، وضعفت أنفسهم، ولم يقدروا على الحركة، فبادر من حضر منهم إلى المراكب، وهلك من أخلد منهم إلى المقام والتخلف ويقال أن ذى القرنين لما صار إلى الظلمة مر بجزيرة فيها أمم رؤوسهم رؤس الكلاب العظام، بادية أنيابهم يخرج من أفواههم لهب النار، يخرجون إلى المراكب فحاربوه وحاربهم وتخلص منهم، وسار فرأى نوراً ساطعاً فقصده فإذا هو بلغ جزيرة القصر[٣٣] وهذه الجزيرة في وسطها قصر مبنى من البللور الصافي على شاطئ البحر، فأراد النزول بها فمنعه من ذلك بهرام فيلسوف الهند، وعرفه أن من نزل إليها وقع عليه النوم أخذه وعزم عنه عقله، ولم يستطع الخروج عنها حتى يهلك ويقال إنه ظهر بها قوم قد صار لباسهم ورق الشجر، فسأل بهراما عن مقامهم فيها كيف أمكنهم على ما ذكره، فأخبره بهرام أن بها ثمرا إذا أكلوه زال ذلك عنهم وذكروا أنه إذا كان الليل ظهر بشرافات ذلك القصر مثل المصابيح تسرج إلى الصبح ثم تخمد نهارها

---

[٣٣] (جزيرة القصر): في بحر الهند، ذكروا أن فيها قصراً أبيض يتراءى للمراكب، فإذا رأوا ذلك تباشروا بالسلامة والربح. قيل: إنه قصر شاهق لا يدرى ما في داخله، وقيل: فيها أموات وعظام كثيرة، وقيل: إن بعض ملوك العجم سار إليها فدخل القصر بأتباعه، فوقع عليهم النوم وخدرت أجسامهم، فبادر بعضهم إلى المراكب وهلك الباقون. وحكى أن ذا القرنين رأى في بعض الجزائر أمة رؤوسهم رؤوس الكلاب، وأنيابهم خارجة من فيهم. خرجوا إلى مراكب ذى القرنين وحاربوها، فرأى نوراً ساطعاً فإذا هو قصر مبني من البلور الصافي، وهؤلاء يخرجون منه، فأراد النزول عليه فمنعه بهرام الفيلسوف الهندى، وعرفه أن من دخل هذا القصر يقع عليه النوم والغشي، ولا يستطيع الخروج فيظفر به هؤلاء، والبحر لا تحصى عجائبه. انظر القزوينى: (آثار البلاد وأخبار العباد).

إلى الليل ثم تسرح أيضاً وفي هذا البحر جزيرة بيضاء واسعة وبها ماء وشجر وفيها قوم شقر وجوههم فيما وراءهم وهم عراة، وللواحد منهم ذكر وفرج امرأة يتكلمون بمثل كلام الطير وطعامهم من نبات يشبه القطور والكمأة ويشربون من غدران هناك، وجزيرة التنين فيها جبال وأنهار وزروع وهي عامرة وعلى مدينتهم حصن عال، وكان تنين عظيم قد سام أهلها سوما فيقال إن الأسكندر وصلها، وإن أهلها استغاثوا به، وذكروا عنه أنه أتلف مواشيهم حتى جعلوا له ضريبة في كل يوم ثورين ينصبوهما قرساً من موضعه، فيخرج فيبتلع الثورين ويعود إلى موضعه، ثم يعود من غد، فقال لهم أرونى مكانه، فلما أصبح أقفوا الأسكندر في موضع يشرف عليه ونصبوا له الثورين فأقبل كأنه سحابة سوداء وعيناه كالبرق، والنار تخرج من جوفه فابتلع الثورين، وعاد إلى موضعه، فأمر الأسكندر بثورين عظيمين فسلخهما، ثم أمر فملئت جلودهما زفتاً وكبريتاً وجبساً وزرنيخاً، ومزج تلك الأخلاط كلاليب حديد وأجساداً، ثم نصبها في ذلك الموضع، فأقبل التنين على عادته فابتلعها ومضى لوجهه، فلم يلبث إلا قليلا فاضطربت تلك الأخلاط في حلقه فخر مستلقياً لا يملك من نفسه، وفتح فاه ليستروح، فأمر الأسكندر بقطع الحديد فأحميت وجعلت على ألواح من حديد فقذفت في حلقة فمات في الوقت واستراح أهل ذلك البلد منه وفرحوا لموته وانكفأوا للأسكندر وحملوا إليه من طريف ما عندهم. وكان فيما حلوه إليه دابة في خلق الأرنب وشعرها أصفر يبرق كما يبرق الذهب يسمونه بتراح وفي رأسها قرن واحد أسود، فإذا الأسود والسباع والطيور والوحش هربوا منها، وكذلك كل دابة تراها تهرب منها، وتفر بين يديها، وفي هذا البحر جزيرة تظهر ستة أشهر وتغيب ستة أشهر بكل من فيها تعود إلى هيئتها، وقيل إنها جزيرة مدبرة وجزيرة ملكان، وملكان دابة عظيمة بحرية، قد استوطنت تلك الجزيرة، ولهذه الدابة رؤوس كثيرة، ووجوه مختلفة، وأنياب معقفة، وليس لها طعام إلا ما تصيده من دواب البحر وقيل إنها مركب لبعض ملوك الجن من أهل البحر، لأن لها جناحين إذا أقامتهما، وجمعت بين رأسيهما صارا كأنهما رف يلتبس بظل من الشمس وذكرتها الأوائل، وزعموا أنها بقدر الجبل، وجزيرة ملكان فيها أمة مثل خلق الإنسان إلا أن رؤوسهم مثل رءوس الدواب يغوصون

في البحر ويخرجون بما قدروا على إخراجه من دواب البحر فيأكلونه وجزيرة صيدون، وصيدون هذا ملك وهذه الجزيرة مسيرة شهر[٣٤] في مثله، وكان بها عجائب كثيرة وأشجار وأنهار، وكان في وسطها مجلس على عمد مرمر ملون، وكان المجلس من ذهب مفصل بأنواع الجوهر يشرف على هذه الجزيرة، وقيل إن هذا الملك كان ساحراً، وكانت الجن تطوف به تعمل له العجائب فدل بعض الجن سليمان عليه السلام عليه فغزاه سليمان وخرب الجزيرة وقتل أكثر أهلها، لأنهم كانوا يعبدونه، وأسر منهم خلقاً كثيراً وآمن به اكثرهم، وأسر ابنة لـ(صيدون) لم يكن على وجه الأرض في زمانها أجمل منها ولا أكمل كمالاً وظرفاً وحلاوة، فاصطفاها سليمان عليه السلام لنفسه وتزوجها وكانت تديم البكاء والحزن لمفارقتها الملك أبيها وغضارة نعيمها وأنس حشمها وخدمها وأهلها، فقال لها سليمان عليه السلام: ما لى أراك بهذه المنزلة من الحزن وأنا خير لك من أبيك ملكي أجل من ملكه. قالت: أجل، ولكنى إذا ذكرت كونى مع أبى وأنسى به هاج لى ذلك وجدا فلو أمرت الشياطين أن يصوروا لى صورته، فلعلى إذا رأيتها سلوت.

فأمر سليمان فصوروا لها صورة أبيها في مجلس يشبه المجلس الذي كان فيه، ويقال إن الذي صوره شيطان كان يصحب أباها، وقيل إنه هو كان أشار عليها بذلك حتى سألت سليمان عليه السلام ذلك، فأمر الشياطين بعملها فكان في مقاصرها التي أسكنها سليمان عليه السلام في قصر بناه لها، وقد غرس فيه بدائع الشجر وفجر الأنهار في قنوات ذهب وفضة مطوقة بأصناف الجواهر على النعت الذي كان رآه لأبيها في مساكنه، فعمدت إلى تلك [الصورة] فألبستها أصناف الثياب الفاخرة المنسوجة بالذهب المزينة بأنواع الجواهر، وجعلت على

---

[٣٤] لاحظ أن (الشهر) في العربية الفصحى تعنى (القمر) كذلك. وفي التنزيل :﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ (١٨٥) ﴾ [البقرة] أي من شهد القمر الذي يسمى أول ظهوره هلالاً. و(شهر) من (الشهرة) و(الإشهار) أي الإعلان عن ظهوره، كما أن (هلال) من التهليل (رفع الصوت) عند مشاهدته = الإعلان عنه.

رأسه أكليلاً من الجوهر النفيس، وتوجته بتاج من ذهب منظوم بـالجوهر الملـون وأجلسته في صدر المجلس وجعلـت حولـه مخـاد الـديباج واوقـدت بـين يديـه مجامرا من العود والعنبر، ونثـرت عليـه سـحيق المسـك، وفرشـت بالبعـد منـه بحيث تحاذيه أصناف الأفاويه والريحان والزعفران، وكانت تدخل عليـه بكـرة وعشية، فتسجد له مع جميع وصائفها وخدمها، لما كانت تصنع لأبيها، وخرج الخبر واتصل بـ آصف بن برخيا، وكان من قراء سـليمان عليـه السـلام وكاتبـه وهو الذي كان عنده علم من الكتاب، وهو الذي أحضـر عـرش بلقـيس[٣٥] وكـان عنده علم موضع المرأة من قلـب سـليمان وحبـه لهـا فلـم يـدر كيـف يـدخل إلى تعريفه بذلك إلى أن اتجه له الأمر [في ذلك] فقال لـ سليمان: يـا نبـيالله إنـي سائلك شيئاً. قال: سل. قال: إني قد كبرت ولسـت آمـن أن يفجـأني المـوت، وقد أردت أن أقوم مقاما أذكر فيه الأنبياء وأثني عليهم وأصف فضائلهم، فلتأمر بإحضار الناس وتجمع وجوه بني إسرائيل، فيجلسون في مراتبهم، وتنصـب لي منبراً أرقى عليه وأتكلم بما يمكن أن يحضرني من الكلام في النحو الذي أريـد الكلام فيه.

ففعل سليمان عليه السلام ذلك، فقام على المنـبر خطيبـاً فحمـد الله وأثنـى عليه وأقبل يذكر الأنبياء واحداً بعد واحد، فيثني على من ذكره منهم في صغره

---

[٣٥] (بلقيس): اختلف العلماء في اسم آبائها، فقيل: إنها هي (بلقمة) ابنة ليشـرح بـن الحـارث ابن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقيـل: هـي (بلقمـة) ابنـة هـادد واسمه ليشرح بن تبّع ذي الأذعار بن تبّع ذي المنار بن تبّع الرايش، انظر ابن الأثير: (الكامل في التاريخ)، المجلد الأول، ص ٢٣٠. وقال كثير من الرواة: إن أمها جنّيّة ابنة ملك الجـن واسمهـا رواحة بنت السكر، وقيل: اسم أمها يلقمة بنت عمرو بن عمـير الجنّـي، وإنمـا نكـح أبوهـا إلى الجن لأنه قال: ليس في الانس لي كفوة، فخطب إلى الجن فزوجوه، انظر ابـن الأثـير: (الكامـل في التاريخ)، المجلد الأول، ص ٢٣١.

وكبره ومدة أيامه إلى أن ذكر داود، فأثنى عليه واستغفر له حتى مات، ثم ذكر سليمان فأثنى عليه في صغره خاصة ولم يذكر بشيء في كبره، ولا ذكر شيئاً من أيامه بخير ولا بشر. فأحفظ ذلك سليمان ودعا لما فرغ فقال له سليمان: أخبرني عنك يا آصف سمعتك ذكرت جميع الأنبياء فأثنيت عليهم في أيامهم وفي جميع أحوالهم، فلما بلغت ذكرى أثنيت على صغيراً وتركتني كبيراً فلم فعلت هذا ؟ فقال له: ذكرت ما علمت، فلما ألح عليه قال: وبما استحققت أنى أثنى عليك في أيامك هذه ؟ فقال له: وما الذي صنعت فيها ؟ قال: لأن غير الله يعبد في دارك منذ أربعين يوماً، وما هذا جزاء نعمته عليك ولاشكر تمليكه لك ما ملكك وأباك من قبلك. فاستغفر سليمان وقال: صدقت.

ودخل فعاقب المرأة وكسر الصنم وهرب شيطانه فظفر به بعد ذلك وحبسه. ويقال إن ذلك الصنم كان يخاطب المرأة بلسان أبيها، ويقول لها: قد أحسنت فيما فعلت.

وكان يغويها ذلك بالسجود فعنف الله سليمان لذلك، وأخذت الجن خاتمه وخرج من ملكه، وكان يطوف في بنى إسرائيل فيذكرونه، ثم سأل الله فرد ملكه وخاتمه بعد أربعين يوماً، وهي عدد الأيام التي سجدت المرأة فيها للصنم وقيل إن المرأة ماتت وكان ولد سليمان عليه السلام منها ومنها جزيرة الرود وهم خلق له أجنحة وشعور وخراطيم ضيقه، يمشون على رجلين وعلى أربعة ويطيرون ويعدون إلى الجزيرة، وقيل إنهم من الشياطين الأول ومنها جزيرة القاس وهي دابه ململمة كالكرة تصيح صياحاً شديداً ولا يدرى من أين يخرج صياحه، ويقال إنها تقيم ستة أشهر في البحر وستة أشهر يكون ظاهراً في تلك الجزيرة، ولايعرف ما هو ولا يعرف ما هو ولا أي شيء يأكل، ولا من أي موضع يأكل. ومنها جزيرة مر بها قوم، وقد هاج عليهم البحر وعظم، فنظروا فإذا شيخ أبيض الرأس واللحية، وعليه ثياب خضر مستلق على وجه الماء، وهو

يقول سبحان مدبر الأمور، وعالم ما في الصدور، وألجم البحر بقدرته على أن لا يفور، سيروا بين الشمال والشرق حتى تنتهوا إلى جبال الطوق فاسلكوا وسطها تسلموا من الغرق. ففعلوا ذلك فإذا هم إلى مدينة بها أمة طوال الوجوه، معهم قضبان الذهب يعتمدون عليها، ويحاربون بها وطعامهم الموز والقسط، فأقاموا عندهم شهراً وأخذوا القضبان الذهب الذي عندهم، فلم يمنعوهم، ثم ساروا على ذلك السمت فخلصوا ويقال إن الرجل الذي أرشدهم الخضر عليه السلام وإن هذه الجزيرة مكانه وهي وسط البحر الأعظم. وذكر بطليموس أن في بحر الشرق والصين ثلاث عشرة ألف وسبعمائة جزيرة، وذكر بعضها منها جزيرة سرنديب، يقال إنها ثمانون فرسخاً في مثلها، وتقول أهل الهند إن بها الجبل[٣٦] الذي أهبط الله تعالى عليه آدم عليه السلام تراه أهل المراكب على أيام. وفي البراهنة أن عليه قدم آدم عليه السلام مغموسة وهي سبعين ذراعاً وأن على هذا الجبل مثل البرق ليلاً ونهاراً فلا يمكن أحد من النظر إليه، وأن آدم عليه السلام خطا فيه إلى البحر خطوة واحدة، وهي على مسيرة يومين، وحوله ألوان الياقوت وللأشباه كلها وعليه أصناف العطر والأفاوية، ودواب المسك، وأرضه السنباذج[٣٧]، وفي أوديته الماس، وفي أنهاره البلور، وحوله في البحر غوص اللؤلؤ. ويتصل بها جزيرة الرامي، والرامي مدينة بالهند، وبها الكركند، وفيها البقم، وعروقه دواء من السم لساعته، وقد جربه البحريون من سم الأفاعي

---

[٣٦] يسمى هذا الجبل بـ (جبل الراهون) وفيه الياقوت الأحمر ويسمى أيضاً (جبل البرق) وسمي كذلك لأنه يرى على هذا الجبل كل ليلة مثل البرق من غير سحاب ولا غيم، ولابد له كل يوم من مطر.

[٣٧] حجر (السنباذج) Emery ، حار رطب، والمختار منه ما كان شديداً، ويكون أشد لوناً ولمعاناً إذا اقتربت منه الحرارة، وله أيضاً أشباه كثيرة من الحجارة لكنه الأفضل منها. ويوجد مع الماس إلا أنه دونه بكثير من القوة والسنباذج إذا سحق بالحديد أثر فيه وخدشه وقدح منه النار، ولا يعمل الحديد فيه، ويقطع الزجاج قطعاً ولا يقطعه غيره.

والحيات وبها جواميس لا أذناب لها، وناس عراة في غياض لا يفهم كلامهم، وهم متوحشون من الناس، وطول الواحد منهم أربعة أشبار، وللرجل منهم فرج صغير، وكذلك المرأة. وشعورهم زغب أحمر، ويتسلقون على الشجر من غير أن يستعينوا بأيديهم، وهم يلحقون المراكب سباحة وهم في سرعة الريح يبيعون العنبر بالحديد، ويحملونه في أفواههم، ويقرب من هؤلاء قوم سود، وشعورهم مفلفلة، يأكلون الناس أحياء إذا ظفروا بهم يشرحوهم تشريحاً، ولهم فيها جبل طينه فضة، إذا أصابته النار ذاب ويتصل بها أرض الكافور، وهو شجر نبت بها ظل الشجرة منها مائة إنسان وأكثر، تثقب الشجرة فيسيل منها ماء يملأ عدة جرار، ثم يكون ذلك ماء الكافور، والكافور صمغ يخرج على أغصانها قطعاً، ثم وخشبها أبيض خفيف، وفي هذه الجزيرة عجائب كثيرة، بحريات، وأطيار عجيبة، وغير ذلك من العجائب، وجزيرة كله وهي جزيرة كبيرة يسكنها الهند، وفيها معدن الرصاص القلعي[٣٨]ومنابت الخيزران وهو عن يمينها على يومين منها. وجزيرة مالوعن، وأهلها يأكلون الناس، وبها موز كثير وكافور ونارجيل وقصب سكر وأرز. وجزيرة خاقه وبها مدينة سلاهيط وبها ملك يسير أحسن سيرة، لباسه والثياب المذهبة، وعلى رأسه قلنسوة من ذهب، مكللة بغرائب الجواهر وبها نارجيل وموز وسكر وصندل وسنبل وقرنفل، وبحذائها جبل في ذروته نار تتقد مقدار سمكها علو مائة ذراع في مثلها فهي بالليل نار، وبالنهار دخان. وجزيرة الطيب من هذه خمسة عشر يوما، من البحر، فيها من كل الأوفاويه وفي مملكة المهراج جزيرة، يقال لها فرطائيل يسمع منها الطبول والعزف والزمر وأصناف الغناء، والبحريون يقولون إن الدجال فيها، وبالقرب منها موضع في البحر يخرج منه خيل لها أعراف تجرها في الأرض وجزيرة ميمونة في طريق الصين، فيها العود والكافور، ومنها إلى قمارى إلى الساحل أيام

[٣٨] (رصاص قلعي): أي رصاص شديد البياض.

يسيرة وبـ قمارى العود القمارى والصندل. وجزيرة الصندل على الساحل، وبهـا العود والصنفى، وهو عنـدهم أفضـل مـن العـود القمـارى، لأنـه يغـرق في المـاء لجودته وثقله، وبها بقر وجواميس وبلاد الواق وجزائها في مشارق الصين وهـي كـثيرة الـذهب، حتـى إن مقـاود دوابهـم وسـلاحهم وسلاسـل كلابهـم ذهـب، ويعملون القصب المنسوجة بالذهب ذات التماثيـل العجيبـة ومـن هـذه النـواحى يجنى العـود والمسك والأبنـوس والدارصـينى، وأصـناف التجـارات والعجائـب وجزيرة الزنج وفيها أمم مختلفـو الأشـكال والأخـلاط، وملـوك مختلفـه المعـانى والمذاهب، وفيها أصناف من الدواب وفي بحر الزنج[39] جزائر كثيرة يسـتخرجون منها الودع والحلزونـات الملونـة وهـم يلبسـونها مثـل الحلـى. ويـدفنون أنيـاب الفيلة، فإذا عفنت أتى تجارها من الهند السند فاشتروها منهم وفي بحر هركند على ما ذكره بطليموس وجماعة من البحرين [40] ألف وسبعمائة جزيرة عامرة سوى

[39] (بحر الزنج): هو (بحر الهند) بعينه وبلاد الزنج منه في نحو الجنوب تحت سُهيل ولـه بـر وجزائر كثيرة كبار واسعة فيها غياض كثيرة وأشجار لكنها غير ذات أثمار وإنما هي نحـو شـجر الأبنوس والصندل والساج والقَنا ومن سـواحلهم يلتقط العنبر ولا يوجـد في غـير سـواحلهم، وهـم أضيق الناس عيشاً وحدثني غير واحد ممن شـاهد تلك البلاد أنهـم يـرون القُطـب الجنـوبى عاليـاً يقارب أن يتوسط السماء وسـهيل كذلك ولا يرون الجـديّ قـط ولا القطـب الشـمالى أبـداً ولا بنـات نَعش وإنهم يرون في السماء شيئا في مقدار جرم القمر كأنه طاقة في السـماء أو شـبه قطعـة غـيم بيضاء لايَغيب قط ولا يَبرح مكانه وسألت عنه غير واحد فاتفقوا على ما حكيته بلفظه ومعناه وله عندهم اسم لم يحضُرنى الأن وأنهم لا يدرون إيش هو ولهم هناك مُدُن أجلـها (مَقدشـو) وسـكانها غرباء واستوطنوا تلك البلاد وهم مسلمون طوائف لا سلطان لهم لكل طائفة شيخ يأتمرون لـه وهـي على بر البربر وهم طائفة من العريان غير الذين هم في المغـرب بلادهـم بـين (الحبشـة) و(الـزنج) وسنذكرهم بعد إن شاء الله تعالى ثم يمتد بر البربر علـى سـاحل (بحـر الـزنج) إلى قُرابـة (عَـدَن) وأقصى هذا البحر يتصل بـ (البحر المحيط)، انظر ياقوت الحموى: (معجم البلدان).

[40] (البحرين): جزيرة في صدر بحر فارس كما إنّ القلـزم في صـدر بحـر الحبشـة. ويقـال انهـم جزيرة في بحر مالح فوق بحر عذب فلأجل ذلك سمى البحرين. حدّثنى جماعة من أهـل الـبلاد قالوا: إذا غاص إنسان بين الماءين وشرب فشرب ماء عذب فتراه وأعلاه مـاء مـالح ملـج أجاجـا.

الخراب، ويملك هذه الجزائر كلها امرأة، ويقع إليها عنبر كثير، وربما وقع إليها القطعة بقدر البيت أو نحوه، وإنما يخرج هذا العنبر إذا هاجت الريح من قعر البحر رمت من تحته فقذفت به إلى السواحل. وهذه عامرة بالناس وتجارتهم الودع يأتيهم على وجه الماء وفيه روح، فيأخذون شقف النار جيل فيطرحونها على وجه البحر، فيتعلق هذا الودع بها فيأخذونه منه ويجمعونه وملك المهراج عظيم مملكته ليس في البحر بالشرق أكثر من جزائره، ولو شاء إنسان أن يركب مركباً، ويطوف بها لم يدرها في سنين كثيرة وهو بحر لا تحصى عجائبه، وعند ملوكه جميع الأفاويه من الكافور والقرنفل والجوزة والبسباسة والقاقلة والكبابة والعود، وليس لغيره من الملوك ما له من العطاء ولا يشاركه في ذلك أحد تتمنهم بـ بلاد الصين يقال إن بلاد الصين ثلاثمائة مدينة ونيف، عامرة كلها سوى القرى والأطراف والجزائر، وأبواب الصين أثنىعشر باباً، وهو جبل في البحر بين كل جبلين منها فرجة وبحر يصار منه إلى موضع مدينة من مدائن الصين المعروفة الكبار وهذه الجبال التي تمر بينها المراكب مسيرة سبعة أيام فإذا جاوزت السفينة هذه الأبواب صارت في بحر فسيح وماء عذب، وصارت كذلك حتى تسير إلى الموضع الذي تريده من بلاد الصين. وأول مرسا تنزله خانقوا وماؤها عذب من أنهار عذبة وفي كلها أمن ومصالح وشجر وعمارة وزرع، وفي تلك الماء ودية كلها تدور [بين] جزيرتين في اليوم والليلة،

وقال: ما سمى البحرين بحرين إلاّ لأجل البحر وأهلها العرب شبه البحر في كرمهم، أي بلاد تسمى البحرين بحر ماء وبحر خلق. وتسمى الجزيرة جزيرة (أوال) وبها ثلثمائة وستين قرية إمامية الذهب ما خلا قرية واحدة. ومأكولهم التمر والسمك من مأذى رائحة وطعم رفن. وقال آخرون: إنّ جزيرة (أوال) هي أوسط مغاص البحرين ولا أصفي ولا أكثر ماوية من لؤلؤه، وهي جزيرة في صدر الغبة وبر العرب وفارس مستدار حولها. كما قال:

درست صورت تو ودريا دو جشم من ... أي دور مانده زدريا جكونئى، انظر ابن المجاور: (تاريخ المستبصر).

وفي هذا المرسا أسواق وتجار وخروج ودخول، وتجارات تحط، ومراكب تذهب وتجئ. وجزيرة خلنجان فيما بين سرنديب وفلنتن ببلاد الهند فيها قوم سود عراة إذا وقع إليهم إنسان عربى من غير بلادهم، علقوه من كسائه وقطعوه قطعا، وليس لهم ملك وغذاؤهم السمك والموز والنار جيل وقصب السكر، وبها آجام تنبت الخيزران، وهم عراة لا يستترون بشئ، وبقرب الصين موضع من البحر يقال له منجى وهو أخبث البحار وأكثرها رياحاً وموجاً ومضايقاً وجبالاً، تتطاير منه إلى المراكب صبيان مثل صبيان الزنج، طول أحدهم نحو خمسة أشبار يخرجون من الماء ويتواثبون إلى المراكب ويدورون فيها، ولا يؤذون أحداً ثم يعودون إلى البحر، فإذا كان ذلك منهم وظهروا كان ذلك علامة لأخبث الرياح عندهم، فيستعدون ويأخذون أهبتهم، ويخففون المراكب، ويلقون بعض ما فيها ويقطعون من الذقل ذراعاً أو ذراعين إن خافوا كسرها ويقولون أيضا إنهم إذا رأوا على دور المكان سمكة يقال لها البليقة يكون منها ما طوله مائة ذراع في عرض عشرين ذراعاً وينبت على ظهرها الحجارة، وربما تعرضت للمراكب فكسرتها وزعموا أنها ربما قربت من الساحل وهي لا تعلم، فتندفع بقوتها تتبع لبعض السمك هارب منها فلا تشعر إلا وقد حصلت في البر بجملتها فلا يمكنها الرجوع فتهلك فإذا كان كذلك قطع لحمها وذوب في القدور فيذوب لحمها كله، ويصير دهنا ينتفع به في المراكب وغيرها وجزيرة بقرب الزنج فيها جبل يقال لها جبل النار يظهر منه بالنهار دخان وبالليل لهب نار، فلا يقدر أحد على الدنو منه. وجزيرة المدر وهم سودان ولهم مدينة لها بارند، وأهل هذا البلد يقطعون الطريق ويسبون ويقتلون. فالمراكب الصينية يعد فيها التجار السلاح والنفط، وربما كان في المراكب أربعمائة نفس من التجار وخمسمائة مقاتل، فلا يطمع فيهم، ويطمع في سواهم، وتغتال سفينتهم وجزيرة الرانج وهي جزيرة عظيمة كثيرة الأهل والزرع والتجارات ويقال إنها لما فسد من بـ

الصين بالخوارج والهرج صارت المراكب الصينية تقصد جزيرة الرانج هذه ويقاتلون أهلها وكذلك جزائرها كلها ومدائنها.

وأصبح أبواب الصين في التجارات الباب الذي يدخل منه إلى خانقوا وهو أقرب، ومن دخل من غيره بعد الطريق عليه وجزائر الرانج كثيرة منها جزيرة تعرف بـ سديدة، تكسيرها أربعمائة فرسخ وبها متاجر وطيب وجزيرة الرامى أيضا عامرة يقال إن تكسيرها ثمانية فراسخ فيها منابت البقم وفيها الكافور والأوفاوية وتكسيرها ثمانون فرسخا وجزيرة كله، يقال إنها النصف بين أرض الصين وأرض العرب وتكسيرها ثمانون فرسخاً.

وبـ كله مجتمع الأمتعة من العود والكافور والصندل والعاج والرصاص القلعى والأبنوس والبقم، والجهاز إليها في هذا الوقت من عمان. وجزيرة المهراج الذي هو ملك هذه الجزيرة، وهي جزيرة كبيرة في غاية العمارة والخصب.

حكى عن بعض التجار الذين يوثق بقولهم أن الديكة إذا غردت بها في الأسحار تجاوبت من نحو مائة فرسخ لأتصال عمارتها، وانتظام قراها لا مفاوز فيها ولا خراب، وأن المسافر يسافر فيها بلا زاد، وينزل حيث أراد.

وفي جزيرة سرنديب موضع يجتمع إليه أهلوها يتدارسون فيه سريانياتهم، وقصص ملوكهم في الزمن السالف، وبها صنم عظيم من ذهب مبلغ وزنه وقدر الجوهر الذي عليه مائة رطل وهو في هيكل لهم وفيها مواضع أخرى يجتمع فيها اليهود وأهل الملك يتدارسون فيها علومهم ويتكلمون في أديانهم، والملك يبيح لهم ذلك، وفي هذه الجزيرة أعناب يقال لها أعناب سرنديب، والعنب واد عظيم يجوز المجتاز في هذا العنب شهرين وأكثر في رياض وغياض وهواء معتدل، والشاة عندهم بنصف درهم، وأكثر عملهم القمار بالنرد والشطرنج، ويستريد الرجل المرأة بعلم أهلها، وجزيرة الرانج جزيرة كبيرة واسعة، وكلما

يزرع فيها من ذرة وقصب وسائر النبات فهو أسود، ولهم في جزائرهم قوم يعرفون بالمخرمين قد خرمت أنوفهم، وقد أتموا أسلحتهم، ويأخذ بطرف كل سلسلة يجره ويمنعه من التقدم حتى يصفر الصفراء بينهم فإن وقع الصلح وإلا شدت تلك السلاسل في أعناقهم وتركوا للحرب، فلم تقم لهم قائمة، ويأكلون من وقعت عليه نهشاً، ولا يزول أحدهم من مركزه دون أن يقتل وللعرب في قلوب الزنج هيبة عظيمة، فإذا عاينوا رجلاً منهم سجدوا له وقالوا هذا ابن مملكة تنبت في بلادهم شجر التمر، لجلالة التمر في صدورهم ولأن العرب إنما يصرفون صبيانهم بالتمر وفيهم خطباء بلغاء بألسنتهم، ومن يتعبد منهم يستتر بجلد نمر، ويأخذ بيده عصا، ويجتمع إليه الناس ويقف على رجله من أول النهار إلى الليل يخطب ويذكرهم الله تعالى، ويذكر لهم أمور من ملك منهم، ومن مضى من الملوك. وجزيرة سقطرى[41] وبها منابت الصبر السقطرى، وموضعها بين

---

[41](سُقُطْرَى): بضم أوله وثانيه وسكون طائه وراء وألف مقصورة ورواه ابن القطاع سُقُطْرَاءُ بالمد في كتاب الأبنية. اسم جزيرة عظيمة كبيرة فيها عدة قرى ومدن تناوح عدَنُ جنوبيها عنها وهي إلى برّ العرب أقرب منها إلى برّ الهند والسالك إلى بلاد الزنج يمرُ عليها وأكثر أهلها نصارى عرب يجلب منها الصبر ودَمُ الأخوين وهو صمغ شجر لا يوجد إلا في هذه الجزيرة ويسمونه (القاطر) وهو صنفان خالصٌ يكون شبيهاً بالصمغ في الخلقة إلا أن لونه كأحمر شيء خلقه الله تعالى والصنف الأخر مصنوع من ذلك، وكان أرسطاليس كتب إلى الأسكندر حين سار إلى الشام في أمر هذه الجزيرة يوصيه بها وأرسل إليه جماعة من اليونانيين ليسكنهم بها لأجل الصبر القاطر الذي يقع في الأيارجات فسيّر الاسكندر إلى هذه الجزيرة جماعة من اليونانيين وأكثرهم من مدينة أرسطاطاليس وهي مدينة اسطاغرا في المراكب بأماليهم وسيرهم في بحر القلزم فلما حصلوا بها غلبوا على من كان بها من الهند وملكوا الجزيرة بأسرها، وكان للهند بها صنم عظيم فنقل ذلك الصنم إلى بلاد الهند في أخبار يطول شرحها، فلما مات الاسكندر وظهر المسيح بن مريم عليه السلام تنصر من كان بها من اليونانيين وبقوا على ذلك إلى هذا الوقت فليس في الدنيا موضع والله أعلم فيه قوم من اليونانيين يحفظون أنسابهم ولم يداخلهم فيها غيرهم غير أهل جزيرة سقطرى وكان يأوى إليها بوارج الهند الذين يقطعون على المسافرين من التجار فأما الأن فلا، وقال الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني اليمني: ومما يجاور سواحل اليمن من الجزائر جزيرة (سُقطُرَى) وإليها ينسب الصبر السقطرى وهي جزيرة بربر مما يقع بين (عدن) وبلد الزنج فإذا

بلاد الزنج[٤٢] وبين بلاد العرب، وأكثر أهلها نصارى. والسبب في ذلك أن

خرج الخارج من (عدن) إلى بلد الزنج أخذ كأنه يريد عُمان وجزيرة (سقطرى) تماشيه عن يمينه حتى ينقطع ثم النوى بها من ناحية (بحر الزنج) وطول هذه الجزيرة ثمانون فرسخاً وفيها من جميع قبائل مهرّة وبها نحو عشرة آلاف مقاتل وهم نصارى، ويذكرون أن قوماً من بلد الروم طرحهم بها كسرى ثم نزلت بهم قبائل من مهرة فساكنوهم وتنصر معهم بعضهم وبها نخل كثير ويسقط بها العنبر وبها دمُ الأخوين وهو الأيدع والصبر الكثير - قال: وأما أهل (عدن) فإنهم يقولون: لم يدخلها من الروم أحد ولكن كان لأهلها الرهبانية ثم فنوا وسكنها مهرة وقوم من الشراة وظهرت فيها دعوة الإسلام ثم كثر بها الشراة فَعَدَوا على من بها من المسلمين وقتلوهم غير عشرة أناميّة وبها مسجد بموضع يقال له السوق.

[٤٢] بلاد الزنج: مسيرة شهرين، شمالها اليمن وجنوبها الفيافي، وشرقها النوبة وغربها الحبشة، وجميع السودان من ولد كوش بن كنعان بن حام، وبلاد الزنج شديدة الحر جداً، وحلكة سوادهم لاحتراقهم بالشمس. وقيل: إن نوحاً، عليه السلام، دعا على ابنه حام فاسود لونه، وبلادهم قليلة المياه قليلة الأشجار، سقوف بيوتهم من عظام الحوت، زعم الكماء أنهم شرار الناس ولهذا يقال لهم سباع الإنس. قال جالينوس: الزنج خصوا بأمور عشرة: سواد اللون وفلفلة الشعر وفطس الأنف وغلظ الشفة وتشقق اليد والكعب، ونتن الرائحة وكثرة الطرب وقلة العقل وأكل بعضهم بعضاً، فإنهم في حروبهم يأكلون لحم العدو، ومن ظفر بعدو له أكله. وأكثرهم عراة لا لباس لهم، ولا يرى زنجي مغموماً، الغم لا يدور حولهم والطرب يشملهم كلهم؛ قال بعض الحكماء: سبب ذلك اعتدال دم القلب، وقال آخرون: بل سببه طلوع كوكب سهيل عليهم كل ليلة فإنه يوجب الفرح.وعجائب بلادهم كثيرة منها كثرة الذهب، ومن دخل بلادهم يحب القتال، وهواؤهم في غاية اليبوسة، لا يسلم أحد من الجرب حتى يفارق تلك البلاد. والزنوج إذا دخلوا بلادنا وآنقهم هذه البلاد استقامت أمزجتهم وسمنوا. ولهم ملك اسمه اوقليم، يملك سائر بلاد الزنج في ثلاثمائة ألف رجل. ودوابهم البقر يحاربون عليها بالسرج واللجم، تمشي مشي الدواب، ولا خيل لهم ولا بغال ولا إبل، وليس لهم شريعة يراجعونها، بل رسوم رسمها ملوكهم وسياسات. وفي بلادهم الزرافة والفيل كثيرة وحشية في الصحارى يصطادها الزنوج. ولهم عادات عجيبة، منها أن ملوكهم إذا جاروا قتلوهم وحرموا عقبة الملك، ويقولون: الملك إذا جار لا يصلح أن يكون نائب ملك السموات والأرض. ومنها أكل العدو إذا ظفر به. وقيل: إن عادة بعضهم ليس عادة الكل. ومنها اتخاذ نبيذ من شربها طمس عقله؛ قيل: إنها مأخوذة من النارجيل يسقون منها من أرادوا الكيد به. ومنها التحلي بالحديد مع كثرة الذهب عندهم، يتخذون الحلي من الحديد كما يتخذ غيرهم من الذهب والفضة، يزعمون أن الحديد ينفر

الأسكندر لما غلب على ملوك فارس وقتل قوز الهندى، وكان يكاتب أرسطاطاليس بما يجرى من أمره، ويعرفه بما وقف عليه وغلبه عليه من الممالك، وكان أرسطاطاليس يكتب إليه ويؤكد عليه في طلب جزيرة في البحر تعرف بـ سقطرى لأن بها منابت الصبر السقطرى، وبها الدواء العظيم الذي لا تتم الأيارجات إلا به، وأن الجزيرة إن وجدها لا ينتقل عنها حتى يصلح عمارتها ويسكنها قوما من اليونانيين ويطوف لهم بملكها والحفظ بها.

ففعل الأسكندر ذلك، وتقدم إلى ملوك الطوائف بالأحتفاظ بها، وكان ذلك حتى بعث السيد عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم وتنصرف الروم ودخل هؤلاء في الجملة وتنصروا مع الناس فبقاياهم بها إلى هذا الوقت مع سائر من يسكنها من عندهم، وفي البحر الكبير الذي عن يمين الخارج من عمان جزائر كثيرة، وهي تحاذى بلاد الشجر فيها منابت اللبان، وما يتصل بذلك من أرض عاد وجرهم[٤٣] والتبابعة وفيها قوم من العرب وهم في هذه الجزيرة في قشعمة

الشيطان ويشجع لابسه. ومنها قتالهم على البقر وانها تمشى كالخيل، قال المسعودى: رأيت من هذا البقر وانها حمر العيون يبرك كالإبل بالحمل ويثور بحمله. ومنها اصطيادها الفيل وتجاراتهم على عظامها، وذلك لأن الفيل الوحشية ببلاد الزنج كثيرة، والمستأنسة أيضاً كذلك، والزنج لا يستعملونها في الحرب ولا في العمل، بل ينتفعون بعظامها وجلودها ولحومها، وذاك أن عندهم ورقاً يطرحونها في الماء، فإذا شرب الفيل من ذلك الماء اسكره فلا يقدر على المشى، فيخرجون إليه ويقتلونه، وعظام الفيل وأنيابها تجلب من أرض الزنج، وأكثر أنيابه خمسون مناً إلى مائة من، وربما يصل إلى ثلاثمائة من. انظر القزويني: (آثار البلاد وأخبار العباد).

[٤٣] جرهم هو ابن قحطان بن عابر بن سام بن نوح عليه السلام، وشقيق يعرب، استقر بنو جرهم باليمن وتكاثروا وتميزوا كأهل عاد وثمود بعظم الأجساد وطول الأعمار وزيادة القوة والبأس، ويذكر وهب بن منبه أنهم كانوا أطول الناس أجساماً وأعناقاً وأن سعدانة ابن وهزان كان يأكل التمر جالساً من نخلة سموق، وفي سبب هجرتهم من اليمن إلى مكة يختلف الرواة والأخباريون العرب، إذ يذكر عبيد ابن شرية أنها نتجت عن حروبهم مع الحميريين التي خسروها، فقرروا الرحيل بزعامة مضاض بن عمرو الذي ملكوه على أنفسهم في موطنهم الجديد بينما يورد وهب بن منبه أن هجرتهم كانت بناء على تولية شرعية لهم من قبل يعرب ملك اليمن ليس على بني عملاق في

وضيق عيش إلى أن تتصل بـ عمان وسواحل اليمن فيتسع أمرهم قليلا، وعيش هؤلاء من السمك ومن نبات عندهم، وربما وقع إليهم العنبر فباعوه من أصحاب المراكب، وبحر اليمن متصل ببحر البحار والقلزم[44]، وينقطع هناك، ومن عجائب الجزائر التي في هذا البحر جزيرة يقال لها سلطا منها قوم يسمع كلامهم وضجيجهم وتصرفهم في معاشهم، ومن وصل إليهم يخاطبهم ويخاطبونه ولا يراهم، وسئلوا عن أمرهم فذكروا أنهم من الأنس، وأنهم كانوا

مكة فقط، بل وعلى طسم وجديس أيضاً، وهذا كان في عهد جرهم نفسه. أقام بنو جرهم في مكة، التي كان يقطنها العماليق، وتوارث زعامتهم عبد ياليل، جرهم، عبد المدان، بقيلة، عمرو الذي يعرف بعبد المسيح مضاض، عمرو، الحارث بن مضاض، عمرو بن الحارث، بشر بن الحارث وأخيراً مضاض الأصغر بن عمرو. وتعايش العماليق وبنو جرهم سلمياً لفترة في مكة، بل إنهما حاربا معاً إسرائيل وحلفاءهم من الروم ولكن من تواتر الأحداث يبدو أن جرهم قد أستقلت بملك مكة ولم يعد للعماليق فيها أي سلطان.

[44] لم يكن هذا البحر بحراً في قديم العهد أعني بحر القلزم وإنما هو بحر مستجد فتحه ذو القرنين ويقال بعض التبابعة. وكان الوجب على ما ذكره جماعة من أهل البلاد منهم الأمير أبو الطامي جياش بن نجاح في كتاب المفيد في أخبار زبيد قال: لمّا وصل نو القرنين إلى هذا الوادى نظر فوجد به شدة الحر ففتحه أي نقر صدر الوادى، فخرج البحر وخرج عرق منه إلى قلزم ووقف عنده ويقال إنّ أرض الحبشة كانت متصلة ببلاد العرب فقال ذو القرنين: أردنا أنّ نفرق ما بين الإقليمين ليعرف كل صاحبه ويجوز كل أرضه وبلاده وينقطع ماء بين القوم من تغلب والتعدى. فلما فتح البحر افترق الإقليمين كل إقليم بذاته، فصارت الحبشة تخوض البحر بالخيل والرجل وتغزو أرض العرب. وبنى بعض العرب على جبل مندب حصنا يسمى بعد ومد بسلسلة من بر العرب إلى بر الحبشة معارض، فكل مركب يصل يمر تحت السلسلة حتى كان يخرج منه ويسافر إلى أي جهة يشاء وأراد. وبقى الحصن على حاله إلى أن هدمه التبابعة ملوك الجبل ويقال بنو زريع ملوك عدن والأصح الحبشة ملوك زبيد ورفعت السلسلة، وبقى أثرها إلى الآن. ويقال إنّ في ذلك الزمان ما كان لسفارة البحر جواز إلا على باب المندب لأنه كان أغزر موضع في البحر. وكان ما بقى منه فشات ووضح وبطون والأولاد يلعبون في الماء بها، والآن صارت المراكب تسافر من وراء ظهره. وهو بحر عميق طويل عريض لكثرة المياه ونذكر ما بقى إذا وصلنا عدن. ويوجد في سواحله العنبر والغالب ما يجده الصيادون. انظر ابن المجاور: (تاريخ المستبصر) .

بعث إليهم نبى يقال له سافر بن جردول فآمنوا به وهم على دينه. وإذا نزل الغريب إليهم جعلوا له من الزاد في ليلة ما يكفيه ثلاث ليال تمرا في نهاية الحلاوة والطيب ونارجيلا وطيورا مشوية على قدر اليمام، أطيب مضغة من اليمام، وإذا أراد من وقع عندهم الرجوع إلى أهله سيق له مركب وأكثرهم لا يتجه له المسير عنهم حتى يحمل وإن لم يحملوه أقام على حاله ولم يسر إلى بلاد غيرها لطيب الموضع وكثرة الخير، وقد عرف ذلك البحريون .

وجزيرة فرش، وهو شجر عرفت به الجزيرة، يحمل ثمراً في خلق اللوز إلا أنه أكبر منه، يؤكل بقشره فيقوم مقام كل دواء، ومن أكل منه لم يمرض إلى موته ولم يهرم، وإن كان شعره أبيض عاد أسود، ولهذه الجزيرة ملك يمنع منها، وذكر أن بعض ملوك أهل الهند جلبه وزرعه فأورق ولم يثمر وجزيرة الدهان وهو شيطان في صورة الإنسان راكب على ظهر طائر يشبه النعامة وعلى قدرها، يأكل لحوم الناس وإذا طرحهم البحر رفعهم إلى موضع لا خلاص لهم منه وأكلهم واحداً بعد واحد عند إرادته، ويأكلهم أحياء. وحكى أن البحر حمل مركباً إلى تلك الجزيرة وقد كانوا سمعوا به، فلما أتاهم وقفوا على مركبهم ورموه وحاربوه وصبروا على قتاله، فصاح بهم صيحة سقطوا منها مغشيين على وجوههم، وجعل عبرهم إلى موضع عادته وكان فيهم رجل صالح فدعا الله عليه فهلك من حينه، وصار موضعه ذلك مطلباً لما معه من أموال الناس وأمتعتهم وجزيرة الضريف، وهي جزيرة تلوح لأصحاب المراكب فيطلبونها حتى إذا ظنوا أنهم قد قربوا منها تباعدت عنهم ، وربما أقاموا كذلك أياماً لا يقدرون على الوصول إليها ولا يقول أحد من أهل البحر إنه وصل إليها ولا دخلها، وهم يرون فيها شخوصاً ودواباً وعمارة وشجراً وجزيرة البيدج فيها صنم من زجاج أخضر يجرى من عينيه دمع على ممر الأيام يقول البحريون إنه يبكى على قومه لأنهم كانوا يعبدونه فغزاهم بعض الملوك فاستباهم وقتلهم وأراد كسر الصنم، فكانوا إذا ضربوه بشيء لم يعمل فيه وعاد الضرب إلى وجوههم فتركوه، وإذا

دخلت الريح إلى أذنيه صفر تصفيراً عجيباً

وجزيرة سرهانة بها عمارة وشجر وأكثر أهلها أوانيهم ذهب، وثيابهم منسوجة بالذهب، وسلاحهم أعمدة ذهب، ولهم ملك متى وقع لهم من يريد الخروج بشيء منه دفعه عنه.

ومن الجزائر ببلاد الغرب صقلية[*] وهي جزيرة كبيرة دورها أكثر من خمسة

---

[*](صِقِلية): بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء أيضاً مشددة وبعض يقول بالسين وأكثر أهل صقلية يفتحون الصاد واللام. من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية وهي مثلثة الشكل بين كل زاوية والأخرى مسيرة سبعة أيام وقيل: دورها مسيرة خمسة عشر يوماً وافريقية منها بين المغرب والقبلة وبينها وبين رِيُو وهي مدينة في البر الشمالى الشرقى الذي عليه مدينة قسطنطينية مجاز يسمى الفارو في أطول جهة منها اتساعه عرض ميلين وعليه من جهتها مدينة تسمى المسينى التي يقول فيها ابن قُلاقس الأسكندرى: من ذا يمسينى على مسينى، وهي مقابلة ريو وبين الجزيرة وبر إفريقية مائة وأربعون ميلاً إلى أقرب مواضع إفريقية وهو الموضع المسمى إقليبية وهو يومان بالريح الطيبة أو أقل وإن طولها من طرابنش إلى مسينى إحدى عشرة مرحلة وعرضها ثلاثة أيام وهي جزيرة خصيبة كثيرة البلدان والقرى والأمصار وقرأت بخط ابن القطّاع اللغوى على ظهر كتاب تاريخ صقلية وجدت في بعض نسخ سيرة صقلية تعليقاً على حاشية أن بصقلية ثلاثاً وعشرين مدينة وثلاثة عشر حصناً ومن الضياع ما لايعرف، وذكر أبو على الحسن بن يحيى الفقيه في تاريخ صقلية حاكياً عن القاضى أبى الفضل أن بصقلية ثمان عشرة مدينة إحداها بلرم وأن فيها ثلاثمائة ونيفاً وعشرين قلعة ولم تزل في قديم وحديث بيد متملك لا يطيع من حوله من الملوك وإن جل قدرهم لحصانتها وسعة دخلها وبها عيون غزيرة وأنهار جارية ونزه عجيبة ولذلك يقول ابن حَمديس:

ذكرتُ صقلية والهــــوَى . .. يهيج للنفس تذكارهـا

فإن كنت أخرجت من جنة . .. فإني أحدث أخبارها

وفي وسطها جبل يسمى قصر يَانه هكذا يقولونه بكسر النون وهي أعجوبة من عجائب الدهر عليه مدينة عظيمة شامخة وحولها من الحرث والبساتين شيء كثير وكل ذلك يحويه باب المدينة وهي شاهقة في الهواء والأنهار تتفجر من أعلاها وحولها وكذلك جميع جبال الجزيرة وفيها جبل النار لا تزال تشتعل فيه أبدا ظاهرة لا يستطيع أحد الدنُو منها فإن اقتبس منها مقتبس طفئت في يده إذا فارق موضعها وهي كثيرة المواشى جدًا من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم

والحيوان الوحشى وليس فيها سبع ولا حية ولا عقرب وفيها معدن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والزيبق وجميع الفواكه على اختلاف أنواعها وكلأها لا ينقطع صيفاً ولا شتاءً وفي أرضها ينبت الزعفران وكانت قليلة العمارة خاملة قبل الإسلام فلما فتح المسلمون بلاد إفريقية هرب أهل إفريقية إليها فأقاموا بها فعمّروها فأحسنوا عمارتها ولم تزل على قربها من بلاد الإسلام حتى فتحت في أيام بنى الأغلب على يد القاضى أسد بن الفرات وكان صاحب صقلية رجلا يسمي البطريق قسطنطين فقَتَلَه لأمر بلغه عنه فتغلب فيمى على ناحية من الجزيرة ثم دب حتى استولى على أكثرها ثم أنفذ صاحب القسطنطينية جيشاً عظيماً فأخرج فيمى عنها فخرج في مراكبه حتى لحق بإفريقية ثم بالقيروان منها مستجيراً بزيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب وهو يومئذٍ الوالى عليها من جهة أمير المؤمنين المأمون بن هارون الرشيد وهوّن عليه أمرها وأغراه بها فندب زيادة الله الناس لذلك فابتدروا إليه ورغبوا في الجهاد فأمر عليهم أسد بن الفرات وهو يومئذٍ قاضى القيروان وجمعت المراكب من جميع السواحل وتوجه نحو صقلية في سنة ٢١٢ هـ في أيام المأمون في تسعمائة فارس وعشرة آلاف راجل فوصل إلى الجزيرة وجمع الروم جمعاً عظيماً فأمر أسد بن الفرات فيمى وأصحابه أن يعتزلوهم وقالوا لا حاجة لنا إلى الأنتصار بالكفار ثم كبر المسلمون وحملوا على الروم حملة صادقة فانهزم الروم وقتل منهم قتلا ذريعاً وملك أسد بن الفرات بالتنفُل جميع الجزيرة ثم توفي في سنة ٢١٣هـ وكان رجلا صالحا فقيهاً عالما أدرك حياة مالك بن أنس رضى الله عنه ورحل إلى الشرق وبقيت بأيدى المسلمين مدة وصار أكثر أهلها مسلمين وبنوا بها الجوامع والمساجد ثم ظهر عليها الكفار فملكوها فهي اليوم في أيديهم . قال بطليموس في كتاب اللحمة مدينة صقلية طولها أربعون درجة وعرضها خمس وثلاثون درجة طالعها السنبلة عاشرها ذراع الكلب ولها شركة في الفرع المؤخر تحت عشر درجات من السرطان يقابلها مثلها من الجدى رابعها مثلها من الميزان بيت ملكها مثلها من الحمل. ومن فضل جزيرة صقلية أن ليس بها سبع ضار ولا نمر ولا ضبع ولا عقرب ولا أفاع ولا ثعابين وفيها معادن الذهب موجودة في كل مكان ومعادن الشبّ والكحل والفضة ومعدن الزاج والحديد والرصاص وجبال تنعش وكثيراً ما يوجد النوشادر في جبل النار ويحمل منه إلى الأندلس وغيرها كثير. وقال أبو على الحسن بن يحيى الفقيه مصنف تاريخ صقلية وأما جبل النار الذي في جزيرة صقلية فهو جبل مطل على البحر المتصل بالمجاز وهو فيما بين قطانية ومصقلة وبقرب طبرمين ودوره ثلاثة أيام وفيه أشجار وشعارى عظيمة أكثرها القسطل وهو البندق والصنوبر والأرزن وحوله أبنية كثيرة وآثار عظيمة للماضين ومقاسم تدل على كثرة ساكنيه وقيل: إنه يبلغ من كان يسكنه من المقاتلة في زمن الطُورة ملكُ طبرمين ستين ألف مقاتل. وفيه أصناف الثمار وفي أعلاه منافس يخرج منها النار الدخان وربما سال النار منه إلى بعض جهاته فتحرق كل ما تمرُ به ويصير كخبث الحديد

عشر يوماً، ومملكتها واسعة ولها جبال وأشجار وأنهار ومزارع، وهي بإزاء إفريقية، وبها جبل البركان لا يزال يظهر دخانه بالنهار وناره بالليل ويطير منه في البحر شرارات، وهي حجارة سود مثقبة مثل الأسفنجة تطفو على الماء فتحملها الناس إلى البلاد يحكون بها في الحمامات أقدامهم وربما خرج من هذا

ولم ينبت ذلك المحترق شيئاً ولا تمشي اليوم فيه دابة وهو اليوم ظاهر يسميه الناس الأخباث وفي أعلا هذا الجبل السحاب والثلوج والأمطار دائمة لا تكاد تنقطع عنه في صيف ولا شتاء وفي أعلاه الثلج لا يفارقه في الصيف فأما في الشتاء فيعم أوله وآخره وزعمت الروم أن كثيراً من حكماء الأولين كانوا يرحلون إلى جزيرة صقلية ينظرون إلى عجائب هذا الجبل واجتماع هذه النار والثلج فيه وقيل: إنه كان في هذا الجبل معدن الذهب ولذلك سمته الروم جبل الذهب وفي بعض السنين سالت النار من هذا الجبل إلى البحر وأقام أهل طبرمين غيرهم أياماً كثيرة يستضيؤون بضوئه وقرأت لأبن حوقل التاجر فصلا في صفة صقلية ذكرته على وجهه ففيه مستمتع للناظر في هذا الكتاب قال جزيرة صقلية لى شكل مثلث متساوى الساقين زاويته الحادة من غربى الجزيرة طولها سبعة أيام في أربعة أيام وفي شرقى الأندلس في لج البحر وتحاذيها من بلاد الغرب بلاد إفريقية وباجة وطبرقة إلى مرسى الخزَر وغربيها في البحر جزيرة قرشف وجزيرة سردانية من جهة جنوب قرشف ومن جنوب صقلية جزيرة قوصرة وعلى ساحل البحر شرقيها من البر الأعظم الذي عليه قسطنطينية مدينة ريو ثم نواحى قلورية والغالب على صقلية الجبال والحصون وأكثر أرضها مزرعة ومدينتها المشهورة بَلَرم وهي قصبة صقلية على نحر البحر والمدينة خمس نواح محدودة غير متباينة ببُعد مسافة وحدود كل واحده ظاهره وهي بلرم وقد ذكرت بابها وخالصة وهي دونها قد ذكرت أيضاً وحارة الصقالبة وهي عامرة وأعمرُ من المدينتين المذكورتين وأجل ومرسى البحر بها وبها عيون جارية وهي فاصلة بينها وبين بلرم ولا سور لها والمدينة الرابعة حارة المسجد وتعرف بابن صقلاب وهي مدينة كبيرة أيضاً وشرب أهلها من الأبار ليس لهم مياه جارية وعلى طريقها الوادى المعروف بوادى العباس وهو واد عظيم وعليه مطاحنهم ولا انتفاع لبساتينهم به ولا للمدينة والخامسة يقال لها الحارة الجديدة وهي تقارب حارة ابن صقلاب في العظم والشبه وليس عليها سور وأكثر الأسواق فيها بين مسجد ابن صقلاب والحارة الجديدة وفي بلرم والخالصة والحارات المحيطة بها ومن ورائها من المساجد نيف وثلاثمائة مسجد وفي محال تلاصقها وتتصل بوادى عباس مجاورة المكان المعروف بالعسكر وهو في ضمن البلد إلى البلد المعروف بالبيضاء قرية نشرت على المدينة من نحو فرسخ مائتا مسجد. قال: ولقد رأيت في بعض الشوارع في بلرم على مقدار رمية سهم عشرة مساجد وقد ذكرتها في بلرم.

البركان فيدخل في البحر فيحرق كلما صادف من دوابه وحيتانه، فتلقيه الأمواج إلى الساحل، فلا يقدر أحد على الدنو من هذا الموضع.

وجزيرة سردانية [٤٦]، وهي جزيرة كبيرة مسيرة عشرين يوماً، وفيها شجر وعيون وزروع وجبال وتجارات وجزيرة أقريطش [٤٧]، وهي في بحر الروم، وبها

---

[٤٦] (سردانية) :بفتح أوله وسكون ثانيه ثم دال مهملة وبعد الألف نون مكسورة وياء آخر الحروف مفتوحة مخففة. جزيرة في بحر المغرب كبيرة ليس هناك بعد الأندلس وصقلية واقريطش أكبر منها وقد غزاها المسلمون وملكوها في سنة ٩٢ في عسكر موسى بن نصير وهي الآن بيد الأفرنج ووجدت لبعضهم أن (سردانية) مدينة بصقلية والله أعلم . انظر ياقوت الحموى: (معجم البلدان)، ج٢، ص٤٤٦) .

[٤٧] (أقريطِش): بفتح الهمزة وتكسر والقاف ساكنة والراء مكسورة وياء ساكنة وطاء مكسورة وشين معجمة. اسم جزيرة في بحر المغرب يقابلها من بر إفريقية (لوبيا) وهي جزيرة كبيرة فيها مدن وقرى وينسب إليها جماعة من العلماء قال أحمد بن يحيى بن جابر غزا جُنادة بن أبى أمية الأزدى بعد فتحه جزيرة (أرواد) في سنة ٥٤ في أيام معاوية ثم غزا أقريطش فلما كان في أيام الوليد فتح بعضُها ثم أغلق وغزاها حُميد بن مَعيوف الهمدانى في خلافة الرشيد ففَتح بعضَها ثم غزاها في خلافة المأمون أبو حفص عمر بن عيسى الأندلسى المعروف بالأقريطشى فافتتح منها حصناً واحداً ونزله ثم لم يزل يفتح شيئاً بعد شيء حتى لم يبقِ فيها من الروم أحداً وخرب حصونهم وذلك في سنة ٢١٠ في أيام المأمون، وقال غير البلاذرى فتحت أقريطش في أول أيام المأمون وقيل فتحت بعد ٢٥٠ على يد عمر بنُ شعيب المعروف بابن الغليظ وكان من أهل قرية بُطروح من عمل فحص البلوط من الأندلس وتوارثها عقبُه سنين كثيرة، وقال ابن يونس كان أول من افتتحها شعيب بن عمر بن عيسى وكان سمع يونس بن عبد الأعلى وغيره بمصر ثم ندب لفتحها فسار إليها حتى افتتحها وكانت من أعظم بلاد المسلمين نكاية على الروم إلى أن أناخ عليها تَغفور بن الفَقاس الدمستق في خلافة المطيع وتملك أرمانوس بن قُسطنطين في آخر جمادى الأولى سنة ٣٤٩ في اثنين وسبعين ألفاً منهم خمسة آلاف فارس ولم يزل محاصراً لها حتى فتحها عنوةً بالحرب والجوع في نصف المحرم سنة ٣٥٠ فقتل ونهب وسبى وأخذ صاحبَها عبد العزيز بن شعيب من ولد أبى حفص عمر بن عيسى الأندلسى وأمواله وبنى عمه وحمل ذلك كله إلى القسطنطينية وقيل إنه حمل إلى القسطنطينية من أموالها وسبى أهلها نحو من ثلاثمائة مركب وهدموا حجارة المدينة وألقوها في المينا الذي دخلت مراكبُهم فيه لئلا يدخل فيه بعدهم عدو وهي إلى الأن بيد الأفرنج، ونسب إليها بعض الرُواة منهم محمد بن عيسى أبو بكر الأقريطشى حدث

جبال ومعدن ذهب وأنهار وثمار، وهي اثنا عشر يوما في ستة أيام، وفي البحر الكبير جزيرة ترى على بعد في البحر فإذا قرب منها القاصد بعدت عنه وغابت، فإذ رجع إلى الموضع الذي كان فيه رآها كما كان يراها قبل، وقيل إن بها شجرا يطلع بطلوع الشمس ولا يزال طالعاً إلى نصف النهار ثم يعود إلى الانحطاط حتى تغيب الشمس، ويقول البحريون إن في ذلك البحر سمكة صغيرة يقال لها السائل إذا حملها الإنسان مع نفسه أبصر الجزيرة ولم تغب عنه ودخلها، وهذا شيء عجيب ظريف وجزيرة طاوراق، وهو ملك له أربعة الآف امرأة، ومن لم يكن له ذلك فليس بملك ويتفاخرون بكثرة الأولاد، وعندهم أشجار إذا أكلوا منها قووا على الباه قوة عجيبة وجزيرة السيارة، والبحريون مجموعون عليها، منهم من يذكر أنه رآها مرارا كثيرة وليس بمسكون فيها، وهي جزيرة فيها جبال وعمارة، فإذا هبت الريح من الغرب صارت إلى الشرق، وإذا ذهبت من الشرق صارت إلى الغرب، هذا دأبها ويقال إن حجارتها خفيفة يكون الحجر العظيم الذي وزنه عندنا قناطير يزن عدة أرطال وأقل من ذلك ويحمل الإنسان القطعة العظيمة من الجبل.

وذكر بعض اليهود لعنهم الله من أصحاب التجارات أن مركبهم انكسر بهم في بعض السنين، وأن البحر طرحهم إلى جزيرة ترابها وحجارتها وكل ما فيها ذهب، فأقاموا فيها أياماً لا يجدون غذاء غير السمك وهو مع كل ذلك قليل، فلما خافوا على أنفسهم التلف وكانوا مع ذلك سلم لهم زورق للمركب فجروه عندهم فأسقوه من ذلك الذهب وثقلوه بالطمع فوق ما يحمل، ثم دخلوا به البحر واجتهدوا في طلب النجاة فلم يسيروا به إلا يسيراً حتى عطب بهم الزورق وتلف الذهب ولم ينج منهم إلا بعضهم من أهل السباحة نحو مهب الريح من إلى الساحل وذكروا أن في جزائر الكافور قوما يأكلون الناس، ويأخذون رؤسهم فيجعلون فيها الكافور والطيب ويعلقونها في بيوتهم ويعبدونها، فإذا عزموا

بدمشق عن محمد بن القاسم المالكى روى عنه عبد الله بن محمد النسائى المؤدب قاله أبو القاسم. انظر ياقوت الحموى: (معجم البلدان).

علىأمر من الأمور أخذوا رأساً من تلك الرؤس، فكبروا له وسجدوا بين يديه، وسألوه عما يريدونه، فيخبرهم بكل ما سألوه عنه من خير وشر. وجزيرة النساء، وهذه الجزيرة في تخوم من الصين، وحكوا عنها أنه لم يسكنها إلا النساء، وأنهن يلقحن الريح ويلدون نساء، وقيل إنهن يلقحن من الريح وزعموا أن الذهب عروق عندهم مثل الخزران، وتربتها ذهب، وأنه وقع إليهن مرة رجل فهممن بقتله، فرحمته امرأة منهن وحملته على خشبة وسلمته في البحر فحملته الأمواج والرياح، حتى أتت به بلاد الصين فدخل إلى ملك الصين وعرفه حال الجزيرة، فوجه المراكب في طلبها، فطافت تطلبها ثلاثة أشهر فما وقعوا لها على خبر ولا أثر. وجزيرة ابن أسعلاق، فيها شخص مشوه لا يدرى ما هو، ذكر قوم أنه شيطان تجسد بين الجن والأنس، وزعم قوم أنه خلق بحرى مشوه مقارب لصورة الأنسان، وأنه يأكل من وقع إليه من الناس.

وفي خبر ذى القرنين: أن مراكبه وقعت إلى جزيرة بيضاء نقية ذات أنهار وأشجار وأثمار، وفيهم خلق على خلق الإنسان في الانتصاب، رؤوسهم مثل رؤوس السباع والكلاب، فلما دنوا منهم غابوا عن أبصارهم، وبوسط الجزيرة نهر شديد البياض بشاطئه شجرة عظيمة فيها من كل ثمرة طيبة لذيذة الطعم مشرقة بأنواع الألوان ورقها كالخلال كبراً وليناً وحسناً، والشجرة تسير بسير الشمس من الغد وإلى الزوال، فإذا زالت الشمس تقلصت وانحطت، بانحطاط الشمس، وغابت بعد نبتها، وثمرها أحلى من العسل وألين من الزبد، وورقها أطيب رائحة من المسك، فجمعوا من ورقها كثيرا ليحملوه إلى الإسكندر، فضربوا وظهرت عليهم أثار الضرب ولم يروا من يضربهم وصيح بهم: (ردوا ما قد أخذتم من هذه الشجرة ولا تتعرضوا لها فتهلكوا) فردوا ما كان أخذوه من ذلك وركبوا مركبهم وساروا ودخل الأسكندر جزيرة العباد فوجدها غفارا غير حشيش فيها وغدران ووجد فيها قوما قد نهكتهم العبادة وصاروا كالحمم من سواد الألوان، فوقف بهم وسلم عليهم فردوا عليه، فقال لهم ما عيشكم في بلادكم هذه ؟ فقالوا ما يأتينا من رزق من أسماك البحر وضروب الحشيش، وما نشربه

من ماء هذه الغدران، قال أفلا أنقلكم إلى موضع أخصب لكم من هذا المكان، فقالوا وما نصنع به إن عندنا في جزيرتنا هذه ما نغني به عن جميع العالم، ويكفيهم لو أنهم وصلوا إليه، قال: وما هو ؟ قال: فانطلقوا به إلى واد لهم يسرج من ألوان الدر والياقوت فوق ما تتوهم النفس، وأخرجوه من هناك إلى أرض واسعة كثيرة الفواكه فيها من أصناف الثمرات مالا يوجد مثله ببلد من البلدان، فقالوا له أتصل بنا إلى أكثر من هذا ؟ قال والله ولا إلى بعضه، فقالوا فهذا بين أيدينا فما نلتفت إلى شيء منه، وإنا لنؤثر الحشيش عن هذه الفواكه، فذهب أصحابه ليأخذوا من ذلك الجوهر شيئا فمنعهم، وودع القوم وانصرف إلى مركبه متعجباً منهم.

وحكي أنه ذكرت له جزيرة في البحر الأخضر فيها قوم حكماء فصار إليهم فرأى قوماً سرابيلهم ورق الشجر وبيوتهم الكهوف، وعليهم السكينة فسألهم عن مسائل من الحكمة فأجابوه فقال لهم سلونى ما أحببتم، فقالوا له إنا نسألك الخلد فقال أنى لى به، ولا أقدر على زيادة نفس واحد في أنفاسى ! فقالوا فعرّفنا بقية آجالنا، فقال أنا لا أعرف بقية أجلى، فكيف لى بمعرفة أجل غيرى! قالوا فامنحنا منحة تبقي لنا ما بقينا، فقال وهذا ما لا أبلغه لنفسى فكيف لغيرى ! قالوا فدعنا نطلب ذلك ممن يقدر عليه !

وجعل الناس منهم يتطاولون بالنظر إلى عساكر الإسكندر، وكان على شاطئ البحر رجل حداد لا يرفع بصره إليه، ولا إلى شيء من عساكره فعجب الإسكندر من ذلك فأقبل عليه وقال له ما منعك من النهوض إلى والنظر إلى عسكرى ؟ فقال له لا يعجبنى ملكك فأنظر إليه ! قال ولم ؟ قال إنى عاينت قبلك ملكا لا يبلغ ملكك ملكه، وكان في جوارى رجل مسكين لا يملك شيئا، فمات الملك والمسكين في يوم واحد، ودفنا في ناحية واحدة فكنت أتعاهدهما حتى بليت أكفانهما وبقيت رممهما، ثم اختلطا فجهدت أن أعرف الملك والمسكين فلم أقدر على ذلك، فهان على كل ملك بعد ذلك. قال فصناعتك تكفيك ؟ قال أنا أكسب بها ثلاثة دراهم كل يوم أنفق درهما وأقضى درهما

وأسلف درهماً، فالدرهم الذي أنفق هو مؤنتى ومؤنة عيالى والدرهم الذي أقضيه عما يلزمنى في كراء بيتى وموضع عملى، والدرهم الذي أسلفه هو الذي أنفقه على ولدى لينفقه على إذا كبرت قال أفلا تنفق ذلك على أصحابك ؟ قال هم لا يحتاجون إلى ذلك، وأنا لا أحتاج إليه، وإنما يحتاج إلى ذلك من لا ينصف عن نفسه، فأما من أنصف منها فلا يحتاج إلى شيء ! فعجب ذو القرنين من حكمهم وانصرف عنهم .

ذكر آدم عليه السلام وولده

أجمع أهل الأثر أن آدم عليه السلام خلق يوم الجمعة، لست خلون من نسيان وكساه الله لباساً من ظفره، وأسجد له ملائكته فسجدو إلا إبليس وكان ملكاً على الأرض يصعد إلى السماء متى شاء فأبى من السجود لآدم، وقال أنا كنت خليفتك على الأرض وهو من تراب كنت أطؤه، وأنا من نار وهو من طين، فلي عليه الفضل من كل جانب، وأفضله بالأجنحة التي أغشى بها أقطار الأرض في أقل من لمح البصر، فلما امتنع من السجود أبلسه الله ولعنه .

وخلق حواء[48] وألبسها لباسه واسكنها الجنة لثلاث ساعات مضت من ذلك اليوم وأباحهما جميع ما في الجنة الا الشجرة التي نهاهما عنها، وهي على قول أكثر أهل العلم البر، وكانت الحبة بقدر الأترجة فألقتهما الحية، وكانت من أحسن دواب الجنة، وكانت ذات قوائم. ولما رأى آدم ما أعطيه من الكرامة اشتاق إلى الخلود فطمع فيه إبليس، فاحتال حتى أدخله الجنة. فخاطب حواء فيها وقال: ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠)وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ(٢١)﴾ [الأعراف]، ولم يزل بـ حواء حتى أكلت من الشجرة وأطعمت منها لـ آدم فأكل، فلما أكلا منها

---

[48] في الإنجليزية تدعى حواء Eve قريب من ذلك بقية اللغات الأوروبية، Eveأو Eva هذه قال عنها (معجم أكسفورد) إنها من العبرية Havvah وتعنى أصلاً: الحياة أو الحيّة صفة من الحياة = عيش.

انكشف لباسهما عنهما إلى أطراف أصابعهما وبدت لهما سوآتهما، وهرب آدم في الجنة يميناً وشمالاً لا يدرى ما يصنع، فتعلقت به شجرة الأترج وحبسته بناصيته ومعه حواء، فطفقا يأخذان من ورق الجنة ويستتران بها فقال الله عز وجل قد جعلت هذه الشجرة غذاء لكما ولذريتكما، يعني الشجرة التي أكلا منها عاصيين فاهبطوا جميعا أنتما وابليس والحية فان بعضكم لبعض عدو.

ونزع الله من الحية قوائمها فهبطوا، فكان مقام آدم في الجنة مع حواء ثلاث ساعات، مقدار مائتين وخمسين سنة من أيام الدنيا، وهو ربع يوم من أيام الأخرة الذي هو ألف سنة.

فأهبط آدم على جبل سرنديب وعليه الورق المخصوف من الجنة، فلما جف الورق وذهبت رطوبته تقطع وسقط فنسفته الريح وطرحته إلى كل جهة فنبت منه بأرض الهند أنواع الطيب والأفاويه، والتمر الذي لا يوجد إلا هناك، وفيه العود ودواب المسك، وحوله أصناف اليواقيت والماس، وفي بحره مغايص اللؤلؤ.

وسمى الله آدم عبد الله وكناه أبا محمد وكان طويلاً جعد الشعر أحسن من خلق الله تعالى، فلما نزل إلى الأرض نقص من لونه وحسنه وطوله، وكان يتكلم بالعربية فحول الله عز وجل لسانه إلى السريانية[٤٩]، وانتزع منه ما علمه ثم رده الله سبحانه وتعالى بعد توبته إليه.

---

[٤٩] ينتمي السريان إلى الأراميين، وقد اعتنقوا المسيحية، وتعتبر مدينة الرها في منطقة الجزيرة إحدى أهم أمكنتهم الدينية والتاريخية، وصارت اللغة السريانية التي هي إحدى اللهجات الأرامية اللغة الفصحى لجميع الكنائس المسيحية والبابلية في جميع منطقة المشرق من خليج البصرة حتى سيناء، وكانت أيضا لغة القبائل العربية التي اعتنقت المسيحية كالناذرة. وتعتبر اللغة العربية شكلاً جديداً للغة الأرامية، وكانت السريانية أيضاً لغة الثقافة في الأمبراطورية الساسانية، ومازالت بقايا الطائفة النسطورية السريانية منتشرة في الهند وفي الصين، ويحتفظ المسيحيون هناك بوثائقهم الدينية السريانية، انظرد .سليمان إبراهيم العسكرى، مجلة العربي الكويتية، العدد ٥٦٤، نوفمبر ٢٠٠٥، ص١١.

وأهبط حواء على جدة[**] وبيدها قبضة من جوهر الجنة فتناثر منه من يدها شيء فكانت الجواهر منه، ونقص أيضاً من حسنها وبهائها وأهبط إبليس ومعه قبضة من النار وعصا من بعض شجر الجنة يقال إنه العوسج ويقال إنها كانت من آس الجنة، وهي التي صارت إلى موسى[٥١] عليه السلام وأنزل معه ثلاثين

[**] (جدة): مدينة صغيرة على ساحل البحر وهي فضة مكة، وليس يمكن بها السكن لازدحام الخلق بها في أيام الموسم الحاج لأنه يلتام إليها من جميع أطراف بلاد العالم والربع المسكون والبحر المعمور من ديار مصر والمغرب والهند واليمن. وإذا قل الماء على أهلها نقلوه من القرين من نصف الطريق ما بين مكة وجدة. وأهلها من نسل العجم وبناؤهم من الحجر الكاشور وخوص وكلها خانات. والخان المعروف بها خان البصر وهما خانان متقابلان بمخازن كبار. ويقال أنه بنى بظاهرها الأمير شمس الدين طنبغا خان كبير عظيم سنة ثلاث وعشرين وستمائة .و كل من بنى بها بيت خوص يزن للسلطان في كل بيت في السنة ثلاث دراهم ملية. وأما الدور التي هي بالحجر والجص فليس عليها شيء لأنها ملك لأصحابها وفي تصرب أربابها. ويقال إنّها سميت جدة إلا إنّها دفن بها أم البشر حوى عليها السلام فهي جدة جميع العالم فلما بنى هذا البلد عرف باسم جدة أي حوى زوج أبي البشر عليه السلام. ويقال إنّها سميت بلاد العرب جزيرة لأحاطة البحار والأنهار من أقطارها وأرجائها فصارت بلاد العرب جزيرة من جزائر العرب. انظر ابن المجاور: (تاريخ المستبصر).

[٥١] يذكر د .كمال سليمان الصليبى (خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، ص ٢١٥): (الأسم موسى (بالعبرية (مُوشيه) بالتصويت) هو اسم الفاعل من مشه، أي (انتشل)، أو (خلّص). والفعل هذا يقابله بالعربية مسا، أي " استخرج الأوساخ من فرج الناقة، أو البقرة أو غيرها من أنثى الحيوان ". ويقابله بالأرامية مشا (تصويتاً من مش ء) بمعنى " غسل، طهر ". وفي سفر الخروج شرح للسيب الذي أطلق هذا الاسم على موسى، وهو أن ابنة فرعون ذهبت إلى النهر لتغتسل، فوجدت طفلاً عبرانياً موضوعاً في سفط من البردى بين الحلفاء على جانب النهر، " فانتشلته من الماء "، ولذلك دعت اسمه موسى (الخروج ٢ :١٠). وعلماء اللغات السامية اليوم لا يقرون هذا الاشتقاق لاسم موسى، والاعتقاد السائد بينهم هو أن الاسم ما هو إلا اللفظة المصرية القديمة مس أو مسو، بمعنى ولد أو ابن، من الفعل مسى بمعنى ولد، أو تمخض . واللفظة هذه مشهودة في أسماء علم بالمصرية القديمة. ومنها أحمس وتحتمس، وهما من أسماء ملوك مصر المعروفين. وأنا أختلف مع هذا الرأى، إذ يبدو لى أن التفسير الذي تعطيه التوراة لاسم موسى هو الأقرب إلى الصحيح، وإن جاء هذا التفسير عن طريق قصّة مختلقة . لكن المُوحي به في التوراة هو أن الاسم

موشه هو نائب الفاعل من صيغة المجهول من الفعل مشه، بمعنى (المنتشل) أو (المخلص). أما أنا، فباعتقادى أن الاسم (موشه)، أي (موسى)، هو اسم الفاعل من صيغة المعلوم من الفعل (مشه)، بمعنى (المنتشل)، أو بالأحرى (المخلص). والفعل (مشه) لا يرد في نصوص التوراة إلا مرتين، الأولى في قصة " انتشال " موسى من الماء، والثانية في المزمور ١٨ :١٧ ـ ١٨ حيث يستعمل هذا الفعل بمعنى (نشل)، كمرادف للفعل نصل بمعنى " أنقذ، خلص " (قابل مع مفهوم التنصّل بالعربية) . وهذا هو المقطع من المزمور الذي يثبت هذا الترادف بين مشه (بشكل يمشني، أي ينشلني) ونصل (بشكل يصيلنى، أي " ينقذنى، يخلّصنى:

أرسل يهوه من العُلى فأخذنى:

نشلنى (يمشنى) من مياه كثيرة.

أنقذنى (يصيلنى) من عدوّى القوىّ

و من مبغضىّ، لأنهم أقوى منّى.

اسم موسى، إذا، يعنى (المنقذ) أو (المخلّص) . والأرجح أن هذا لم يكن اسم الرجل الذي أنقذ أو خلّص بنى إسرائيل العبرانيّين ولفيفهم من أرض مصرايم، بل لقبه). ويقول برستد في كتابه فجر الضمير إن موسى اسم مصرى، فهو ببساطة الكلمة المصرية موس Mose ومعناه طفل. وفي مادة موس يذكر (اللسان) : " وموسى اسم النبى، عربى معرّب، وهو (مو) أى: ماء و(سا) أي شجر، لأن التابوت الذي كان فيه وجد بين الماء والشجر فسمى به. وقيل: هو بالعبرانية (موسى) ومعناه الجذب لأنه جذب من الماء. قال الليث: واشتقاقه من الماء والساج، فـ المو = ماء، وسا = الشجر، لحال التابوت في الماء ". وهذا هو التفسير التقليدى لاسم موسى النبى. ويمكن الأستعانة بالعربية هنا في الجذر مسا الذي يفيد استخراج ماء الفحل، أو النطفة، أو الولد من رحم الناقة، وهو الأستدلال أو الجذب = المسو، المسى < موسى = المجذوب، المولود، الوليد ولعل هذا هو التفسير الصحيح لأصل الاسم (موسى). أما مسألة الماء (مو) والشجر (سا / شا) فهو تخريج بعيد القبول، خاصة إدخال المقطع الثانى (سا/شا) بمعنى شجر .على أن صلة اسم موسى بالماء في تفسيره قديمة وردت عند المؤرخ اليهودى (يوسفوس) الذي كان يرد على المؤرخ المصرى مانيثون في قوله إن اسم موسى الأصلى كان أسر سيف) Oserseph لاحظ علاقته بـ أزر < أوزيريس) فقال: " الاسم الحقيقى لـ (موسى) يعنى: المنقذ من الماء One saved out of the water لأن الماء يدعى مُوْ – ى mo – y عند المصريين . وقد علق الأستاذ " و.ج .وادل W .G .Waddell " على قول (يوسفوس) هذا بأن صلة اسم موسى بالماء صلة فرضية لا تقوم للنقد الفيلولوجى. أما ما ورد في العهد القديم (سفر الخروج، الأصحاح ٢

/آية: ١٠) من أن ابنة فرعون هي التي " دعت اسمه موسى وقالت إني انتشلته من الماء " (العبرية ماشه = mashah المنتشل من الماء) ". فتسمية موسى هنا ترجعها التوراة إلى انتشاله من الماء وأن المقطع الأول من اسمه مو معناه بالهيروغليفية الماء وفي رأينا أن موسى هو المقطع الثاني من الاسم وكانت تسبقه لفظة واز بمعنى البردى ويكون اسم موسى واز مس = ابن البردى. وهو يلفت النظر إلى المصرية (م س) أو (م س ى) التي تتردد في أسماء الفراعين بكثرة وافرة. وهذا الرأى نفسه نجده عند سيجموند فرويد في كتابه المشهور (موسى والتوحيد) وهو يستشهد باقتباس طويل من عالم المصريات المعروف بريستد Breasted الذي يؤكد فيه أن اسم موسى (Mose (s ببساطة هو الكلمة المصرية م س ms (mose) التي تعني: طفل child (أى: وليد) وهي اختصار لصيغة أسماء كاملة مثل: ب ت ح – م س (فتّاح ولد < ولد فتّاح < ولد فتاح) وهكذا: (أ م ن – م س) . ويستغرب فرويد من أن بريستد نسى: أح – م س (أحمس)، " رع - مس (رمسيس)، ت ح ت - مس (تحتمس) وهي أسماء مشهورة . والخلاصة أن م س ms هي " مُوْسى = mose " طفل، وليد، أما السين في أخر (mose(s فزائدة يونانية . فماذا عن العربية ؟ ......إنها في الجذر مشى، " المشاء: النماء والتناسل وكثرة الولد . (وقد سميت الماشية كذلك لكثرة ولدها، لا لأنها تمشى على أقدامها كما هو متوهم). وقد أمشى فلان أي ولد وكثر ولده. وامرأة ماشية: كثيرة الولد . قال النابغة الذبياني:

و كل فتى وإن أثرى وأمشى ستخلجه عن الدنيا المنون

أى أن كل إنسان مهما كثر ماله وولده سوف يحيق به الموت لا محالة. ويُقال إن فلاناً لذو مشاء وماشية، أي ذو ولد ومال ". وهناك استشهادات طويلة يُرجع إليها في (لسان العرب) ونحوه من المعاجم العربية تُثبت بشكل قاطع أن مشى (ومنها الشيمة - أي كيس الولد) في العربية تقابل نظيراتها في اللغات العروبية الأخرى مع تبادل الحروف التي أشرنا إليها ومنها حرف الكاف - فهي مك بذاتها "، فمن غير المعقول أن فرعون يسمح بتربية الطفل (موسى) وهو يعلم تماماً أنه من أبناء العبرانيين ويعلم أن زوال ملكه على أيدى أحدهم فيسمى الطفل بمعنى النقذ أو المخلّص ويقوم بتهذيبه وتعليمه لكى يخلّص بنى إسرائيل ويخرج بهم من مصر !!

إن الاسم موسى لا يعنى النقذ أو المخلّص بل مؤكد أن له معنى آخر. ونرى أنه إذا كانت تسمية موسى هنا ترجعها التوراة إلى إنتشاله من الماء وأن المقطع الأول من اسمه مو معناه في اللغة المصرية القديمة الماء وبالتالى فإن المقطع الثانى سا معناه في اللغة المصرية القديمة ابن فيكون الاسم موسى مصرياً خالصاً ويعنى ابن الماء لأنه وجد في الماء ويبدو أن هذا الاسم موسى قد دخل اللغة العبرية فيما بعد في الصيغة العبرية (مُوشيه بالتصويت) وهو اسم الفاعل من مشه، بمعنى المنقذ أو المخلّص باعتبار أن موسى كان المخلّص أو النقذ لبنى إسرائيل من بطش فرعون!

قضيباً من ثمار الجنة وجعلها إكليلاً على رأسه، منها عشرة ظاهرة القشور وهي: الجوز واللوز والبندق والفستق والخشخاش والبلوط والقسطل وجوز الهند والرمان والموز.

وعشرة لها نوى وهي الخوخ والمشمش والأجاص والتمر والزعور والغبيرا والقراصيا والشاه بلوط والنبق والمقل.

وعشرة لا قشور لها نوى وهي، التفاح والسفرجال والكمثرى والعنب والتوت والأترج والخرنوب والخيار والبطيخ والتبر.

وكان أول ما خلق الله تعالى في الأرض الكمثرى وتاب الله سبحانه وتعالى على آدم عليه السلام بعد مائة سنة: أتاه جبريل عليه السلام وعلمه الكلمات، وهي لا إله إلا أنت عملت سوءا فاغفر لى وأنت خير الغافرين، وقيل في طوله إنه كان يبلغ السماء فلما أهبط إلى الأرض ،جعل طوله مائتين وسبعين ذراعا، وعلم استخراج الحديد وسبكه وعمل الزبدة والمطرفة والكلاليب والمدية والآت الأرض وما يحتاج إليه من جميع الآلات، وعلم ما يأكله من دواب الأرض، وما يجتنبه وأمر بالمسير إلى مكة، وكان موضع قدمه عمرا وما بينهما مفاوز، وأتى جدة فوجد بها حواء تبكى فقال لها هذا عملك وقيل له إيت الكعبة فطفت بها، فمشى إليها فتلقته الملائكة بالأبطح فقالوا له حياك الله يا آدم، لقد طفنا قبلك هذا البيت بألفي عام ولسنا بأول من حجه وعلمه جبريل عليه السلام المناسك، وأنزلت عليه إحدى عشرون صحيفة، وفرض عليه الصلاة والزكاة والاغتسال من الجنابة والوضوء، وزرع، وحصد، وطحن، وخبز، ثم قيل هذا دأبك أنت وذريتك، فقال يا رب ما بلغت هذا إلا بشق النفس فقيل له هذا بخطيئتك.

وعوقبت حواء بعشر خصال، وجع العذرة، ووجع الولاة، وطول الحمل والحيض، وحزن الموت، وقناع الرأس، وملكة الرجال للنساء، وأن تكون تحت الرجل عند الجماع، والولولة عند المصيبة، ورقة القلب عند الحزن ـ جمع بين آدم وحواء بجمع وتعارفا وعوقب آدم بنقصان طوله، وتغير حسنه ، وخوفه من

السباع، وكانت تخافة، وحتم عليه وعلى ذريته بالموت، وحفظت عليه أعماله، وكلف النظر في رزقه والتعب فيه. وعوقبت الحية بقص جناحيها وعدم يديها ورجليها ومشيها على بطنها وشق لسانها، وخوفها من الناس وعدواتهم لها، وجعل من التراب غذاءها، وإن طلبت أن تقتل أخرجت للناس لسانها. وإن آدم غشي حواء فولدت له قابيل وتوأمته قليما، وكان كذلك يولد له توأمان في كل بطن. ثم ولدت له هابيل وتوأمته لبوذا فشغل قابيل بالحرث، وشغل هابيل برعي الغنم، ثم أمره أن يزوج هابيل من أخت قابيل فضربها وقال أنا أحق بأختي منه، فأمرهما أبوهما أن يقربا قربانا فأيهما تقبل قربانه كان أحق بأخت قابيل، فرضيا بذلك.

وقرب هابيل أسمن كبش كان عنده، وقرب قابيل من أرذل ما كان عنده من الغنم وكان ذلك بينهما يوم الجمعة، وجاءت النار إلى القربان، وأخذت الكبش الذي كان لـ هابيل، وحملته ولم تقبل قربان قابيل، فأغضبه ذلك وعزم على قتل أخيه بعد منصرفهما من منى، فلم يدر كيف يقتله فتصور له إبليس لعنه الله في صوره إنسان، وأخذ طائرا ففشخ رأسه بحجر فقتله، وحمله معه حتى غاب عن عينه فاغتفل قابيل هابيل حتى نام عند غنمه، وهي ترعى فحمل حجرا فطرحه على رأسه فقتله فأصبح من النادمين، وطال تحسر آدم عليه السلام على ابنه هابيل وعلى الجنة فأنزل الله تعالى له خيمة من خيام الجنة من ياقوتة حمراء وضعت مكان الكعبة ولمائتين وثلاثين سنة من مهبط آدم ولد له شيث وهو هبة الله وتوأمته، فتقول أصحاب التواريخ: إنه ولد له مائة وعشرون بطنا، وأمر آدم عليه السلام بكتب الصحف، وعلم اللغات كلها، وعلم الأسماء التي قهر بها الجان والشياطين وعلم حساب الأزمنة وسير الكواكب وسأل ربه أن يريه الدنيا وما يكون فيها من خير وشر، فمثلت له براً وبحراً فنظر إليها وإلى ملوكها وسكانها من ولده، وصور الأنبياء وما يكون في العالم ويدور فيه من خير وشر إلى انقضائه ولما كثر ولده وولد ولده بعثه الله إليهم وأمره أن يأمرهم بما أمره الله به وينهاهم عما نهاه عنه، ويقال إنه أرسل وهو ابن تسعمائة سنة

وسبعين سنة. ولما أراد الله سبحانه وتعالى أن يتوفاه أمره أن يسند وصيته إلى ابنه شيث ويعلمه جميع العلوم التي علم بها ففعل، وكان سبب وفاته عليه السلام أنه انصرف من الفلاحة مدعوكا فحم ومرض إحدى وعشرين يوماً والملائكة تختلف إليه. ويقال إنه اشتهي قطفاً من عنب الجنة فوجه بعض ولده يسأل له ذلك ممن لقيه من الملائكة، فلقيه جبريل عليه السلام فعزاه في أبيه وقال ارجع فإن أباك قد مات. وكان سنه يومئذ تسعمائة وثلاثين سنة، وقالوا تسعمائة وخمسين سنة بعد ما وهب لـ داود منها خمسين سنة وأتاه جبريل عليه السلام بكفن وحنوط من الجنة وعلم شيث كيف يغسله ويكفنه، وقيل هذه سنة لكم في موتاكم بعده، وحمل إلى غار الكنز في جبل أبي قبيس[٢٠] فدفن فيه، وكانت وفاته عليه السلام يوم الجمعة، ومات وولده وولد ولده أربعون ألف بيت ورفعت مع موته الخيمة الياقوت التي كانت بموضع الكعبة. وحزنت عليه حواء حزناً شديداً وبقيت بعده سنة ثم ماتت، عليه السلام والرحمة، وصلى عليها شيث ودفنها إلى جانب آدم صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين والمرسلين.

---

[٢٠](أبوقبيس): بلفظ التصغير كأنه تصغير قبس النار، وهو اسم الجبل المشرف على (مكة) وجهه إلى (قُعَيقِعانَ) ومكة بينهما أبو قُبيس من شرقيها وقعيقعان من غربيها. قيل: سمى باسم رجل من مَذْحِج كان يكنّى (أبا قبيس) لأنه أول من بنى فيه قبة. قال أبو المنذر هشام: (أبو قبيس) الجبل الذي بمكة كناه آدم عليه السلام بذلك حين اقتبس منه هذه النار التي بأيدى الناس إلى اليوم من مرختين نزلتا من السماء على أبى قبيسى فاحتكتا فأورّتا ناراً فاقتبس منهما آدم فلذلك المَرخُ إذا حُك أحدهما بالأخر خرجت منه النار، وكان في الجاهلية يسمى الأمين لأن الركن كان مستودعاً فيه أيام الطوفان وهو أحد الأخشبين. قال السيد على بضم العين وفتح اللام هما الأخشب الشرقى والأخشب الغربى هو المعروف بجبل الخط بضم الخاءِ المعجمة والخط من وادى إبراهيم، وذكر عبد الملك بن هشام أنه سُمى بابى قبيس بن شامخ وهو رجل من جرهم كان قد وشي بين عمرو بن مُضاض وبين ابنة عمه مَية فنذرت أن لا تكلمه وكان شديد الكلف بها فحَلف لأقتلن أبا قبيسي فهرب منه في الجبل المعروف به وانقطع خَبرُه فأما مات وإما تردى منه فسمى الجبل (أبا قُبيس) لذلك.

قابيل بن آدم عليه السلام

كان قابيل ولد آدم عليه السلام، وأول من عصا وقتل وكفر ولما قتل أخاه هرب عن ذلك الجبل بأخته وبنى قرية يقال لها خلوا وسكنها، وقابيل أول من عبد النار، وقيل إنه أشقى البرية وإن عليه نصف عذاب الخلق، وقيل إنه متى سفك دم بغير وجه حق كان شريكاً لصاحبه فيه.

شيث بن آدم بعثه الله إلى ولد أبيه وأنزل عليه سبعاً وعشرين صحيفة عليه وعلى أبيه، وأمره ببناء البيت هو وولده بالحجاز[٥٣]، وأمره بالحج والعمرة، وكان أول من اعتمر، وأمر بجهاد ولد قابيل إلا أنه لا يبرح بين تهامة ومكة. وولد الأنوش بن شيث عليها السلام وهو بكره ووصيه، ومن ولد أتركين ابن شيث يغوث[٥٤] ويعوق[٥٥] ونسر[٥٦] وسواع[٥٧] وود[٥٨]، فكان هؤلاء النفر قوماً

---

[٥٣] قال الأصمعي: سميت بذلك الحجاز لأنها احتجزت بالحرار الخمس منها حرة بني سليم وحرة واقم، ويقال احتجز الرجل بإزار أي شده على وسطه ومنه قيل حجزة السراويل وقول العامة حزة خطأ. وقال الخليل: لأنه فصل ما بين الغور والشام وبين البادية. وقال الجوهري: إنها حجزت بين نجد والغور. وقال أهل اليمن: مكة يمانية، والدليل على برهانه قول النبي (وقف على المتكا وقال: هذا شام وهذا يمن. وقال أهل الطائف: مكة تهامية لأن ما بين نجد وتهامة جبل يسمى الطود الأعظم فكل ما غرب منه فهو تهامة وما شرق فهو نجد. وقال أهل العراق: مكة أرض الحجاز. قال ابن المجاور: إنّ الطود الأعظم على هذا الوجه هو الحجاز بعينه لأنه حجز ما بين نجد وتهامة، ويقال إنه جبل متصل إلى اليمن. وديار العرب هي الحجاز التي تشتمل على مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها ونجد الحجاز المتصل بالبحرين.

و ليس في سائر الأقاليم أطيب منه ولا من جوه وهواه، كما قال:

إسكندرية دارى ... لو قـــر قرارى

لكن ليلى بنجد ... وبالحجاز نهارى

[٥٤] حدثنا الحسن بن عليل قال: حدثنا على بن الصباح قال: أخبرنا أبو المنذر قال: وأخبرني أبي قال: كان (ود) و(سواع) و(يغرث) و(يعوق) و(نسر) قوماً صالحين، ماتوا في شهر. فجزع عليهم ذوو أقاربهم. فقال رجل من بني قابيل: يا قوم! هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم، غير أني لا أقدر أن أجعل فيها أرواحاً ؟ قالوا: نعم! فنحت لهم خمسة أصنام على

صورهم ونصبها لهم. فكان الرجل يأتي أخاه وعمه وابن عمه، فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول. وعملت على عهد يردى بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث ابن آدم. ثم جاء قرن آخر، فعظموهم أشد من تعظيم القرن الأول. ثم جاء من بعدهم القرن فقالوا: ما عظم أولونا هؤلاء، إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله. فعبدوهم . وعظم أمرهم واشتد كفرهم . فبعث الله إليهم إدريس عليه السلام وهو أحنوخ بن يارد بن مهلاييل بن قينان نبياً فدعاهم فكذبوه، فرفعه الله إليه مكاناً علياً. ولم يزل أمرهم يشتد، فيما قال ابن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، حتى أدرك نوح بن لمك بن متوشلح بن أحنوخ . فبعثه الله نبياً، وهو يومئذ ابن أربعمائة وثمانين سنةً. فدعاهم إلى الله عز وجل في نبوته عشرين ومائة سنةٍ. فعصوه وكذبوه. فأمره الله أن يصنع الفلك. ففرغ منها وركبها وهو ابن ستمائة سنة. وغرق من غرق. ومكث بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة. فعلا الطوفان وطيق الأرض كلها. وكان بين آدم ونوحٍ ألفا سنةٍ ومائتا سنةٍ. فأهبط ماء الطوفان هذه الأصنام من جبل نوذٍ إلى الأرض. وجعل الماء يشتد جريه وعبابه من أرض إلى أرض حتى قذفها إلى أرض جدة. ثم نضب الماء وبقيت على الشط، فسفت الريح عليها حتى وارتها. وحدثنا الحسن بن عليلٍ قال: حدثنا على بن الصباح قال: قال لنا أبو المنذر هشام بن محمد: إذا كان معمولا من خشبٍ أو ذهب أو من فضة صورة إنسانٍ، فهو صنم ؛ وإذا كان من حجارةٍ، فهو وثن. ويقول جرجي زيدان: (و كان (ود) على صورةٍ رجل و(سواع) على صورة أمرأة و(يغوث) على صورة أسد و(يعوق) على صورة فرس و(نسر) على صورة نسر. وقد دفع (يغوث) عمرو بن لحى إلى أنعم بن عمرو المرادى من مذحج وكان بأكمة باليمن، يقال لها مذحج، وعبدته مذحج ومن والاها. ومما يظهر من روايات أهل الأخبار، أنه قد قد حدث نزاع على هذا الصنم بين بنى مراد الذين أرادوا أن يكون الصنم فيهم وسدنته لهم، وبين بنى أنعم الذين هربوا بصنمهم إلى بنى الحارث فأنجدوهم، وكانت بينهم وقعة الرَّزم في حوالى سنة ٦٢٣ م أي في السنة التي وقعت فيها معركة بدر، وكان بنى أنعم يحملون صنمهم معهم في المعارك. وفي ذلك يقول الشاعر:

وسار بنا يغوث إلى مراد   فناجزناهم قبل الصباح.

وقد ورد ذكر هذا الصنم في القرآن الكريم، على أنه من أصنام قوم نوح، ويذكر الأستاذ/ أحمد الدبش في كتابه (عورة نوح ولعنة كنعان وتلفيق الأصول، ص٨٦، بتصرف) : ”وما يؤكد قناعاتنا بأن قرية نوح كانت في جزيرة العرب، ماذكره القرآن الكريم في حديثه عن قوم هود، من أن نبيهم هود بُعث إليهم ليذكرهم بقوم نوح، قال تعالى: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩)﴾ [الأعراف]، والسؤال المطروح ههنا: إذا كان الموطن

الرئيسى لنوح وقومه هو العراق، فلماذا لم يشر القرآن إلى ذلك بصريح العبارة، إن الآيـة القرآنيـة التي خاطبت قوم هود وذكرتهم بنوح وقومه، قد خاطبتهم بما يعرفونـه مـن سـيرة نـوح وقومـه، وتحدثت عن مسـائل كانت منتشـرة بينهم، وهذا إن دل فإنه يدل على شيء واحد هو أنهم كـانوا قريبين منهم، ومازالوا يسمعون أخبارهم !! أي أن جزيـرة العـرب هـي الـتي احتضـنت تجربـة الطوفان "[^].

[٥] ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة نوح، آية رقم (٢٢). وقد كان هذا الصنم على رأى ابـن الكلبى بقرية يقال لها خَيْوان، تعبده همدان ومن والاها من اليمن. وقد نقل ياقوت عن أبى المنذر أن خيوان على بعد ليلتين مما يلى مكة. وقد ذكره الشاعر مالك بن نمط الهمدانى بقوله:

يريش الله في الدنيا ويبري　　　ولا يبري يعوق ولا يريش

[٦] ورد ذكره في القرآن الكريم أيضاً، عند ذكر أصنام قوم نوح. ويقول ابن الكلبى أن حميراً قـد اتخذته وعبدته بأرض يقال لها بَلْخَع . وقد دفعه عمرو بن لحي إلى مَعْد يكرب مـن ذى رُعـينْ، وقد عبدته حمير ومن والاها حتى هودَهم ذو نواس. وقد ذكر هذا الصنم الأخطل في شعره:

أما ودماء مائرات تخالها على قُنَّة العُزّى وبالنسر عندما.

وقد جاء في لسان العرب أن (نسر) اسم لصنم. ذكره الشاعر عبدالحق:

أما ودماء لا تزال كأنها　　　على قُنَّة العُزّى وبالنسر عندما.

[٧] يقول الكلبى عن (سواع): كان يُعبد بـ (رهـاط) مـن أرض ينبـع في أعـراض المدينـة وكانـت سدنتُه بنولحيان. ونفهم من اللسان إنه صنم كان لهمدان، أو لقوم نـوح، ثـم صـار لهـُذيل وكـان برهاط يحجون إليه، أي أن عبادته تواترت من نوح حتى زمن الجاهلية على رأى الأزهرى. وقـد ذكر رجل من العرب هُذيلا وهي عكف حول صنمها بقوله:

تراهم حول قيلهم عكوفا　　　كما عكفت هُذيل على سواع

تظل جنابه صرعى لديه　　　عتائر من ذخائر كـــل راع

وقد نسب بعض أهل الأخبار أن (غـاوى بـن ظـالم السـلمى) كـان عنـد الصـنم إذ أقبـل ثعلبـان يشتدان حتى تسنماه، فبالا عليه، قال:

أرب يبول الثعلبان برأسـه　　　لقد ذل من بالت عليه الثعالب

وكسره ولحق بالنبي .

[٨] (ود) أسم صنم لقبيلة كلب بدومة الجندل، وروى ياقوت عن ابـن حبيـب: (ود) كـان لبنـى وبرة وكان بدومة الجندل، ويقال أن عمرو بن لحى استقدمه مع ما استقدم مـن الأصـنام مـن شـط

صالحين، فلما ماتوا حزن عليهم أبناؤهم حزناً شديداً فتمثل لهم إبليس وصور لهم صورهم من المرمر، وجعلها في بيوتهم ليتذكروا بها ويتأنسوا ويخف حزنهم عليهم، فلما ملكوا ونشأ غيرهم صور عندهم إبليس أنها آلهة وأن آباءهم كان يعبدونها واستهواهم فعبدوها، وكان عمر شيث سبعمائة سنة واثنى عشرة سنة، وولد له وهو ابن مائة وخمسين سنة. وأوصى إلى ابنه قينان وقد كان علمه الصحف وبين له قسمة الأرض، وما يكون فيها، وأمره باقامة الصلاة وأيتاء الزكاة والحج، وبجهاد ولد قابيل ففعل ما أمره به أبوه، ومات قينان وله سبعمائة سنة وعشرون سنة، وأوصى إلى ابنه مهلايل ووصاه بما أوصاه به، كان عمر مهلايل ثمانمائة سنة وخمسة وسبعين سنة.

وأوصى إلى ابنه بوارد وعلمه الصحف وعلمه قسمة الأرض، وما يحدث في العالم ودفع إليه كتاب سر الملكوت الذي علمه وابيل الملك لـ آدم عليهما السلام وكانوا يتوارثونه مختوماً لا ينظرون فيه. وولد لـ بوادر وهو ابن مائة سنة ابنه خنوخ، ويقول بعض أهل التاريخ إنه تم للعالم في وقته ألفان وستمائة سنة وأربع سنين.

جدة وأتى تهامة ودفعه إلى عوف بن عذرة بن كلب بن قضاعة، فحمله هذا وأقرّه بدومة الجندل، وسمّى ابنه عبد (ود)، وجعل عامراً ابنه سادناً له، ولم تزل بنوه يسدنونه حتى جاء الإسلام وقيّض عبادته. ويصف مالك بن حارثة الكلبى (وداً) فيقول: كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال، قد دُبر عليه حُلّتان، مُتزر بحلة، مُرتد بأخرى، عليه سيف قد تقلّده وقد تنكّب قوساً، وبين يديه حربة فيها لواء، ووفضة فيها نبل.

وفي ود يقول الشاعر (النابغة الذبيانى):

حيّاك ودّ! فإنا لا يحل لنا لهو النساء، وإن الدين قد عزما

وقد ذكره القرآن الكريم في خبر نوح: ﴿وَقَالُواْ لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً (٢٣)﴾[نوح]، وكان الرسول قد أمر خالد بن الوليد بهدمه فحالت بينه وبين هدمه بنو عبد ود، فقاتلهم وهدمه وكسره، وكان فيمن قتل قَطَنُ بن شريح أحد بني عبد ود، فأقبلت أمه تقول:

يا جامعاً، جامعَ الأحشاءِ والكبد يا ليت أمك لم تولد ولم تلد.

وخنوخ هو إدريس النبي عليه السلام ونبأه الله تعالى وسمى إدريس لكثرة درسه لكتاب الله عزوجل، وسنن الدين وأنزل الله سبحانه وتعالى عليه ثلاثين صحيفة فكملت الصحف المنزلة يومئذ ثلاثين صحيفة، وعهد بوارد إلى خنوخ ورفع إليه وصية أبيه وعلمه العلوم التي كانت عنده ودفع إليه مصحف السر فلم يدفعه بعد شيث غير إدريس عليهما السلام. وفي بعض الأخبار أنه أول من كتب [من ولد] آدم عليه السلام. وقال آخرون إنه لم يخل قط جيل ولا أمة من الكتابة لأن إدريس بدت فيه النبوة وعلم عدة خطوط وأمر بجمع المصاحف وتركها في الهيكل وأمر بني آدم وغيرهم بدرسها، وفي بعض الأخبار أنهم كانوا يلبسون القمص من فاخر الحرير والخز وغيرهما من الملونات والمنسوجات بالذهب والمنظومات بالجوهر ويلبسون التيجان. وقد كانت حواء أمرت بالنسج والمغزل، فغزلت القطن والكتان والوبر ونسجت وكست أولادها، وقد لبس آدم عليه السلام من غزل حواء. ويقال إنه لما ولد إدريس عليه السلام ضعف أمر عبادة الأصنام من أولاد قابيل، وسقط عظيم من أصنامهم الذين كانوا يعبدونه ويعتكفون عليه ويذبحون، وكان ملكهم يومئذ يمحويل، فاجتمعوا إليه ليتداولوا فيما ظهر لهم، فجاءهم إبليس في صورة شيخ قد كثر شيبه، وكان الشيب عندهم عجيباً لأنهم لم يكونوا رأوه، إذ لم يكن قبل ذلك شيب ولا ظهر لهم إلا بعد نوح[٩] عليه السلام بعد الطوفان. وقيل أول من شاب إبراهيم عليه السلام،

---

[٩] يذكر الأستاذ/رؤوف أبو سعدة: (نُوح) في القرآن هي تعريب (نوح) في التوراة، التي تنطق في العبرية لا مداً بالواو وإنما مدا بالضم بعده فَتْح (نُو ـ وَح)، ومن هنا كتابتها بالإنجليزية Noah، وهي في العبرية من الفعل العبرى (ناح/ يَنُوح)، مشتقة على المصدر أو اسم الفعل، فهي (نوح) (نُو ـ وَح)، أما معانى هذا الفعل في العبرية فهى: البُقْياَ والتلبث ـ الدعة والسكون ـ الكف والتوقف ـ الراحة والاسترواح والتنعم وهو في العبرية والأرامية سواء، على أنك تستطيع أن ترد هذه المعانى جميعا إلى معنى الفعل الرئيسى، وهو البقيا والتلبث والمعنى الرئيسى للفعل هو أقدم معانيه، أي أسبقها وجودا، وقِدَمُ نوح على عبرية التوراة ـ وهو قِدَمٌ جد بعيد ـ يجعلك تُؤثر أخذ معنى اسمه من المعنى الرئيسى لهذا الفعل (ناحْ / يَنُوح) العبرى. ـ الأرامى أعنى تأخذه من البُقيا والتلبث، و(ناحْ) العبرى هو إما (نَاحَ) العربي من (النواح)، كما ظن بعض مفسرى

فقال يا رب ما هذا ؟ قال وقار، قال اللهم زدني وقارا. ويقال إنه أتاهم إبليس في صورة روحاني له جناحان، فقال لملكهم يمحويل إنه قد ولد الآن لـ مهلاييل ولد يكون عدوا للآلهة وعدوا للملك، وسبب فسادها ولذلك أصابكم ما أنتم به مشغولون، فقال يمحويل فهل تقدر على هلاكه ؟ قال سأحرص على ذلك. فوكل الله بـ إدريس ملائكة يحفظونه، فإذا أتاهم إبليس ومن معه من جنوده منعوهم منه وظهر في وقته كوكب من كواكب الذوائب أقام ظاهرا نيفا وثلاثين يوما، فجعله أبوه سالما الهيكل، وعلمه الصحف، وكان حريصاً على دراستها وعلى الصوم والصلاة حتى شب فنبأه الله عز وجل على رأس أربعين سنة، فأتاه ورابيل الملك يعلمه علم الفلك والكواكب وسعودها ونحوسها وصور الدرج والبروج وقيل إنه أول من نظر في النجوم بعد آدم عليه السلام. وفي التوارة أن إدريس عليه السلام أحسن خدمة الله فرفعه الله تعالى إليه. ولما رأى إدريس بنى قابيل في المعاصي وعبادة الأصنام سأل الله أن يرفعه إليه، وأن يطهره من خطاياه فأجابه إلى ذلك، وأوحى الله إليه أن يلازم الهيكل هو وشيعته أربعين يوما وأوصى إدريس إلى ابنه متوشلخ لأن الله أوحى إليه أن أجعل الوصية في

القرآن، ولم يوفقوا فيه، فليس في (ناحْ) العبرى من معاني (النُواحِ)، وإنما هو (نَاخَ) العربي بخاء منقوطة، من الأناخة والتَنوخ، أي التلبث والبقيا، وهو الصحيح، لأن هذا هو المعنى الرئيسى للفعل العبرى (ناحْ / يَنُوحُ)، تأخذه من أناخ / يُنيخ بنفس معناه: أناخَ بالمكان، أقَامَ، وأناخَ به البلاء، حل به ولَزِمَه، ومنه أناخ الجمل يعنى أبْركَه، والمُناخُ، محل الأقامة، والنَوْخَة مثله. (نُوح) إذن من النَوْخَة والأناخة، فهو النائخ المتنوخ، أي اللابث لا يريم . صار له علماً لطول مُكثه في قومه (ألف سنة إلاَ خمسين كما في التوراة وفي القرآن) وطول مُلاحاتهم له. وهذا هو التفسير القرآنى لمعنى (نُوح)، فسّره بالمرادف في مثل قوله عز وجل :﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ(١٤)﴾ [العنكبوت]، ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَهِ فَعَلَى اللَهِ تَوَكَلْتُ(٧١)﴾[يونس] ، ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِيَتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ(٧٧)﴾ [الصافات]، انظر: (من اعجاز القرآن)، جـ١، ص ٢٣٢، بتصرف.

ابنك متوشلخ فإني سأخرج من ظهره نبيا يرتضى فعله. فقيل إنه رفع إلى السماء السابعة، وقيل إنه كانت له قصة مع ملك الموت، وقد سأل الله أن يذيقه طعم الموت، ثم سأل الله أن يريه رضواناً ويدخله الجنة، ففعل. ولم يخرج من الجنة، ورفعه الله وهو ابن مائة وخمسين سنة. وأما متوشلخ فأقام مع أخوته وبني أخيه، أمام الهيكل يعبدون الله تعالى والنقباء السبعون معهم ولما رفع الله تعالى إدريس عليه السلام كثر الاختلاف بعده والتنازع وأشاع عليه إبليس أنه هلك، وأنه كان كاهنا أراد الصعود إلى الفلك فأحرق، وحزن عليه ولد آدم المتمسكون بدينه حزنا شديدا، وأظهر أن صنمهم الأكبر أهلكه فزاد في عبادة الأصنام وتحليتها والذبائح لها، وعملوا عيدا لم يبق أحد إلا حضره وكانت لهم يومئذ سبعة أصنام يغوث ويعوق ونسراً وودا وسواعاً ومزية وضمر، وسنذكرها عند ذكر المتعبدات.

وانقطع الوحي بعد إدريس عليه السلام، ومات أولئك النقباء، فكلما مات واحد منهم صور بنوه وأهله صورته في بيت لهم ليذكروه ويستغفروا له، وكان متوشلخ أراد فساد تلك الصور فامتنعوا عليه، فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه لمك، ومعنى لمك الجامع، وعهد إليه أبوه ودفع إليه الصحف والكتب المختومة التي كانت لـ إدريس عليه السلام، وكان عمر متوشلخ تسعمائة سنة. وانتقلت الوصية إلى لمك وهو أبو نوح عليهما السلام، وقد كان رأى أن ناراً أخرجت من فيه، فأحرقت العالم ورأى وقتاً آخر كأنه على شجرة في وسط بحر لا غير. ولما ولد له نوح عليه السلام ذكر العلماء والكهان ذلك لـ يمحويل الملك وعرفوه أن العالم يهلك في زمانه وأنه يكون طويل العمر. وقد كانوا رأوا أنه طوفان يغرق الأرض، فأمر يمحويل أن يبنيا له المعاقل على رؤوس الجبال، بنيانا عاليا ليتحصنوا بها، فعملوا منها سبعة معاقل بعدة الأصنام التي كانت لهم وعلى أسمائها، وزبروا عليها شيئاً من علومهم ويقال إن الملك عملها لنفسه خاصة. وكبر نوح عليه السلام فنبأه الله عز وجل وهو ابن خمسين سنة وأرسله إلى قومه، وكان من نعته أنه آدم رقيق البشرة، في رأسه طول، عظيم العينين رقيق

الساعدين والساقين، كثير لحم الفخذين طويل اللحية عريضها، طويل، جسيم وكان حيا بعد إدريس عليهما السلام، وهو من أهل العزم من الرسل. وفي بعض الأخبار أن عمره ألف ومائتين وخمسين سنة، وأنه لبث في قومه يدعوهم إلى الأيمان ألف سنة إلا خمسين عاماً كما قال الله تعالى، وقال من ينكر طول الأعمار على مذهب الفلاسفة أن حياته لبنيه، وكانت شريعته التوحيد والصلاة والصيام والحج ومجاهدة أعداء الله من ولد قابيل، وأمر بالحلال ونهي عن الحرام، ولم يكن فرضت عليه أحكام ولا مواريث ولا حدود، وأمر أن يدعو الناس إلى الله تعالى، ويحذرهم عذابه، ويذكرهم آلاءه. وعلى رأس مائتين سنة من عمره هلك يمحويل ملك الكفرة وملك بعده ابنه الدرمشيل، فشدد في عبادة الأصنام، وأعلى أمرها، وجمع الناس إليها، وأخذهم بالتعبد لها، فأظهر نوح عليه السلام دين الله عزوجل، وكان يدور [فى] محالهم وأسواقهم وهياكلهم يدعوهم إلى الله تعالى وكان يطوون ذلك عن مليكهم، ويزجرون مع ذلك نوحا ويهددونه، ويهولون عليه، إلى أن جلت قصته، وعظم أمره، وتحاماه الناس، وتخاطبوا في أمره، إلى أن اتصل ذلك لمليكهم فأحضره وانتهره، وتقدم إليه أن لا يعاود، ويقال إن الذي فعل هذا يمحويل، وإنه حبسه، وبعد ثلاث سنين من حبسه هلك يمحويل .

وولى الدرمشيل، فأخرجه من الحبس، وتقدم إليه أن ينتهي عن إفساد الدين وسب الآلهة ، فكان لكل صنم من أصنامهم الكبار عيد في وقت من أوقات السنة يحضرون وينحرون له ويطوفون به، فحضر عيد يغوث، فاجتمع الناس إليه من كل مكان، فأتاهم نوح عليه السلام، فقام في وسطهم وناداهم أن قولوا لا إله إلا الله، فوضعوا أصابعهم في آذانهم، وأدخلوا رؤوسهم تحت ثيابهم وسقطت الأصنام عند ندائه عن كراسيها، فوثبوا عليه فضربوه وشجوه ، حتى سقط على وجهه وسحبوه إلى قصر الملك حتى أدخلوه عليه، وكان في مجلس مزخرف بأنواع الألوان، وبدائع التصاوير والأصباغ، مفروش برفيع الحرير ،على سرير مصفح بالذهب، منظوم بالجوهر. فلما مثل بين يديه قال له: ألم أعهد

إليك وأنهك عن التعرض لشيء من أمور الآلهة ، و[أن] تدعوهم إلى ما لا يعروفونه، وزاد أمرك حتى سجدت الآلهة ، وألقيتها عن كراسيها، ومواضع شرفها وعزها؟ من علمك ذلك ؟ ومن أين وصل إليك ؟ فقال له نوح عليه السلام وهو مخضوب بدمائه: لو كانت آلهة لما سقطت، فاتق الله يا درمشيل، ولا تشرك بالله فإنه يراك ! فقال له الملك، فكيف قدرت أن تخاطبني بهذا الخطاب ! فأمر بحبسه إلى أن يحضر عيد الصنم الآخر، فيذبحه له تقربا به إليه، وأمر برد الأصنام على كراسيها. وأن الدرمشيل رأى رؤيا هالته في أمر نوح عليه السلام، فأمر بإخراجه وتخلية سبيله، وأخبرهم أنه مجنون لا حرج عليه، وكان في زمانه سويدين الكاهن فعرفهم بأمر الطوفان، وقرب زمانه، وكان يأمر بقتل نوح عليه السلام والله يعصمه منهم. فولد لـ نوح بعد خمسمائة سنة من عمره سام[1] وبعده حام وبعده يام وبعده يافث، وطال أمر نوح معهم فلم

---

[1] سام ... هل كان حقاً ابناً لنوح عليه السلام ؟!

يذكر الأستاذ/ أحمد الدبش في كتابه[1] (عورة نوح ولعنة كنعان وتلفيق الأصول)، ص١١٢ : " لم يكن لنوح غير ولد واحد وكان من المغرقين، قال تعالى: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ(٤٣)﴾ [هود]، فإذا كان للسيد سام وجود فلماذا لم يذكره القرآن ؟!

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا(٥٨)﴾ [مريم]، فلو كان لنوح أولاد لقال تعالى: [ومن ذرية نوح]، ولكنه قال: ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾. قد ينتقدنا البعض من شيوخ التسول على هذا التفسير، بقولهم أن القرآن الكريم قد ذكر أن لنوح أولاداً، غير الكافر لورود لفظ أهله في قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلا قَلِيلٌ(٤٠) ﴾ [هود]، وتعليقاً على ذلك أود أن أشير إلى أن المقصود من الأهل: ليس الأهل في النسب بل يشملهم ويشمل الأهل في العقيدة ممن عبر عنهم قوم نوح بالأراذل، ولم يشمل الزوجة الخائنة والولد بالنسب، ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ (٤٦)﴾ [هود]. أما ما قد روى عن رسولنا الكريم من أنه قال: سام أبو العرب، ويافث أبو الروم، وحام أبو الحبش،

فهو حديث أشك في نسبته إلى رسولنا الكريم. ويعلق على هذا الحديث د. الشمس بقوله: وقد روى الطبرى جملة أحاديث عنه في هذا المعنى. وقد لاحظت أنها كلها وردت من طريق "سعد بن أبى عروبة" عن "قتادة" عن "الحسن" عن "سمرة بن جندب"، وهي في الواقع حديث واحد، ولا يختلف إلا اختلافاً يسيراً في ترتيب الاسماء أو في لفظ أو لفظين. ومن هنا يجب أن يدرس هذا الحديث وكل الأحاديث المنسوبة إلى الرسول في هذا الباب دراسة وافية، لنرى مدى صحة نسبتها إلى الرسول، كما يجب دراسة ما نسب إلى "عبدالله بن عباس" أو غيره في هذا الشأن، فإن مثل هذه الدراسات تحيطنا علماً برأى المسلمين أيام الرسول وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى في نسبتهم إلى سام بن نوح، هذه المغالاة في النسب إلى جد خيالى. قد أوقعتهم في حرج وتناقض. فمن وجهة نظرى ووفق قناعاتى الشخصية أنه لا يوجد مما تركه لنا سكان شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، سواء في مجال الآثار أو المخلفات المادية، أو في مجال النقوش أو الشعر، ما يشير إلى اعتقادهم في نسبتهم إلى السيد سام بن نوح ".

فليس من المعقول أن يكون سام ابن نوح ولا يذكر لنا القرآن أو حتى رسولنا الكريم ذلك في حديثه !!

فلو كان سام حقاً ابناً لنوح لكان حديث الرسول الكريم على النحو التالى: (كان لنوح من الأبناء ثلاثة، سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الترك) !

ومسالة عدم ذكر رسولنا الكريم أن سام كان ابناً لنوح في حديثه فهذا يحيلنا أن نضع إحتمال أن يكون (سام) و(حام) و(يافث) كانوا من ضمن ركاب سفينة نوح !

وحيث إن إبراهيم عليه السلام يسمى (أبو الأنبياء)، فهذا يعنى أن نوح عليه السلام لم تكن له ذرية !

فلو كان (إبراهيم) حقاً من سلالة (سام) ابن نوح لأصبح في هذه الحالة (نوح) هو المسمى بـ (أبو الأنبياء) وليس إبراهيم بالطبع !!

و أخيراً نرى أن (سام) شخصية حقيقية بدليل وجود مواقع جغرافية تحمل اسمه وهي منطقة (الشام) في أقصى شمال جزيرة العرب، وكذلك منطقة (الشام) في شمال اليمن، ولكن ليس بالضرورة أن يكون سام ابناً لنوح !

لكن ... يبقى السؤال: هل كاتب الأسفار التوراتية كان يعلم أن سام وحام ويافث ليسوا أبناء نوح وتعمد أن يظهرهم على أنهم أبناءه ؟!!

الإجابة ببساطة: نعم، كان يعلم تماماً أن سام وحام ويافث ليسوا أبناء نوح؟!

فلماذا فعلها كاتب الأسفار التوراتية ؟

لكى نستطيع أن نفهم ما كان يدور في عقول كتبة الأسفار التوراتية يجب علينا أولاً فهم ما كانت تفكر فيه هذه العقول الشيطانية !!

إن كتبة الأسفار التوراتية كانوا يستخدمون طريقة عرض المشاهد السريعة المشهد تلو المشهد بحيث يجعلك تفهم تلقائياً ما يريد توصيله إليك ولكنه لا يذكر ذلك صراحة !

مثال على ذلك ما ذكرته التوراة (سفر التكوين/١٢) عن إبراهيم عليه السلام عند دخوله مصر: [١٣قُولِي إِنَّكِ أُخْتِي لِيَكُونَ لِي خَيْرٌ بِسَبَبِكِ وَتَحْيَا نَفْسِي مِنْ أَجْلِكِ.........١٦فَصَنَعَ إِلَى أَبْرَامَ خَيْراً بِسَبَبِهَا وَصَارَ لَهُ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَعَبِيدٌ وَإِمَاءٌ وَأُتُنٌ وَجِمَالٌ]. هنا لاحظ مشهد إبراهيم أثناء دخوله أرض مصر وهو يحاول الاستفادة من جمال زوجته ويطلب منها أن تقول أنها أخته !

و مشهد الخروج من مصر حيث تذكر التوراة أن أبرام (إبراهيم) زادت ثروته بسببها !

كاتب السفر التوراتي لم يذكر صراحة أن إبراهيم باع مراته وحصد ثمن ذلك ـ تنزّه أي نبى عن ذلك ـ ولكن النص واضح وصريح من تتابع المشاهد التي يعرضها كاتب السفر التوراتي !

من هذا المنطلق يجب أن نبحث في مشاهد وصف التوراة لحال ووضع الأنبياء لحظة الانفصال عن أقوامهم وخروجهم من أرضهم، ونبدأ بـ إبراهيم عليه السلام حيث خرج من أور الكلدانيين ولم يؤمن به سوى زوجته (سارة) وابن أخيه (لوط) !!!

هكذا ذكرت لنا التوراة ذلك في (سفر التكوين/١١): [٣١وَأَخَذَ تَارَحُ أَبْرَامَ ابْنَهُ وَلُوطاً بْنَ هَارَانَ ابْنَ ابْنِهِ وَسَارَايَ كَنَّتَهُ امْرَأَةَ أَبْرَامَ ابْنِهِ فَخَرَجُوا مَعاً مِنْ أُورِ الْكِلْدَانِيِّينَ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتُوا إِلَى حَارَانَ وَأَقَامُوا هُنَاكَ. ٣٢وَكَانَتْ أَيَّامُ تَارَحَ مِئَتَيْنِ وَخَمْسَ سِنِينَ. وَمَاتَ تَارَحُ فِي حَارَانَ]. وطبعاً وكما ذكرنا قام كتبة الأسفار التوراتية بحذف معجزة النار التي لم تحرق إبراهيم ولكنها كانت برداً وسلاماً عليه، كما حذفوا محاجته لعبادة الأصنام والنجوم ومحاجته للنمرود لأن هذا يعنى أن إبراهيم كان يعمل على نشر دعوة التوحيد والعمل على نشر الدين بين الناس وهذا بالطبع مالا يريده كتبة الأسفار التوراتية !!

فيدعي بالكذب أن إبراهيم عليه السلام ذهب إلى مصر لا من أجل رسالة التوحيد ونشر الدعوة بل ليبحث عن الطعام ذلك لأن الجوع إنتشر في الأرض !

و لم ينس المسعودى رحمه الله أن يذكر لنا أن ملك مصر أعطى إبراهيم سلة بها فطير وكعك !

ولا نعلم من أين أتى المسعودى بهذه الخرافات ولكن الواضح أنه كان ينقل من كتابات اليهود !

ويعود كاتب السفر التوراتي ويدعي بالكذب أن إبراهيم عليه السلام كان همه الأكبر هو جمع

المال حتى ولو كان ذلك من وراء جمال زوجته !!

أما موسى عليه السلام فقد خرج من مصر ومعه بنى (إسرائيل) !!

وأين الذين آمنوا بموسى ؟! لم يؤمن به سوى بنى (إسرائيل) فقط !!!!

هنا تفتق ذهن كاتب السفر التوراتى عن طريقة تجعل (إسرائيل) هو نفسه (يعقوب) عليه السلام وبالتالى يكون موسى عليه السلام لما خرج من مصر، يكون خروجه مع بنى إسرائيل (يعقوب) أي مع أهله وعشيرته فقط ولا يوجد من آمنوا به غيرهم !!! ... ..كيف؟!

وذلك عن طريق إطلاق خرافات تدعى أن اللقب (إسرائيل) حصل عليه (يعقوب) عليه السلام في بطولة أو معركة حربية أو لعب مصارعة مع الإله عندما تجسد له الإله في صورة بشرية !!

والجدير بالذكر أنه لا يوجد نص في القرآن الكريم أو في الحديث الشريف يوضح لنا أن إسرائيل كان لقبا للنبى يعقوب عليه السلام!!

ففي التنزيل: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا(٥٨)﴾ [مريم]، أي أن القرآن الكريم فصل ذرية إبراهيم عن ذرية إسرائيل والآية واضحة وصريحة، فكيف يكون (إسرائيل) من ذرية إبراهيم عليه السلام ؟!!

و قصة أن يعقوب اكتسب لقب إسرائيل جاءت نقلاً عن التوراة !!

تقول التوراة تكوين/٣٢: [٢٤فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. ٢٥وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. ٢٦وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». ٢٧فَسَأَلَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». ٢٨فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدِرْتَ». ٢٩وَسَأَلَهُ يَعْقُوبُ: «أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ». فَقَالَ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟» وَبَارَكَهُ هُنَاكَ. ٣٠فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «فَنِيئِيلَ» قَائِلاً: «لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهاً لِوَجْهٍ وَنُجِّيَتْ نَفْسِي»].

وهكذا حصل يعقوب على اسم (إسرائيل) بقوته وصراعه مع الرب ..!

فإذا كان الكاتب مجنون فأين العاقل الذي يقرأ هذا الكلام ويصدّقه ؟

الإله الذي يمنح البشر معجزات لينجّيهم من المهالك، ها هو كاتب السفر التوراتى يضعه في وضع العاجز حتى عن الدفاع عن نفسه أو منح نفسه معجزة لتنقذه من هذا الموقف المهين !

وهل يعقل أن يلعب الخالق مصارعة مع مخلوق ؟!

يؤمن به إلا نفر يسير من العالم، وقيل له أنؤمن بك، واتبعك الأرذلون، وقيل كانوا من أهل صنعته، وكان صلى الله عليه وسلم نجاراً، ومضت لهم ثلاثة قرون، قرن بعد قرن، ونوح عليه السلام يذكرهم ويدعوهم إلى الله تعالى فلا يزدادون إلا طغياناً وعتوا وتجبرا واستكباراً، وقتل من كان اتبعه فكان يدعوهم إلى الله سبحانه فأوحى الله إليه: ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ (٣٦)﴾ [هود] ، فحينئذ يئس منهم ودعا عليهم، فقال: ﴿رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً(٢٦)﴾ [نوح]، وأمر نوح عليه السلام بعمل السفينة وقد قطع الله عن قومه النسل، وكثر عليهم القحط، وقلت عمارتهم وكانوا يستعينون على عبادتهم بأصنامهم ولا تنفعهم .

وابتدأ نوح بعمل السفينة، أقام في قطع خشبها من الساج وفي عملها ثلاث سنين، ثم صنع المسامير وأعد كل ما يحتاج إليه ونصبها في رجب، وأمر أن يجعل طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسين ذراعا، وعمقها سبعين ذراعا. ويقال إنه لم يدر كيف يعملها فأتاه جبريل عليه السلام، وأمره أن يعملها على صورة الدجاجة وكانوا يهزؤون منه وهو يصنعها فيضحكون منه، ويرمونه بالحجارة وجعل بابها في جنبها، فأقامت بعد أن فرغ منها في البر سبعة أشهر إلى أن أخذ من أصحاب نوح الذين كانوا معه ثلاثة رجال فذبحوا الأصنام

وهل يعقل أن مخلوق يهزم الخالق في مصارعة ؟!

من هنا جعل كاتب السفر التوراتي سام وحام ويافث أبناءً لنوح، مع أنهم في الحقيقة كانوا من الذين آمنوا بنوح !

كاتب السفر التوراتي يريد أن يوضح لنا بطريقة غير مباشرة ـ كعادته دائماً ـ أن الأنبياء كلهم كانوا فشلة !

الأنبياء عاشوا وماتوا لم يفعلوا أي شيء من أجل نشر رسالة التوحيد والدعوة لدين الله ولم يؤمن بهم أحد سوى أبناءهم وزوجاتهم ـ مثلما الحال مع نوح ـ أو زوجته وابن أخيه مثلما الحال مع إبراهيم ـ أو أهله وعشيرته مثلما الحال مع موسى !

تقربا ليندفع عنهم القحط فيما زعموا، فحق عليهم العذاب .

وأمر نوح عليه السلام أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين من جميع الحيوان ، وكانت الطبقة السفلى للدواب والأنعام والوحوش، والثانية للطعام والشراب، والثالثة لهم وكانوا ثمانين نفساً نوح وبنوه عليه السلام سام وحام ويافث، وأهله وناسه، وحملت الملائكة تابوت آدم عليه السلام من خشب فيه جسده، وكان معهم في السفينة، وكان التابوت بتهامة، وكان معه في السفينة وركب معه المؤمنون من ولد أبيه وجده إدريس عليه السلام، فلما نزلوا من السفينة بنوا قرية وسموها سوق ثمانين، فهي اليوم تعرف بذلك هناك. ويقال أنه لما اتصل الخبر بـ درمشيل، أن نوحا قد ركب السفينة وحمل زاده قال وأين الماء الذي يحملهم ؟ فركب في عدة من أصحابه وسار إلى السفينة، وقد جمع على إحراقها، فنادى نوحا عليه السلام فاستجاب له، فقال وأين الماء الذي يحمل سفينتك ؟ قال هو يأتيك في مقامك هذا، فقال وهذا أعجب، إنك تقول إنه يكون في أرض يبس ماء غمر يحمل مثل هذه السفينة، انزل منها أنت ومن معك وإلا أحرقتكم أجمعين، فقال له نوح عليه السلام ما أكثر اغترارك بالله عزوجل، فعجل الايمان، واخلع أنداد الله تعالى تسلم وترشد، وإلا فالعذاب بين يديك. فهو في محاورته إذ أتاه من أخبره أن امرأة كانت تخبز في تنور لها، فنبع الماء منه، فقال وما عسي أن يكون من ماء نبع من تنور فقال له نوح عليه السلام ويحك إنه علامة السخط، وكذلك أوحى إلى ربي وآية ذلك أن الأرض تتخلخل من جميعها فأزل فرسك من موضعه، فإن الماء ينبع من تحت قوائمه، فأزال الملك فرسه من موضعه، فإذا الماء ينبع من تحت قوائمه، فسار إلى موضع آخر فكان كذلك، وعادت رسله تخبره أن الماء كثر وفار، فرجع إلى داره ليأخذ أهله وولده ويمضي إلى المعاقل التي كان عملها لنفسه وقيل إن علم الطوفان كان عندهم إلا أنه لم يأت وقته .

لما أراد الله تعالى وكان قد جعل في تلك المعاقل طعاماً، فأراد الصعود إلى الجبال، فإذا الصخور تنحط على رؤسهم من أعلى الجبل، وانفتحت أبواب

السماء بما لا يعلم قدره إلا الله تعالى من الماء، فساروا لا يدرون أين يتوجهون ويقال إنه كان الماء حارا منتنا ويقال إن يام بن نوح ممن سار إلى السفينة مع الدرمشيل، فناداه أبوه (يا بني اركب معنا، ولا تكن مع الكافرين، قال سآوى إلى جبل يعصمني من الماء) ـ مع الملك وأصحابه ـ قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) وقد كان رأى التنور يفور وقيل إن السفينة أقامت في الماء خمسين ومائة يوم، وقال قوم من أهل الأثر إنها أقامت أحد عشر شهراً، وقال آخرون كان الطوفان في رجب ووقفت على الجودى[61] في المحرم وفي التوارة أن الله

---

[61] يذكر الأستاذ /رؤوف أبو سعدة: الجودى هو اسم مُرسَى سفينة نوح في القرآن . وردت في القرآن مرة واحدة في قوله عز وجل: ﴿وَقِيلَ يَأرض ابْلَعِي مَآءَكِ وَيَسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَآءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(٤٤)﴾[هود]، والمعروف عند أهل الكتاب من سفر التكوين (تكوين ٨/٤) أن مُرسَى سفينة نوح هو أراراط: (و استقر الفُلْكُ في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراراط)، والعرب يسمون شاطئ النهر وناحية الجبل، الجُدُ وهي في العبرية ـ الأرامية (جاداه) ـ والهاء خاملة للوقف فقط ـ بنفس معناها، الجُدَّة ومنه اسم الميناء المعروف جُدَّة بالملكة العربية السعودية ويكون الجُودِى المنسوب الجُدِ، فهو المرسى ويكون معنى (استوت على الجودى) أن السفينة رست على مُرساها، دون تحديد لموقع، انظر: (من اعجاز القرآن)، ص ٢٣٤، بتصرف، لكن د .كمال الصليبى كان له رأى آخر!

إذ يذكر في كتابه (خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، ص٥٧): (وربما كانت مرتفعات جبل طُوَيْق تعرف في الأزمنة الغابرة باسم «ررط، نسبة إلى واحة هناك مازالت تعرف إلى اليوم باسم أراط (ءرط) . وجدير بالملاحظة أن مسافة الطريق من وادى نجران إلى جوار أراط .بجبل طُوَيْق تبلغ ٧٥٠ كيلومتراً تقريباً، ويلاحظ أيضاً أن سفر التكوين لا يتحدث عن (جبل أراراط) بالمفرد، بل عن (جبال أراراط) بالجمع . وجبل أراراط بأرمينية هو جبل واحد، وليس سلسلة من الجبال. أما جبل طُوَيْق بالجزيرة العربية، فهو ليس جبلا واحداً بل سلسلة من المرتفعات. وهو بالتالى (جبال) ـ بالعبرية هرري ـ كما جاء في سفر التكوين، وليس (جبلا) ـ بالعبرية (هر) بالمفرد. أما الأستاذ/أحمد الدبش فيذكر في كتابه (عورة نوح ولعنة كنعان وتلفيق الأصول، ص٩١، بتصرف): ''لفظة (أراراط) من الممكن أن يكون (أريويرات) أي أرض مقدسة، وهذا التفسير صحيح، فقد دعا نوحاً ربه أن ينزله منزلاً مباركاً، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ(٢٩)﴾ [المؤمنون]، و البركة والقداسة لاتوجد إلا في

تعالى آلى على نفسه أن لا يعذب أمة بعدها بالغرق وكان بين مهبط آدم عليه السلام وبين الطوفان وفور الماء أربعون يوماً، فأمر نوح أن تفتح أبواب السفينة، ثم أرسل الغراب لينظر له فمضى ولم يعد إليه، فدعا عليه أن يكون مباعداً، وأن يكون رزقه في الخوف. ثم أرسل الحمامة فرجعت وقد انصبغت رجلاها بالطين، فدعا لها أن تكون إلفا لبنى آدم ومنقارها ورجلاها مصبوغة من يومئذ، ولم تكن كذلك قبل، ثم أرسلها بعد أيام فرجعت وفي مناقرها ورقة خضراء من الزيتون، وقيل كانت من عشب الأرض. وفي التوراة أن الأرض جفت في سبعة وعشرين من الشهر الحادى عشر، ولما تغيب الماء ووقفت السفينة على الجودى أوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام أن يخرج من السفينة هو ومن معه، فأخرج البهائم والهوام. وقالوا هم الأسد أن يعبث في السفينة فصاح به نوح عليه السلام، فألقى الله الحمى في جسده، وأن النجو آذاهم فلطم الفيل فعطس خنزيراً، فالتقط ذلك النجو [فهو] يعيش منه، وأن الفأر آذاهم فلطم الأسد فعطس هراً. ونزل نوح عليه السلام من السفينة وبنوه سام وحام ويافث ويحطون، وهو الذي ولد له في السفينة، ولما خرجوا ليستقروا على الأرض بنوا قربة سموها سوق ثمانين فسكنوها، فقال لهم الله أكثروا واملأوا الأرض واعمروها فقد باركت فيكم، ورفعت اللعنة عن الأرض، وآذنت بركاتها وأخرج ثمرها وكلوا مما رزقناكم حلالاً طيباً، واجتنبوا الأوثان والميتة والدم ولحم الخنزير وما ذبح لغير الله، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ووجه نوح التابوت

أرضنا بلاد العرب، وفيها المكان المقدس الكعبة المشرفة، ويذهب الرحالة المؤرخ (ابن المجاور) في سفره الرائع (تأريخ المستبصر) إلى أن الجبل الذي رست عليه سفينة نوح، هو جبل السَعْتَرى بقوله : ''جبل على مقدار فرسخ وطريقه طول وعرض وسعة في إرتفاع وإنحطاط، وكل مايطلع فيه السَعْتَر من أوّله إلى آخره، وعلى ذروة هذا الجبل نجر سفينة نوح عليه السلام. حدثنى عبد الغنى بن أبى الفرج البغدادى، قال: هو نجر حديد يصح مقدار بيت كبير وكان العقب فيه أنه لما أرسى السفينة على هذا الجبل لأن ماء الطوفان كان قد علا على جميع ما خلقه الله تعالى مقدار سبعة عشر ذراعاً رمى الأنْجَر، وتعلق الأنجر في حجر من الجبل أبى أن يصعد معهم وغمر الريح قطعت السفينة الأحربة وبقى الأنجر والأحربة موضعه يُزار، وهو موضع فاضل''.

الذي فيه جسد آدم عليهما السلام إلى غار الكنز بمكة فدفن فيه. ولما كثر ولد نوح عليه السلام قسم الأرض بينهم، فدب إبليس إليهم ليرمي بينهم العداوة والبغضاء فقال لبني حام ويافث إن أباكم أعطى ساماً وولده خير الأرض ومنعكم منها وأعلاهم عليكم، ولم يزل بذلك فيهم حتى قتل بعضهم بعضاً.

فالآن نبدأ بذكر بني نوح عليه السلام وأنسابهم وتفرقهم في البلدان، وما ولد كل واحد منهم من الأمم، فنبدأ بذكر حام، وبعده بذكر يافث، وبعده بذكر يحطون، وبعده بذكر سام، متصلاً بالعرب والأنبياء صلوات الله عليهم اجمعين.

حام بن نوح عليه السلام

يقول أهل الأثر إن نوحاً عليه السلام دعا عليه بتشويه الوجه وسواده، وأن يكون ولده عبيداً لولد سام. فولد له بعد كنعان كوش، فكان أسود، فهم أن يقتل امرأته فمنعه سام، وذكره دعاء أبيه عليه فغضب، ونزع الشيطان بين الأخوة وحمل بعضهم على بعض، وكان آخر أمر حام أن هرب إلى مصر، وتفرق بنوه، ومضى على وجهه يؤم المغرب حتى انتهي إلى السوس الأقصى، إلى موضع يعرف اليوم بأصيلا، وهو آخر مرسى تبلغه مراكب البحر من نحو الأندلس إلى ناحية القبلة، وليس بعده للمراكب مذهب. فيقال إن بنيه اغتموا لمكانه، وندموا على تركه، فخرجوا على أثره يطلبونه في النواحي التي قصدها، فيقال إن منهم طوائف وقعت عليه، فكانوا معه إلى إن مات وقطنوا ذلك البلد وسكنوا به وهم أصناف السودان، فكل طائفة من ولده بلغت موضعاً في طلبه فانقطع خبره عنهم أقاموا بذلك الموضع وتناسلوا فيه، ولم يصل إليه إلا بنوه فقط. ولما مات حام خرج بعضهم من ذلك الموضع فأقاموا بمكان البربر، وكان عمر حام أربعمائة سنة واحدى وأربعين سنة، ولما مات دفنوه بنوه في صخرة منقوبة في جبل أصيلا .

ذكر كنعان بن حام

هو أكبر ولد حام وهو أول من غير دين نوح عليه السلام، وألقى العداوة بينه وبين بنى جده من الجبابرة والكنعانيين الذين كانوا بالشام[٦٢]، ويقال فراعنة مصر منهم، وجالوت منهم الذي قتله داود عليه السلام فهؤلاء العمالقة، لأن العمالقة هم من ولد حام، ومن هؤلاء الكنعانيون الذين قاتلهم موسى عليه السلام، ويوشع بن النون من بعده، وهم الذين عنى الله عز وجل بقوله ﴿قَالُوا يَامُوسَىَ إنّ فِيهَا قَوْماً جَبّارِينَ(٢٢)﴾[المائدة] وكانت خلقهم عظيمة. وفيما يقال إن كنعان الأصغر رتبهم في ناحية الشام والجزيرة ومن ولده فوسطن وصبرا ونهما وسمساوس، ومن ولده نبيط، والنبيط هو السواد وقيل سموا بذلك لأنهم استنبطوا الأرض وعمروها وكانوا اصحاب عمارة وتدبير، ومن ولد سودان بن كنعان أمم منهم الأشبان والزنج وأجناس كثيرة تناسلت بالمغرب نحو سبعين جنساً، وهم مختلفون في أفعالهم، ولهم ملوك. ومنهم أجناس يلبسون الجلود وهم عراة، ومنهم من يتزر بالحشيش، ومنهم قوم يعملون لرؤوسهم قروناً من

---

[٦٢] يذكر الأستاذ /أحمد عيد في كتابه (جغرافية التوراة في جزيرة الفراعنة، ص١٩): ''وجغرافيا: فإن المنطقة الشمالية لليمن تسعى الشام'' ولابد من الإشارة هنا إلى أن المقصود بالشام في كتابات الأخباريين والجغرافيين العرب، منطقة ما في جزيرة العرب. حددها لنا المؤرخ التاجر (ابن المجاور الدمشقي) في كتابه الشهير (تاريخ المستبصر) في رقعة واسعة من سواحل تهامة اليمن: أما تهامة، فإنها قطعة من اليمن، وهي جبال مشتبكة وكلها مشرف على بحر القلزم مما يلى غربيها، وشرقيها بناحية صعدة وحرض ونجران، وشماليها حدود مكة وجنوبيها من صنعاء على نحو عشر مراحل. وتسعى في عدن الشّام، وتسمى في المهجم اليمن، وتسمى عند آل عمران كوش وتسعى باللغة المعروفة زبيد. وقد أتى (ابن المجاور) على ذكر بعض أودية الشام هذه قائلاً: وفي أودية الشام وادى رماع ووادى الكدراء ووادى سردد ووادى مور وجميع هذه الأودية يقطع منها الخشب لأجل العمارة . ويستطرد (ابن المجاور) ليؤكد بما لايدع مجالاً للشك أن الشّام جزء لا يتجزأ من اليمن :وإلى هجر أربع فراسخ، ومن هنا إلى حران يُعرف بالدرّب . . ومن هذه الحدود إلى زبيد يسمون أهلها (الشّمة) لأن هذه الأعمال تسمى في زبيد الشّام''، انظر الأستاذ أحمد الدبش : (كنعان وملوك بنى إسرائيل في جزيرة العرب)، ص٤٠.

عظام الدواب، وعندهم فأر أبيض يأكلونه ويسمونه من السماء. ويتزوج الواحد منهم عشرة نسوة يبيت كل ليلة عند اثنتين منهن، فإن جامعهن على ما تحب وإلا طلقهن الملك بعد ثالثة، وربما اجدبوا، فإذا أرادوا أن يستسقوا جمعوا عظاماً فكوموها كالتل، ثم أضرموها بالنار، وداروا حولها ورفعوا أيديهم إلى السماء، وتكلموا بكلام فينزل المطر ويسقوا. فإذا أعرس أحدهم لطخوا وجهه بشيء يشبه الحبر، ثم أجلسوه على تل، وجلسوا على تل وأجلسوا المرأة بين يديه وجعلوا قصبا مثل القبة، وستروها بشيء من الحشيش، وأقاموا حولها ثلاثة أيام يشربون نبيذ الذرة ويلعبون، ثم ينصرفون ويأخذ الزوج امرأته ويسير بها إلى موضع سكناه، ويلبسون حلق النحاس في أيديهم وآذان نسائهم، ويحمل إليهم الكرداونية التي تصبغ بالحمرة يلبسونها ولا يلبسها منهم إلا الملك، ولهم شجرة عظيمة يعملون لها عيداً في كل سنة يجتمعون عندها، ويلعبون حولها حتى يسقط عليهم ورقها فيتبركون به ويزينون المرأة بحلق النحاس والودع في شعرها.

ومن ولد سودان الكركر وبهم سميت المملكة، التي هي أعظم ممالك السودان وأجلها قدراً، وكل ملك لهم يعطى ملك الكركر حق الطاعة، وتنسب إلى الكركر ممالك كثيرة .

ومملكة عانة[٦٣] وملكها أيضا عظيم الشأن، ويتصل ببلاد معادن الذهب وبها منهم أمم عظيمة، ولهم خط لا يجاوزه من صدر إليهم فإذا وصلوا إلى ذلك الخط جعلوا الأمتعة والأكسية علية وانصرفوا، فيأتون أولئك السودان، ومعهم الذهب فيتركونه عند الأمتعة وينصرفون، ويأتى أصحاب الأمتعة فإن أرضاهم وإلا عادوا ورجعوا فيعود السودان، فيزيدونهم حتى تتم المبايعة كما يفعل التجار الذين يبتاعون القرنفل من أهله سواء، وربما رجع التجار بعد رواحهم مختفين فوضعوا النيران في الأرض، فيسيل الذهب فتسرقه التجار .

ثم يهربون لأن الأرض كلها ذهب عندهم ومعدن ظاهر، وربما فطنوا لهم

---

[٦٣] (عانة) = (غانة)، يتعاقب حرفي (ع) و(غ) و(غانة) أو (غانا) دولة تقع في غرب أفريقيا وكانت تعرف قديماً باسم (ساحل الدهب) !

فيخرجون في آثارهم، فإن أدركوهم قتلوهم. وفي صحاريهم معادن الأشبار سسم ويكبر حتى يظهر مثل الحصى الظاهر في الرمل وكل ما يحصل للتجار من الذهب يضربونه بمدينة سجلماسة، وهي مدينة كبيرة فيها أربع جوامع وشارع يسار منه نصف يوم، وفيها نخيل كثير وفيها يضربون الدنانير .

وتحت يد ملك عانة عدة ملوك وممالك كلها فيها الذهب ظاهر على الأرض يستخرجه اهله، ويعملونه مثل اللبن. ومن الأجناس المشهور منهم ملك الدهدم يسار إليها من كركر على شاطئ البحر مغربا من هؤلاء ويحارب بعضهم بعضا، ويأكلون الناس، ولهم ملك كبير تحت يده ملوك، وفي بلدة قلعة عظيمة في صورة امرأة يتأهبون لها ويحجون إليها. ومملكة الزغاوة واسعة كبيرة، منها على النيل مما يحاذى النوبة، ويحاربون النوبة. ومملكة توان وهي كبيرة، ويسار فيها يوم واحد فيوجد فيها موميا في أبيار غير أنها تتحرك مثل الزئبق، وهذه البيار في بقعة واحدة مقدارها نصف ميل بنوا عليها حصناً وهم يستعملون المومياء. ويقال البقعة بمغرا من الصحراء، وممالك النوبة وهم من ولد نوبا بن قوط ابن مصر بن حام لأنهم لما صار جدهم إلى مصر مع مصر مات مصر وبقى بنوه فتولى أمره بعده قبطم وثبت القبط بمصر، وهو من أولاد قبطم بن مصر ، ووجه قبطم إخوته يسعون في البلاد لطلب ممالك وعيش، فخرج نوب بن قوط بأهله وولده وسار على عبر النيل فملكوا هنالك. ويقال لمدينتهم العظمى دنقله، وبلادهم بلاد نخل وزرع ومقدار اتساعها شهران، وهم نصارى على دين اليعقوبية. ويكون هؤلاء مملكة النوبة من ناحية الصعيد، وهم أوسع ملكاً وأعظم خطراً وأصفي لوناً، ومسيرة ملكهم ثلاثة أشهر ومدينتهم العظمى يقال لها دخلولة وهم أيضاً نصارى وملكهم جليل، ولهم لباس وأساورة والذهب وأيضاً عندهم يظهر على الأرض، ولهم أيضا نخل وكرم وهم أجناس كثيرة ولهم ملوك وبلدهم واسع .

مملكة البجة: وهي تلى النوبة وهي أيضاً ممالك عديدة، وهم بين النيل والبحر وفي كل مملكة ملك، فأول ممالك البجة من حد السودان وهي آخر عمل المسلمين، والمسلمون يعملون عندهم في المعادن، ووراء ذلك ممالك ومدن .

وتتصل بهم الحبشة[٦٤] وهم من ولد حبش بن كوش بن حام، وأكبر ممالكهم مملكة النجاشي وهو على دين النصراينة، واسم مدينتهم الكبرى كفر، ولم تزل العرب على قديم الأيام تأتي هذه المملكة للتجارات .

وتتصل بمملكة الحبشة مملكة الزنج، وهم على البحر المالح، ولهم ممالك واسعة، وهم من ولد سودان بن كنعان، ولهم أيضا ملوك عدة وممالك، واسم ملكهم الأكبر كوخه يكون بموضع يقال له نكد، وهو على البحر، يحدون أسنانهم حتى ترق، وهم كبار الأفواه نظاف الثغور على كثرة أكلهم السمك، ولهم أفيلة يبيعون أنيابها من تجار البلدان التي تقرب منهم، ولهم الجزائر التي يخرج منها الودع ويتحلون به، ويبيعونه، وهم أجناس كثيرة، ولهم ممالك. وأما الكوكة فهم أمة لهم أربعة أملاك ملكوا إلى أيلة الحجاز وبنى كل واحد منهم مدينة سماها باسمه، وجعلوا سائر الأرض خيماً، وقسموها على ثلاثين كورة مقسومة على أربعة أعمال لكل عمل ثمانون كورة، ولكل عمل ملك يجلس في مدينة على منبر من ذهب، وفي كل عمل بربا[٦٥] وهو بيت الحكمة ، وهيكل لأحد الكواكب وفيه أصنام ذهب مرتبة له .

وكانت الإسكندرية[٦٦] لهم واسمها راقودة وجعلوا لها خمسة عشر كورة وجعلوا

---

[٦٤] (الحبشة) أو (بلاد الحبش) ـ والأصل في التسمية يرجع إلى معبود عربي جنوبي نقله المهاجرون العرب من اليمن إلى تلك البلاد وهو المعبود (ح ب س) أو (ح ب ش).

[٦٥] (بربا) تعني بيت أو مكان كان يسمي بيت الروح أو الحكمة وهو مشتق من الكلمة المصرية القديمة بر ـ با، حيث أن (بر) بمعنى (بيت) وكلمة (با) بمعنى (الروح) ويمكن ترجمتها أيضاً البيت المقدس أو بيت الحكمة، وكانت البرابي تعتبر من الأماكن المقدسة أو الأماكن العلمية المحظور على العامة دخولها أو الاقتراب منها لأنها تحمل بداخلها أسراراً وأجهزة علمية فهي تشبه ما نعرفه اليوم بالمراكز العلمية السرية أو العسكرية والمفاعلات النووية ومحطات توليد الطاقة ... إلخ، من الأماكن التي يحظر على العامة دخولها أو الاقتراب منها. انظر هشام كمال عبدالحميد: (تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة)، ص ٢٨٨ .

[٦٦] قال ابن عُفير إن أول من بنى الاسكندرية جُبَير المؤتفكى وكان قد سَخَّر بها سبعين ألف بناءٍ وسبعين ألف مُخندِق وسبعين ألف مُقَنطر فعمرها في مائتى سنة وكتب على العمودين اللذين عند البقرات بالإسكندرية وهما أساطين نُحاس يُعرفان بالمِسَلتين أنا جُبير المؤتفكى عمرتُ هذه المدينة

في شدتي وقوتي حين لا شيبَةَ ولا هَرَم أضناني وكنزتُ أموالها في مَرَاجل جُبيرية وأطْبقتُه بطبق من نحاس وجعلتُه داخل البحر وهذان العمودان بالإسكندرية عند مسجد الرحمة، وروى أيضاً أنه كان مكتوباً عليهما بالحِمَيرية أنا شداد بن عاد الذي نصب العماد وجند الأجناد وسدّ بساعده الواد بنيتُ هذه الأعمدة في شدتي وقوتي إذ لا موتَ ولا شيب وكنزت كنزاً على البحر في خمسين ذراعاً لا تصل إليه إلا أمة هي آخر الأمم وهي أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ويقال إنما دعا جُبَيراً المؤتفكي إلى بنائها أنه وجد بالقرب منها في مغارة على شاطىء البحر تابوتاً من نحاس ففتحه فوجد فيه تابوتاً من فضة ففتحه فإذا فيه دُرج من حجر الماس ففتحه فإذا فيه مكحلة من ياقوتة حمراءَ بِروَدُها عِرق زبرجد أخضر فدَعا بعض غلمانه فكحل إحدى عَينيه بشيء مما كان في تلك المكحلة فعرف مواضع الكنوز ونظر إلى معادن الذهب ومغاص الدر فاستعان بذلك على بناء الإسكندرية وجعل فيها أساطين الذهب والفضة وأنواع الجواهر حتى إذا ارتفَعَ بناؤها مقدار ذراع أصبح وقد ساخ في الأرض فأعاده أيضاً فأصبح وقد ساخ فمكث على ذلك مائة سنة كلما ارتفع البناءُ ذراعاً أصبح سائخاً في الأرض فضاق ذرعاً بذلك وكان من أهل تلك الأرض راع يرعى على شاطىء البحر وكان يَفقِدُ في كل ليلة شاة من غنمه إلى أن أضر به ذلك فارتصد ليلة فبينما كان يرصُد فإذا بجارية قد خرجت من البحر كأجمل ما يكون من النساء فأخذت شاةً من غنمه فباشر إليها وأمسكها قبل أن تعود إلى البحر وقبض على شعرها فامتنعت عليه ساعة ثم قهرها وسار بها إلى منزله فأقامت عنده مدة لا تأكل إلا اليسير ثم واقعها فأنستَ به وبأهله وأحبتهم ثم حملت وولدت فازداد أُنسُها وأنسُهم بها فشكُوا إليها يوماً ما يقاسونه من تَهدم بنائهم وسيوخه كلما عَلوه وأنهم إذا خرجوا بالليل اختُطِفوا فعملَت لهم الطلسمات وصورت لهم الصوَرَ فاستقر البناءُ وتم أمر المدينة وأقام بها جُبَير المؤتفكي خمسمائة سنة ملكاً لا ينازعه أحد وهو الذي نصب العمودين اللذين بها ويسميان المسلتين وكان أنفذ في قَطعهما وحملهما إلى جبل بَرِيم الأحمر سبعمائة عامل فقطعوهما وحملوهما ونصبهما في مكانهما غلام يقال له قَطن بن جَاوُد المؤتفكي وكان أشد من رُؤى في الخلق فلما نصبهما على السرطَانين النحاس جعل بإزائها بقَرَات نحاس كتب عليها خبره وخبر المدينة وكيف بناها ومبلغ النفقة عليها والمدة . ثم غزاه رُومان بن تَمِيعَ الثمُودى فهزمه وقتل أصحابه قتلاً ذريعاً وأقام عموداً بالقرب منهما وكتب عليه أنا رومان الثمودى صنفت أصناف هذه المدينة وأسنان مدينة هرقل الملك بالدوام على الشهور والأعوام ما اختلق ابنَا سَمِير وبقيَت حصاة في ثُبير وأنا غَيرت كتاب جبير الشديد ونشرتُه بمناشير الحديد وستجدون قصتي ونَعتي في طرف العمود، فولد رومان بُزَيعاً فملك الإسكندرية بعده خمسين سنة لم يُحدث فيها شيئاً ملك بعده ابنه رحيب وهو الذي بنى الساطرون، بالإسكندرية وزبرَ على حجر منه: أنا رحيب بن بزيع الثمودى بنيتُ هذه البنية في قوتي وشدتي وعمرتها في أربعين

فيها كبار الكهنة ونصبوا في هياكلها من أصناف الذهب أكثر مما في غيرها، وكان بها مائة صنم من ذهب، وقسموا الصعيد ثمانون كورة على أربعة أقسام. وكان عدد [مدن] مصر الداخلة في كورها ثلاثين مدينة فيها جميع العجائب والكور مثل أخميم وقفط وقوص والفيوم .

ذكر يافث بن نوح

وأما ولد يافث بن نوح فقال أصحاب التاريخ أن جميع اللغات اثنان وسبعون لغة منها سبع وثلاثون في ولد يافث: وثلاث وعشرون في ولد حام، واثنتا عشرة في ولد سام، فذكروا أن ولد يافث من ظهره سبعة وثلاثون لكل واحد منهم لغة يتكلم بها هو ونسله. وكان في قسم ولد يافث أرمينية وما جاوزها إلى الأبواء، فمنهم الأشبان والروس والبرجمان والخرز والترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج وفارس ومزنان وأصحاب جزائر البحر والصين والبغار وأمم لا تحصى.

ذكر يأجوج ومأجوج

فأما يأجوج ومأجوج فإنه لا يقدر على استقصاء ذكرهم لكثرة عددهم، وقد زعم أن مقدار ربع الأرض مسيرة مائة وعشرين سنة، فذكروا أن تسعين منها ليأجوج ومأجوج واثنى عشر للسودان، وثمانية للروم، وثلاثة للعرب، وسبعة لبقية الأمم. وسمى أصحاب التاريخ يأجوج ومأجوج أربعين أمة مختلفي الخلق والقدود، في كل أمة منها ملك ولهم زى ولغة، فمنهم من طوله الشبر والشبران وأطول من ذلك، ومنهم المشوهون، ومن يفترش إحدى أذنيه ويتغطى بالأخرى،

سنة على رأس ست وتسعين سنة من ملكي وولد رحيب مُرةَ وولد مُرة مَوهِباً ملك بعد أبيه مائتي سنة وغزا أنيس بن مَعدى كربَ العادى موهباً بالإسكندرية وملكها بعده ثم ملكها بعده يَعمُر بن شداد بن جَناد بن صياد بن شِعران بن مَياد بن شَمز بن بَرغَش فغَزَاه ذُفافة بن معاوية بن بكر العمليقى فقَتَلَ يَعمُرَ وملك الإسكندرية وهو أول من سمى فِرعَون بمصر وهو الذي وهب هاجر أمَ إسماعيل عليه السلام إلى إبراهيم عليه السلام . انظر ياقوت الحموى: (معجم البلدان).

ومن له ذنب وقرن وأنياب بارزة، ومنهم من مشيه وثب ويأكلون الحيتان والناس والخشاش والطير كله والرخم والحدأة، وبعضهم يغير على بعض، ومنهم من لا يتكلم إلا همهمة وفيهم شدة وبأس، وأكثر طعامهم الصيد، وكانوا يغيرون على الأمم التي تليهم ويخربون بلدانهم، حتى عمل ذو القرنين السد وهم يستفتحونه آخر الزمان كما قال الله عزوجل، وربما أكل بعضهم بعضاً، والزلازل عندهم كثيرة، وذكر أن عندهم أمم تعرف المناسك. وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن يأجوج ومأجوج هل بلغتهم دعوتك ؟ فقال: "جزت ليلة أسرى بى عليهم فدعوتهم فلم يستجيبوا".

ذكر الصقالبة

وأما الصقالبة فهم عدة أمم، فمنهم النصارى، و[من] يقولون بالمجوسية[٦٧] ويعبدون الشمس، ولهم بحر حلو يجرى من ناحية الشمال إلى الجنوب، ولهم أيضا بحر يجرى من المشرق إلى المغرب حتى يتصل ببحر آخر يجئ من ناحية البلغر، ولهم أنهار كثيرة، وهم كلهم في ناحية الشمال، وليس لهم بحر مالح لأن بلدهم بعيد عن الشمس، فماؤهم حلو، وما قرب من الشمس مالح، وما جاوزهم من الشمال لا يسكن لبرده وكثرة زلازلة، وأكثر قبائلهم مجوس يحرقون أنفسهم بالنار ويتعبدون لها، ولهم مدن كثيرة وبلاد، ولهم كنائس فيها أجراس معلقة يضربونها كالنواقيس. ومنهم أمة بين الصقالبة والأفرنج على دين الصابئين، يقولون بعبادة الكواكب، ولهم عقول وصناعات لطيفة من كل فن، وهم يحاربون الصقالبة وبرجان والترك، ولهم سبع أعياد في السنة بأسماء الكواكب، وأجلها عندهم عيد الشمس .

---

[٦٧] كلمة (مجوس) تعنى عبدة النار، لكن المعنى الأصلى هو: العظيم، الكبير، الكاهن، الحكيم، أى: العارف (من الجذر = mg عظيم، كبير، في الفارسية واليونانية وكل اللغات العروبية كذلك . وفي الإنجليزية) magic (سحر) magician ساحر) ولكن المعنى الأصلى: عالم، عارف، كاهن)، انظر د .على فهمى خشيم: (آلهة مصر العربية)، المجلد الثانى، ص ٧٩٦.

ذكر اليونانيين

وأما اليونانيون فهم الروم الأولى من ولد يونان بن يافث بن نوح وهم حكماء الأمم، ولهم النجامة، والحساب، والهندسة، والطب، وصناعات المنطق، والصناعات اللطيفة، وكل حكم مذكور، وكانت الأندلس والإسكندرية ومن جاورهم من الأمم يدينون بطاعتهم إلى أن غلب عليهم رومى بن ديقطون من ولد عيصو بن إسحاق بن ابراهيم عليهما السلام، لأن عيصو لما فارق أخاه يعقوب سار إلى العدوة القريبة، وهي مساكن الروم اليوم فغلب عليها، وهم الذين بنوا رومية وإليهم تنسب وهم بنو الأصفر. وكان آخر ملوك اليونانين ايلاوبطره بنت بطليموس صاحب كتاب الحكمة والطلسمات[٦٨]، ثم رجع الملك إلى الروم، وقد

---

[٦٨] (طلسمات): مفردها (طلسم)، و(الطلسم) علم جليل يشبه العلوم الطبيعية وهو يبنى على التفاعل بين الأجرام السماوية والقوابل الأرضية فهو العلم بآثار خاصة صادرة عن الأجرام السماوية إذا تصورت بشكل مخصوص حسب سيرها واتصالاتها والعلم بتهيئة المواد القابلة لجذب تلك الآثار النجومية في الوقت الذي تصورت فيه تلك الأجرام بهيئة خاصة مع وجود الشروط التي تهيئ المادة من القبول ومجانبة الموانع، تكون عن ذلك آثار غريبة حسية أو معنوية خاصة أو عامة خارقة للعادة. وقد عرفه بعضهم بأنه علم بأحوال ممازجة القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية للتمكن من إظهار ما يخالف العادة والمنع مما يوافقها. وعرفه آخرون بأنه علم مادته الفلك وأنواع المولدات وصورته الهياكل وغايته محاكاة الطبيعة الأصلية قهراً بنسب عددية وأسرار فلكية وقالوا إن موضوعه روح في جسد بمعنى أن الأثر الصادر عن النجوم بمنزلة الروح والمواد المهيئة القابلة بمنزلة الجسد فينشأ عن ذلك ما يشابه الطبيعيات أو الأصل في المواد القابلة الصور والنقوش والتماثيل التي لها اتصال في حدوث الأثر المطلوب، تتخذ من معدن أو غيره على طبيعة النجم المؤثر. ومن هنا يصح قول البعض بجواز أن يكون الطلسم من وضع بعض الأنبياء بوحى عن الله عز وجل حيث لا بخورات ولا ابتهالات للكواكب أو غير ذلك إظهاراً للمعجزات قبل أن يسبق للناس علم ذلك، لأن الأحوال الفلكية وتأثيراتها في المواد القابلة مما لا يستطيع الإنسان معرفته إلا بوحى، وبعد ذلك يمكن لبعض الناس الاختراع والابتكار على ضوء ما وضعه الأنبياء من قواعد ونتائج كما حصل في علم الطب وقد كان ذلك في الطلسم أيضاً. انظر محمد أحمد مصطفى: (المؤثرات الخفية في العلوم الروحانية)، ص ١٨-١٩. وعمل الطلسم يعتمد على المواد المصنع منها الطلسم وأوضاع الفلك النجوم والكواكب، وأوقات معينة يتم فيها تصنيع

كـان ملـك قبلـهما مـنهم كـثير. ومـنهم الحكمـاء الـذين تكلمـوا في علـم الفلـك والهندسة والطب والحساب والموسـيقى والمرائـى العجيبـة والطلسـمات والحيـل والروحانية وكل حكمة. وكان أبقـراط مـنهم وأبقـراط الثـانى وهـرمس[٦٩] وسـقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وإقليدس وجالينوس وجماعة يطول الكتاب بذكرهم .

الطلسم ووضعه في مكانه، بالإضـافة إلى شـرط عـدم وجـود موانـع، أي معوقـات، تشـوش علـى استقبال وإرسال القوى التي يستقبلها أو يرسلها الطلسم والتي نسميها المشوشات أو التـأثير علـى الإرسال سـواء أكـان ذلـك بأشـياء طبيعيـة كوجـود البقـع الشمسـية والأمطـار والسحب والرياح والأعاصير ... إلخ، أو بأشياء طبيعية (صناعية) كأجهزة التشويش الـرادارى. انظر هشـام كمـال عبدالحميد: (تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة)، ص ٢٥٢ .

[٦٩] (هرمس) هو النطق الأجنبى للقب المصرى (حرمس) ... فماذا يعنـى هـذا اللقـب في اللغـة المصرية القديمة ؟!

يذكر د .على فهمى خشـيم في كتابـه (آلهـة مصـر العربيـة، المجلـد الأول، ص٣٧٥) : " في أثناء مناقشته لموضوع العلاقات اللغوية والدينية بين مصر والجزيرة العربية تعرض الدكتور أحمـد فخرى (دراسـات في تاريخ الشرق القديم، صـفحة ١٣٩ـ١٤١) لــ حـورس باعتبـاره اسمـاً غريبـاً (كذا!) على اللغة المصرية. " ولكنه موجود في اللغة (السامية) وبعبارة أدق في اللغة العربية " ـ كما قال، ثم نقل ما يقوله الدميرى عن ابن سيده في (حياة الحيوان): " الحُرّ: طائر صغير أنمـر أصقع، قصير الذنب عظيم المنكبين والرأس، وقيل إنه يضرب إلى الخضرة، وهو يصيد ". وذلـك تفريقاً له عن (الصقر) الذي هو كلمة عامة لكل طير يصيد من البازى والشواهين. أما ابـن منظـور في (لسان العرب) فقد نقل ما أورده الدميرى وأضـاف أن (الحُرّ: هـو الصـقر) ـ كمـا قـال ابـن الأعرابى. في المصرية يفيد الجذر (ح ر) معان كثيرة مرتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً: h r ح ر: على، فوق. h r y ح ر ى: الأعلى h r w .حْ ر و: الأجزاء العليـا، قمـة. h r t ح رت: سمـاء. h r ح ر: وجه (قارن العربية: حر الوجه، ما ارتفع منه / الوجنة) والأصل: ح ر = (طائر) الحر = المرتفع، المتسامى، المحلق في الجو عالياً. ومن الجائز جداً مقابلته بالعربية (حَوّ) بمعنى دار وحلّق في الفضـاء، أي (حوّم)، وفي ظننا أيضاً أن كلمة (حُرّية) في العربية إنمـا ترجـع إلى هـذا فهي مجموع معـانى الأنطـلاق والسـمو والأرتفـاع عـن المعوقـات، شـأن طـائر (الحـرّ) في سمـائـه العريضة ". ويذكر د .على فهمى خشيم في كتابه (آلهـة مصـر العربيـة، المجلـد١، ص٢١٢): " أن مادة (ح ر) في المصرية تفيد الأرتفاع والعلّو. قارن مادة (حرر) العربيـة: (حُـر) الوجـه مـا ارتفع منه = الوجنتان. وهي تعني: الرأس، القمة = الرئيس " .

ذكر الصين

وقطع قوم من بنى عامر بن يافث إلى ناحية الصين، وكان زعيمهم قد عمد إلى مراكب على حكاية سفينة جده نوح عليه السلام فركب هو وأهله وولده فيها، وقطع البحر إلى الصين، فعمروه وبنوا المدن وعملوا الحكم ودقاق الصناعات ولطيفها، وأثاروا معادن الذهب فيها، وملكوا ثلاثمائة سنة، وملك بعده ابنه صاني مائتي سنة، وبه سمي الصين، فجعل جسد أبيه في تمثال ذهب، وأقاموا يطوفون به وهو على سرير من ذهب، فصار ذلك رسم كل ملك يملكهم، وصوروا صورهم في هياكلهم، وهم على دين الصابئين[٧٠] ثم عبدوا

---

[٧٠] جاء ذكر الصابئة في القرآن الكريم ثلاث مرات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ(٦٢)﴾ [البقرة]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الأخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُون(٦٩)﴾[المائدة]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ(١٧)﴾[الحج]، وعن أصلهم توجد عدة آراء :ففي شذرات الذهب لعبد الحى بن أحمد بن العماد الحنبلى في ترجمة أبى اسحق الصابئى ما نصه: الصابئى نسبة إلى صابئ بن متوشلح بن إدريس عليه السلام ,وكان على الحنيفية الأولى. وقيل الصابئ ابن ماوى. وقيل ملة إدريس عليه السلام هي الصابئة وهي توحيد الله تعالى والطهارة والصوم. فقد كان يصومون ثلاثين يوما متفرقة في السنة. وكانوا يتشددون في الطهارة. فكانوا يتحرجون من ملامسة غير الصابئين ويتطهرون إذا لمسوا غريباً في أثناء عبادتهم. وكانوا يبنون مساكنهم بالقرب من الأنهار لحاجاتهم الدائمة إلى التطهر بالماء لذلك أطلق عليهم اسم الصابئين أي السابحين. فإن ملامسة الغريب في اثناء العبادة توجب عليهم الأغتسال والسبح في الماء . ويقال إنهم آل بيت إدريس عليه السلام، ظلوا على الحنيفية، ولما طال الأمد بعد رفع إدريس ودخلت الوثنية في الديانة المصرية القديمة رحل الصابئون عن مصر، وانتشروا على قلتهم في الشام والعراق. وبعضهم رحل إلى الحجاز وكانوا يكتمون كتابهم المقدس وسموه (كنزة) وكانوا يباشرون شعائرهم الدينية في الخفاء. ويقول الامام أبو حنيفة (تفسير الألوسى ـ روح المعانى ـ جـ١ .، ص٢٧٩): إنهم ليسوا بعبدة أوثان وإنما يعظمون النجوم ويصلّون إلى الكعبة، واسم الصابئة من صبأ أي خرج أو من الأشارة بالأصبع (صبأ = صبع) إلى الدلالة على النجم، ثم المعرفة، والعلم، أو من صبا بمعنى مال لخروجهم عن الدين وميلهم إلى الباطل. وفي كتاب الملل والنحل للشهرستانى أنهم كانوا يقولون، إنا نحتاج في

معرفة الله تعالى ومعرفة طاعته وأمره وأحكامه إلى متوسط روحانى لا جسمانى، ومدار مذهبهم التعصب للروحانيات. ولما لم يتيسر لهم التقرب إليها بذاتها فزعوا إلى هياكلها وهي السبع كواكب السيارة وبعض الثوابت، ويقولون أن الكواكب ملائكة نورانية، وأنه لابد من مخلوق وسط بين الروحانية والمادية يهدى الناس إلى الحق لأن الروحانيات مخلوقة من كلام الله عز وجل، دعاها بأسمائها فكانت، ولا يصل كلام الله إلى الناس إلا بوساطة مخلوق وسط بين النور والتراب، ترفعه الرياضة والهداية وتؤثره نعمة الله.

وملخص العالم الفقيه سيف الدين الأمدى (الأديان في القرآن، الدكتور محمود بن الشريف، ص١٦٢ ـ وهو الأمام أبو الحسن على بن محمد المكنّى بأبى على بن سالم التغلبى) عن ملة الصابئة، كما يلى:

ـ الكواكب الفلكية هي هياكل روحانية تعمل كرابطة وواسطة بين الإنسان والإله المعبود، وهذه الكواكب هي المدبّرة لكل مافي الكون.

ـ بما أن الكواكب تغيب عن الرؤية في أوقات بسبب دورانها في أفلاكها، فيلزم وجود نُصُب أو أصنام على صورتها لتكون حاضرة أمام الأعين في كل الأوقات.

ـ ثم تأتى نظرية الحلولية لتربط الجميع، فالإله واحد في ذاته، وهو الذي خلق الكواكب. وجعلها مدبّرة لما في العالم. والإله يحل في الكواكب السبعة. ومن ثم يحل في النُصُب والشخوص التي ترمز لها من غير تعدد في ذاته. كما أنهم يعتقدون أن الكون كونان، وأن الخلق خلقان، فالكون الظاهر غير الكون الباطن، ولكل مخلوق في عالم الشهادة صور محجوبة في عالم الغيب، كما أنهم يؤمنون باليوم الأخر، ويؤمنون بالحساب والعقاب، وأن الأبرار يذهبون بعد الموت إلى عالم النور، وأن المذنبين يذهبون إلى عالم الظلمة، فيلبثون فيه زمناً على حسب ذنوبهم ثم ينقلون منه إلى النور.

وينقلنا الشهرستانى إلى عباداتهم وطقوسهم فيقول: إنهم يصلون ثلاث مرات في اليوم، ويغتسلون من الجنابة، ومن لمس الميت. وقد حرموا أكل الجزور، والخنزير والكلب، وذوات المخالب والحمام من الطيور، ونهوا عن السكر، والأختتان، يزوجون بولّى وشهود، ولا يطلقون إلا بحكم حاكم، ولا يجمعون بين امرأتين.

وعن الصابئين يتحدث (محمد حسنين هيكل) فيقول: فالصابئون من عباد النجوم كان لهم سلطان كبير في بلاد العرب، وقد كانوا لا يعبدون النجوم لذاتها، وإنما كانوا في بداءة أمرهم يعبدون الله وحده، ويعظّمون النجوم على أنها مظاهر خلقه وقدرته.

الذرة، بعد ذلك اقتداء بالهند ومن ذلك عبدوا ملوكهم، وكانوا يجعلون أجسادهم في تماثيل ذهب ويسجدون لها. ومنهم حكماء تكلموا في الفلك والطب والصنعة وكثير من علوم الهند، وبلد الصين واسع يقال إن فيه ثلثمائة مدينة ونيفا عامرة سوى القرى والرساتيق وبها عجائب كثيرة، ومن خرج في البحر قطع سبع بحار لكل بحر منها ريح ولون سمك ليس لما يليه.

أولها بحر فارس وملكهم اليوم اليعقوفز وهو في مدينتهم العظمى التي يقال لها انصوا، وبينها وبين خانقوا التي تتراءى لها مراكب التجار ثلاثون يوماً .

ومن سيرتهم أن عمال الملك وأصحاب خراجه وجيوشه خدم، وذلك أن المرأة إذا لم تكن محصنة وأرادت الفجور رفعت أمرها إلى الملك تذكر حالها فيدفع إليها خاتم نحاس من خواتم الملك فجعلته في عنقها ولبست المصبغات، وعملت ما شاءت علانية، وإذا ولدت الذكور خصوا واستعملهم الملك في داره وأعماله وإن ولدت أنثى كانت على رسم أمها. وأهل الصين بيض إلى الصفرة فطس، ومن سنتهم أن أحدهم إذا تظلم إلى الملك من بعض عماله كشف عن أمره، فإن كان صادقاً أنصفه وعاتب ظالمه، وإن كان كاذباً ضرب بالخشبة ضرباً شديداً لاجترائه على عمال الملك بالكذب، ومن سنتهم أنه إذا أراد خادم من خدم الملك شيئاً ضُرب جرس كبير يدخل الناس دورهم، ويخلون له الطرقات لئلا يرونه. ومن سنتهم أن تقسم المدينة قسمين، فيكون الملك وأهل بيته وعماله وحشمه في القسم الواحد، والعامة والرعية وأسواقهم في النصف الآخر، لا يدخل أحد منهم إلى ناحية الملك، ومن سنتهم أن يورثوا الأنثى أكثر من الذكر، ولهم عند حلول الشمس الحمل عيد كبير يأكلون فيه ويشربون سبعة أيام، وأشرف حليهم من قرون الكركند، وهو الوشان، لأنها إذا استوت ظهر فيها صور عجيبة مختلفة فيتخذون منها مناطق تبلغ المنطقة أربعة الآف مثقال من ذهب. والذهب

وربما كان الصابئون عبدةً لله ومن ثم مالوا إلى عبادة النجوم والكواكب وخرجوا عن دينهم، لأن كلمة صبأ يصبأ،كما وردت في المعاجم تعني :خرج من دين إلى آخر وقد أطلقت هذه التسمية على الرسول وأتباعه عندما تركوا ديانة قريش.

عندهم كثير حتى يتخذون منه لجم دوابهم وسلاسل كلابهم، ولهم ثياب الحرير المنسوجة بالذهب.

ذكر الأهتردة

وأما الأهتردة فهم من ولد عامر بن يافث نزلوا بين الروم والأفرنج ومملكتهم واسعة، وملكهم جليل القدر ولهم مدن كثيرة وأكثرهم اليوم نصارى، ومنهم من لا دين له وهم يحاربون الأفرنج والصقالبة الذين يجاورونهم ويطردونهم، وزيهم زى الروم، ومنهم صنف يحرقون أنفسهم .

ذكر الأفرنج

وأما الأفرنج فهم أيضاً من ولد يافث ومملكتهم واسعة كبيرة، ولهم ممالك يجمعها ملك واحد ومدينتهم الكبرى يقال لها دريوه، وهم أيضا نصارى وهم اليوم أربع عشرة قبيلة ووراءهم أجناس أخرى وأكثر اعتدائهم إلى الصقالبة، ولهم اتساع مملكة، وهم يحاربون الروم والأهتردة، ومنهم متجر وفيهم نصارى، ومجوس وزنادقة، ومنهم من يحرق نفسه .

مملكة الأندلس

الأندلس أربع وعشرون مدينة يملكهم ملك واحد إلا أن دينهم دين الصائبة، ولهم في هياكلهم أصنام للكواكب ثم انصرفوا عن ذلك وتنصروا وكانت لهم معرفة وحكم، وكان في دار مملكتهم بيت إذا ولى منهم ملك أقفل على بابه قفلاً، إلى أن ولى ملكهم لذريق ولم يكن من أهل الملك فطلب أن يفتح أقفال ذلك البيت وكانت عدتها أربعة وعشرين قفلاً، فاجتمعوا إليه وسألوه أن لا يفعل وبذلوا له على ذلك جميع ما في أيديهم من الأموال فأبى إلا فتحها، فلما رأوا منه الجد تشاءموا به وتركوه، ففتح الأقفال ودخل البيت فوجد فيه صور العرب

على الخيل والجمال، وعليهم العمائم الحمر وبأيديهم الرماح الطوال والقس وكتاب فيه " إذا فتح هذا البيت غلب على هذه البلاد قوم على صور هؤلاء " ففتحت الأندلس في تلك السنة والتي بعدها تولى فتحها طارق بن زياد مولى موسى بن نصير في سنة اثنتين وتسعين أيام الوليد بن عبد الملك، وقتل ملكهم لذريق وسباهم وغنم، ووجد في ذلك البيت مائدة سليمان عليه السلام وكانت من ذهب عليها أطواق جوهر مفصلة، ووجد المرآة العجيبة[٧١] الغريبة التي ينظر فيها إلى الأقاليم السبعة وهي مدبرة من أخلاط، ووجد فيها آنية سليمان من الذهب، والزبور منسوخاً بخط يوناني جليل بين ورقات ذهب مفصلاً بجوهر، ووجد فيه اثنين وعشرين مصحفاً محلاة كلها بالذهب منها التوراة ومصحفاً آخر محلى بفضة فيه منافع الأشجار والأحجار، وعمل الطلسمات، وكان مصحف فيه عمل الصبغة وأصباغ اليواقيت، ووجد فيه فقاعة كبيرة من حجر مملوءة أكسيد الكيميا مختومة بالذهب، فحمل ذلك كله إلى الوليد بن عبد الملك .

لما فتحت الأندلس نزلها المسلمون وتفرقوا في مدنها، وتملكوا أكثرها إلى أن صار إليها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك في سنة ثمان وثلاثين ومائة فغلب عليها وتملكها فذريته إلى اليوم فيها .

---

[٧١] هذه المرآة العجيبة على ماجاء بوصفها في الروايات العربية تتطابق تقنية عملها مع نفس تقنية الشاشات التلفزيونية المتصلة بالأقمار الصناعية، فقد كان سليمان ينظر فيها في أي وقت فيرى الأقاليم السبع وهي القارات السبع (آسيا - أفريقيا - أوروبا - أمريكا الشمالية - أمريكا الجنوبية - القارة القطبية الشمالية - القارة القطبية الجنوبية) وما يحدث فيها في نفس اللحظة أي أن هذه المرآة كانت تنقل له الأحداث بصورها من مواقع حدوثها في الحال بطريقة البث المباشر، مثل الأقمار الصناعية والشاشات التليفزيونية المتصلة بها، فهي ليست إلا شاشة تليفزيونية كانت متصلة بقمر صناعي أو شاشة تليفزيونية وقمر صناعي في آن واحد. انظر هشام كمال عبدالحميد: (تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة)، ص ٢٢١ .

ذكر مملكة البرجان

وأما البرجان فهم من ولد يونان بن يافث وهي مملكة كبيرة واسعة وهم يحاربون الروم والصقالبة والخزر والترك، وأشد [الأمم] حرباً لهم الروم .

وبين القسطنطينية وبلاد برجان خمسة عشر يوماً، ومملكة برجان مسيرة عشرين يوماً في ثلاثين يوماً، وعلى عمل برجان كله سياج وعليه شبه الشباك من الخشب فهو كالسور على الخندق والقرى دون السياج. وأهل برجان مجوس، وليس لهم كتاب، ودوابهم التي للحرب راتعة أبداً في مرج لا يركبها أحد منهم إلا في وقت الحرب، وان وجدوا رجلاً قد ركب دابة حربية في غير وقت قتلوه، وإذا خرجوا للحرب اصطفوا صفوفاً فجعلوا أصحاب النشاب أمامهم، وجعلوا خلفهم جميع العيال والذرية، وليس لـ برجان دنانير ولا دراهم وإنما تبايعهم وترويجهم بالبقر والغنم، وإذا وقع بينهم وبين الروم الصلح أدت برجان إلى الروم جوارى وغلمانا من بنى الصقالبة ومن شبههم .

وإذا مات لأهل برجان ميت عمدوا إلى ما ترك من خدم وحاشية، فجمعوهم وأوصوهم بوصايا وأحرقوهم مع الميت، ويقولون نحرقهم نحن في الدنيا فلا يحرقون في الأخرة . ولهم ناووس عظيم إذا مات الميت أنزلوه فيه وأنزلوا معه امرأته وحشمه فيبقون هناك حتى يموتوا. ومن سنتهم إذا أذنب عبد أو أخطأ وأراد مولاه أن يضربه انبطح من قبل نفسه ولم يمسكه أحد فيضربه مولاه ما أحب، فإن قام من غير أن يأذن له مولاه وجب عليه القتل، ومن سنتهم أن يورثوا النساء أكثر من الرجال .

ذكر مملكة الترك

وأما الترك فهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام، وهم أجناس كثيرة، وهم أصحاب مدن وحصون، ومنهم قوم في رءوس الجبال والبرارى، في خيم اللبود، وليس لهم عمل غير الصيد، ومن لم يصد شيئا ذبح دابته وأخذ دمها وشواه، وهم يأكلون الرخم والغربان وغيرها، وليس لهم دين، ومنهم من هو على دين

المجوسية ومنهم من يتهود، وملكهم الأكبر خاقان، وله سرير من ذهب وتاج ذهب ومنطقة ذهب ولباسهم الحرير، وقيل إن ملكهم الأعظم لا يكاد يظهر، وإن ظهر لم يقم بين يديه أحد، وفيهم سحر وفيهم حقد، وشدة وبأس. وللملك عندهم يوم توقد لهم فيه نار عظيمة ويأتي ويقف وهو مطل عليها، ويتكلم بهمهمة فيرتفع منها وهج عظيم، فإن كان إلى الخضرة كان الغيث والخصب وإن كان إلى البياض كان الجدب، وإن كان إلى الحمرة كانت هراقة الدماء، وإن كان إلى الصفرة كانت علل ووباء، وإن كان إلى السواد دل على موت الملك أو على سفر بعيد، فإن كان ذلك عجل بالسفر والعودة .

ذكر مملكة الروم

وأما الروم فهم من بني عيصو والروم لقب لهم، فلما صار الأمر إلى قسطنطين قال بالنصرانية وجمع الأساقفة على المعمورية ثم تفرقت النصارى بعده على الطبقات: البطريق والأسقف والقسيس والشماس والمطران والدمستق صاحب الفرق، وهم يفطرون يوم الأحد إذا صاموا، ويفطرون السبت من الظهر، ولا يتزوج الرجل عندهم إلا واحدة ولا يتسرى عليها، ولا يشرب من الخمر حتى يسكر، والسكر عندهم حرام، وتعظيم الأحد عندهم، لأن المسيح قام من قبره ليلة يوم الأحد، وارتفع إلى السماء يوم الأحد بعد اجتماعه مع الحواريين. ولا يرون الاغتسال من الجنابة ولا الوضوء، وإنما عبادتهم بالنية ولا يأخذون القربان، ويقولون هذا لحمك ودمك، يعنون المسيح عيسى عليه السلام، ويعتقدون أنه ليس بلحم ولا خبز وإذا تفرقوا بعد أخذه قتل بعضهم بعضاً، ولا يتكلم إذا أخذ القربان حتى يغسل فمه، ويورثون النساء جزئين والرجال جزءاً، وليس لهم طلاق. ومن سيرتهم أن لا يلبس أحد منهم خفين أحمرين إلا الملك، فان كان ولي عهد لبس فردا أحمر وفرداً أسود، ولا يأكل ملكهم إلا على الموسيقى والألحان والغناء، وأكثر طعامهم الكرديانات والمرققات والأستبدناجات والسكباجات. ولهم الأرغن وفيهم الطب والحكمة وعمل الصناعات والحذق

بالصور حتى أنهم ليصورون صوراً يظهر عليها الحزن، ويصورون أخرى يظهر عليها الفرح والسرور، ويسمى ملكهم الملك الرحيم، ويظهر العدل والإنصاف وهو ينوح .

ذكر مملكة الفرس

وأما الفرس فهم من ولد يافث بن نوح، والفرس تدفع ذلك ويزعمون أنهم لا يعرفون نوحاً ولا الطوفان ولا ولد نوح، ويحسبون ملوكهم من كيومرت[٧٢] الأول وهو آدم. وزعموا أن الفرس كلها من ولد أفريدون الملك، وزعم قوم أن أول ملك في العالم بعد الطوفان أو سبهبد بن نوح بن عامر بن يافث وأنه ملكهم ألف سنة وطلع إلى الفلك. وبعده منوشهر وهذه الطبقة الأولى إلى أن غلب الإسكندر دارا بن دارا ورتب ملوك الطوائف، ثم هلكت الأكاسرة من آل أردشير بن بابك إلى انقضاء ملكهم وقد نسبهم قوم إلى سام، وبذلك جاءت الآثار. وكان دينهم دين الصابئة، ثم تمجسوا وبنوا بيوت النيران، ويقال إنه كان يكسى ملكهم بيوت النيران ويذر فيها كبريتاً وزرنيخاً فيستوقد من نفسه لا يستعملون الحطب لتلك النار إلا أوقية أوقية بثلاثين فضة. ويقال إن كان يريد التعبد في تلك البيوت يقعد على كرسي وبين يديه هاون حجر كبير قد جعل فيه ماء وبيده دستج خشب يضرب به الملك أبدا ويحركه بعنف شديد وقوة واجتهاد كأنه يعذبه لعبادته النار. وجميع أهل الممالك يعترفون للفرس ويقرون لهم بالرئاسة وحسن التملك وتدبير الحروب ودقيق الألوان وتأليف الطعام والطب واللباس وترتيب الأعمال ووضع الأشياء مواضعها والترتيل والخطابة ووفور العقل وتمام النظافة والشكل وهيبة الملوك، هذا كله لهم فيه السبق. ومن كتب سيرتهم استعمال من جاء من بعدهم من رسوم الملك وتدابير الرئاسة، وأمرهم أشهر من أن يستقصى في هذا المكان .

---

[٧٢] كيومرت = جيو مرت (ك =ج)، جيو = الأرض، مرت = رجل أو سيد وهو آدم عليه السلام.

ذكر مملكة خراسان

فأما ملوك خراسان مثل الصغد وغيرهم من قد غلبه والأشر وسنية والبرجان وهو أهل الديلم والجبل واللد والأكراد والشماس، وما وراء النهر فقد كانت لهم ملوك عدة بطارقة أكثرهم كان يعبد النار ويتمجس. ويقال أن أردشير رأى شيطانه فقال له علمني علما أنتفع به، فقال له على أن تنكح أمك فهي أقرب أهلك، ففعل وصار دين المجوسية، والفرس تزعم أن نكاح الأخوات من وقت آدم، ثم أطلق لهم بعد ذلك زنادقتهم نكاح الأم، وقالوا لهم هي أحق إليه من الأخت ففعلوا. وخلف جزيرة الصين أمم عراة ينسق لون شعورهم وأمم لا شعور لهم وأمم حمر الوجوه شقر الشعور، وأمم إذا طلعت الشمس هربوا إلى مغارات يأوون إليها من حر الشمس ولا يخرجون منها حتى تدور الشمس إلى الوجه الغربي، وأكثر ما يغتذون نباتا يشبه الكمأة وسمك وخشاش الأرض، وتحاذيهم من ناحية الشمال أمم بيض شقر عراة يتناكحون كما تتناكح البهائم، ويجتمع على الواحدة الجماعة، ولا يمنع أحد من أنثى لينالها .

ذكر سام بن نوح

وأما سام بن نوح عليه السلام فإن الله تعالى جعل له الرئاسة والكتب المنزلة والأنبياء، ووصية نوح في ولده سام خاصة دون إخوته، فولد سام، أرفخشذ . وكان عمره أربعمائة سنة وخمسا وستين سنة منه، وولد أرفخشذ شالخ، وولد شالخ عابر، وعاش عابر أربعمائة سنة وثلاثين سنة، وولد عابر قحطان، وولد قحطان فالغ، وولد فالغ يعرب، وقيل إنه أول من تكلم بالعربية، وكانت لغاتهم السريانية، وولد يعرب سبأ[٧٣] وولد سبأ حميّر، وسمى بذلك لأنه كان له

---

[٧٣](سبًا): بفتح أوله وثانيه وهمز آخره وقصره. أرض باليمن مدينتها مارب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام فمن لم يصرف فلأنه اسم مدينة ومن صرفه فلأنه اسم البلد فيكون مذكراً سمى به مذكرا وسُميت هذه الأرض بهذا الاسم لأنها كانت منازل ولد سبأبن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان ومن قحطان إلى نوحٍ اختلاف نذكره في كتاب النسب من جمعنا إن شاء الله تعالى، وكان

تاج، وكان له جوهر أحمر فإذا جلس أضاء على بغد منه، فكان يقال له الملك الأحمر، ثم غير اللفظ فقيل له حميّر .

وكهلان [بعد] حمير بن سبأ ومن كهلان كانت ملوك اليمن من التبابعة والأذوين، ومنهم كان أبرهة والأحابش، والمغاربة والأنجاد. والأذواء جماعة غزوا الأمم وتجولوا في البلاد، ومنهم إفريقس[٧٤] الذي بلغ آخر المغرب .

اسم سبإ عامراً وإنما سُمي سبأ لأنه أول من سَبَى السَبْى وكان يقال له من حُسنه عَبَ الشمس مثل عبِ الشمس بالتشديد قاله ابن الكلبى، وقال أبو عمرو بن العلاء عب شمس أصله حب وهو ضوؤها والعين مبدلة من الحاء كما قالوا في عب قُر وهو البرد، وقال ابن الأعرابى هو عِبُء شمس بالهمز والعبء العدل أي هو عدلها ونظيرها وعلى، قول ابن الكلبى فلا أدرى لم هُمز بعد لأنه من سَبَى يَسى سَبياً والظاهر أن أصله من سَبأتُ الخمر أسبؤها سباءَ إذا اشتريتها ويقال سبأته النار سباءَ إذا أحرقَته وسمى السفر البعيد. سُبأة لأن الشمس تحرق فاعله وكان هذا الموضع سمّى سَبأ لحرارته وأكثر القراءِ على صرفه وأبو عمرو بن العلاءِ لم يصرفه والعرب تقول تفرقوا كأيدى سبًا وأيادى سَبًا نصباً على الحال ! ولما كان سّيل العرم كما نذكره إن شاء الله تعالى في مآرب تفرق أهل هذه الأرض في البلاد وسار، كل طائفة منهم إلى جهة فضربت العرب بهم المثل فقيل ذهب القوم أيدي سَبًا وأيادي سَبَأ أي متفرّقين شبّهوا بأهل سبا لما مَزقَهم الله تعالى كل ممزق فأخذت كل طائفة منهم طريقا واليَدُ الطريقُ يقال أخذ القوم يَدَ بَحر فقيل للقوم إذا ذهبوا في طُرق متفرّقة ذهبوا أيدى سبا أي فرقتهم طُرُقُهم التي سلكوها كما تفرق أهل سبا في جهات متفرقة والعرب لا تهمز سبا في هذا الموضع لأنه كثر في كلامهم فاستثقلوا ضغطة الهمز وإن كان سَبأ في الأصل مهموزاً، ويقال سبأ رجل ولد عشرة بنين فسميت القرية باسم أبيهم والله أعلم وإلى ههنا قول أبى منصور، وطول سبا أربع وستون درجة وعرضها سبع عشرة درجة وهي في الأقليم الأول، وسبا صُهيب موضع آخر في اليمن وفيه موضع يقال له أبو كَنْدَلة. انظر ياقوت الحموى: (معجم البلدان، ج٢، ص٤٢٥) .

[٧٤] إفريقش بن قيس بن صيفي بن سبأ بن كعب بن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قدم إفريقية فافتتحها وقتل ملكها (جرجين) وأسكنهم إيّاها، فهم البرابرة، وأقام من حمير في البرابرة صنهاجة وكتامة، فهم فيها إلى اليوم، انظر ابن الأثير: (الكامل في التاريخ)، المجلد الأول، ص٢٠٣، ويقول ابن خلدون في (تاريخه) نقلا عن ابن حزم من أن (أُفريقش هو الذي ذهب بقبائل العرب إلى إفريقية وبه سميت). وأضاف ابن خلدون (و ساق البربر إليها من

ذكر إبراهيم عليه السلام

وأما إبراهيم[٧٥] عليه السلام فولد له سيدنا إسماعيل عليه السلام، وأمه القبطية وإسحق وأمه سارة[٧٦] بنت هارون، وهو من بني حران، وكانت حياة إبراهيم عليه السلام مائة وخمسا وسبعين سنة، وكان ملك بابل في وقته النمروذ من ولد كوش بن حام، فلما أن حاجه إبراهيم عليه السلام وكسر الأصنام أضرم الملك له ناراً عظيمة وألقاه فيها فجعلها الله تعالى عليه برداً وسلاماً، وأتت ريح فنسفت النار في وجوه الواقفين مع الملك كذلك، وخرج إلى حران[٧٧] فآمن به ابن أخته لوط وسارة بنت عمه، وكان خروجه وهو ابن سبع وثلاثين سنة وتزوج سارة

أرض كنعان. مر بها عندما غلبهم يوشع وقتلهم، فاحتمل الفَل منهم وساقهم إلى أفريقيا فأنزلهم بها) .

[٧٥] هو إبراهيم بن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن غابر بن شالخ بن قينان بن أرفشخذ بن سام بن نوح، عليه السلام، انظر ابن الأثير: (الكامل في التاريخ)، المجلد الأول، ص٩٤. وإبراهيم في القرآن هي تعريب (ابراهام) في التوراة، ويقول سفر التكوين إن إبراهيم كان اسمه (ابرام) المشتقة على المزجية من (آب) + (رام) بمعنى (أبو العلاء) وظل اسمه كذلك حتى كان ابن تسع وتسعين سنة فسماه الله (أبراهام) إبراهيم في القرآن. والمعنى الأقرب إلى الصواب عبريا في (أبراهام) هو فهمه بمعنى (أب كبير للناس) و(راب) على الأسمية لا الصفة، تعني (الرئيس)، (السيد)، (المعلم)، (الامام). ومنها (الرباني) ومنها في العبرية المعاصرة قولهم على النداء توقيراً مُورى ورَبى ! أي معلمي وأستاذى ! إنها إذن الأستاذ الامام، انظر: الأستاذ/ رؤوف أبو سعدة، من إعجاز القرآن، جـ١، ص٢٧٠، بتصرف .

[٧٦] (سارة) تعني السيدة، الملكة، وهي الزوجة وربة البيت الحقيقية التي وعدها إبراهيم بألا يتخذ معها زوجة أخرى مادامت هي على قيد الحياة، أما أسمها الحقيقي فهو (فضة) أو (أساكا)، كما يؤكد صاحب القاموس الكلداني، و(أساكا) تعني أيضاً الفضة.

[٧٧] (حاران) هذه هي اليوم القرية المعروفة بـ خيرين (خرن) بمنطقة الطائف، على المسلك الحجازي الطروق بين (المدينة) و(الطائف)، انظر د .كمال سليمان الصليبي: (خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل)، ص ١٠٤. وموطن النبي إبراهيم في منطقة التنفذة أي في الجزء الجنوبي من تهامة الحجاز في منطقة غرب الجزيرة العربية، راجع د .كمال سليمان الصليبي: (خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، ص ٩٨) .

بوحي أتاه، وخرج معه ثلاث صحف بالعبرانية وكانت لغته سريانية، وكان في الصحف أمثال وتسبيح وتهليل وتحميد، وأمر بالمسير فعبر الفرات وسار إلى مصر وسنذكر قصته في أخبار مصر .

ذكر اسماعيل عليه السلام

وأما إسماعيل[٧٨] عليه السلام فقطن الحرم ونبع له زمزم بأمر الله تعالى، ونبأه الله وأرسله إلى العماليق وجرهم وقبائل اليمن، فنهاهم عن عبادة الأوثان، فآمنت به طائفة منهم وكفر أكثرهم، وغلب على الحرم وتزوج في خيرهم.

وولد له اثنا عشر ولداً ومات وهو ابن مائة سنة وسبع وستين سنة، وأوصى إلى ابنه عدنان بأمر البيت، فدبر أمر البيت. فمن عدنان ولد محمد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وجميع العرب العاربة من ولده، وذكر آخرون أنه من ولد قيدار بن إسماعيل، واختلفوا في ولد إسماعيل اختلافاً كبيراً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغ بالنسب إلى معد بن عدنان، قال عدنان بن أعراق الثرى، ومن إسماعيل وعدنان أمم كثيرة .

حدث البلبلة

كان الناس بعد الطوفان مجتمعين بمكان واحد بأرض بابل ولغتهم السريانية

---

[٧٨] (اسماعيل) في القرآن هي تعريب (يشْمَعيل) العبرية في التوراة. وهي في العبرية على المزجية من (يشْمَعْ + إيل)، ومعناها الحرفي (يَسْمَعُ الله)، أما التفسير القرآني لاسم (إسماعيل)، وهو (يشْمَعيل) عبرياً، ومعناه (سمع الله) أو (سميع هو الله)، وتجد هذا التفسير في قوله عز وجل على لسان إبراهيم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ، إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء (٣٩)﴾، وأيضاً في قوله عز وجل على لسان إبراهيم أيضاً: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧)﴾، انظر الأستاذ/ رؤوف أبو سعدة: (من إعجاز القرآن)، جـ١، ص٢٨٤، ٢٨٨، بتصرف.

ثم تفرقوا فسلك قحطان وعاد[79] و ثمود[80] وعملاق، وطسم[81] وجديس طريقاً، وألهمهم

[79] ويذكر الأستاذ/ رؤوف أبو سعدة (من اعجاز القرآن، جـ١، ص ٢٤٠): و(عاد) في الأرامية ـ العبرية معناها (الأبد) و(الخُلود). ومنها في العبرية (لَعَاد)، يعنى (إلى الأبد). فهي الباقية الخالدة التي لا تزول. وقد جاءت مُفَسَّرَةً في القرآن مرتين، الأولى على الترادف في قوله عزوجل: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ(٨)﴾[الحاقة]. وفسرت في المرة الثانية على التقابل في قوله عزوجل: ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَى (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى(٥١) ﴾ [النجم]، أي ما عَادَتْ عاد ولن تَعُود.

ويرى العرب أن عاداً هي أقدم شعوب الأرض واعتبروها رَمْزاً للقدم والأبدية فيقولون: لأن هذا الشيء قديم قدم عاد، بل أنهم أطلقوا اسم عاد على كل قديم وأثرى وسموا الأشياء القديمة باسم (العاديات) مثل الآثار والأطلال. وحتى يومنا هذا يُسمَّى بيع التحف القديمة والنادرة باسم محل العاديات.

[80] أما (ثمود) فهي عربية بمعنى: ثمد الماء يعنى قل، وثمده هو يعنى استنفد معظمه، وثمد الناقة يعني اشتفها بالحلب، وثمده يعني استنفد ما عنده، والثمد يعنى الماء القليل الذي ليس له مدد، أو هو المكان يمتمع فيه الماء، من ثمد المكان يعنى هيأه كالحوض ليجتمع فيه الماء. وعلى هذا تكون (ثمود على زنة فعول بمعنى فاعل، أو فعول بمعنى مفعول، على المعانى الذي ذكرت لك، فهم أصحاب الماء القليل، يستنبطونه من الأرض ويحوضونه، الحريصون عليه، يذودون عنه ويمنعونه، فهو حجر عليهم، حرام على غيرهم. ومن هنا جاءت تسميتهم (أصحاب الحجر) (سورة الحجر ٨٠). وقد جاءت (ثمود) مفسرة في القرآن بالتصوير في فتنة الناقة التي جعلها الله لهم آية : ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ(٢٨)﴾[سورة القمر]، (تَشْتَفّ) ماءهم كله يوما، وتُفيضُه عليهم في الغداة لبنا إذ لا ماء لهم، (فَيَشْتَفُّونَها) ، (تَثْمِدُهُم) و(يَثْمِدُونَها) . وقد بقى في العبرية والأرامية من (ثَمَدَ) العربية الجذر العبرى ـ الأرامى (شَمَد) (بإبدال الثاء شينا)، بمعنى الأستئصال والابادة، وهو من معنى الاستنفاد والأشتفاف في ثَمَدَ العربية جِدُّ قَرِيب. وتستخدم العبرية المعاصرة الفعل (شَمَد) بمعنى محدد هو (استصفاء) اليهودية، يعنى تصفيتها سِلْما، بإجبار أهلها كرها على الخروج منها إلى المسيحية في عصور اضطادهم في أوروبا، لا بمعنى إبادة أهلها وإهلاكهم، على أصل معنى (شَمَد) في عبرية التوراة. وربما قلت إن (ثمود) في القرآن جاءت تعريبا لـ (شَمُود) العبرى أو (شِمِيد) الأرامى على المفعولية من الجذر العبرى ـ الأرامى (شَمَد) فهو الهالك البائد بمعنى (شَمَد) في عبرية التوراة. ولا يصح هذا، فلا أحَد يسمى نفسَه الهالكَ البائد

الله تعالى هذا اللسان العربي فساقتهم الأقدار إلى اليمن فسارت عاد إلى الأحقاف ونزل ثمود ناحية الحجر[٨٢] ونزل جديس اليمامة[٨٣]، ثم شخص طسم فنزل اليمامة

وقد تَسمّت به قبيلة كبرى من قبائل العرب خلفوا (ثمود) قوم صالح . وإنما الصحيح أن (ثمود) جاءت من العربية الأولى بمعنى قَلّ ونَضُبَ واسْتَنْفَدَ واشْتَفَ، قبل أن تتحور في عبرية التوراة إلى باد وهلك "، انظر: الأستاذ رؤوف أبو سعدة، (من اعجاز القرأن)، جـ١، ص ٢٤٤، ٢٤٥، بتصرف.

[٨١] (طسم) و(جديس): وهما شعبان أو قبيلتان كبيرتان من أبناء (لأوذ بن سام بن نوح) سكنوا في منطقة (اليمامة) شرقي نجد في الجزيرة العربية وهما من العرب البائدة أبناء عم (عاد) و(ثمود) و(العمالقة) (انظر شجرة نسب العرب البائدة) وهذان الشعبان يرتبطان معاً في الأداب العربية وأشعار العرب كما ارتبطت (عاد) و(ثمود) ببعضهما في القرآن الكريم، وقد دارت بينهما حروب أدت إلى فنائهما خاصة بعد أن استنجدت (طسم) على (جديس) بالتُبّع اليماني ملك اليمن الحميرى (حسان بن سعد). وقد شاعت أثناء هذا الصراع قصة امرأة خارقة وأوردتها كتب الأداب العربية القديمة اسمها (زرقاء اليمامة)، وهذه المرأة تستطيع أن تبصر إلى مسافة ثلاثة أيام، وكان من عادتها أن تقف كل يوم وتنظر إلى طريق القوافل لتعرف أخبار القادمين والخارجين. وذات يوم أخبرت قومها جديس أنها ترى الأشجار تمشى وسخر منها القوم واتهموها في عقلها وكان جيش الملك اليمنى (حسان) قادماً لنصرة (طسم) التي استنجدت به على (جديس) وكمحاولة للتمويه من جانب الجيش اليمنى حتى يفاجئ أعداءه أمسك كل جندى بفرع من فروع الشجر حتى يظن الناس أن جحافل الجيش ما هي إلا غابة من الشجر وأنه لا جديد ولا جيش على مسرح الأحداث، ثم فوجئت قبائل (جديس) بالجيش اليمنى ينقض عليهم من كل جانب وهم يرفعون فروع الشجر، وهكذا صارت قصة (زرقاء اليمامة) قصة تُحْكَى عبر الأجيال جيلاً بعد جيل.

[٨٢] (الحِجرُ): بالكسر ثم السكون وراء وهو في اللغة ما حجَرَ عليه أي منعته من أن يوصل إليه وكلما منعت منه فقد حجرت عليه والحجر العقل واللب والحجر بالكسر والضم الحرام لغتان معروفتان فيه والحجر، اسم ديار ثمود بوادى القرى بين المدينة والشام قال الأصطخرى الحجر قرية صغيرة قليلة السكان وهو من وادى القرى على يوم بين جبال وبها كانت منازل ثمود. قال تعالى: (وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين(١٤٩) ﴾[الشعراء]، قال: ورأيتها بيوتاً مثل بيوتنا في أضعاف جبال وتسمى تلك الجبال الأثالث وهي جبال إذا رآها الرائى من بعد ظنها متصلة فإذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها يطوف بكل قطعة منها الطائف وحواليها الرمل لا

مع جديس، ثم شخص عملاق فنزل أرض الحرم، وسار ضخم أرم فنزل الطائف، وسار جرهم فنزل مكة، فهؤلاء ولدهم ونسلهم يسمون العرب العاربة، وولد إسماعيل يسمون العرب المستعربة لأنهم تعلموا منهم وتكلموا بلغتهم .

ذكر عاد

و أرسل الله (هوداً)[٨٤] إلى (عاد) وهم بأحقاف[٨٥] الرمل وملكهم الخلنجان ابن

تكاد، ترتقي كل قطعة منها قائمة بنفسها لا يصعدها أحد إلا بمشقة شديدة وبها، ثمود التي قال الله فيها وفي الناقة: ﴿لها شرب ولكم شرب يوم معلوم (١٥٥)﴾[الشعراء]. انظر ياقوت الحموى: (معجم البلدان).

[٨٣] (اليمامة): ناحية بين الحجاز واليمن، أحسن بلاد الله وأكثرها خيراً ونخلاً وشجراً. كانت في قديم الزمان منازل طسم وجديس، وهما من ولد لاوذ بن ارم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، أقاموا باليمامة فكثروا بها وملك عليهم رجل من طسم يقال له عمليق بن حياش، وكان جباراً ظلوماً يحكم بينهم بما شاء .انظر القزويني: (أثار البلاد وأخبار العباد).

[٨٤] ذكر هودٌ عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم سبْع مرات، وقد ذكر اللهُ تبارك وتعالى قصته عليه السلام مع قومه مع شيء من التفصيل في سورة الأعراف وسورة هود وسورة المؤمنون وسورة الشعراء وسورة الأحقاف وسورة فصلت، وسيدنا هود عليه السلام هو عربى في أصله، وقد اختلف المفسرون في اسم النبي الكريم وفي نسبه كذلك، وقيل إنه هود بن عبد الله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عَوْص بن إرم بن سام بن نوح على رأى، وهو هود بن خالد بن الخلود بن العيص بن عمليق بن عاد على رأى ثان، وهو عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح على رأى ثالث، وربما كان الرأى الأول ـ حدسا غير يقين ـ أقرب إلى الصواب، لأن الرأى الثانى يجعله من العماليق، ولأن الرأى الثالث يجعله ذا صلة قريبة بيهود، لأن عابر إنما هو جد اليهود ـ طبقا لرواية التوراة ـ فضلا عن أن الأثر الإسرائيلى يبدو واضحا في هذا الرأى.وقد جاء في صحيح ابن حبان عن أبى ذرّ في حديث طويل في ذكر الأنبياء والمرسلين قال :" وأربعةٌ من العرب: هود وصالح وشعيب ونبيّك محمد ". ويقال: إن هوداً عليه السلام أول من تكلم بالعربية، وزعم وهب بن منبه أن أباه أول من تكلم بها، وقال غيره: أول من تكلم بها نوح، وقيل: آدم الأشبه، وقيل غير ذلك. والله أعلم. ويقال للعرب الذين كانوا قبل إسماعيل عليه السلام: العرب العاربة، وهم قبائل كثيرة منهم عاد، وثمود، وجرهم، وطسم، وأميم، ومدين،

الوهم[86] وكانوا يعبدون ثلاثة أصنام وكذبوه، فدعا عليهم فأمسك الله عنهم المطر

وعملاق، وعبيل، وجاسم، وقحطان، وبنو يقطن، وغيرهم. واختلف الأمر كذلك بالنسبة إلى المكان الذي دفن فيه النبي هود، فهناك رواية تذهب إلى انه إنما كان في دمشق، ذلك لأن أصحاب هذه الرواية قد حددوا المسجد الأموى للدفن، بل لقد ذهب البعض إلى أن هودا قد بنى الحائط القبلي للجامع، ولعل السبب في ذلك الاسرائيليات التي انتشرت بين المفسرين ـ على أيام بنى أمية ـ بهدف تفضيل الشام على بقية المناطق الإسلامية، حتى جعلوا دمشق واحدة من مدائن أربعة، زعموا أنها من مدائن الجنة، وربما كان ذلك تمجيدا للمسجد الأموى، في وقت كان فيه عبدالله بن الزبير يتحصن بالمسجد الحرام في مكة المكرمة، وكان أهل الحجاز في شبه تحزب عام ضد بنى أمية، وربما أن المسجد الأموى كان في بادئ أمره كنيسة به قبور بعض قديسي أهل دمشق، فلما تحولت إلى مسجد، تحولت قبور قديسيها بعواطف الناس إلى قبور للأنبياء، وهنا لعبت السياسة دورها، فاستغلت عواطف الناس ـ أو قل عواطف السذج منهم ـ وضعاف الكتاب الأخباريين فجعلت منهم شيئاً يرجع في قدامته إلى أبعد العهود، وماأكثر ما لعبت السياسة هذا الدور في تاريخ الشرق الأدنى في كثير من عصوره. وهناك رواية أخرى تذهب إلى أن اليمن إنما كانت مكان دفن النبي هود، بينما رواية ثالثة إلى أنه دفن في حضرموت، في كثيب أحمر، عند رأسه سمرة، وأن هناك قرية تسمى حتى الأن قبر هود، أو في وادى برهوت على مقربة من مدينة تريم.

[85] يذكر ياقوت الحموى في كتابه (معجم البلدان): ''الأحقافُ: جمع حِقف من الرمل والعرب تسمي الرمل المعوج حقافاً وأحقافا واحقوقَف الهلال والرمل إذا اعوج فهذا هو الظاهر في لغتهم وقد تعسف غيره، وقال الضحاك الأحقاف جبل بالشام''. وعلى ذلك فالأصح أن يكون (الأحقاف) ـ موضع قوم عاد ـ الذي ذكر في القرآن الكريم هو أسم لجبل في منطقة الشام (أى شمال اليمن) !

[86] ذكرها المسعودى هنا (الخلنجان) والأصح هي (الخلجان)، وتعنى كلمة (الوهم) في قواميس اللغة العربية: العظيم من الرجال. وهي ترد غالباً، كتوصيف للأبل الذلول المنقادة مع (ضخم وقوة). والوهم كذلك الطريق الواسع (لسان العرب: مادة وهم). في هذه الحالة يصح الأفتراض أن اسم الملك (الخلجان بن الوهم) هذا، ربما كان لقباً لا إسماً لملك بعينه، ونحن نعلم أن الكثير من ملوك العرب القدامى عرفوا بألقابهم لا بأسمائهم مثل: المكرب، المنذر، الحارث، النعمان، وفضلا عن ذلك فإن الوهم بمعنى الضخم أمر يتلاءم وينسجم تماماً مع تصورات العرب عن شعب (عاد) بوصفه شعباً امتاز بالضخامة، وهي (حقيقة) شائعة لم نجد لها سنداً تاريخياً أو

ثلاث سنين فأجهدهم ذلك فوجهوا إلى (مكة) رجالا يستسقون لهم في الحرم. ولم تزل العرب تعظم موضع البيت، وكان موضعه بعد الطوفان ربوة حمراء، وأهله العماليق وسيدهم معاوية بن بكر، فقدم عليه وفد عاد للاستسقاء وفيهم قنبل بن عمرو ويزيد بن ربيعة، ونعيم بن هذال، ولقمان بن عاد، فقدموا ونزلوا على معاوية بن بكر وأقاموا عنده شهراً يأكلون ويشربون وتغنيهم الجرادتان وهم قينتان كانتا لمعاوية بن بكر، فلما طال أمرهم أشفق عليهم معاوية بن بكر لأنهم أخواله وخاف عليهم، فصنع شعراً لينبههم به ويحثهم على ما قدموا له، وأمر الجاريتين فغنيتاه:

ألا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يمطرنا غماما

فيسقى أرض عاد إن عاداً قد أمسوا لا يبينون الكلاما

اركيولوجياً، ولكنها مع ذلك تعبر عن تصور له دلالة خاصة، انظر: فاضل الربيعي، شبكة الأنترنت، الموقع

http://www .balagh .com/mosoa/sirah/tv٠u٥urn .htm، ونرى أن الخلجان اصلها (خلج) و(ان) زائدة للأضافة، وفي معجم لسان العرب مادة (خلج) :خَلَجَه يَخْلِجُه خَلْجًا جَذَبَهُ وَسَلَبَهُ وَانْتَزَعَهُ. وبحاجبه وعينه غمزه ورمز إليه بهما والشيء حركه. وخَلَجَت العين تَخلِج وتخلُج خُلُوجا طارت، وفي معجم محيط المحيط: مادة (الوهم): والوَهْم: العظيمُ من الرجال والجمال ، وقيل: هو من الأبل الذَّلولُ المُنْقادُ مع ضِخَمٍ وقوّةٍ ، والجمع أوهامٌ ووُهومٌ ووُهُمٌ وقال الليث: الوَهْمُ الجملُ الضخم الذَّلُولُ . وعلى ذلك يكون الخلجان بن الوهم هو نفسه شداد بن عاد الذي ذكر المؤرخون العرب أن مقبرته هي الهرم الأكبر، ويبدو أن هذا الملك كان له اسم ثالث وهو اسمه أو لقبه الأصلى وهو عبارة عن جزءين قام بعض المؤرخون العرب بترجمة الجزء الأول إلى الخلجان والجزء الثانى إلى الوهم وكتبوه في صيغة الخلجان بن الوهم وقام البعض الأخر بترجمة الجزءين معاً إلى شداد بن عاد، وهذا يعنى أن الخلجان بن الوهم معناه يشد أو يجذب بقوة وهو يكافئ في المعنى لفظ شداد!

تماماً مثلما فعلوا مع الاسم ذو وسر (فرعون) فترجموه إلى (الوليد بن مصعب)!

و أنــتم هــا هنــا فيمــا اشــتهيتم نهــــاركم ولـــــيلكم التمامـــــا

فقـــبح وفــدكم مـــن وفــد قـــوم ولا لقـــوا التحيـــة والســـــلاما

فانتبه القوم لما سمعوا الشعر ونهضوا يستسقون، فلما استسقوا نشأت لهم ثلاث سحائب بيضاء وسوداء وحمراء، ونودى قيل منها اختر لقومك قال البيضاء جهام قد فرغت ماءها، والحمراء ريح والسوداء غيث فاختارها فقيل قد اخترت رماداً رمدداً لا يبقي من (عاد) أحداً، لا والداً ولا ولداً. فدخلت الريح على (عاد) من واديهم، فأقامت سبع ليال وثمانية أيام حسوماً، والحسوم الدائمة حتى هلكوا عن آخرهم، وتهدمت ديارهم ولم يمنعهم جدار ولا جبل حتى هلكوا عن آخرهم، ولم يبق إلا رسمهم. و[روى أنه] لما استسقى وفدهم بـ (مكة)، ساروا في طريقهم فنودوا في طريقهم: إن (عاداً) قد هلكوا عن آخرهم، فاختاروا لأنفسكم، فاختار قيل أن يلحق بقومه، فسار نحوهم فلقيته الريح فأهلكته، واختار يزيد براً وصدقاً وكان مؤمناً بـ (هود) عليه السلام، فأعطى ما سأل .

واختار نعيم حياة ألف سنة لا يمرض ولا يهرم، ولا تصيبه حاجة فأعطى ما أختار، واختار لقمان عمر سبعة أنسر فأعطى ما اختار، وكان يأخذ النسر فرخاً يربيه حتى يهلك، ثم يأخذ عند هلاك ذلك فرخاً آخر، فيفعل به كذلك، حتى بلغ سبعة أنسر، وكان آخرها لبد، وقد ضربت العرب به الأمثال في أشعارهم قال الأعشى :

ألــــم تـــر لقمــــان أهلكـــه مـــا مـــر مـــن ســنة وشـــهر

وبقـــى نســـر كلمـــا انقرضـــت أيامــــه عـــادت إلـــى نســـر

مـــا مـــر مـــن أمـــد علـــى لبـــد وعلـــى جميـــع نســوره الســـمر

قـــد أبلـــت الأيـــام نضـــرته وأودعـــت لقمـــان فـــي القبـــر

وقال النابغة الذبياني :

أمست خلاء وأمسى أهلها انقرضوا   أخنى عليها الذي أخنى على لبد.

ولما قسم نوح عليه السلام الأرض بين بنيه جعل لسام وسط الأرض، والحرم وما حوله واليمن إلى حضرموت إلى عمان والبحرين إلى عالج إلى طرف بلاد الهند، وكان هذا كله مدنا وقرى وحصوناً وقصوراً ومصانع وبساتين يتصل بعضها ببعض، إلى أن سخط الله على قوم هود فأفسد كثيراً منها، وجعل الله في ولد سام النبوة والبركة، وجعل لـ حام بعض الشام ومصر إلى أعالى النيل وبلاد النوبة والبجة، وأصناف السودان مع البحر الأخضر إلى بلد الحبشة والهند والقوط والسند[87] .

وقسم لـ يافث بلاد الترك والصين، ويأجوج ومأجوج، والصقالبة والروم

---

[87](السندُ): بكسر أوله وسكون ثانيه واخره دال مهملة، بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان قالوا السند والهند كانا أخوين من ولد بوقير بن يقطن بن حام بن نوح يقال للواحد من أهلها: سندى والجمع سند مثل زنجب وزنج وبعض يجعل مكران منها ويقول هي خمس كور فأولها من قبل كرمان مكران ثم طوران ثم السند ثم الهند ثم المُلتان، وقصبة السند مدينة يقال لها: المنصورة ومن مدنها دَيبل وهن على ضفة بحر الهند والتُنيز وهي أيضاً على ساحل البحر فتحت في أيام الحجاج بن يوسف ومذاهب أهلها الغالب عليها مذهب أبى حنيفة ولهم فقيه يكنى بأبى العباس داوديُ المذهب له تصانيف في مذهبه وكان قاضى المنصورة، ومن أهلها والى السند ينسب أبو معشر تجيح السندى مولى المهدى صاحب المغازى سمع نافعا ونفراً من التابعين، قال أبو نعيم: كان أبو معشر سندياً وكان أنكن وكان يقول: حدثنا محمد بن كعب يريد كعب وفتح بن عبد الله السندى أبو نصر الفقيه المتكلم مولى لأل الحسن بن الحكم ثم عُتق وقرأ الفقه والكلام على أبى على الثقفى، وقال عبد الله بن سُوَيد وهو ابن عم رمتة أحد بنى شقرة بن الحارث بن تميم:

ألا هل إلى الفتيان بالسند مقدمي . .. على بطل قد هَزه القوم مُلجم

فلما دنا للزجر أوزعتُ نحوه . .. بسيف ذُباب ضربة المتلوم

شددت له كفي وأيقنتُ أننى . .. على شرَف المهوات إن لم أصمَم

والسند أيضاً ناحية من أعمال طلَبيرة من الأندلس، والسند أيضاً مدينة في إقليم فرَيش بالأندلس والسند أيضاً قرية من قرى بلدة نَسا من بلاد خراسان قريب من بلدة أبيورد.

وإفرنجة والأعبورة والأندلس إلى البحر المظلم، وسواحله. وجعل ليحطون صين الصين إلى بلاد الشحر إلى ناحية اليمن، فكثروا من كل جانب وانبسطوا إلى جهة بابل، وبورك فيهم فصاروا نيفاً من سبعين ألف بيت على خلق عظيم إلى أن ضرب بينهم إبليس، وكانت البلبلة فافترقوا .

وكان أول ملك منهم النمرود[88] الأول بن كوش بن حام، وكان أسود أحمر العينين مشوهاً في جبهته كالقرن، وكان أول أسود يرى بعد الطوفان، فكان من ولده لدعاء نوح عليه السلام على ابنه حام، وذلك أن نوحا عليه السلام نام فانكشفت عورته، فرآها حام فضحك ولم يغطه، وسكت يافث، ولم ينكر عليه فصاح سام عليهما، وعلم ذلك نوح فدعا على حام أن يكون ولده سودا مشوهين عبيداً لولد سام، ودعا على يافث أن يكون ولده عبيداً لبنى سام، وأن يكونوا أشرار الناس .

وكان حام من أجمل البرية وأتمهم كمالاً وأطيبهم ريحاً، فاجتنب امرأته أن يطأها خوفاً من دعوة أبيه، فلما مات أبوه غلبه ذلك على اعتقاده، فقرب منها فحملت بكوش بن حام وأخته، فلما رآهما حام فزع منهما، وأتى اخوته

---

[88] أخرج النمرود بن كنعان إبراهيم عليه السلام من مدينته وحلف أنه يطلب إله إبراهيم، فأخذ أربعة أفرخ نسور فربّاهن باللحم والخمر حتى كبرن وغلظن، فقرنهن بتابوت وقعد في ذلك التابوت فأخذ معه رجلا ومعه لحم لهن، فطرن به حتى إذا ذهبن أشرف ينظر إلى الأرض فرأى الجبال تدب كالنمل، ثم رفع لهن اللحم ونظر إلى الأرض فرآها يحيط بها بحر كأنها فُلك في ماء، ثم رفع طويلا فوقع في ظلمة فلم ير ما فوقه وما تحته، ففزع وألقى اللحم، فاتبعته النسور منقضّات، فلما نظرت الجبال إليهن وقد أقبلن منقضات وسمعن حفيفهن فزعت الجبال وكادت تزول ولم يفلع، وذلك قول الله تعالى (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) . وكانت طيرانهن من بيت المقدس، ووقوعهن في جبل الدخان. فلما رأى أنه لا يطيق شيئاً أخذ في بنيان الصرح فبناه حتى علا وارتقى فوقه ينظر إلى إله إبراهيم بزعمه وأحدث، ولم يكن يحدث، وأخذ الله بنيانهم من القواعد من أساس الصرح فسقط وبيلبلت الألسن يومئذ من الفزع، فتكلموا بثلاثة وسبعين لساناً، وكان لسان الناس قبل ذلك سُريانيّاً، ابن الأثير: (الكامل في التاريخ)، المجلد الأول، ص ١١٥.

فأخبرهما وقال لهما قلت لامرأتي هل شيطان أو أحد غيرى أتاك ؟ فقال إخوته هذه دعوة أبيك فاغتم لذلك وترك امرأته دهراً، ثم غشيها فولدت قوطا وتوأمته، فلما رأى ذلك هرب في البلاد وغاب فلم يدر أين يذهب، ولم يكن أشد تجبراً وتكبراً وعتواً من النمرود الأسود. وكان له بعض كهان فأتاه إبليس فقال له أنا كاهن من الكهان، ولم أر أحداً يعادلك في الكهانة وأنا معينك ومتمم أمرك، وجاعلك ملك الملوك، على أن تذبح لى ولدك قرباناً، وتصلى لى ثلاث صلوات فأقلدك وأكون معك، وأجعلك كاهناً كاملاً تاماً وأقيمك مقامي. ففعل ما أمر به فأمر إبليس الشياطين بطاعته، وليكون معه، ثم أتوه بولد سام فحاربهم وعاونه إبليس فقهرهم واستعبدهم، فانقادوا له وأطاعوه فبنى له إبليس قصراً وصفحه بالذهب المكللة بالجوهر تضيء ما حوله ودفع إليه سيفاً يتألق نوراً في رأسه ثعبان يمتد إلى من يومئ إليه فيقتله، فلما رأوا الناس ذلك أذعنوا له بالطاعة، ثم دعاهم إلى عبادته فأمر أن يبنى له صرحاً من الحجارة ومن الكلس فلم يبق أحد إلا عمل فيه وقال يكون حصناً لكم. وعاونته الأبالسة فبنى صرحاً عظيماً فبلغ ارتفاعه في الجو تسعمائة ذراع، ثم هندم أعلاه بأغرب بنيان وبنى فيه مجالس على أساطين غريبة، وكان عرض كل حائط من حيطانه الأربع ألف ذراع وما بين ذلك من الطبقات جعلها كلها مخازن وملأ جميعها من المال والطعام والشراب وجميع الآلات وكل ما يخاف أن يحتاج إليه يوماً من الدهر بما يقوم به هو وأهله مدة من الدهر طويلة، وجعل مجلسه أعلاه وأمر الناس أن يعبدوه. واتخذ صاحب خبره حبشياً بينه وبين الناس، فإذا رفع إليه أن أحداً امتنع عن عبادته أمر به فطرح من أعلى الصرح إلى أسفله. وزعم قوم أنه يكون على السحاب ويصعد إلى الفلك، وكان يركب عجلة منصوبة على ظهور الشياطين وينحدر منها إلى الأرض ففرق الناس منه وافتتنوا به وعبده كثير منهم، وعظم أمره. واتصل بـ سام أنه يريد قتله، وقد عزم عليه فأخرج سام الأسماء التي علمه نوح عليه السلام إياها، وقال له لا تدع بها إلا في مهم عظيم منها اسم الله الأعظم، وقال: اللهم أنت الداعى لعبادك وبعينك ما هم فيه وما

خرجوا من الفتنة إليه بغلبة هذا الجبار الذي قد استهوته الشياطين وانقيادهم له، وإن لم تغثهم ضلوا وهلكوا، وأنت أعلم بما يصلحهم، فاحقن دماءهم وامنع هذا الجبار منهم، وخذه بجريرته واكفنا أمره. فأمر الله عز وجل الرياح الأربع فأقبلت على ذلك الصرح من جوانبه فجعلته دكاً واتبع ذلك ظلمة شديدة ورجفة عظيمة تزعزعت لها الجبال، فنهض العالم على وجوههم لا يرى بعضهم بعضاً، ولا يدرون أين يتوجهون وضعفت ألسنتهم عن الكلام. وهلك اللعين عدو الله النمروذ، وهلك من كان يعبده، ومشى الناس في الظلمة هاربين ثلاثة أيام ثم لاحت لهم شعوب فيها نور يسير، فتشعب كل شعب فرقة هربت نحوه طلبا للنجاة، وتبع كل فرقة قوم يحثونهم، وهذا بلغة غير لغة الفرقة الأخرى، حتى خرجت كل فرقة إلى ناحية من الأرض وقد تبلبلت ألسنتهم وكثرت لغاتهم، فإذا وصلت فرقة منهم إلى موضع ناداهم مناد ''**هذا موضعكم الذي تكونون فيه فاعتمروا فيه وأثمروا**''. فخرج بنو سام لناحية اليمن إلى الشحر وحضرموت إلى آخر خط الاستواء، فمنهم العرب العاربة، وخرج بنو حام إلى السند والهند وبلاد أسوان ،وخرج بنو يافث إلى الشمال، فمنهم الروم والخزر والترك والصقالبة والأفرنج، ويأجوج ومأجوج. وخرج بنو يحطون إلى الصين الأقصى وأقاصي الشرق، فترك كل قوم في موضعهم وعمروه وتوالدوا فيه إلى اليوم .

ونذكر من أخبار آدم عليه السلام ما وقع إلينا في نقله بعض الخلاف، وفي ذكره فائدة. آدم خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته على ما تقدم ذكره، وأسكنه جنته بفضله، وأهبطه بذنبه إلى الأرض، وتاب عليه ، وعلمه جميع العلوم، وملّكه على الأرض، وكثر في جميع العالم منه أفاضلهم وأشرارهم وهو أول من صام وصلى وقرأ وكتب. وكان من أحسن المخلوقين وجها، وكان أمرد أجرد، وأنزل الله تعالى عليه إحدى وعشرين صحيفة، وتوفاه الله وهو ابن سبعمائة سنة وخمسون سنة، وكان عمره ألف سنة، فوهب لـ داود منها خمسين سنة لما عرضت عليه أعمارهم وصورهم فرأى عمر داود قصيراً.

وأوصى بعده إلى ابنه شيث، وكان فيه وفي بنيه النبوة والدين والعبادة والقيام بحقوق الله تعالى وشرائعه .

وأنزل الله تعالى على شيث تسعا وعشرين صحيفة، وكان مسكنه فوق الجبل وسكن ولد قابيل أسفل الوادى، وكان عمره تسعمائة سنة واثنتى عشرة سنة واستخلف ابنه أنوشا وكان عمره تسعمائة وخمسين سنة، واستخلف ابنه قينان وهو الذي كانت الوصية إليه وقسم الأرض بين بنى أبيه، فطاف وهو ابن تسعمائة وعشرين سنة، ودفع الوصية إلى ابنه هطيل وفي وقته بنيت الكعبة، وكان عمره ثمانمائة سنة وخمسا وتسعين سنة، وأوصى إلى ابنه يرد وعلمه وضع العلوم، وأخبره بما يجرى في العالم، ويحدث بنظره في النجوم، وفي كتاب سر الملوك الذي أنزل على آدم عليه السلام. وولد لـ يرد خنوخ وهو إدريس عليه السلام، وقد تقدم خبره مع يمحويل الملك ويقال إن يمحويل الملك بعث إلى أبيه أن يبعث إليه إدريس فامتنع، فوجه إليه جيشاً فمنعه منه أعمامه، وجميع ولد شيث فلم يصل إليه، ولم يكن بعد شيث وحى، حتى نبأ الله تعالى إدريس، وكان عمر يرد سبعمائة وخمسين سنة، ويقال إنه أول من استوقد واستعبد وغزا بنى قابيل، ونظر في علم الفلك، ووضع المكيال والميزان، وأوتى علم الطب والنجوم، وعلم الزيجات بحساب غير حساب الهند، وسأل ربه فأراه الصور الفلكية العالية. وكانت الأرواح تخاطبه، وعلم أسماء الصعود والهبوط فصعد وهبط، ودار [حول] الفلك وعرف أشكال النجوم ووقف على مسير الكواكب، وعرف كل ما يحدث في العالم، فزبره على الحجارة وعلى الطين، وزيد مع ذلك كل العلوم والصناعات، وكانت له قصص تطول مع ملك الموت ومات ثم عاش ونظر إلى النار ودخل إلى الجنة ولم يخرج عنها. ورفع على رأس ثلاثمائة سنة من عمره، وكان يقال له هرمس باسم عطارد، وعلم ابنه صابيا الخط فقيل لكل من كتب الخط بعده صابيا. وهو الذي أخبر بالطوفان، وما يحدث في العالم ودفع الوصية، والصحف إلى ابنه متوشلخ وأمر صابيا بمعونته، وكان صابيا قد بلغ مبلغا جليلا، وعاش متوشلخ تسعمائة سنة واثنتين

وثلاثين سنة .

وانتقلت الوصية إلى ابنه لمك فأخذ في البحث وجمع العلوم، وأقبل على بنى أبيه فجمعهم وأمرهم ونهاهم وحضهم على الجور لولد قابيل ونهاهم عن قربهم وعن الاختلاط بهم، وهو الذي رأى نارا خرجت من فيه، فأحرقت العالم.

ولما ولد له نوح عليه السلام والملك يومئذ درمشيل بن يمحويل بن خنوخ ابن يحمور بن قابيل بن آدم عليه السلام، وكان قد تجبر وقهر الملوك على ما تقدم، لكنا نعيد ذكره هنا لما ورد في هذا الخبر من الزيادة والاستقصاء.وكان إبليس قد استمال الملك ودعاه إلى عبادة الكواكب ودين الصابئة، وقال له هو دين أجدادك، فأجابه وعمل له الشيطان هياكل وأصناماً عبدوها. ويقال إنه لم يستخرج أحد من المعادن والجوهر واللؤلؤ والمرجان أكثر مما كان في وقت الدرمشيل، وكان شديداً على نوح والله تعالى يحفظه منه وعاش الملك ثلثمائة سنة. ونبأ الله تعالى نوحاً عليه السلام وهو ابن مائة وخمسين سنة وأرسله إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد الطوفان مائة سنة، وكان أول نبى بعد إدريس عليهماالسلام. وكانت شريعته التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج وجهاد الأعداء، فدعا قومه إلى الله تعالى وحذرهم عذابه، وكلما قام فيهم ودعاهم عنفوه وحذروه وأخفوا أمره عن الملك، وكان يحضر هياكلهم وبيوت أصنامهم، فإذا قال لهم قولوا لا إله إلا الله وإنى عبد الله ورسوله جعلوا أصابعهم في آذانهم وادخلوا رؤوسهم في ثيابهم تبرءا مما يقول. ولما قال لهم يوماً قولوا لا إله إلا الله وقعت الأصنام على وجوهها فقاموا إليه فضربوه حتى سقط على وجهه، وعرف الملك خبره فأحضره وقال له ما هذا الذي بلغنى عنك من مخالفتك لدينى وما عليه بنو أبيك وسبك لألهتنا ؟ وما هذا السحر الذي اسقطت به الأصنام عن كراسيها ؟ ومن الذي علمك ذلك ؟

فقال له نوح عليه السلام لو كانت آلهة كما تزعم ما سقطت، وأنا عبد الله ورسوله فاتق الله تعالى ولا تشرك به شيئاً، فإنه يراك. فأمر بحبسه إلى أن يحضر عيد الأصنام فيذبحه تقرباً إليه، وأمر برد الأصنام على كراسيها،

وإصلاح ما تغير منها، وحان العيد وقرب فنادى في الناس أن يجتمعوا ليروا ما يصنع به، فدعا عليه نوح عليه السلام فأصابه صداع في دماغ رأسه أذهب عقله، فأقام أسبوعا ثم هلك فحمل على سرير ذهب، وطيف به في هياكل الأصنام، وهم يبكون عليه ثم دفنوه، وشتموا نوحا ونالوا منه بألسنتهم كل قبيح. وولى الملك ابن الدرمشيل فأخرج نوحاً من حبسه، وزعم أنه مجنون وتقدم إليه ونهاه أن لا يعود إلى ذلك الفعل فأقام إلى أن اجتمعوا في بعض أعيادهم عكوفا على أصنامهم فخرج حتى أتى جمعهم فقال: قولوا لا إله إلا الله وإني عبد الله ورسوله، فتساقطت الأصنام وقاموا إلى نوح عليه السلام فضربوه وشجوه وسحبوه على وجهه، ثم أتوا به الملك فقال له الملك ألم أصفح عنك، وأسرحك من حبس أبي على أن لا تعاود ؟ فقال له إني عبد مأمور بما أفعله، قال ومن أمرك ؟ قال إلهي، قال ومن إلهك قال إله السموات والأرض وما فيها وخالق الخلائق أجمعين، قال وبماذا أمرك ؟ قال أدعو الناس إلى عبادته وحده، وأخلع الأصنام، وأعمل بما فرضه الله تعالى من الصلاة والزكاة والصيام قال فإن لم نفعل ما تقول، قال الأمر إليه إن شاء أهلككم وإن شاء أمهلكم، قال فاترك إلهك وما يريده وكف أنت عنا نفسك، قال ما ينبغى لى أن أكف ولا أقدر لأنى عبد مأمور، فأمر بحبسه إلى أن يتقرب به إلى الأصنام. فخرج على الملك سرنديب الكاهن الجبار، وكانت بينه وبينه حروب شغل بها عن أمر نوح عليه السلام وتشاءم بحبسه فأمر بتسريحه حتى يخلو له وجهه ثم صالح الكاهن على ناحية تركها له من عمله، وعاد إلى ما كان فيه من ملكه. وكان إبليس يحرضه على قتل نوح عليه السلام، ويزينه له فيمنعه الله تعالى منه وزاد أمر نوح عليه السلام، فوجه الملك إلى جميع ممالك الأرض ليوجهوا له كل كاهن، وكل عراف لمناظرة نوح عليه السلام فشخصوا إليه من الأفاق، فناظروه فغلبهم نوح عليه السلام بالحجة والبرهان. فآمن منهم الكاهن فيملون المصرى، واتبعه حتى دخل معه في السفينة، وأوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام أن اصنع الفلك بأعيننا، فقال كيف أصنعه ؟ فأهبط الله تعالى جبريل عليه السلام حتى أراه

إياها، وأمره أن يبنيها على مثل صدر البطة فأقام في عملها عشر سنين، وعملها من خشب الساج، وجعل طولها ثلاثمائة ذراع وقيل دون ذلك، وجعل ارتفاعها من الأرض خمسين ذراعاً، وجعلها ثلاث طبقات كما أمر. وكانوا يهزؤن منه ويضحكون، وكان الرجل منهم يأتي إليه بابنه الصغير فيحذره منه، وربما رماه الصبيان بالحجارة فآذوه، ولما فرغ من عمل السفينة جعل بابها في جنبها، وأقامت موضوعة على الأرض تسعة أشهر حتى حضر عيد لتلك الأصنام، فاجتمعوا إليه وقربوا إليه ثلاثمائة رجل ممن آمن بنوح عليه السلام، ذبحوهم بين أيديهم، فحق عليهم العذاب. وأمر الله تعالى نوحا عليه السلام أن يدخل في السفينة من كل زوجين اثنين، فقال يا رب من أين لى أن أجمع ذلك فأمر الله تعالى الرياح فحشرت إليه كل ما أراد، وأمر به فأدخل فيها من كل زوجين اثنين. وكانت السفينة ثلاث طبقات، فجعل الطبقة السفلى للبهائم والدواب والطير وجعل الوسطى لطعامهم، وجعل جسد آدم عليه السلام في تابوت فيها، وجعل العليا له ولمن دخل معه. وركب الملك إلى هيكل الأصنام فأقام فيها حينا، ثم مشى إلى السفينة، وقد علم بما شحنت فيه وعزم على حرقها، فلما وقف عليها قال يا نوح وأين الماء الذي يحملها ؟ قال هو يأتيك في مكانك هذا، وأمر الملك فرميت السفينة بالنار، فرجعت عليه وعلى أصحابه فأحرقت بعضهم، وفار الماء على ما تقدم ذكره، وفتحت أبواب السماء بالمطر وحيل بينهم وبين صعود الجبال، ولم يدروا أين يتوجهون، وكانت المرأة تحمل ولدها على عنقها، فإذا لجحها الغرق طرحته، فقيل لو رحم الله الكافر لرحم الصبى وأمه .

وقال أصحاب النظر في الكواكب سلمت ثلاثة مواضع، لم يدخلها الطوفان ونحن لا نقول بذلك، والفرس لعنهم الله لا يقولون بالطوفان ولا بنبوة نوح عليه السلام، ونحن لا نقول بقولهم، والهند يزعمون أنه لم يكن ببلدهم من الطوفان شيء وكذلك أكثر سكان جزائر والتجار يزعمون ذلك. وقيل إن السفينة أقامت في الماء ستة أشهر، ويقال إنها سارت شرقاً وغرباً وأتت موضع الكعبة، وكانت

معهم خرزة يعرفون بها الليل، ومواقيت الصلوات. ولما نزلوا من السفينة على ما تقدم ذكره أمرهم نوح عليه السلام بالزراعة وغرس الشجر، وتفقد الكرامة فلم يجدها، وسأل عنها فعرفه جبريل عليه السلام أن إبليس سرقها، لأن له فيها شركة فاقتسمها معه، فقال نوح أعطه منها الربع، قال لا يكفيه فزده، قال فأعطه النصف، قال لا يكفيه ولكن يكون لها الثلثان ولك الثلث، قال فنعم إذن قال فما طبخ من عصير الكرم بالنار حتى يذهب ثلثاه، كان حلالا لك ولذريتك، وما نقص من ذلك كان له، ولمن كان من أتباعه. وقال إبليس لـ نوح عليه السلام إن لك عندى يداً أرعاها لك قال وما مكافأتك ؟ قال وصية أوصيك بها، قال وما هي ؟ قال إياك والحسد والحرص والعجلة فإن الحسد حملنى على أن عصيت ربى، وغويت آدم حتى خرج من الجنة، والحرص حمل آدم وحواء حتى أكلا من الشجرة، فغضب الله عليهما، والعجلة التي حملتك على أن دعوت على قومك فأهلكتهم جميعاً .

ذكر عناق بنت آدم عليه السلام

نرجع الآن إلى ما يجب ذكره من بقية أخبار آدم عليه السلام، ولدت عناق بنت آدم مفردة بغير أخ وكانت مشوهة الخلق لها رأسان، وكان لها في كل يد عشر أصابع، لكل أصبع ظفران كالمنجلين الحادين، ذكرها على بن أبى طالب عليه السلام فقال: هي أول من بغى في الأرض، وعمل الفجور، وجاهر بالمعاصى واستخدم الشياطين، وصرفهم في وجوه السحر، وكان الله عز وجل أنزل على آدم عليه السلام أسماء تطيعها الشياطين، وأمره أن يدفعها إلى حواء فتعلقها على نفسها فتكون حرزاً لها، ففعل ذلك، وكانت حواء تصونها وتحتفظ بها، فاغتفلتها عناق وهي نائمة، فأخذتها واستجلبت الشياطين بتلك الأسماء، وعملت السحر، وتكلمت بشيء من الكهانة، وجاهرت بالمعاصى وأضلت خلقا كثيرا من ولد آدم عليه السلام، فدعا عليها آدم عليه السلام، وأمنت حواء فأرسل الله إليها في طريقها أسدا أعظم من الفيل فهجم عليها في بعض المغاور

فقتلها، ومـزق أعضـاءها، وأراح الله آدم وحـواء منهـا. ويقـول أهـل الأثـر: إن عوجاً[89] الجبار هو ولدها: وإن الطوفان لم يغرقه ولا بلغ ماؤه إلا بعـض جسـده، وإنه طلب السفينة ليغرقها فأعمـاه الله عنهـا، وعمـر إلى زمـان فرعـون، وقطـع صخرة على قدر عسكر موسى عليه السـلام وكـان في أكثـر مـن سـتمائة ألـف، وحملها على رأسه ليطرحـها عليهم، فأرسل الله في طريقه ذلك عليه طـيراً نقـر ذلك الحجر حتى ثقبـه، ونـزل مـن رأسه إلى كتفيـه فصـار رأسـه مضـغوطاً في الحجر فمنعه الرؤية، وتعذر عليه الحركة، وأمر الله تعالى موسـى عليـه السـلام بقتله، وكان لـ موسى أيد قوية، وكانت وثبته عشرة أذرع، وطول عصـاه مثلـها وطوله كثيراً فوثب إليه فلم يضرب بطرف عصاه إلا عرقوبه، فسقط لثقل الحجر فقتله ووافق سقوطه عرض النيـل، فأقـام كالجسـر يعـبر النـاس عليـه والـدواب كالقنطرة مدة طويلة، وفي حديث آخر أنهم جروه في خمسة أشـهر في كـل يـوم ألف ثور مقرنين بعجلات مع تعاونهم عليه في كل يوم نصف ذراع حتى طرحوه في بحر القلزم[90]، وقيل بل قطعوه قطعاً وجروه إلى البحر، وقيل إن سقوطه كـان

[89] (عوج) صارت في اليونانية = Agos,Ag رئيس، قائد.

[90] كلمة (القلزم) تعنى ابتلاع الشئ، تقلزمه إذا ابتلعه والتهمه، وبحـر القلـزم مشـتق منـه، وبـه سمى القلزم لالتهامه مَنْ ركبه، وهو المكان الذي غرق فيه فرعون وآله، قال ابن خالويـه القلـزم مقلوب من الزّلقم وهو البحر، والزّلقمة الأتساع . . .، انظر أحمد الـدبش: (موسـى وفرعـون في جزيرة العرب)، ص ١٠٣. ورد في لسان العرب، جـ٤، مادة (بحر): البحر المـاء الكثير، ملحـاً كان أو عذباً، وهو خلاف البر، سـمى بذلك لعمقه واتسـاعه . . إنمـا سُمى البحـر بحـراً لسـعته وانبساطه، ومنه قولهم إن فلاناً لبحر، أي واسع المعروف، وكل نهر عظيم بحـر، وكـل نهـر لا ينقطع ماؤه فهو بحر. (بحر القلزم): شعبة من بحر الهند أوله من بـلاد البربـر والسـودان الـذين ذكرنا في بحر (الزنج وعَدَن) ثم يمتد مغرباً وفي أقصاه مدينة (القلـزم) قـرب مصـر وبـذلك سـمى (بحر القلزم) ويسمى في كل موضع يمر به باسم ذلك الموضع فعلى سـاحله الجنـوبى بـلاد البربـر والحبش وعلى ساحله الشرقى بلاد العرب فالداخل إليه يكون على يساره أواخر بلاد البربـر ثـم الزيلع ثم الحبشة ومنتهاه من هذه الجهة بلاد البجاء وعلى يمينه (عَدنُ) ثم (المَنْدَب) وهو مضيق في جبل كان في أرض اليمن يحول بين البحر وامتداده في أرض اليمن فيقال: إن بعـض الملـوك القدماء قد دك الجبل بالمعاول ليدخل منه خليجاً صغيراً يهلك بـه بعـض أعدائـه فقـد مـن ذلـك

في صحراء مصر فترك في موضعه وردم عليه بالصخور والرمل حتى صار كالجبل العظيم .

ذكر أخبار الكهان من العرب

بلغ سطيح[٩١]من الكهانة ما لم يبلغه أحد، وكان يسمى كاهن الكهان، وكان

الجبل نحو رَمية سهمين أو ثلاث ثم أطلق البحر في أراضي اليمن فطفا ولم يكن تداركُهُ فأهلك أمماً كثيرة واستولى على بُلدان لا تحصى وصار بحراً عظيماً فهو يمرُ بساحله الشرقى على بلاد اليمن و(جدة) و(الجار) و(يَنبُع) و(مَدَين) مدينة شَعيب النبي صلى الله عليه وسلم و(أيلة) إلى (القلزم) في منتهاه وهو الموضع الذي غرق فيه قوم فرعون وفرعون أيضاً. وبين هذا الموضع وفُسطاط مصر سبعة أيام، ثم يدور تلقاء الجنوب إلى القُصَير وهو مرسى للمراكب مقابل قوص بينهما خمسة أيام ثم يدور في شِبه الدائرة إلى (عَيذاب) وأرض البجاء ثم يتصل ببلاد الحبش، فإذا تُخُيل الخليج الضارب إلى البصرة والخليج الداخل إلى القلزم كانت جزيرة العرب بين الخليجين يُحيطان بثلاثة أرباع بلاد العرب. انظر ياقوت الحموى: (معجم البلدان).

[٩١] في الأساطير العربية يتردد اسمان لشيطانين شهيرين في خرافات الجاهليين، أولهما (شق) الذي يقول عنه (الألوسى) في بلوغ الأرب: ‘‘ كان الشق بن أنمار بن نزار هذا شق إنسان له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة’’ ـ وقد قاتله علقمة بن صفوان بن أمية وضرب كل منهما صاحبه فخرا ميتين. والآخر هو (سطيح) وهو (مازن بن غسان)، وكان يدرج كما يدرج الثوب ولا عظم فيه إلا الجمجمة ـ كما يقول الألوسى (خان، الأساطير والخرافات . . . . ص ٨٢ـ٨٣)، والذي يهمنا من هذه الخرافة الجانب اللفظي . ألا نحس شيئاً من اسم (ست) (= شث، شد) في اسم (شق) هذا الذي تلمس الألوسى تفسيراً لاسمه في كونه (شِق) إنسان، أي نصفه ؟

أما الاسم الثانى (سطيح) (وقد نقرأه: سَطِيح، سُطَيْح، سُطَيح) فلأنه لا يبعد في جذره (س ط ح) عن اسم المعبود (ست) عند (الهكسوس) ــ وهم عرب ـ في صورة (س ت خ)، وكذلك في صورة (س ت ح) والحرف الأخير بين الحاء والخاء . (وهذه الأحرف في الهيروغليفية ساكنة دون حركات، وقد نحركها فتكون: (ستيخ)، (ستيح) = العربية (سطيح)، ولاحظ تفسير (بدج) و(برغش) بأن اسم (ست) يعنى: الأرضى، السفلى. وقارن العربية: (سطح) ودلالتها على الأرضية والسفلية . وفي اللسان أورد (ابن منظور) تحت مادة (سطح) حديثاً جديراً بالتمعن. قال: (وسطيح: هذا الكاهن الذئبي، من بنى ذئب، كان يتكهن في الجاهلية، سُمّى بذلك لأنه

يخبر بالغيوب والعجائب فقيل [أن] ربيعة بن نصر اللخمي رأى رؤيا هالته، فأمر بجمع الكهان وأصحاب القيافة والزجر، فلما حضروا عنده قال لهم إني رأيت رؤيا هالتني فأخبروني بها، فقالوا له قصها علينا نخبرك بتأويلها، فقال ما أطمئن إلى تأويلها إذا قصصتها عليكم، ولا أصدق في تأويلها إلا من عرفها قبل أن أقصها عليه، فقال له رجل منهم: لا يفعل ذلك ويوثق بقوله إلا سطيح الذئبي وشق اليشكري، فهما أعلم، فأرسل إليهما ليقدما عليك.

فقدم سطيح قبل شق، وكان اسم سطيح ربيع بن ربيعة من بني ذئب بن عدي ، فأكرمه ربيعة بن نصر، وقال له إني رأيت رؤيا هالتني، وأريد أن تخبرني بها وبتأويلها، فقال سطيح: أقسم بالشفق، والليل إذا غسق، والطارق إذا طرق، لقد رأيت حممة خرجت من ظلمة، فوقعت في أرض تهمة، فأكلت كل ذات جممة. قال صدقت فما تأويلها ؟ قال أحلف بما بين الحرتين من حنش، ليطأن أرضكم الحبش، وليملكن ما بين أبين إلى جرش .

قال ربيعة إن هذا لغائظ موجع، فهل في زماننا ؟ قال لا بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين، يمضين من السنين، ثم تقتلون بها أجمعين، وتخرجون منها هاربين، قال فمن بلى ذلك منهم ؟ قال غلام رحب الفطرة من آل ذى يزن، يخرج عليهم من عدن[92]، فلا يترك أحدا منهم باليمن .

كان إذا غضب قعد منبسطا فيما زعموا، وقيل: سُمّي بذلك لأنه لم يكن له بين مفاصله قصب تعمده فكان أبداً منبسطاً منسطحاً على الأرض لا يقدر على قيام ولا قعود، ويقال: كان لا عظم فيه سوى رأسه). و(سطيح) هنا ليس شيطاناً أو من الجن، كما عند الألوسي، ولكنه مع هذا (كاهن ذئبي) مما يقرب صورته من صورة (ست) (= س ت ح) الذئبية، وتفسير صفة (ذئبي) بأنه من (بني ذئب) محاولة تلفيقية كمحاولة تفسير اسمه (سطيح) تفسيراً (سطحياً) ـ كما نعبر في أسلوبنا الحديث، انظر د .على فهمي خشيم : (آلهة مصر العربية)، المجلد الأول، ص٤٤٣.

[92] (عدن) حبس الفراعنة ورجعت من حبوس الفاطميين. وقال الهنود: عدن حبس دس اسم جني له عشرة رءوس من جملتهم الغزال درسير وكان يسكن الجبل المنظر ويتفرج على رملة حقات وسكن بعده منومت حقات. وما أخرجهم منها إلا سليمان بن داود عليه السلام لمّا وصل

قال فما تصنع اليمن ؟ قال يملكها بعدهم أخطار من رجال أحرار، قال أفيدوم ذلك أو ينقطع ؟ قال بل ينقطع، قال ومن يقطعه ؟ قال نبى ذكى أمين قوى، يأتيه الوحى من قبل الواحد العلى: قال وممن هذا النبي ؟ قال من ولد غالب بن فهر بن مالك بن مضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر .

قال وهل للدهر من آخر ؟ قال نعم يوم انفطار السماء، والوقوف للجزاء، بالسعادة والشقاء، قال وأى يوم هو ؟ قال يوم يجمع فيه الأولون والآخرون، ويسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون. قال أحق ما تخبرنا به يا سطيح ؟ قال نعم والشفق، والغسق، والقمر إذا اتسق، أن ما أنبأتك به لحق .

ومن أخباره أيضاً: أنه كان لعبد المطلب بن هاشم ماء بالطائف، يقال له ذو الهدم، فادعته ثقيف فجاؤه فاحتفروه، فمنعهم عبد المطلب فعظم خصامهم، فنافرهم عبد المطلب إلى سطيح، فخرج عبد المطلب ومعه ابنه الحارث، وخرج معه جماعة من قومه، وخرج خصمه جندب بن الحارث في جماعة من ثقيف، فلما كان في بعض الطريق نفد ماؤهم فطلبوا إلى الثقيفيين أن يسقوهم فلم يفعلوا، فنزل عبد المطلب وأصحابه، وهم لا يشكون أنه الموت، ففجر الله عين ماء عذب من تحت جرار عبد المطلب فشربوا واستقوا وحمد الله عز وجل عبد المطلب وساروا على طريقهم فنفد ماء الثقيفيين فسألوا عبد المطلب أن يسقيهم ففعل فقال له الحارث: لأن أدخل سيفي في بطنى أخف على من أن أفعل ذلك !

أرض اليمن لأجل بلقيس لأن هؤلاء القوم المتقدم ذكرهم كانوا عفاريت. وما سميت عدن بعدن إلا بعدنان لمّا بناها سماها على اسم ابنه عدن. وما اشتق عدن إلا من عاد، ويقال أوّل من حبس بها رجل يقال له عدن فسميت به. قال ابن مجاور: وما اشتق عند إلا من المعدن وهو معدن الحديد. وتسمى عند الفرس اخرسكين وعند الهنود سيران وتسمى عند التجار يأكل صيده وتسمى حبس فرعون ومقام الجن وساحل البحر وتسمى عند الهنود هتام وعند الظرفاء سنداس لأن ما يرميه الإنسان في الازيب يرده الكوس إلى اللحادوس وتسمى فرضة اليمن وتسمى السوقة دار السعادة بدار بناها سيف الإسلام طغتكين مقابل فرضة، وتسمى الدار الطويلة بدار بناها أبن الحابين على محاذات الفرضة، وتسمى المنظر بدار بناها المعز إسماعيل بن طغتكين على جبل حقات، وتسمى عند التجار صيرة وحيدة. انظر ابن المجاور: (تاريخ المستبصر) .

قال له يا بني اسقهم فإن الكرم ثقيل الحمل، فسقاهم فساروا فقطعوا رأس جران فجعلوه في خرز مزادة، وعلقوه في جلد في عنق كلب لهم اسمه سوار، وكانت في عنقه قلادة لا تفارقه .

فأتوا سطيحاً فلما دخلوا عليه قالوا إنا أتيناك سائلين، قال فماذا تسألون ؟ قالوا نسأل عن شيء قد خبأناه، ونحتكم عندك في شيء وقع التخاصم بيننا فيه، فقال خبأتم رأس جران في خرز مزادة في عنق سوار ذى القلادة، قالوا صدقت فأخبرنا عما اختصمنا فيه إليك، قال أحلف بالضوء والظلم، والبيت ذى الحرم، أن الدفين ذا الهدم، لهذا العربي ذى الكرم، فانصرفوا وقد قضى لـ عبد المطلب .

ومن أخباره أن كسرى اجرويز لما رأى في نومه كأنه سقط من قصره ستة عشر شرفة ارتاع لذلك، فوجه إلى الموبذان فعرفه بذلك، وقال إن ذلك قد هالنى وأفزعنى، قال الموبذان: أيها الملك عسى أن يكون خيراً، وإنى أيها الملك كنت أرى البارحة أن النيران قد خمدت، وقلعت بيوتها وهلك سدنتها وقد أغمنى ذلك، وكنت عزمت على أن لا أخبر الملك حتى يوجه إلى فأتيته قال كسرى فما الداعى ؟ قال الموبذان قد بلغنى أن بأرض العرب كاهناً يقال له سطيح، يخبر بما يكون قبل كونه، فلو أرسل إليه الملك رسولاً يسأله عن ذلك، فلعله أن يخبره بالجواب فيه .

قال كسرى ومن لنا بحصيف ينفذ في ذلك ؟ وكان على باب الملك فيمن وفد عليه من العرب رجل، يقال له عبدالمسيح من رهط سطيح، فأشار به الموبذان على كسرى، فأحضره ولم يخبره بما رآه، وقال انطلق إلى سطيح، فاسأله عن رؤيا رأيتها، فإذا أخبرك بها، فاسأله أن يخبرك بتأويلها، فإذا أخبرك فارجع مسرعاً ولا تتخلف، قال أفعل أيها الملك، فأمر له بمال وجائزة، وحمله جائزة إلى سطيح. فركب عبد المسيح راحلته، ومضى مبادرا يقطع المفاوز والفيافى، حتى لحق مكان سطيح بعد أيام، فلما بلغ بيته وجده عليلا لما به فوقف عليه وسلم وجعل يرتجز ويقول ليسمعه :

أصم أم يسمع غطريف اليمن • يا فاصل الخطة أعيت من ومن من أبيات

قال سطيح: عبد المسيح، على جمل فسيح، أوفي على سطيح، وقد أشفي على الضريح، يسأل عن ارتجاج الأيوان، ورؤيا الموبذان، وخمود النيران، قال: فالتأويل يا سطيح ؟ قال: تنقضى أيامهم، وتنقطع آثارهم، وتملك العرب ديارهم، عند ظهور صاحب التلاوة، والقضيب والهراوة. قال: ومتى ذلك يا سطيح ؟ قال: إلى أن يملك منهم ملوك وملكات، على عدد الشرفات، وقبل ذلك ينقضى أمر سطيح ويواريه الضريح، ولا يصلح فيها قرار. وقد روى الكلام على غير هذا النوع وأكثر منه كلاما فرجع عبدالمسيح إلى كسرى، وقد دعى كلامه، فعجب كسرى وسره وقال: إلى أن يلى منا ستة عشر ملكا يكون سعة لدفع الهم، ولعل ذلك لا يكون.

فرأى الملك منهم تلك العدة في سنين قليلة حتى انقضى ملكهم في خلافة عثمان رضى الله عنه وقيل إن الرؤيا كانت ليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقال إن سطيحاً عاش أربعمائة سنة. وأما شق الأول، وهو شق بن حويل بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، فهو أول كاهن في العرب العاربة، وإرم أبو الجبابرة من عاد وثمود وطسم وجديس وغيرهم، ويقال إنه كانت له عين واحدة في جبهته، ويقال إنه [كان] يشق وجهه نار. ويقال إن الدجال من ولده، ويقال إنه هو الدجال بعينه، أنظره الله إلى وقته، وهو محبوس في بعض جزائر البحر .

وفي حديث تميم الدارى أنه خرج في بعض الأسفار فوقع إلى جزيرة، فرآه وخاطبه، وسأله عن ظهوره، وأنه وجده مغلولاً، مشدوداً إلى صخرة، وأن الشياطين تأتيه بما يأكله، على ما يقول. وفي خبر آخر أنه لا يحتاج إلى الغذاء، ورآه تميم الدارى، وله عين واحدة، وحدث بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يرويه عنه فيقول: حدثنى تميم الدارى، ويذكر طرفا من خبر الدجال. ويقال إن أمه امرأة من الجن عشقت أباه حويلاً، فتزوجته فأولدها الدجال وهو خوص بن حويل، وكان مشوهاً مبدلاً، وكان إبليس يعمل له

العجائب، فلما كان وقت سليمان عليه السلام دعاه فلم يجبه، فحبسه في جزيرة في البحر. وقيل إن أباه استهوته الشياطين لما كانت أمه منهم، وإنه من مدينة ماريول التي غلبت عليها الجن، وهي من مدائن المغرب، وأن الجن في طاعته. ويقال إن خوصاً هذا كان يحضر السارق فيأمره برد ما سرق، فإن فعل وإلا صار حية فيلتوى في عنقه فيقتله، وقيل إنه ربما خاطبهم ولا يرونه، وكان إذا حكم على أحد فلم يرض حكمه فضض أحدقته في إحدى عينيه فرده أعور. وقيل إن مجلسه كان في قبة بـ وادى برهوت في اليمن، وكانوا يحجون إليه، وقيل إنه لم ينم قط، وإنهم كانوا يرون فوق عينيه ناراً بيضاء، وكذلك عن الموضع الذي هو فيه مسجون أنه يعلوه بالليل نار مضيئة، وبالنهار دخان. وأما شق اليشكرى وكان حكيم العرب في الجاهلية، وقد كان ربيعة بن نصر لما رأى رؤياه وجه إلى شق وسطيح، فأتاه سطيح قبل شق، وكان من جوابه ما قدمنا ذكره في أخبار سطيح، فلما قدم عليه شق قال له: يا شق إني رأيت رؤيا هالتنى فما هي ؟ وكتمه قول سطيح، فقال له شق رأيت حممة، خرجت من ظلمة، فوقعت بين روض وأكمة فأكلت كل ذات نسمة، قال: صدقت فما تأويلها ؟ قال: أحلف بما بين الحرتين من إنسان، ليطأن أرضكم السودان، وليغلبن على كل طفلة البنان، وليملكن ما بين أبين إلى نجران .

قال: أيكون في زماننا هذا ؟ قال: بل بعده بزمان، ثم يستنقذكم عظيم ذو شان، قال: وممن هو هذا العظيم ؟ قال: غلام من بيت ذى يزن، فلا يترك أحداً منهم باليمن، قال: فهل يدوم ذلك ؟ قال: بل ينقطع برسول يرسل، يأتى بالعدل بين أهل الدين والفضل، يكون الملك فيهم إلى يوم الفصل، قال: وما يوم الفصل ؟ قال: يوم يدعى من السماء بدعوات، يسمع بها الأحياء والأموات، ويجمع الخلق فيه للميقات، يكون فيه لمن آمن الخير والخيرات، ولمن كفر الويل والترحات، قال: أحق ما تقول يا شق ؟ قال: أي ورب السماء والأرض، وما بينهما من رفع وخفض، أن ما أنبأتك به لحق محض، ما فيه كذب ولا نقض، فأجازه ربيعة بجائزة سنية، ووصله وصرفه .

خبر اليمامة الزرقاء

وهي صاحبة جو واليمامة، سميت بها، وصاحبة البحرين، وقيل إن أمها كانت كاهنة، وكان لها رئى من الجن وهي من جديس، وكانت جديس وطسم بمكان فغلبت طسم على جديس، وملك الجميع عملوق بن الطسم، وكان يفترع النساء قبل زواجهن، فاحتالت جديس عليه فقتلوه وقتلوا كثيراً من طسم فاستنصرت بقايا طسم بـ حسان بن تبع الحميرى، فغزا جديسا طالبا بثأر طسم، وكانت اليمامة الزرقاء وعينها الواحدة أكبر من الأخرى، فإذا أغلقت الكبرى أبصرت بالصغرى على الفراسخ الكثيرة والأمد البعيد، وقيل إنها كانت [ترى] فلك القمر، فتخبر عنه بأشياء عجيبة .

وقد كان اتصل بـ جديس استنصار طسم بـ حسان بن تبع الحميرى، فقطنوا وقالوا لليمامة: انظرى فنظرت، وقالت: أقسم بمهب الرياح، والأكام والبطاح، والمساء والصباح، ليأتين من حمير الرداح، والخيل والسلاح، فلا ترون من بعدها فلاح. فلما أصبحوا في اليوم الثانى قالوا لها: انظرى فنظرت، وكان حسان لما قرب من جو بأربعة أيام قال لأصحابه إن اليمامة ستراكم على البعد الكثير فتنذر بكم، فليحمل كل واحد منكم غصنا من شجرة أعظم ما يقدر عليه ليسدل أغصانه عليه وجوانبه، ففعلوا ذلك .

فقالت اليمامة لما رأت ذلك: يا جديس قد أتتكم الشجر، تخبط المدر، فاستعملوا منها الحذر فكذبوها، وقالوا لها: أتسير الشجر ؟ فلما كان في اليوم الثالث قالوا لها: انظرى، فنظرت فقالت: أرى رجلاً في كتفه كتف، أو نعل يخصفه. فكذبوها، وقالوا قد تغير نظرها، وكيف ترى على هذا البعد ما لم يتصل بنا خبره، فكان حسان يسير بالليل ويكمن بالنهار، إلى أن صبحهم فقتلهم أبرح قتل، وهدم منازلهم واستباح نساءهم. وأخذ اليمامة، وقال لها ألا عرفتيهم بمسيرى ؟ قالت: قد فعلت لو قبلوا، ونظر فرأى في عينها عروقا سوداء، فقال لها: بم كنت تكتحلين ؟ فقالت له: بحجر الأثمد، مربى بماء المطر. فقيل إنه قطع يدها ورجلها، وقلع عينها وصلبها، فيقال: إن رئيها من

الجن لطمه فأعوره، ومنعه النوم فلم يكن ينام .

وقد ذكرت الشعراء اليمامة فأكثروا، قال الأعشى يـذكرها في القصـيدة الـتي أولها: بانت سعاد فأمسى حبلها انقطعا. فقال يذكرها ونظرها:

ما نظرت ذات أشفار كنظرتها

حقا كما نظر الربى إذا شجعا

فكذبوها بما قالت فصحبهم

جيوش حسان تزجى الموت والسلعا

وإياها عنى :

وأحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت

إلى حمام شراع وارد الثمد

تحفه جانبا بير ويتبعه

مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد

قالت ألا ليتما هذا الحمام

إلى حمامتنا أو نصفه فقد

فحسبوه فألفوه كما حسبت

تسعا وتسعين لم تنقص ولم تزد

فكملت مائة منها حمامتها

وأسرعت حسبة في ذلك العدد

وقصتها في حديث الحمام مشهورة، وهذا هو القول الذي سجعت هي بـه: ليت الحمام ليه إلى حمامتيه أو نصفه قديه.

ذكر عجائب مصر وأخبار ملوكها وكهانه

لما ذكرنا الكهان وجب علينا أن نذكر كهنة مصر، لأنهم كانوا أعظم الكهـان

قدراً، وأجلهم بالكهانة علماً وكان حكماء اليونانيين يصفونهم بذلك[٩٣]، ويقولون أخبرنا حكماء مصر بكذا، واستفدنا منهم كذا وكذا، وكان هؤلاء ينحون في كهانتهم نحو الكواكب[٩٤]، ويزعمون أنها هي التي تفيض عليهم العلوم وتخبر

---

[٩٣] هذا الكلام يؤكد أن علم السحر والطلسمات الفرعوني لم يكن يعتمد على أعمال الشياطين أو الدجل والشعوذة، ولكنه كان يعتمد على نظريات وحقائق فلكية وفيزيائية وجيولوجية وتطبيقات هندسية وتجارب كيميائية وتكنولوجية صناعية، وما قاله مؤرخو العرب كالمسعودى والقريزى وابن عبدالحكم وابن إياس وابن ظهيرة وابن تغريبردى وغيرهم حول العلوم الفرعونية السحرية والتكنولوجيا الفرعونية، يتفق مع ما أعلنه وصرح به العلماء المعاصرون والباحثون الذين أكدوا أن السحر الفرعوني كان يعتمد على علوم فيزيائية وكيميائية وجيولوجية وبيولوجية ... وأن الفراعنة كان لديهم تكنولوجيا متطورة تفوق التكنولوجيا المعاصرة .

[٩٤] أما قوله إن الكهان كانوا ينحون في كهانتهم نحو الكواكب فيتعلمون منها أسرار الطبائع، ويزعمون أن هذه الكواكب هي التي تفيض عليهم بالعلوم، يستنتج منه أن كهنة (علماء) الفراعنة كان لديهم مراصد فلكية وهو ما أكدته الأبحاث الحديثة والبرديات الفرعونية التي أشارت إلى استخدام الهرم الأكبر كمرصد فلكي. وتعلمهم منها أسرار الطبائع أو أسرار الطبيعة (الفيزياء) والكون، يفيد تعلمهم ودراستهم للموجات والأشعة الكونية الصادرة من النجوم والكواكب والتي كان يطلق عليها العرب الكواكب بصفة عامة. بالإضافة إلى دراسة أحوال هذه الكواكب وتحركاتها ومساراتها وسرعاتها وكتلتها وأحجامها وطبيعة مادتها وكيفية تكونها وموتها ... إلخ فكل هذه المعلومات تندرج تحت وصف أسرار الطبائع أو أسرار الطبيعة أو أسرار الكون، كل ذلك يفيد أن الفراعنة كان لديهم مراصد فلكية وأجهزة رصد متطورة جداً. وقول المسعودى إن هذه الكواكب (النجوم والكواكب والشهب والنيازك والمجرات) كانوا يعلمون من خلال رصدهم ودراستهم لها أمور الغيب، لا يقصد منه الغيب الإلهي المتعلق بالأقدار كما يظن الغالبية العظمى من الناس، ولكن يقصد به الغيب الفلكى الكونى المنظور أو المرئى الذي يمكن رصده والتنبؤ به من خلال دراسة أوضاع الفلك وتحركات النجوم والكواكب والشهب والنيازك والمجرات ... والتي تؤدى التغيرات الناجمة عنها إلى وقوع مجموعة من الكوارث على الأرض كالفيضانات أو الطوفانات أو الأعاصير أو الزلازل أو البراكين، بالإضافة إلى ما يقع من تغيرات في الطقس والمناخ ودرجات الحرارة والرطوبة وفصول العام. هذا بالإضافة إلى التنبؤ بمواعيد الخسوف والكسوف، فهذه كلها أمور غيب ولكنها غيب علمي يمكن رصده والتنبؤ به من خلال علم الفلك والأرصاد الجوية. أما قوله إنهم استفادوا من خلال نظرهم في النجوم (دراستهم لأوضاع الفلك وأسرار

بالغيوب، وهي التي علمتهم أسرار الطبائع، ودلتهم على العلوم المكتومة فعملوا الطلسمات المشهورة، والنواميس الجليلة وولدوا الأشكال الناطقة [٩٥]، وصوروا الصور المتحركة [٩٦]، وبنوا العالى من البنيان، وزبروا علومهم من الطب في الحجارة، وانفردوا بعمل البرابى، وعملوا من الطلاسم ما نفوا به الأعداء عن بلادهم، وعجائبهم ظاهرة، وحكمتهم واضحة.

وكانت مصر خمسا وثمانون كورة منها بأسفل الأرض خمس وأربعون، ومنها بالصعيد أربعون وكان في كل كورة رئيس من الكهنة، وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قصة فرعون لما أشار عليه أصحابه، وقالوا: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ(٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧)﴾ [الشعراء] ، يريد هؤلاء الرؤساء. وكان الذي يتعبد منهم لكوكب من الكواكب السبعة المدبرة سبع سنين يسمونه ماهراً، والذي يتعبد منهم للكواكب السبعة لكل واحد منهم سبع سنين، فمن بلغ هذه المرتبة منهم سمى ناظرا [٩٧]، وصار يجلس مع الملك ويصدر الملك عن

الكون) ومعرفتهم لأسرار الطبيعة في عمل الطلسمات والبرابى والنواميس الجليلة وتوليد الأشكال الناطقة والصور المتحركة (مثل الصور التي تظهر على شاشات التليفزيون أو الصور التي يمكن تشكيلها في الفراغ الجوى من الأشعة والموجات المنتشرة في الغلاف الجوى كما كان سحرة فرعون يفعلون)، يفيد أن عمل الطلسمات والبرابى وتوليد الأشكال الناطقة والصور المتحركة كان بمثابة تطبيق علمى تكنولوجى للعلوم الفلكية والطبيعية (الفيزيائية) المتعلقة بأوضاع النجوم والكواكب وتحركاتها، وبالموجات والأشعة الكونية والكهرباء والمغناطيسية ... إلخ، التي عرفوا أسرارها من خلال دراستهم لمكونات الكون وأوضاع الفلك، انظر هشام كمال عبدالحميد: (تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة)، ص ٢٤٦ .

[٩٥] نرى أنه ربما يكون المقصود بالأشكال الناطقة هو الأجهزة الكهربائية مثل التليفزيون والراديو وما إلى ذلك!

[٩٦] ربما يكون المقصود بـ (الصور المتحركة) هو استخدام شاشات متصلة بكاميرات عن بعد أو متصلة بأقمار صناعية تنقل الصورة من مكان بعيد!!

[٩٧] في (نظر). جاء في (لسان العرب): " الناظر والناطور: حافظ الزرع والتمر والكرم . قال بعضهم: ليست بعربية . وقال أبو حنيفة: هي عربية .... وجمع الناظر: نُظّار ونُظراء . وجمع

النَاظر: نواطير . والفعل: النَظْر والنَطارة، وقد نَطَرَ، ينطر . ابن الأعرابي: النّطرة: الحفظ بالعين، بالطاء . قال: ومنه أخذ الناطور ". انظر مادة (نطر) في (اللسان). وأذكرك بيت المتنبي الشهير: نامت نواطير مصر عن ثعالبها • وقد بشمن ولم تفن العناقيد، وهو يعني حراسها. وفي لهجة عرب الشام يقال: انطرني، أي: أنْظِري (انتظرني)، ناطرك=ناظرك (منتظرك). ناطور = حارس. لقد كانت فكرة "الله God"في الأنكليزية، في موازاة= god إله ـ اصطلاحاً تشير عند المصريين القدماء إلى موجود خالق عليم "يرى" الأشياء كلها ويلحظها ويراقبها. ومن هنا جاءت كلمة (رع) r^c(بمعنى (الإله الأكبر) أو (الله) ــ في فترة من تاريخ مصر ـ وهي تقابل العربية: (رعا)، أي: (رأى). وكانت الشمس رمزه باعتبارها (عين الله) ؛ إذ تطلق كلمة (رع) على المعبود الخفي (رع ـ إمن) وعلى الشمس ذاتها أداة رؤيته لكل شئ. من هنا ترى أن (ن ت ر) ntr (كما كتبت اصطلاحاً) تكافئ (نطر العربية ومشتقاتها الكثيرة جداً التي منها (النطر)، (الناطر) وغيرهما مما لا يكاد يحصى. فإذا تأملنا، بعد هذا، دلالات اسمي (رع) و(ن ت ر) (اصطلاحاً) في المصرية لا نجدها تخرج عن: الرعاية، النظر، النطر . وهذه يكمل بعضها بعضاً، كما يكمل اسم (رع) اسم (ن ت ر) عند عرب مصر القدماء . المثير فعلاً أن يأتي هذان الأسمان في القرآن الكريم مقترنين، لا على أساس كونهما اسمين بل فعلين في مجال المماحكة الدينية، فقد ورد في التنزيل العزيز :﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُواْ وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) ﴾[البقرة]، ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً(٤٦) ﴾ [النساء]، ولسنا هنا، بالطبع، في مجال تفسير القرآن الكريم، ولانقول إنه كان يتحدث عن (رع) و(ن ت ر) (نطر). ولكن ما نستخلصه هو أن جذر الكلمتين واحد، جاء بمعنى واحد ليؤدى غاية واحدة. و(نطر) هي ذاتها (نظر) وهي في المصرية: (ن ت ر)، (ن ث ر)، (ن د ر)، (نذر) إلى آخر مارأينا من حروف تتعاقب لقر مخرج الصوت، كما تعاقبت الظاء والطاء في العربية (نظر)، (نطر) والدلالة واحدة. ويذكر (بدج) أن الأستاذ الألماني الشهير "برغش Brugsch " ذهب إلى أن مدلول (ن ت ر) يساوى مدلل الكلمة اليونانية "فوسيس phusis"أى: الطبيعة، أو (الفيزياء). وهذه تقابل اللاتينية "ناتوراnatura " ويضيف أن " المفهوم الفطرى أو الغريزى (الخِلقى) لهذه الكلمة يغطى تماماً المعنى الأصلى للكلمة اليونانية (فوسيس) واللاتينية (ناتورا) . فإذا كان الأمر كذلك فلا جدال في أن اللاتينية (ناتورا natura)هي المصرية (ن ت ر ntr)وهي ذاتها (نظر)، أو (نطر) العربية . ومن اللاتينية أخذت بقية الكلمات التي تعنى (الطبيعة) في اللغات الأوروبية الحديثة. فإذا مضينا قدماً في تتبع هذه الـ(ن ت ر) وجدناها في صورة " ن ث

رأيه، وإذا رآه قام إجلالاً له، وكان زيهم أن يدخل كل يوم إلى الملك فيجلس إلى جانبه فتدخل الكهنة، ومعهم أصحاب الصناعات فيقفون حذاء القاطر، وكل واحد من الكهنة منفرد بكوكب يخدمه لا يتعداه إلى سواه، ويسمى بعبد كوكب كذا، كما كانت العرب تسمي عبد الشمس، فيقول القاطر لأحد الماهرين أين صاحبك ؟ فيقول في البرج الفلانى في الدرجة الفلانية في دقيقة كذا، ويسأل الآخر في حذائه، حتى إذا عرف مستقر الكواكب، قال للملك ينبغى أن يعمل الملك اليوم كذا وكذا، ويأكل كذا وكذا، ويجامع في وقت كذا، ويقول له جميع ما يراه صلاحاً، والكاتب قائم بين يديه يكتب جميع ما يقول. ثم يلتفت إلى أهل الصناعات فيقول انقش أنت صورة كذا على حجر كذا، فمتى رسم على أهل الصناعات فيخرجون إلى دار الحكمة، فيضعون أيديهم في الأعمال التي يصلح عملها في ذلك اليوم، ويستعمل الملك جميع ما قاله القاطر، ويؤرخ جميع ما جرى من هذا وشبهه في ذلك اليوم في صحيفة، وتطوى وتودع في خزائن الملك فعلى ذلك جرت أمورهم. وكان الملك إذا أحزبه أمر بجمعهم بخارج مصر، ويصطف لهم الناس بخارج المدينة ثم يقدمون ركباناً، يتقدم بعضهم بعضاً، ويضرب بين أيديهم بطبل الاجتماع، فيدخل كل واحد منهم بأعجوبة، فمنهم من يعلو وجهه نور مثل نور الشمس فلا يقدر أحدهم النظر إليه، ومنهم من يكون على يديه جوهر أخضر وأحمر على ثوب من ذهب منسوج، ومنهم من

رntr " و" ن ت ر ntr " معجم (بدج)، صفحتى ٤٠٧، ٤٠٨) ويترجمها (بدج): نشادر، بخور، ينظف، يطهّر . وهي دخلت اليونانية في nitronو litronفليعد القارئ إلى ترجمة (ن ت ر) بمعنى: ينظف، يطهّر . وقد ذكر أن المصريين القدماء استعملا هذه المادة للتحنيط، وتبخير المومياءات كى تطهّر، من هنا جاءت بمعنى (بخور) ـ (قارن العربية: نَشْر. النَّشْرُ : هو البخور، أو الريح الطيبة) ـ أو لعلها كانت ترش على الأجساد المحنطة والمومياء (قارن العربية: نَشَر: رَشّ وذرّ، والنَّثْرُ: الرش) . ومهما يكن الأمر فإن الصلة بين عالم الموتى وعالم الألوهية وثيق، كما نعلم، ولقد استفاد المصرين كثيراً من دلالة اللفظ الأوحد على جملة مسميات مترابطة.

يكون راكبا على أسد متوشحاً بحيات عظام ومنهم من تكون عليه قبة من نور أو جوهر في صنوف من العجائب الكثيرة، إلا أن كل واحد إنما يصنع ما يدل عليه كوكبه الذي يعبده، فإذا دخلوا على الملك قالوا أرادنا الملك الأمر كذا، وأضمر الملك كذا، والصواب فيه كذا .

وكان بمصر القديمة واسمها أمسوس ملك كاهن يقال له عيقام[٩٨] من ولد عراب ابن آدم فتحكى أهل مصر عنه حكايات كثيرة تخرج عن العقل .

وكان قبل الطوفان وقد رأى في علمه كون الطوفان، فأمر الشياطين الذين تطيعه أن يبنوا له مكانا خلف خط الاستواء، بحيث لا يلحقه شيء من الآفات، فبنوا له القصر الذي [على] سفح جبل القمر، وهو قصر النحاس الذي فيه التماثيل من النحاس، وهي خمسة وثمانون تمثالاً، يخرج ماء النيل من حلوقها، وينصب إلى بطحاء مصر، فلما عمل له ذلك القصر أحب أن يراه قبل أن يسكنه، فجلس في قبة، وحملته الشياطين على أعناقها إليه[٩٩]، فلما رآه ورأى حكمة بنائه، وزخرفة حيطانه، وما فيها من النقوش وصور الأفلاك، وغير ذلك من العجائب، وكانت المصابيح تسرج فيه، وتنصب فيه موائد يوجد عليها من كل الأطعمة، ولا يرون من يعملها، وكذلك لا إنس به. وفي وسط القصر بركة من ماء جامد الظاهر ترى حركته من وراء ما جمد منه، وأشياء كثيرة من هذا المعنى، وإن كانت تنبو عنها العقول، فأعجبه ما رأى ورجع إلى

---

[٩٨] (عيقام) = (عنقام) بتعاقب حرفي النون والياء، وهذا الملك ذكره الإدريسي في كتابه (أنوار علوى الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام) باسم (عنقام) وهذا الاسم هو الأصح، و(عنقام) = (عنقاب) = (عنجاب) على أعتبار أن (ق=ج، م=ب)، و(عنجاب) = (عنج إب) هو أحد ملوك الأسرة الأولى، وفي معجم (لسان العرب)، مادة (عنق): وعَنَاق الأرض دابّة كالفهد أو نحو الكلب من الجوارح الصائدة ويقال لها القُفَة مفرد القُفهات وهي خبيثة لا تؤكل ولا تأكل إلا اللحم، أما (إب) فتعنى (قلب) . عربيته: (لب)، فيكون معنى (عنق إب): (قلب العنق)، تماماً مثلما حمل (ريتشارد) لقب (قلب الأسد)!!

[٩٩] لا يعقل أبداً أن تحمل الشياطين أنسياً، ولكن المؤكد أن الملك (عرباق) قد استقل طائرة نقلته إلى موضع قصره الجديد ولما رآه العامة مستقلاً الطائرة ظنوا أن ذلك من فعل الشياطين!

مصر فاستخلف ابنه عرباق وأوصاه بما يوجب له الملك وولده على مكانه، ورجع هو إلى ذلك القصر، وأقام به حتى هلك هناك. وإليه تعزى مصاحف القبط، التي فيها تواريخهم .

قونية[100] الكاهنة

وفي مصاحف القبط أنها كانت تجلس على عرش من نار، فإذا ما احتكم إليها الرجل، وكان صادقا، شق على النار حتى وصل إليها ولم تضره، وكانت تتصور عليهم في أشكال كثيرة من الصور، إذا شاءت، ثم بنت لنفسها قصراً واحتجبت فيه عن الناس، وجعلت حيطانه من نحاس مجوفة، وكتبت على كل أنبوب فيها من الفنون التي يتحاكم إليها فيه فكان الذي يتحاكم إليها يأتي إلى الأنبوب الذي كتب عليه ذلك الفن، فيتكلم بما يريده، ويسأل ذلك ما قصد له بصوت خافض غير عال، فإذا فرغ من كلامه جعل هو أذنه على ذلك الأنبوب، فيأتيه الجواب منه بكل ما يريده[101] فلم يزالوا مستعملين ذلك، إلى أن خرب بخت نصر البلد، وكان عرباق[102]بن عيقام الملك قد تكهن بعد أبيه وعمل

---

[100] (قونية) = (كونية) = (كون) + (ية)، ومن الجائز جداً أن (كون) مركبة من (ك +ون). فإن أصل (كينونة) حسب ابن منظور هو (كيونونة) = (ك ي + ون ون + ة). ولاحظ تعاقب الواو والياء في (كون) و(كيان) ـ (ك+ون) و(ك + ي ن) ـ وقارن الأكادية (كيانو = kay-yanu (كيان/كوْن)، لكن من العجيب أن نجد في اللغة النوبية حتى يومنا هذا كلمة (أُني une ومعناها: (عقل)، (حكمة). ويبدو أن الاسم (كونية) أصله من (كوّن) أي (التكوين) أو (التشكيل) وقد أكتسبته تلك الساحرة من أنها تتشكل في أشكال كثيرة من الصور.

[101] الحديث هنا عن الموسوعة الإلكترونية!!

و الطريقة هي استخدام آلة سماها المؤرخ العربي بـ (الأنبوب) وهي آلة بها (سماعة وميكروفون) معاً وعن طريقها يقوم المستخدم بالتحدث في الميكروفون ويطلب طلبا أو يسأل سؤالا ما، وبعد أن ينتهي من كلامه يضع السماعة على أذنه لتأتيه الإجابة الفورية على سؤاله أو طلبه!!

[102] و يذكر المقريزي في الخطط: " ... .فقام من بعد عيقام ابنه عرياق ويقال: أرياق بن عيقام ويقال له: الأثيم ". ونرى أن هناك خطأ في النقل من النسخ القديمة فهذا الملك مؤكد كان يقال له :(القديم) وليس (الأثيم)!

عجائب كثيرة، منها شجرة من صفر لها أغصان حديد بخطاطيف حادة، إذا تقرب الظالم إلى الملك تقدمت إليه تلك الخطاطيف، وتعلقت به وشبكت يديه، ولم تفارقه حتى يحدث عن نفسه بالصدق، ويعترف بظلمه، ويخرج من ظلامة خصمه.

ومنها صنم من صوان أسود سماه عبد أفرويس، أي عبد زحل، كانوا يختصمون إليه، فمن زاغ عن الحق ثبت مكانه، ولم يقدر على القيام حتى ينصف من نفسه، ولو أقام سنة أو أكثر. ومن كانت له حاجة منهم أو طلب شيئا عند ذلك الصنم، قام ليلا ونظر إلى الكوكب، فذكر اسم عرباق وتضرع، فيصبح وقد وجد حاجته على باب منزله. وكان ربما حملته أطيار عظام، وهو في مرتبته فيمر بهم وهم يرونه في الهواء فيزدادون له عبادة وهيبة، وربما علا على ناس منهم فملأ ماءهم من الأقذار، وسلط عليهم وحوش الأرض وسباعها وهوامها. وكان من كهانهم فيلمون، وقد ذكرنا خبره مع نوح عليه السلام، وكان منهم شيمون وهو الذي كان يوقد النار، ويتكلم عليها، فتطلع منها صورة نارية، وكانت الكهانة عندهم عمل المعجزات، ولم يزل هذا كاهنا إلى وقت فرعون[١٠٣] ملك مصر الذي كان الطوفان في أيامه، وكان يسكن الهرم المجوسي وكان هيكل الكواكب، وكانت في صورة الشمس والقمر تنطقان، وكان الهرم الثاني ناووساً لأجساد الملوك التي نقلها إليه سورند[١٠٤]، وفيه العجائب

وعلى ذلك يكون الاسم الصحيح هو (عرياق) والأصل من (العريق) أي (القديم) !!

تجدر الإشارة إلى أن أحد ملوك الأسرة الأولى ملك يدعى (وديمو) أو (أوديمو) والأصل من (أديم أي قديم، أ = ق)، والمؤكد أن المؤرخ العربي قام بتعريب (وديمو) أو (أوديمو) إلى (عرياق) ولم ينس أن يؤكد أن هذا الملك كان يقال له (القديم) أي (أوديمو) وليس (الأثيم) بالطبع!!

[١٠٣] يذكر القريزى أن ملك مصر في زمن الطوفان يدعى (فرعان بن مشور)، انظر تقى الدين المقريزى: (الخطط القريزية)، جـ١، ص ١٣٤، ولكن يبد واضحاً تأثر المسعودى بالتوراة التي ذكرت أن فرعون تعنى ملك مصر!!

و لمزيد من المعرفة حول معنى اللقب (فرعون) راجع كتابنا: فرعون وموسى، ص ١٢٥.

[١٠٤] الأصح هنا (سوريد) وليس (سورند)، و(سوريد) هو اسم باني الهرم الأكبر عند المؤرخين العرب القدامى، و(سوريد) أصلها من (سورد) وهي كلمة يونانية تعنى (الكبش)، و(الكبش) في

والتماثيل والمصاحف، وكان فيه التمثال الذي يضحك وكان من جوهر أخضر، وخزنوا ذلك فيه خوفاً من الغرق .

خبر الكهان بعد الطوفان

وأما خبر الكهان بعد الطوفان إلى خراب مصر فكثير، وأول من تكهن بمصر بعد الطوفان ابن فليمون كان قد ركب السفينة مع أبيه وأخيه وأخته وهي التي زوجها من ينصو بن حام، وهم الذين خرجوا إلى مصر وكانوا موحدين على دين نوح عليه السلام، ولم يكن اسم الكهانة عندهم عيباً، بل كان الكاهن كالحاكم الذي لا يعصى له أمر.

ذكر البودشير بن قفطويم الملك

وأول من تحقق بالكهانة، وغير الدين وتعبد الكواكب البودشير بن قفطويم بن ينصو بن حام، وكان ملكاً بعد أبيه، وذكره جميع الكهنة في مصاحفهم. فإنه كان من أجل كهانهم، وممن عمل النواميس العظام، وأقام أصنام الكواكب وبنى هياكلها. وتزعم القبط أن الكواكب خاطبته وأنه عمل عجائب كثيرة، منها أنه استتر عن الناس بعد سنين من ملكه، وكان يظهر لهم وقتاً بعد وقت مرة في كل سنة وهو وقت نزول الشمس في برج الحمل، ويدخل الناس إليه فيخاطبهم ويرونه، ويأمرهم بما يعملونه وينهاهم ويحذرهم مخالفة أمره، وكان يجلس لهم في بعض أوقات السنة فيخاطبهم عند دخولهم عليه، وينهاهم وهم لا يرونه. والمكان الذي يكلمهم منه غير خفي عنهم، ولا يعد منهم، ثم بنيت له قبة من فضة مموهة بالذهب وزخرف ما حولها، وكان يجلس لهم في أعلى القبة في صورة الوجه العظيم[100]، فيخاطبهم، بمثل ما كان يخاطبهم، وكان يجلس لهم

اللغة المصرية القديمة يعنى (خنوم) أي أن (سوريد) = (سورد) = (خنوم)، ويقول علماء الآثار أن بانى الهرم الأكبر (خنوم خوفوى) ويختصر اسمه إلى خوفو!

[100] في العبارة السابقة نستمع من هذا المؤرخ إلى وصف دقيق لأجهزة العرض السينمائية المتقدمة، الجهاز الأول موضوع داخل صالة سينمائية شبيهة بأحدث الصالات المستخدمة في

في أعلى السحاب بوجه في صورة إنسان عظيم، فأقام كذلك مدة ثم غاب عنهم فلم يروه. وأقاموا برهة ليس لهم ملك، إلى أن رأوا صورته في هيكل الشمس عند دخول الشمس الحمل، وأمرهم أن يقلدوا الملك لـ عديم بن قفطويم وأعلمهم أنه لا يعود إليهم، ففعلوا ذلك. وأما بديرة الكاهنة فإنها امرأة من أهل بيت الملك، يقال إنها أخت البودشير، وأنه ألقى إليها الكهانة فهي عملت أكثر الطلسمات والبرابى، وهي التي عملت القبطية الناطقة بمنف. وكانت الكهانة في أهلها وولدها يأخذونها كابراً عن كابر، وهي التي حكى المصريون عنها أنها عملت

الزمن الحالى، بل قد تكون أجمل وأفخم، فهي مصنوعة من المعادن الثمينة، أو أن جدران قاعة العرض أو صالة العرض السينمائى كانت مطلية ومزخرفة بالذهب والفضة . .. وتعلو هذا البناء قبة وضعت على جدارها الشاشة السينمائية، أي شاشة العرض السينمائى في هذه البناية كانت من النوع المحدب، وهي بهذا تكون مشابهة لأحدث الشاشات المستعملة في دور العرض السينمائى في الدول المتقدمة في وقتنا الحالى وهي من النوع الذي يطلق عليه حالياً اسم السينما المجسمة أو التي تظهر شخصيات الفيلم وأبطاله بصورة مجسمة، ولهذا السبب أطلق المسعودى على صورة الملك التي كانت تظهر على ما أطلق عليه تسمية الوجه الأعظم لأن وجه هذا الملك الكامن كان يبدو أكبر من الوجه الطبيعى، بسبب التكبير الذي يحصل عند عرض الأفلام السينمائية. أما الجهاز الثانى الذي تحدث عنه المسعودى فهو أكثر تقدماً وتطوراً وذو تقنية عالية تزيد بكثير عن الجهاز الأول . . إذ باستطاعة هذا الجهاز أن يظهر الصور السينمائية في الفضاء أو على ذرات الغبار المتعلقة بالجو، وقد اخترع الإنسان في عصرنا الحالى جهازاً مشابهاً لهذا الجهاز، وأطلق عليه تسمية (الصوت والضوء) ومن الغريب أن هذا الجهاز المتطور يستعمل حالياً في مصر، وفي منطقة الأهرامات في الجيزة، والغرض من استعماله حالياً هو إظهار مجموعة من الأفلام تبين كيفية بناء هذه الأهرامات من قبل المصريين القدماء . . والعرض حالياً يتم بطريقة مشابهة لتلك التي وصفها المسعودى، إذ تعرض الصور السينمائية على دقائق الغبار العالقة في الفضاء . .. نتساءل الآن . . هل ما وصلنا من عجائب عن الفراعنة و الذي نقله المسعودى وغيره من المؤرخين العرب القدامى هو حقاً ما سمي بالسحر ؟ أم هي مخترعات علمية متقدمة استعملها الإنسان في تلك الحقبة السحيقة من الزمن، دون أن يعرف ماهية عملها أو طريقة اشتغالها. ويستكمل المسعودى حديثه ويقول: إن صورة الملك هي التي كانت تظهر لهم وليس الملك نفسه. حقاً إنه تاريخ عجيب وأعجب منه هو الإنسان الذي صنع مفرداته، انظر فريد مجيد: (أسرار وخفايا الفراعنة)، ص٨٦.

طلسمات منعت الوحوش والطيور أن تشرب من النيل فمات أكثرها عطشاً. وأن الله تعالى أرسل إليها ملكاً فصاح بها صيحة ارتجت لها الأرض [و تشققت جبالها] فماتت من تلك الصيحة، ويقال إنها كانت تطير في الهواء والملائكة تضربها بأجنحتها إلى أن سقطت في البحر، وأما شؤون الأشمونى فيقال إنه هرمس الأول، الذي بنى بيت التماثيل الذي يعرف بها مقدار النيل الذي عند جبل القمر وعمل للشمس هناك هيكلين. وتحكى القبط عنه حكايات كثيرة، تخرج عن العادة، وتنكرها العقول، فكان يخفي عن الإنسان فلا يرونه وهو معهم، وهو الذي بنى الأشمون .

ذكر مدينة الأشمون

ويقال إنها مدينة في شرقي مصر كان طولها اثنى عشر ميلاً وجعل عليها حصناً بنى فيه قصراً عظيماً [و] الأعلام والملاعب. واتخذ في سفح الجبل مدينة يقال لها طهراطيس وجعل فيها من العجائب شيئاً كثيراً، وجعل لها أربعة أبواب من كل جهة باب واحد، وجعل على الباب الشرقى صورة عقاب وعلى الباب الغربى صورة نسر وعلى الباب الجنوبى صورة أسد وعلى الباب الشمالى صورة كلب وملك فيها الروحانيات وكانت تنطق إذا قصد إليها القاصد ولا يصل أحد إلى الدخول فيها دون استئذان الموكلين بها[106]وغرس فيها شجرة تحمل كل صنف من الفواكه[107]، وبنى مناراً طوله ثمانون ذراعا وعلى رأسه قبة تتلون في

---

[106] التماثيل الناطقة وعددها أربعة والتي وضعت على مداخل مدينة طهراطيس، هذه التماثيل أشبه بأجهزة الحراسة والأمن والتي لا تسمح لأى شخص بالدخول إلا بعد الإستئذان منها!!!

أى عن طريق إلقاء كلمة السر التي يتفوه بها الداخل إلى المدينة وعندئذ تتحرك التماثيل من أماكنها لتسمح للضيف بالدخول إلى المدينة!!

[107] لاشك أن هذا الشجر المولد الذي ينتج كل الثمار أو أنواعاً كثيرة من الفواكه كان شجراً غريباً مهجناً أو معدلاً وراثياً بطرق علمية متقدمة تشير إلى أن الفراعنة كانوا متقدمين في مجال الهندسة الوراثية، ولم ينصب اهتمامهم في مجالات التهجين والاستنساخ بالهندسة الوراثية على المجال الزراعى فقط بل امتد أيضاً إلى تطبيق هذه التقنيات على الحيوانات كما أشار المقريزى بكتابه

كل يوم لوناً حتى تنقضي سبعة أيام بسبعة ألوان ثم تعود إلى اللون الأول وتكسى المدينة ذلك اللون[108] وجعل حول ذلك موضع ماء فيه سمك كثير، وجعل حول المدينة طلسمات من كل صنف تدفع عن أهلها المضار. وكانت أيضا تسمى مدينة البوسق باسم الشجرة المنصوبة فيها .

أول من بنى الأهرام

كان سوريد بن فيلمون، وكان ملكاً على مصر قبل الطوفان بثلاثمائة سنة فرأى في منامه كأن الأرض قد انقلبت بأهلها، وكأن الناس يهربون على وجوههم وكأن الكواكب تتساقط، ويصدم بعضها بعضاً بأصوات هائلة مفزعة فرجف قلبه وأزعجه ذلك وأرعبه ولم يذكره لأحد، وعلم أنه سيحدث في العالم أمر عظيم. ثم رأى بعد ذلك، كأن الكواكب الثابتة نزلت إلى الأرض في صورة طيور بيض كأنها تخطف الناس، وتلقيهم بين جبلين عظيمين، وكأن الجبلين قد انطبقا عليهم، وكأن الكواكب النيرة مظلمة كاسفة، فانتبه أيضا مذعوراً فزعاً. فدخل إلى هيكل الشمس، وجعل يتضرع فيه ويمرغ خديه في التراب، ويبكي، فلما أصبح أمر رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر، وكانوا مائة وثلاثين، فخلا بهم وحكى لهم جميع ما رآه فأعظموه وأكبروه وتأولوه على أمر عظيم يحدث في العالم. فقال فيلمون عظيم الكهان، وكان فيلمون إذ ذاك

(القضايا والتجارب) ولا نعلم إن كانوا قد طبقوا هذه التقنيات على الإنسان أيضاً أم لا. انظر هشام كمال عبدالحميد: (تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة)، ص ٣٢٠ .

[108] أي كانت هذه القبة عبارة عن مصباح كهربائي يغير لونه كل يوم إلى لون من ألوان الطيف السبعة، وقد يكون هذا المصباح يعمل بالطاقة الشمسية وبطريقة إلكترونية، بحيث يمتص كل يوم لوناً من ألوان الطيف السبعة الصادرة من الشمس بتقنية ما يعيد بثه أو إشعاعه في الليل وهكذا كل يوم، أو قد يكون معداً ومركباً بطريقة ما مازلنا نجهلها تماماً فالاحتمالات كثيرة ولا مجال لذكرها جميعاً. انظر هشام كمال عبدالحميد: (تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة)، ص٣٢٠.

كبيرهم، وكان لا يبرح من حضرة الملك لأنه رأس الكهنة كهنة أشمون، وهي مدينة مصر الأولى، قال إن في رؤيا الملك عجباً، وأمراً كبيراً، وأحلام أهل الملك لا تجرى على محال ولا كذب لعظم أقدارهم، وكبير أخطارهم، وأنا أخبر الملك برؤيا رأيتها منذ سنة لم أذكرها لأحد من الناس. فقال له الملك: قصها على يا فيلمون، قال: رأيت كأني قاعد مع الملك على رأس المغار الذي في أشمون، وكأن الفلك قد انحط من موضعه، حتى قارب رؤسنا وكأن علينا كالقبة المحيطة بنا، وكأن الملك فيهما رافع يديه إلى السماء، وكواكبا قد خالطتنا في صور شتى مختلفة، وكأن الناس يستغيثون بالملك وقد انجفلوا إلى قصره، وكأن الملك فيهما رافع يديه إلى أن يبلغ رأسه، وأمرني أن أفعل مثل فعله، ونحن على وجل شديد إذ رأينا منه موضعا قد انفتح وخرج منه ضياء يضئ، ثم طلعت علينا منه الشمس فكأنا استغثنا بها فخاطبتنا بأن الفلك سيعود إلى موضعه إذا مضت له ثلاث وستون دورة. وهبط الفلك حتى كاد أن يلصق بالأرض ثم عاد إلى موضعه، فانتبهت فزعاً. فقال لهم الملك: خذوا ارتفاع الكواكب[109] وانظروا هل من حادث، فبلغوا غايتهم في استقصاء ذلك، فأخبروه بأمر الطوفان، وبعده بالنار التي تحرق العالم. فأمر الملك ببناء الأهرام، فلما تمت على ما دبروا حكمه، نقل إليها ما أحب من عجائبهم وأموالهم وأجساد ملوكهم، وأمر الكهان فدبروا فيها علومهم، وحكمهم وأشرف ولد حام القبط والهند هم الحكماء .

---

[109] قول السعودى أن كهنة الفراعنة كان بإمكانهم تحديد ارتقاع الكواكب فيفيد أن أجهزة رصدهم كانت تستطيع قياس المسافة بين الأرض وبين كل نجم أو كوكب وهذا لا يتأتى إلا من خلال أجهزة رصد متطورة ومتقدمة جداً. وأجهزة الرصد عندهم كما أكد السعودى وغيره من المؤرخين في مواضع مختلفة من كتابه كانت نوعاً من الطلسمات أيضاً، أي أنها كانت أجهزة إلكترونية تكنولوجية تستطيع تحليل الموجات والأشعة الصادرة من النجوم وقياس أطوالها وسرعاتها والمسافات التي قطعتها من لحظة صدورها من النجم أو الكوكب إلى وصولها للأرض، وبالتالى يتم من خلال ذلك تحديد المسافة بين كل نجم أو كوكب وبين الأرض. انظر هشام كمال عبدالحميد: (تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة)، ص ٢٤٧ .

ذكر ملوك مصر قبل الطوفان

ذكر بقراويس الملك

وكان أول من ملك مصر قبل الطوفان بقراويس[110] وذلك أن بنى آدم لما بغى بعضهم على بعض وتحاسدوا، وتغلب عليهم بنو قابيل ابن آدم تحمل بقراويس[111] الجبار بن مصريم بن مواكيل بن داويل بن عرباق بن آدم عليه السلام في نيف وسبعين راكباً من بنى عرباق جبابرة، كلهم يطلبون موضعا ينقطعون فيه عن بني آدم، فلم يزالوا يمشون حتى وصلوا إلى النيل فأطالوا المشى عليه، فما رأوا سعة البلد وحسنه أعجبهم، وقالوا: هذا بلد زرع وعمارة، فأقاموا فيه استوطنوه، وبنوا الأبنية والمصانع المحكمة .

وبنى بقراويس مصر، وسماها باسم أبيه مصريم تبركا به وكان بقراويس جبارا له قوة زائدة وبطش وكان مع ذلك عالما له رئى من الجن، فملك بنى أبيه، ولم يزل مطاعا في أمره، وقد كان وقع إليه من العلوم التي علمها درابيل لآدم عليه السلام، فقهر بها الجبابرة الذين كانوا معه. وهم الملوك الذين بنوا الأعلام، وأقاموا الأساطين العظام، وبنو المصانع الغريبة، ووضعوا الطلسمات العجيبة، واستخرجوا المعادن، وقهروا من ناوأهم من ملوك الأرض، ولم يطمع

---

[110] (بقراويس) = (بقرا) +(ويس)، (ويس) زائدة لغوية ويتبقى (بقرا) وهي نفسها (بقرة) وتسمى في اللغة المصرية القديمة (حتحور) !

و نرى أن الاسم الأصلى لهذا الملك هو (حتحور) قبل أن يقوم المؤرخ العربي بتعريبه!

و يبدو أنه بعد موت الملك (حتحور) قام المصريون بتخليده وقدسوه واعتبروه من الآلهة !

ولا وجود في قوائم الملوك الذين حكموا مصر لملك يسمى (حتحور) !!

[111] (بقراويس الجبار) ذكره المقريزى في الخطط باسم (نقراوش الجبار) وواضح أن الأصل هو (بقراويس) أما (نقراوش) فربما كانت من خطأ في النسخ ذلك لأن بقراويس (عند المسعودى) ونقراوش (عند المقريزى) كلاهما بنى في مصر مدينة أمسوس وحفر النيل حتى أجرى ماءه إليه ولم يكن قبل ذلك معتدل الجرى بل ينبطح ويتفرّق في الأرض حتى وجه إلى النوبة.

فيهم طامع، وكل علم جليل هو في أيدى المصريين، إنما كان من علوم أولئك، كانت مزبورة على الحجارة. فيقال إن فيلمون الكاهن الذي ركب مع نوح عليه السلام في السفينة هو الذي فسرها لهم، وعلمهم كتبها، وسنذكر خبرها في موضعه إن شاء الله عزوجل. ثم أمرهم بقراويس حين ملك ببناء سموها أمسوساً وأقاموا لها أعلاماً طوالاً طول كل علم منها مائة ذراع، وزرعوا وعمروا الأرض، وأمرهم ببناء المدائن، والقرى، وأسكن أهل كل بيت ناحية من أرض مصر. وهم الذين حفروا النيل حتى أجروا ماءه إليهم، ولم يكن قبل ذلك معتدل الجرى، وإنما كان ينبطح ويتفرق في الأرض، فوجه إلى النوبة جماعة حتى هندسوه، وشقوا منه أنهاراً إلى مواضع كثيرة من مدنهم التي بنوها. وشقوا منها نهراً إلى مدينة أمسوس يجرى في وسطها وغرسوا فيها عليه الغروس وكثر خيرهم وعمرت أرضهم، وتجبر بقراويس لما ملك قومه، وكان عظيمهم. وبعد عشرين ومائة سنة خلت من ملكه أمر باقامة الأساطين، وزبروا عليها علومهم .

ذكر دخولهم البلدة، وكيف خرجوا إليها ونزلوا بها وحروبهم لمن حاربهم من الملوك

ثم أمر ببناء قبة على أساطين مثبتة بالرصاص، طولها مائة ذراع، وجعل عليها مرآة زبرجد أخضر، قدرها سبعة أشبار ترى خضرتها على أمد بعيد .

وفي مصاحف المصريين أنه سأل الربئ الذي كان معه أن يعرفه فخرج [إلى شاطئ] النيل، فحمله حتى أجلسه على خلف خط الاستواء على البحر الأسود الزفتى [والنيل يخرج] مثل الخيوط حتى يدخل تحت جبل القمر، ثم يخرج إلى بطائح هناك. ويقال إنه بنى بيت التماثيل هناك، وعمل هيكل الشمس، ورجع إلى أمسوس وقسم البلد بين بنيه، فجعل لـ بقراوس الجانب الغربى، ولـ سوريد الجانب الشرقى، ولأبنه الأصغر وهو مصرام مدينة سماها يربيان، وأسكنه فيها، وأقام أساطين كثيرة، وشق إليها نهراً وغرس فيها غروساً. وعمل بـ

أمسوس عجائب كثيرة، منها طائر يصفر[112] كل يوم عند طلوع الشمس مرتين وعند غروبها مرتين، تصفيراً مختلفاً، يستدلون به على ما يكون من الحوادث، فيتأهبون لذلك، وأجرى لهم الماء على مجرى ينقسم منه على ثمانية وعشرين قسماً. وعمل في وسط المدينة صنمين حجرا أسود، إذا قدم المدينة سارق لم يمكنه أن يزول عنها حتى يهلك بينهما[113] فإذا دخل بينهما انطبقا عليه[114]، ولهذين الصنمين أعمال عجيبة غير هذا. وعمل ببربا صورة من نحاس مذهب على منار عال، لا يزال عليها السحاب يطلع، فمن استمطرها أمطرت عليه ما يشاء[115]،

---

[112] المقصود بالطائر الذي يصفر هنا هو جهاز إلكتروني ينبه الناس إلى شروق الشمس عن طريق إصدار صفارة عالية مرتين وكذلك تنبيه الناس مرة أخرى على غروب الشمس وذلك عن طريق إصدار صفارة عالية أيضاً مرتين ولكن بتصفير مختلف هذه المرة وذلك للتمييز بين الشروق والغروب !!

[113] يبدو أن السارق يعاني من التوتر وعندئذ يصدر من جسمه إشعاعات مختلفة يستطيع هذان التمثالان أن يستشعراها عند مرور السارق بينهما فيتحرك التمثالان معاً وينطبقان على السارق ليهلك بينهما!!

[114] ومن الأعمال المدهشة التي أنجزها (بقراويس) أنه صنع جهازاً شبيهاً بأجهزة الإنذار المستعملة في المباني والأماكن المهمة وتعمل عند دخول الأغراب إلى تلك الأماكن، إن لم يكن جهاز (بقراويس) أكثر فائدة وأعقد عملاً، الجهاز الذي صنعه (بقراويس) عبارة عن عقل ألكتروني، يحلل نفسية الناس ويسبر غور نفوسهم ويعرف أسرارهم بطريقة غير معروفة، قد تكون مثلا من خلال الذبذبة الكهربائية التي يقال أن الأجسام تطلقها عند مواقف معينة أو لأسباب معينة، وهذا الجهاز بعد أن يعرف هوية المار به يقوم فوراً بإصدار حكم الموت عليه وقتله بطريقة خاصة. انظر فريد مجيد: (أسرار وخفايا الفراعنة)، ص ١١٣.

[115] هذا الوصف هو وصف لجهاز لم يصل إليه العقل البشرى حتى الآن، والأعجب من هذا الجهاز هو عمل البرج المرتفع الذي يصل في علوه إلى مواقع سير السحب في أعالى الجو . إذ أن عمل مثل هذا البرج يعد أمراً صعباً في زمننا الحالى بالرغم من الإمكانات التقنية الهائلة التي نمتلكها فكيف بنى في تلك الأزمنة السحيقة من عمر الإنسان ! انظر فريد مجيد: (أسرار وخفايا الفراعنة)، ص ١١٤. وماقاله مؤرخو العرب عن قيام الفراعنة (سحرتهم أو علماؤهم) بتصنيع السحاب الصناعى ذكر مثله (إيفان كونج) في كتابه (السحر والسحرة عند الفراعنة)

فهلكت هذه الصورة في الطوفان .

وعمل على حدود بلدهم أصناما من نحاس مجوفة[116]، وملأها كبريتاً، ووكل بها روحانية النار، إذا قصدهم قاصد بسوء أرسلت تلك الأصنام من أفواهها ناراً فأحرقته. وكان حد بلدهم إلى ناحية الغرب مسافة أيام كثيرة عامرة بالقصور والبساتين، وكذلك في البحر، ومن الصعيد إلى بلاد علوة. وعمل فوق جبل

حيث ذكر أن إحدى الكتابات (بردية أو مخطوط) التي اكتشفت في مدينة (أكليليا) ورد بها أن الساحر المصرى (حرنوفيس) قام بإنقاذ جيوش (مارك أوريل) عندما حاصرها الأعداء وافتقرت إلى المياه خلال المعارك التي وقعت في مورافيا، حيث استطاع هذا الساحر (العالم) بسحره (بعلمه) أن يسقط الأمطار، وقد نعت هذا الساحر في المخطوطات بـ (كاتب المعبد في مصر). انظر هشام كمال عبدالحميد: (تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة)، ص ٢٨٩ .

ووردت في البرديات الفرعونية أنه في عهد رمسيس الثانى كان هذا الملك بفضل فاعلية مقدرته السحرية يستطيع أن يطلق الرعود (السحب الصناعية التي تسقط الأمطار) أو على العكس يستطيع أن يجعل الجفاف يخيم على دولة الحيثيين عن طريق ست إله الرعود والأمطار. وعقب (إيفان كونج) على ذلك بأن الساحر كان قبل كل شيء عالماً متخصصاً في العلوم الغامضة المبهمة. انظر إيفان كونج: (السحر والسحرة عند الفراعنة)، ترجمة :فاطمة محمود، ص ٦٩. والملاحظ أن نصوص البرديات توحى بأن الساحر كان يسقط الأمطار ويطلق الرعود ويحدث الجفاف ... إلخ بقدرات خاصة به وليس بقدرة الأجهزة والأدوات العلمية التي يصنعها ويخترعها كما أوضح مؤرخو العرب، فكانت بذلك النصوص العربية أدق وأوقع وأكثر موضوعية وعقلانية من نصوص البرديات ولعل هذا يرجع إلى أن عامة الناس وكاتبى البرديات كانوا يعتقدون وهماً وخداعاً أن كل ما يفعله الساحر نتيجة قدرات خارقة أمده بها الإله أو الشيطان أو الطبيعة وليس نتيجة علمه الذي يمكنه من صنع أدوات وأجهزة وأساليب علمية تظهره أمام الناس على أنه من أصحاب المعجزات الخارقة. انظر هشام كمال عبدالحميد: (تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة)، ص ٢٨٩ .

[116] من ضمن الأعمال التي أنجزها (بقراويس) بناؤه مبانٍ ومنشآت على حدود مصر تحوى أجهزة دفاعية، تطلق النار على من يحاول اجتياز تلك الحدود دون علم مالكها . . وهنا وصف مدهش لمدفع ذاتى الحركة، أي من النوع الأوتوماتيكى، يشبه في عمله أحدث الأسلحة المتطورة الحديثة، التي تعمل حالياً بوساطة الكومبيوتر، معتمدة على أجهزة الرادار. انظر فريد مجيد: (أسرار وخفايا الفراعنة)، ص١١٣.

بطرس منارا يفور بالماء ويسقي ما حوله وما تحته من المزارع وملكهم مائة وثمانين سنة. فلما مات لطخوا جسده بالأدوية المسكة، وجعلوه في تابوت من ذهب وعملوا له ناووسا مصفحا بالذهب، وجعلوه فيه وجعلوا معه كنوزاً لا تحصى كثرة ولا تحصر قيمة، ومن الأنواع النفيسة [من] الجوهر وتماثيل الزبرجد، وكثيراً من أكسير الصنعة المعمول المفروغ منه، ومن الذهب والأواني المعمولة من الذهب ما لا يحصى كثرة، ولا تعلم قيمته. وزبروا على البيوت تاريخ الوقت الذي مات فيه ملكهم، ثم جعلوا على ذلك كله طلسمات تدفع عنه الهوام والحشرات المفسدة، وصور كل طالب من الأنس والجن.

ذكر براوس الملك

ثم ملك بعده ابنه براوس الملك فتجبر وعتا وعلا أمره وبنى مدينة يقال لها جلجلة وجعل فيها جنة، وصفح حيطانها بصفائح الذهب والحجارة الملونة، وغرس فيها أصناف الفواكه والغروس تحفها الأنهار. وأمر بإقامة أساطين جعلها معالم، وكتب عليها جميع العلوم. وصور أصناف العقاقير بها، وزبروا عليها أسماءها ومنافعها. وكان له شيطان يعمل له التماثيل العجيبة فهو أول من عمل بمصر هيكلاً، وصور فيه صور الكواكب السبعة، وكتب على رأسه تجاربها. وما عملت من المنافع والمضار، وألبسها الثياب، وأقام للهيكل كاهناً وسدنة. وخرج مغربا حتى بلغ البحر المحيط، وعمل عليه أعمالاً، وبنى أساطين جعل على رؤوسها أصناماً تسرج عيونها كالمصابيح في الليل، ورجع على بلاد السودان إلى النيل. وأمر ببناء حائط على جانب النيل. وجعل على شرفها حجارة ملونة شفافة. وجعل في مدينة منها خزائن للحكمة[117]، وهي أول عجائب الأرض وأغربها، ففي إحدى هذه المدن صنم للشمس، الذي هو أعظم أصنامهم. وهي معلقة عليه في بيت شرفها وهو صورة إنسان جسده جسد طائر من ذهب أزرق

---

[117] يقصد هنا بـ خزائن الحكمة (الأهرام الثلاثة)!.

مدبر وعيناه جوهرتان صفراوان، وهو جالس على سرير مغنطيس[118] وفي يده مصحف من العلوم[119] وفيها صنم آخر رأسه رأس إنسان وجسده جسد طائر، ومعه صورة امرأة جالسة من زئبق معقود لها ذؤابتان، وفي يدها مرآة، وعلى رأسها صورة كوكب. وهي رافعة يدها بالمرآة إلى وجهها ومظهرة فيها سبعة ألوان من الماء السائل .لا تختلط ولا يؤذى بعضها لون بعض ولا يغيره، وفيها شيخ جالس من الفيروزج[120] بين يديه صبية جلوس كلهم من أصناف العقيق[121] والجوهر. وفي الخزانة الثانية[122] صورة هرمس وهو مكب ينظر إلى مائدة به يديه

---

[118](المغناطيس): قيل إنه حجر طبعه الحرارة واليبس، وأجوده اللازوردى، وقيل أجوده الأسود، وأجود أنواعه يأتى من بلاد الروم، أحسنه ماكان سريع الجذب.

[119]هذا الإنسان الذي له جسد طائر وفي يده مصحف من العلوم هو تمثال (حرمس) أو (هرمس) في اللغات الأجنبية.

[120](الفيروز Turquoise معناه (النصر) ولذلك يسمى حجر الغلبة ويسمى أيضاً (حجر العين) لأن حامله يدفع عنه شرها، لذلك يصنع من لونه حجر يعلق على الأعتاب والأبواب وقال عنه أرسطو (إنه ينقص من هيبة حامله). وقال ابن أبى الأشعث: (إن فيه تقوية للنفس). .. وقال ابن البيطار إن الفيروز حجر أخضر تشوبه زرقة ومنه ما يتفاضل في حسن المنظر، وهو حجر تصفو ألوانه مع صفاء الجو، و تكدر مع كدرته، وفي جسمه رخاوة، وأجود أنواع الفيروز هو الشرقى ذو اللون الأزرق الجميل، أما الفيروز المصرى فيميل إلى الخضرة، أما الأوروبى فأزرق ميال إلى الخضرة أو أخضر مزرق، فتعود قيمة الفيروز إلى لونه، وعلى ذلك تختلف قيمته حسب لونه وتفضل منه الألوان الزرقاء الغامقة التي تختلط بها خضرة قليلة مع غيرها من الأنواع الأخرى، ويفضل بعض المعجبين بالفيروز النوع الأزرق المخضر ويحصل على هذا اللون بعد مضى الوقت.

[121](العقيق Cornelian من أجمل الأحجار الكريمة، يتميز باحتوائه على طبقات مختلفة اللون، وقدعالج العرب العقيق بالنار كى يكسب لوناً أجمل، واستعمل هذا الحجر للأختام، وذكر القزوينى في (عجائب المخلوقات): (من تختم بعقيق لم يزل في بركة وسرور. . .) وقيل إن العقيق يبعد الفقر، ولدى الأوربيين القدماء اعتقاد أن من يضع عقيقاً في إزاره صدق حبه لمحبوبه، وقال التيفاشى أن العقيق خمسة أنواع على ألوان مختلفة وأجوده الأحمر، وقال ابن البيطار أحسن العقيق ما اشتدت حمرته وأشرق لونه.

[122] يقصد الهرم الثانى (هرم خفرع) !

من نشادر على قوائم كبريت أحمر، وفي وسطها مثل الصحفة من جوهر أحمر فيها شيء من الصنعة. وفيها صورة عقاب من زمرد أخضر، عيناه من ياقوت أحمر[١٢٣]، وبين يدية حية زرقاء من فضة قد لوت ذنبها على رجليه، ورفعت رأسها كأنها تريد أن تنفخ عليه، وفي ناحية منها صفة المريخ راكب على فرس بيده سيف مسلول من حديد أخضر، وفيها عمود من جوهر أخضر عليه قبة من ذهب فيها صورة المشترى وفيها قبة من اللازورد[١٢٤]على أربعة أعمدة من جذع أزرق، وفي سقفها صورة الشمس والقمر يتحدثان في صورتى رجل وامرأة، وقبة من كبريت أحمر فيها صورة الزهرة على صورة امرأة ممسكه بضفيرتها وتحتها رجل من زبرجد أخضر في يده كتاب فيه علم من علومهم، كأنه يقرؤه عليها.

وجعل في كل خزانة من بقية الخزائن من الأموال والجواهر والكنوز والحلى

---

[١٢٣] قال التيفاشي: الياقوت أربعة أنواع، أحمر وأصفر وأزرق وأبيض أما الأحمر(Ruby)منه فينقسم إلى أربعة أقسام الوردى وهو أحمر على لون الورد يتفاضل في شدة الصبغ إلى حد الوردية ويقل صبغة إلى أن يضرب إلى البياض، ثم البهرمانى وهو أحمر نقى حتى ينتهي إلى لون البهرمان أو العصفر ويقابل في الإنجليزية Almandine ruby ، والياقوت أصلب أنواع الجواهر، لا يخدشه منها إلا الماس، وهو أشد الجواهر صقالاً، وأكثرها ماء، وشعاعه في الليل تحت الضوء أحمر.

[١٢٤] حجر اللازوردLapis - Lazul ، طبعه البرد واليبس، ويجب أن يختار منه ماكان أزرق معتدلاً، ليس في الجيد منه خدوش أو تفتيت، أملس الجسم وله أشباه من الأحجار. واللازورد يؤتى به من بلاد العراق (الموصل) وبلاد الشرق. وتسمى بعض أنواعه بالسفير، حجر كريم، ويسمى كذلك العوهق أيضاً، وأصل السفير (لغة) صابيروس (ويلفظ بلا ياء قبل الواو) . قال الأب أنستاس ماري الكرملي (نخب الذخائر ص٩٣): يسمى بالأنجليزيةSapphire وباللاتينية Sapphirus وباليونانيةSapphereiros والكلمة سامية الأصل، واسمه بالعبرية سفير (بفتح السين وكسر الفاء المشددة) وبالعربية سفير أيضاً، وهو من سفر الصبح إذا أضاء وأشرق، تشبيهاً بضياء هذا الجوهر وإشراقه. واللازورد حجر رخو طينى، أجوده أشد إشراقاً، وأصفاه لوناً السماوى المائل إلى الكحلة. والمعروف أن اللازورد حجر أزرق جميل جداً كان المصريون القدماء يكثرون استعماله في حليهم ولعله أول حجر كريم تحلوا به كما يظهر من آثارهم.

ما لا يعد ولا يقدر قدره. وجعل على باب كل مدينة طلسما، يمنع دخولها في صور مختلفة[١٢٥]، لا يشبه بعضها بعضاً. وملا كل مدينة[١٢٦] بالجوهر النفيس والزبرجد[١٢٧] الخطير والذهب والفضة، والكبريت الأحمر، وأكسير الصنعة، وصنوف الأدوية المؤلفة، والسموم الفاتكة، وعلم كل باب منها بعلامة تعرف بها. وانفذ إليها خازناً تحت الأرض وجعلها من تحت جلجلة، وهي مدينته التي عمل فيها الجنة. وبين كل مدينة من تلك المدن الثلاث عشرون ميلاً، وبين الثلاث سبعة أميال. وكان له من مدينته إلى هذه المدائن أسراب تحت الأرض يصل منها إليها، وكذلك من بعضها إلى بعض. وصفات هذه المدائن وعجائبها في كل قرية بـ مصر على تلك الحجارة، وفي جميع مصاحفهم القديمة، وأكثر ذكرها في هياكل الكواكب خاصة، وقرئ في مصحف لبعض الكهان القدماء ذكر بقراوش الملك بكل ما ذكرناه، وأنه عمل مع ما ذكرناه عجائب كثيرة أزالتها الطوفان وركب هذه الرمال لزوال طلسماتها، فأقام بقراوش ملكا مائة سنة وسبع سنين، ثم مات فعمل له ناووس، وجعل معه من العجائب ما يطول ذكره.

---

[١٢٥] على باب كل مدينة طلسم، أي تمثال متحرك يقوم بدور أجهزة الحراسة، والأبواب لا تفتح إلا بكلمة السر وكل باب عليه جهاز حراسة أو تمثال مختلف عن الأبواب الأخرى ولكل باب كلمة سر مختلفة خاصة به!!

[١٢٦] يقصد بـ (كل مدينة) أي كل هرم من الأهرامات الثلاثة!

[١٢٧] يعرف الجواهريون الزبرجد بأسماء ثلاثة هي Chrysobite,Peridot,Olivine والزبرجد كلمة عربية شامية الأصل، مشتقة من الزبردج أو الزبرقة وهي صبغ بحمرة وصفرة . وقد اختلف علماء الجواهر في تمييز الزبرجد عن الزمرد وخلطوا كثيراً بينهما، ولم يفرق اللغويون بينهما أيضاً. ومن هنا نرى الفرق. قال التيفاشي: (إن الفارابى قال: الزبرجد تعريب الزمرد) . ونحن لا نؤيد ذلك، بل الزبرجد نوع آخر من الحجارة وقد يكون من أنواع الزمرد. والزبرجد منه أخضر مغلوق اللون ومنه أخضر مفتوح اللون معتدل الخضرة حسن المائية رقيق المستشف ينفذه البصر بسرعة وهو أجود أنواعه وأثمنها.

ذكر مصرام بن بقراوس الملك

وولى بعده ابنه مصرام الملك بن بقراوس، فبنى للشمس هيكلاً من المرمر وموهه بالذهب، وجعل في وسط الهيكل كالفرس من جوهر أزرق عليه صورة الشمس من ذهب أحمر، وأرخى عليه وعليها حلل الحرير الملون، وأمر أن يوقد عليها بطيب الريحان، وجعل في الهيكل قنديلاً من الزجاج الصافي، وجعل فيه حجراً مدبراً يضيئ أكثر مما يضيئ السراج[١٢٨]، وأقام له سدنة، وعمل أربعة أعياد في السنة. وقيل إن مصر سميت به، وسمي به مصريم بن حام بعد الطوفان، لأنه وجد اسمه مزبوراً على الحجارة. وكان أفليمون الكاهن يخبرهم بأخبار هؤلاء الملوك، وكان مصرام هذا قد ذلل الأسد في وقته، وكان يركبه، وصحبه الجنى الذي كان مع أبيه، لما رأى من حرصه على لزوم الهياكل، والقيام بأمر الكواكب. وأمره أن يحتجب عن الناس، وألقى على وجهه نوراً شديداً لا يقدر أحد على النظر إليه. وادعاه إلهاً، واحتجب عن الناس ثلاثين سنة، واستخلف عليهم رجلاً من ولد عرباق، وكان كاهناً. ويقال إن مصرام لما ركب في عرشه، وحملته الشياطين حتى انتهي إلى وسط البحر، فجعل له فيه القلعة البيضاء، وجعل عليها صنماً للشمس، وزبر عليه اسمه وصفة ملكه. وجعل صنماً من نحاس وزبر عليه "**أنا مصرام الجبار، كاشف الأسرار، الغالب القهار، وضعت الطلسمات الصادقة، وأقمت الصور الناطقة، ونصبت الأعلام الهائلة، على البحار السائلة، ليعلم من بعدى انه لا يملك أحد ملكى**".

وكل ذلك في أوقات السعادة، وقد كان عمل في جنته شجرة مولدة، تؤكل منها جميع الثمار[١٢٩].وعمل فيها قبة من زجاج أحمر على رأسها صنم يدور مع

---

[١٢٨] أي أن القنديل معالج كيميائياً أو ذرياً أو مصنّع بتقنية هندسية وفنية ليضيئ أكثر مما يضيئ السراج. انظر هشام كمال عبدالحميد: (تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة)،ص٣٢٠.

[١٢٩] لم يصل العقل البشرى ونحن في القرن الحادى والعشرين لتهجين أي أنواع من الأشجار لكى تنتج لنا في النهاية جميع أنواع الثمار!!

الشمس، ووكل بها الشياطين إذا اختلط الظلام أن لا يخرج أحد من ملكه إلا هلك. وهو أول من عمل الحمام، وأحب أهل مصر أن يروه فسألوا خليفته ذلك، فأمرهم أن يجتمعوا في مجلس عال كان له، فاجتمعوا وجلسوا عنده، فظهر لهم في صورة هالتهم، ملأت قلوبهم رعبا، فخروا له على وجوههم ودعوا له فأمر بإحضار الطعام والشراب فأكلوا وشربوا ورجعوا إلى مواضعهم، ثم لم يروه بعد ذلك وبلغ في كهانته إلى ما لم يبلغه أحد من آبائه وأجداده .

ذكر عيقام الملك

وملك بعده عيقام الكاهن، فعدل فيهم، وعمل مدينة عجيبة قرب العريش وجعلها لهم حرماً، وعمل لهم طلاسم عجيبة وعجائب كثيرة، وقيل إن إدريس عليه السلام رفع في وقته ولم يطل عمره. وملك بعده ابنه عرباق بن عيقام فتجبر وأقبل على صيد السباع والوحش وعمل عجائب. منها أنه عمل شجرة من حديد ذات أغصان، ولطخها بدواء مدبر[130]، فكانت تجلب كل صنف من السباع والوحش إليها، فيتمكن من صيدها كيف شاء. وفي كتب المصريين أن هاروت[131]وماروت كانا في وقته بـ مصر، فعلما أهل مصر أصنافاً من السحر،

ولاشك أن هذا الشجر المولد الذي ينتج كل الثمار أو أنواعاً كثيرة من الفواكه كان شجراً غريباً مهجناً أو معدلاً وراثياً بطرق علمية متقدمة تشير إلى أن الفراعنة كانوا متقدمين في مجال الهندسة الوراثية، ولم ينصّب اهتمامهم في مجالات التهجين والاستنساخ بالهندسة الوراثية على المجال الزراعي فقط بل امتد أيضاً إلى تطبيق هذه التقنيات على الحيوانات كما أشار لذلك المسعودى بكتابه (القضايا والتجارب) ولا نعلم إن كانوا قد طبقوا هذه التقنيات على الإنسان أيضاً أم لا. انظر هشام كمال عبدالحميد: (تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة)، ص ٣١٩ .

[130] الشجرة الحديدية ذات الأغصان هي عبارة عن جهاز يقوم بـ بإنتاج روائح معينة (أو ذبذبات ذات تردد معين) وتنشرها في المنطقة التي توجد بها الشجرة والتي من شأنها أن تجذب كل صنف من السباع والوحوش إليها فيتم صيدها والإمسك بها بسهولة !!

[131] يذكر الأستاذ/رؤوف أبوسعدة (من اعجاز القرآن)، جـ١، ١٩٦، بتصرف: ليس في التوراة والأنجيل (هاروت وماروت) ولاذكر في قصص أهل الكتاب لفتنة هاروت وماروت في بابل على

فنقلا بعد الطوفان إلى أرض بابل[١٣٢] وتعلم عرباق من علمها. فاحتالت عليه امرأة

نحو ما يقصه القرآن :﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ(١٠٢)﴾ [البقرة]، ولم تأت (هاروت) و(ماروت) و(بابل) في كل القرآن إلا مرة واحدة فقط، هي هذه الأية، إن العلمين (هاروت) و(ماروت) إنما جاء بهما القرآن على أصلهما في العربية الأولى. وقد جاء بهما القرآن على زنة المبالغة (فعلوت)، كما تجيء (طاغوت) من (طغى)، (جالوت) من (جلا)، (طالوت) من (طال). إنهما على الراجح عندى تعريب على التفسير من الهُراء والمرية، أو الهَرْءِ والمَار (أى القَطْعُ والأفساد)، تسمية بذلك (العلم) الذي علماه الناس في بابل، وكانت الفتنة التي تعرفا بهما للناس :﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ(١٠٢)﴾ [البقرة].

[١٣٢] روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل دهقان الفلوجة عن عجائب بلادهم فقال كانت بابل سبع مُدُن في كل مدينة أعجوبة ليست في الأخرى فكان في المدينة التي نزلها الملك بيت فيه صورة الأرض كلها برساتيقها وقُراها وأنهارها فمتى التوى أحد بحمل الخراج من جميع البلدان خرق أنهارهم فغرقهم وأتلف زروعهم وجميع ما في بلدهم حتى يرجعوا عن ما هم به فيسد بأصبعه تلك الأنهار فيسد في بلادهم، وفي المدينة الثانية حوض عظيم فإذا جمعهم الملك لحضور مائدته حمل كل رجل ممن يحضره من منزله شراباً يختاره ثم صبه في ذلك الحوض فإذا جلسوا للشراب ضرب كل واحد شرابه الذي حمله من منزله، وفي المدينة الثالثة طبل معلق على بابها فإذا غاب من أهلها إنسانٌ وخَفِيَ أمرهُ على أهله وأحبوا أن يعلموا أحى صاحبهم أم ميت ضربوا ذلك الطبل فإن سمعوا له صوتاً فإن الرجل حى وإن لم يسمعوا له صوتاً فإن الرجل قد مات، وفي المدينة الرابعة مرآة من حديد فإذا غاب الرجل عن أهله وأحبوا أن يعرفوا خبره على صحته أتوا تلك المرآة فنظروا فيها فرأوه على الحال التي هو فيها، وفي المدينة الخامسة إوَزّةٌ من نحاس على عمود من نحاس منصوب على باب المدينة فإذا دخلها جاسوس صوت الأوزة بصوت سمعه جميع أهل المدينة يعلمون أنه قد دخلها جاسوس، وفي المدينة السادسة قاضيان جالسان على الماء فإذا تقدم إليهما الخصمان وجلسا بين أيديهما غاص المبطل منهما في الماء، وفي المدينة السابعة شجرة من نحاس ضخمة كثيرة الغُصون لا تظل ساقها فإن جلس تحتها واحد أظلته إلى ألف نفس فإن زادوا على الألف ولو بواحد صاروا كلهم في الشمس. قلت وهذه الحكاية كما ترى خارقة للعادات بعيدة من المعهودات ولو لم أجدها في كتب العلماء لما ذكرتها وجميع أخبار الأمم

من المغصوبات فسمته فهلك وبقي مدة لا يعرف خبره، وكان رسمه إذا خلا بالنساء لا يقربه أحد. فلما تأخر خبره عن الناس هجم عليه فتى من بني بقراوس يقال له لوحيم[١٣٣] ومعه نفر من أهله، فوجدوه ملقى على فراشه جيفة،

القديمة مثلُهُ والله أعلم. دينة التي نزلها الملك بيت فيه صورة الأرض كلها برساتيقها وقُراها وأنهارها فمتى التوى أحد بحمل الخراج من جميع البلدان خرق أنهارهم فغرقهم وأتلف زروعهم وجميع ما في بلدهم حتى يرجعوا عن ما هم به فيسد بأصبعه تلك الأنهار فيسد في بلادهم، وفي المدينة الثانية حوض عظيم فإذا جمعهم الملك لحضور مائدته حمل كل رجل ممن يحضره من منزله شراباً يختاره ثم صبه في ذلك الحوض فإذا جلسوا للشراب ضرب كل واحد شرابه الذي حمله من منزله، وفي المدينة الثالثة طبل معلق على بابها فإذا غاب من أهلها إنسانٌ وخَفِيَ أمرهُ على أهله وأحبوا أن يعلموا أحي صاحبهم أم ميت ضربوا ذلك الطبل فإن سمعوا له صوتاً فإن الرجل حي وإن لم يسمعوا له صوتاً فإن الرجل قد مات، وفي المدينة الرابعة مرآة من حديد فإذا غاب الرجل عن أهله وأحبوا أن يعرفوا خبره على صحته أتوا تلك المرآة فنظروا فيها فرأوه على الحال التي هو فيها، وفي المدينة الخامسة إوَزةٌ من نحاس على عمود من نحاس منصوب على باب المدينة فإذا دخلها جاسوس صوت الأوزة بصوت سمعه جميع أهل المدينة يعلمون أنه قد دخلها جاسوس، وفي المدية السادسة قاضيان جالسان على الماء فإذا تقدم إليهما الخصمان وجلسا بين أيديهما غاص المبطل منهما في الماء، وفي المدينة السابعة شجرة من نحاس ضخمة كثيرة الغُصون لا تظل ساقها فإن جلس تحتها واحد أظلته إلى ألف نفس فإن زادوا على الألف ولو بواحد صاروا كلهم في الشمس. قلت وهذه الحكاية كما ترى خارقة للعادات بعيدة من المعهودات ولو لم أجدها في كتب العلماء لما ذكرتها وجميع أخبار الأمم القديمة مثلُهُ والله أعلم. انظر ياقوت الحموى: (معجم البلدان).

[١٣٣] ذكر المقريزى في (الخطط): لوجيم بن نقاوش، ويقال: بل هو من بني نقراوش الجبار ويعرف: بـ (لوجيم الفتى) وهو الذي أخذ الملك من عرياق بن عيقام الكاهن وردّه لبني نقراوش بعدما خرج منهم بلا حرب ولا قتل وكان عالمًا بالكهانة والطلسمات. ونرى أن الأصح (لوجيم) وليس (لوحيم) !

(لوجيم) = (نوجيم) ـ (ن = ل) ـ والأصل من (نَجَمَ) . وفي معجم الغني، مادة (تَنْجِيمٌ) ــ (المصدر. نَجَّمَ): "يَهْتَمُّ بِعِلْمِ التَّنْجِيمِ": مُرَاقَبَةُ النُّجُومِ فِي سَيْرِهَا، تَفْسِيرُ مَطَالِعِ النُّجُومِ . وفي السيرة الذاتية لهذا الملك نجد أنه كان عالمًا بالكهانة والطلسمات ومن هنا حمل لقبه (نوجيم) أو (لوجيم) ويعني (المنجّم) أو (الساحر) ومن يقوم بأعمالهم!

فأمر أن توقد له نار يحرق فيها فأحرقه، ثم جمع النسوة اللاتى كن في الجنة، فمن كانت من نسائه أحرقها معه، ومن كانت من المغصوبات، سرحها إلى أهلها، ففرح الناس لما نزل بهم.

ذكر لوحيم الملك

وملكهم لوحيم الملك فخرج ولبس تاج أبيه، وجلس على سرير الملك، وأمر بجمع الناس، فلما اجتمعوا قام فيهم خطيباً، وذكر ما كان عليه عرباق الأثيم من سوء السيرة واغتصاب النساء وسفك الدماء. ورفض الهياكل والاستخفاف بالكهنة، وأنه لميراث أبيه وجده وأحق به من غيره وضمن للناس العدل والإحسان والقيام بأمرهم، ودفع كل أذى عنهم فرضى الناس منه بذلك، وقالوا له: أنت أحق بالملك، فلا زلت دائم السعادة، طويل العمر، وانصرفوا مسرورين. فأمر بتجديد الهياكل وتعظيمها، وقرب كثيراً من الكهان، وأكرم جميعهم، وسار في الناس بالعدل. وكانت الغربان والغرائب قد كثرت في وقته فأهلكت

و في اللغة المصرية القديمة تترجم كلمة "ح ك hk " في العادة بأنها تعنى "سحرmagic" ومنها الصفة "ح ك ي hky "(ساحر). ولكن الساحر في مصر القديمة لم يكن يعنى ما نفهمه اليوم من خرق العادة والقيام بالمعجزات وإظهار الأعاجيب، بل كان يعنى السيطرة على مظاهر الطبيعة وبالتالى السيطرة على مقدرات البشر، تماما مثلما كان الحال في فارس القديمة التي عرف فيها الساحر magi في العربية: المجوس، ومنها الأنجليزيةmagician وكان هو الحاكم بالمعنى الدقيق للكلمة . ويبرهن على هذا وجود الربة المصرية المروفة باسم (و ر ت .ح ك و) Great of magic(السحر العظيم أو الساحرة العظمى) وكانت تصور وعلى رأسها تاج ملكى دليلا على الملك والحكم، وعلى هذا فإن الأصل العروبى للقب هو (ح ك م) ومشتقاتها: حاكم - حكم - حكومة . وينبغى ألا ننسى كلمة (حكمة) التي منها (حكيم) = فيلسوف، طبيب، كيميائى، عالم بأسرار الطبيعة وما وراء الطبيعة أيضاً، وكلها تدور في هذا المجال المتصل بالحكم والحكمة . بقى أن نذكر أن (حم - كا) hem ka وهو لقب يعنى (العاقل) أو (الحكيم). وقد عرف به رجل عاش في عصر الأسرة الأولى على عهد ملك يدعى (سمتى)!

ونرى أن (حكي) أو (حم-كا) هو نفسه (نوجيم) أو (لوجيم)!

الزرع، فعمل أربع منارات من نحاس في جوانب أمسوس، وجعل في كل منارة صورة غراب فيه حية قد التوت عليه فلم يقربهم شيء من تلك الطيور إلى أن كان الطوفان[١٣٤]، فأزال تلك المنارة .

ذكر حصليم الملك

ومن ملوكهم حصليم، وكانت له أخت حكيمة، وكانت في جواريها جارية فائقة العقل والجمال، فعشقها الملك، وسأل أخته أن تهبها له، فأبت فألح عليها في طلبها، فغضبت واعتزلت، وبنت هيكلاً وتعبدت فيه للزهرة مدة ثم إنها رأت الزهرة تناجيها وتكلمها، وتأمرها أن تسلم الجارية إلى أخيها، وتنهاها أن تمنعه من ذلك، ففعلت ذلك. ولما صارت الجارية عند الملك حظيت عنده، وفضلها على سائر نسائه فحسدنها وولدت من الملك ولدا ذكرا لم يكن له ولد غيره، فزاد حسدهن لها، وجعلن يطلبن أذاها، ويطلبن الغوائل لها. وكان أجل وزراء الملك لما يعلم من محبة الملك لها يأتيها في كل يوم فيقضي ما عرض لها من حوائجها، إجلالاً لها، فلما قصدن ضراتها [إذايتها] لم يجدن أنجع من أن يرمينها بذلك الوزير، وكان ذلك حسداً وبغياً، فحققن الأمر عند الملك بما أمكنهن من الحيل، فلما وقف الملك على ذلك أمر بقتلها وقتل الوزير، ولم يشاور في ذلك أخته ولا أحداً من الحكماء. فلما نفذ أمره بذلك بادر من وقف على ذلك إلى أخته فأعلمها فأسرعت إلى الذي أمر بقتلهما تأمر باستبقائهما، حتى يرى الملك في أمرهما. ودخلت على الملك فقالت له ما هذا الذي أمرت به في وزيرك وجاريتك ؟ فقال اتصل بى عنهما كذا وكذا، قالت أتحدث حدثاً عظيماً من القتل على ما لم تتحققه، وعن غير مشورة لأهل الحكمة والثقات من أهل المملكة ؟ قال لم أملك صبرى، قالت إن الملوك ليس لها أن تعجل حتى يتبين لهم الأمر!

---

[١٣٤] (المنارة) هنا عبارة عن جهاز متطور يصدر ذبذبات ذات تردد معين من شأنه أن يجعل الغربان والغرانيق تنفر من المدينة بأكملها ...مدينة أمسوس!!

فأمر باستبقائهما، وبحث عن أمرهما، فوقف على الكذب فيه، فأمر بكل من سعى فيه من ضراتها فأخرجن من القصر. وحصليم[١٣٥] هذا هو أول من عمل مقياساً لزيادة النيل، وذلك أنه جمع أصحاب العلوم والهندسة، فعملوا بيتاً من زجاج على حافة النيل وجعل في وسطه بركة من نحاس صغيرة فيها ماء موزون، وعلى حافة البركة عقربان من نحاس ذكر وأنثى. فإذا كان في أول الشهر الذي يزيد فيه الماء، وفتح البيت وحضر الكهان بين يدى الملك، وتكلم أمير الكهان بكلام حتى يصفر أحد العقابين، فإن صفر الذكر كان الماء تاما زائدا

---

[١٣٥] نرى أن (حصليم) = (أحصى اليم) = (حصى اليم) = (حصاليم) = (حصليم)، وأحصى: أي (حسب) و(عد) أي (قاس) و(قدّر)، أما (يم) = بحر (الماء الكثير) في اللغة العربية والمصرية القديمة أيضاً، وهذا يعنى أن (حصليم) تعنى: (الذي حصر وحسب الماء) ونجد في السيرة الذاتية لهذا الملك أنه أول من عمل مقياسا لزيادة النيل ومن هنا جاء اسمه (حصليم) أي (الذي حصر وحسب الماء). ويذكر جاردنر (Eg .Gr ., p ١٩٨)أن (ح ق ت) تعتبر أساساً مكيالا قائماً بذاته، أي وحدة بذاتها، ولكنها قد تثنى وقد تربع . وكان ظهور (ح ق ت) الربعة أول مرة في عهد الهكسوس واستعملت كثيراً على أساس التربيع (Quadruple) بعد ذلك، ثم صارت تعرف باسم (إ ب ت)ipt(أى (مقدار أربع أحقاق). و(إ ب ت) المصرية هي نفسها (إ ف ت)، ومقابلتها بالعربية (إ ف ت) أو (ي ف ت). وفي العربية تتعاقب الياء والواو كثيراً، فالأضبط أن تقرأ (و ف ت) على أعتبار الجذر (وف) ثنائياً + (تاء التأنيث). وفي اللغة المصرية القديمة نجد الجذر الثنائي(yp,ip)يعني: (يعد، يحصي يقدر، يدفع . . إلخ (معجم فولكنر صفحة ١٦). وهذا ما يقابل الجذر الثنائي (وف) في العربية الذي ثلث فكان الجذر (وفي) وهو ما (يفى) بالغرض. قال في (اللسان): (وَفِي ووَفِي وأَوْفِي الكيل، أي أتمه ولم ينتقص منه شيئاً . الوفى: الوافى، الذي يعطى الحق ويأخذ الحق . وفي التنزيل: ﴿ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ (١٥٢)﴾ [الأنعام]، ومما سبق نرى أن (حصى) = (إبت) = (إفت)، وهذا يعنى أن (حصليم) = (إفتيم) = (قفطيم)!

و لا وجود في قوائم الملوك الذين حكموا مصر لملك يسمى (قفطيم)!

و (قفطيم) يجئ في كتابات المقريزى في (الخطط المقريزية) على أنه ابن (مصرايم) !

لكن رابع ملوك الأسرة الأولى في القائمة اليونانية ملك يدعى (أوتيفاس) والأصل من (أوتيف) أو (أتف)، و(أتف)هي مقلوب (أفت) وقد يكون المقصود هو (أفتيم) أو (قفطيم) !

وإن صفرت الأنثى كان الماء ناقصاً، ثم يعيرون الماء، وكل إصبع تزيد في تلك البركة فهو زيادة ذراع في النيل، فإذا عملوا ذلك حفروا للزرع وأصلحوا الجسور وعمل على النيل القنطرة التي ببلاد النوبة اليوم، وكان يسمى ابنه هوصال[١٣٦] أى خادم الزهرة للرؤيا التي رأتها أخته، وكفلت الغلام عمته وأدبته أحسن التأديب، وزوجته عشرين امرأة من بنات الملوك العظام. وبنت له مدينة وجعلت فيها عجائب كثيرة احتفلت فيها، وزينتها بأحسن النقش والزينة والعمارة، وعملت فيها حماما على أساطين يرتفع الماء فيها إليه حاراً من غير وقيد[١٣٧]. وهلك خصليم فدفن في ناووسه، وملك بعده ابنه هوصال الملك .

ذكر هوصال الملك

وتحول هوصال إلى السرب فسكنه، وبنى مدينة هي إحدى المدائن ذوات

---

[١٣٦] في اللغة المصرية القديمة نجد أن سبد s p d تعنى: الحاد، الشديد التوقد حساً ومعنى، كما نقول: فلان حاد الذكاء، وتعنى: الثاقب، كما نقول فلان ثاقب الفكر . قارن القرآن الكريم: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ(٣)﴾ [سورة الطارق]، s p d تكافئ العربية: سفد، ومنها السفود ؛ أي القضيب من الحديث يثقب اللحم المقطع ليشوى، والسفاد ؛ أي نزو الحيوان، ونذكر هنا أيضاً أن (الشعرى) التي وردت في اليونانية في صورة Sirius تسمى في العربية أيضاً: الزهَرة، بفتح الهاء، وهي الكوكب الأبيض (اللسان، مادة: زهر)، ولعل اليونانية أخذتها من العربية (زُهَرة) وحرفتها إلى siriu(s) كما أخذت من المصرية (سبد) s p d العربية: سفد) فصارت فيها sothi(s). بقى أن نذكر أن خامس ملوك الأسرة الأولى في القوائم اليونانية لأسماء الملوك الذين حكموا مصر ملك يدعى (اسفايدوس) والأصل من (سفايد أو سفد = سبد) بعد حذف الهمزة والمقطع (وس) الزائدة اليونانية!

و نرى أي (سبد) أو (سفد) أو (اسفايدوس) في صيغته اليونانية هو نفسه (هوصال) الذي ذكر المسعودى أن أسمه يعنى (خادم الزهرة)!

[١٣٧] تسخين الماء بدون وقيد أي بدون نار، وهنا قد يكون تسخين الماء عن طريق السخانات الشمسية وذلك عن طريق عمل ما يشبه الخلايا الشمسية التي تمتص ضوء الشمس لكى تحوله إلى طاقة حرارية واستغلال هذه الطاقة في تسخين الماء!!

العجائب، وعمل في وسطها صنماً للشمس يدور معها، ويبيت مغرباً. ويصبح مشرقاً. ويقال إنه أول من اتخذ تحت النيل سرباً، وهو أول من عمل ذلك، وخرج منه متنكراً يشق الأرض والأمم إلى أن بلغ بابل، ورأى ما عمله الملوك من الأعاجيب، وعلم حال ملكها في الوقت وسيرته، ومجارى أموره. ويقال إن نوحاً عليه السلام ولد في وقته، وولد لـ هوصال عشرون ولداً، وجعل مع كل واحد منهم ناظراً وهو رأس الكهنة. وتقول القبط إنه من بعد مائة وسبع وعشرين سنة من ملكهم لزم الهيكل الذي كان أقطعه أبوه لا يشركه فيه غيره، وأمور الناس جارية على سداد، فأقاموا كذلك سبع سنين، ثم وقع بين الأخوة تشاجر واختلاف، فأجمع رؤوس الكهنة على أن يجعلوا أحدهم ملكاً، ويقيم كل واحد منهم في قسمته، واجتمعوا لذلك في دار المملكة. وقام رأس الكهان فتكلم، وذكر هوصال وفضائله وسعادتهم في أيامه وما شملهم معه من الخير، وأخبر بما رأته الجماعة من تقليد أحدهم، فإن كان هوصال حياً ورجع إليهم لم ينكر ما فعلوه، لأنهم لم يريدوا إلا حفظ ملكه، ورفع المكاره عنه، وإن لم يرجع كان الأمر على ما سلف ملك بعد ملك فاستحسن الناس ذلك القول ورضوا به رأياً، وعملوا به. فعقدوا الملك على أكبر ولده سناً وهو فدرشان [١٣٨] الملك فسار سيرة أبيه فحمد الناس أمره فعمل في أيامه قصراً من خشب [١٣٩] ونقشه بأحسن النقوش وصور فيه الكواكب، وبجله بالفروش وحمله على الماء، وكان يتنزه فيه. فبينما هو فيه ذات يوم إذ هبت ريح عظيمة، وزاد النيل زيادة كبيرة فانكسر القصر وغرق الملك، وهلك وقد كان نفي إخوته إلى المدائن الداخلة. واقتصر على امرأة واحدة من بنات عمه، فولدت ولداً ولم يكن له ولد غيره، وكانت ساحرة فسحرته حتى هام بها وانفرد بحبها واستخلف بعض وزرائه على الملك، وأقبل على لذاته ولهوه معها. فلما كان من أمره ما كان من هلاكه كتمته امرأته، وكان أمره

---

[١٣٨] ذكره القريزى في (الخطط) باسم (بدرسان) وذكر أن معناه باب الجنة !

[١٣٩] المقصود بعبارة (قصر من خشب) أي ما يشبه العوامة التي تتخذ كمسكن وتطفو فوق الأنهار في أيامنا هذه !

ونهيه يخرج إلى الوزير عنه، فأقام الناس على طاعته تسع سنين لا يعلمون بأمره. فلما رأى إخوته طول غيبته جمعوا [عليها] جموعاً عظيمة وقدموا على أنفسهم أحدهم وهو نمرود الجبار، وساروا إلى أمسوس وبلغ ذلك الساحرة امرأة قدرشان، فأمرت الوزير علىأمر الملك على عادتها بالخروج إليهم وبمحاربتهم، ففعل فهزموه وقتلوه وقتلوا كثيرا ممن كان معه .

ودخلوا مدينة أمسوس وأتوا دار الملك فلم يروا له خبراً، فأيقنوا بموته، وكانت الحيلة وقعت من امرأته الساحرة .

ذكر نمرود بن هوصال

فجلس على سرير الملك نمرود بن هوصال أخوه وملك الناس ووعدهم بحسن السيرة فيهم وتقييد ما كانوا ينكرونه، من أفعال أخيه واستولى على أمواله وخزائنه ففرقها على إخوته وأقطعهم جميع ما كان أخوه ادخره لنفسه. وطلب امرأته الساحرة وابنها ليقتلهما فلم يقع لهما على خبر لأن أمه ذهبت به إلى مدينة أهلها بالصعيد وكانوا كلهم سحرة وكهانا. فامتنعت بهم وداخلت الناس وأعلمتهم أن ابنها هو الملك بعد أبيه لأن أباه قلده الملك وأمرها أن تدبر الناس، وأعلمتهم فصدقوها وأجابوها وقالوا إن الغلام مغلوب على ملكه وأن النمرود متغلب غاصب فاجتمع من حمايتها ونصرتها بشر كثير، وزحف ابن الساحرة إلى نمرود بجموع كثيرة وقد عمل له السحرة أصنافاً من التماثيل المهلكة والنيران المحرقة فخرج إليه نمرود وإخوته فيمن معهم من الأجناد والأتباع فانهزم الملك وإخوته وتعلقوا ببعض الجبال.

ذكر توسدون الملك

ونزل ابن الساحرة بدار الملك وجلس على سريره ولبس تاج أبيه وطافت به بطارقته وكان اسمه توسدون[١٤٠] ملك وهو حدث وكانت أمه تدبر أمره فقتل كل

[١٤٠] ذكره المقريزى في (الخطط) باسم (توميدون) !

من كان صحب النمرود وجد في طلب ومحاربته حتى ظفر به وسيق إليه أسيراً واجتمع الناس لينظروا إليه فشدت رأسه برأس أسطوانة قائمة وشدت رجله بأسطوانة أخرى، وكان طوله فيما تذكره القبط عشرين ذراعاً وأودعته بيتاً ووكلت به رجالاً من حرسها لتقتله يوم عيدها وكان قويا فصاح في الليل صيحة مات منها بعض الحرس وهرب الباقون، فلما بلغها ذلك أمرت بإنزاله وأحضرته وأمرت بنار توقد فأوقدت وجعلت تأمر فيقطع منه عضو بعد عضو فيلقى في النار حتى فرغ منه. وكبر ابنها فخرج كاهناً منجماً ساحراً، فعملت له الشياطين قبة من زجاج كورية مدبرة[141] دائرة على دوران الفلك وصوروا عليها صور الكواكب، وكانوا يعرفون بها أسرار الطبائع، وعلوم العالم بطلوعها وأفولها. وبعد ستين سنة من ملكه ماتت أمه الساحرة، وأوصت أن يجعل جسدها تحت صنم القمر بعد أن يطلى بما يدفع عنه النتن، وكانت وهي ميتة تخبرهم بالعجائب وتجاوبهم على كل ما يسألون، فهاب الناس لابنها وفزعوا له، وكان يتصور لهم في صور كثيرة وملكهم مائة سنة، ولما حضرته الوفاة أمر أن يعمل له شكل صنم من زجاج، يكون شفيفاً ويطلى جسده بالأدوية المسكة له، ويدخل في تلك الصورة التي من الزجاج، ويلحد ما بين الشفتين وينام في هيكل الأصنام ويعمل له في كل سنة عيد تقرب فيه القرابين، وتدفن تحته كنوزه، ففعل ذلك كما أمر.

---

[141] هذه القبة التي كانت على هيئة الكرة والمصنعة من الزجاج (الكوارتز) بطريقة هندسية وفنية متقنة، كانت تدور مع دوران الفلك بطريقة أتوماتيكية، أي تتحرك تبعاً لتحركات النجوم والكواكب في السماء وتقوم برصدها وتصور أو تظهر فيها صور هذه الكواكب والنجوم، ويعرف من خلالها أسرار الطبائع (أى أسرار ما في الكون) وعلوم العالم ... إلخ. أي باختصار كانت تقوم هذه الكرة بنفس وظائف القمر الصناعى، فالقمر الصناعى على شكل كرة أيضاً ويصنع من مواد مختلفة منها الكوارتز ومعادن أخرى بطريقة هندسية وتقنية متقنة، ويمكن من خلاله رصد تحركات بعض النجوم والكواكب بمساعدة أجهزة أخرى ومراصد فلكية على الأرض وسفن فضاء يتم إطلاقها في الفضاء، وبذلك يتم كشف أسرار السماء والأرض والكون والتعرف على مجالات جديدة من العلوم. انظر هشام كمال عبدالحميد: (تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة)، ص٢٩٩ .

ذكر سرباق الملك

وملك بعده، ابنه سرباق[١٤٢] الملك فعمل بسيرة أبيه وجدته، واجتمع عليه، وزحف رجل من بني طربيس بن آدم من ناحية العراق فتغلب على الشام. وأراد أن يزحف إلى مصر فعرف أنه لا يصل إليها لسحر أهلها، فأراد أن يدخلها متنكرا ليعرف أهلها، ويقف على سحر بعض أهلها، فخرج ومعه نفر حتى وصلوا إلى حصن من أول حدود مصر، فسألهم الموكلون به عن أمورهم فعرفوهم أنهم تجار يقصدون بلدا يسكنونها، ومعهم أموالهم ليحترفوا كيف ظهر لهم بها، فحبسوهم وأرسلوا إلى الملك بخبرهم. وقد كان رأى الملك في منامه كأنه كان قائما على منار لهم عال، وكأن طائراً عظيماً قد انقض عليه ليختطفه فحاد عنه حتى كاد أن يسقط عن المنار، فجاوزه الطائر ولم يضره فانتبه مذعوراً، وبعث إلى رأس الكهنة، فقص عليه رؤياه فعرفه أن ملكا يطلب ملكه، فلا يصل إليه. فنظر في علمه فرأى ذلك الملك الذي يطلب ملكه قد دخل بلده ووافق ذلك دخول الرسل من ذلك الحصن يذكر القوم، فعلم الملك أنه فيهم فوجه بجماعة من أصحابه معه، فاستوثقوا منهم وحملوهم إليه. وقد كان الملك أمرهم أن يطوفوا بهم على الجمال بمصر كلها، ليروا ما فيها من الطلسمات والأصنام والعجائب والمعجزات فبلغوا بهم إلى الإسكندرية، ثم ساروا بهم إلى أمسوس، فأوقفوهم على عجائبها ثم ساروا بهم إلى الجنة التي عملها مصرام وأمر السحرة بإظهار التماثيل فجعلوا يتعجبون مما يرون حتى وصلوا إلى سرباق الملك، والكهنة حوله قد أظهروا صنوف العجائب، وجعلوا بين يديه ناراً لا يصل إليها إلا من كان من خاصته ولا تضر إلا من أضمر للملك غائلة وأمر فشقوها واحداً بعد واحد فلم تضر منهم أحداً[١٤٣]. وكان ذلك الملك آخر من دخلها منهم. فلما دنا من النار أخذته فولى هارباً فأتي به سرباق فسأله عن أمره وتوعده فأقر فأمر بقتله،

---

[١٤٢] ذكره المقريزى في (الخطط) باسم (سرياق)!

[١٤٣] الكهنة هنا صنعوا أسوارا ذات طبيعة نارية والهدف منها هو حماية الملك من أي اعتداء، وطوروها لكى لا تحرق إلا من أضمر في نفسه للملك غائلة!

وحمله إلى الحصن الذي أخذ به فصلب هناك من جهة الشأم على أسطوانة عظيمة من حجر وزبر عليها هذا فلان بن فلان المتغلب على الشام أضمر غائلة للملك وطلب ما لم يصل إليه تعديا منه عليه وظلماً له فعوقب بهذا. وأمر بإطلاق الباقين. وقيل لهم قد وجب عليكم القتل، لصحبتكم لمن أراد الفساد في الأرض. ولكن الملك بفضله عفا عنكم وأمر أن تخرجوا من بلاده، ولا تعودوا إليها أبدا، فخرجوا هاربين. مسرورين بالسلامة، فكانوا لا يمرون بأحد إلا حدثوه بما رأوا من العجائب. فانقطعت أطماع الملوك في الوصول إلى مصر والتعرض لها. وعملت في وقت سرباق عجائب كثيرة. منها أنه عمل عرباق في مدينته بطة من نحاس قائمة على أسطوانة، فإذا دخل الغريب من ناحية من النواحي أو باب من الأبواب صفقت بجناحيها[١٤٤]، وصرخت فيؤخذ ويكشف عن أمره ومقصده[١٤٥]، وشق إلى مدائن الغرب نهرا من النيل، وبنى على عبريه منازل وأعلاماً، وغرس فيها غروساً يتنزه عليها، وملكهم مائة سنة وثلاثين سنة.

ذكر سهلون بن سرياق الملك

وملكهم بعده ابنه سهلون بن سرياق[١٤٦]، وكان سهلون عالما منجما كاهنا، فأفاض العدل وقسم ماء النيل قسماً موزوناً، صرف إلى كل ناحية قسطاً، ورتب الدولة وجعلها على سبع طبقات. (الطبقة الأولى) الملك وولده وأهل بيته ومن يلي عدله، ورأس الكهان، والوزير الأكبر، وصاحب خاتم الملك، وصاحب خزائنه. (والطبقة الثانية) مراتب العمال والمتولين لجباية الأموال، والأشراف

---

[١٤٤] البطة النحاسية ما هي إلا جهاز إنذار تكشف الغريب عن المدينة، ولا نعرف ما هي طريقة أو فكرة عمل هذا الجهاز المتطور والذي لا يوجد له مثيل في عصرنا الحالى !

[١٤٥] العبارة السابقة توضح أنه كان هناك جهاز للرادار نصبه الملك (سرياق) في وسط العاصمة، وهذا الجهاز كان يطلق صفارة إنذار تنبه أهل المدينة عند دخول أي غريب داخل مدينتهم . انظر فريد مجيد: (أسرار وخفايا الفراعنة)، ص ١١٦.

[١٤٦] ذكره المقريزى في (الخطط) باسم (سلهوق بن سرياق) !

على النفقات في أمر المملكة، ومصالح البلاد والعمارات، وقسمة المياه. (والطبقة الثالثة) الكهان وأصحاب الهياكل وخدمتها، ومتولى الفراش والمشرف على ما يقرب من بوادر الفاكهة والرياحين وصغار البقر والغنم والفراريج الذكور، وما يعرف من مثل ذلك في طعام الملك وخوابى الشراب، وغير ذلك مما يشبهه. (والطبقة الرابعة) المنجمون، والأطباء، والفلاسفة، ونحوهم. (والطبقة الخامسة) أصحاب عمارة الأرض، والمتولون أمر الزراعة، والغرس. (والطبقة السادسة) أصحاب الصناعات والمؤن، والمشيدون في كل سنة في كل فن، والمشرفون على أعمالهم، ونقل نما يستحسن من أعمالهم إلى خزائن الملك. (الطبقة السابعة) أصحاب الصيد من السباع والوحش والطير والهوام، والمشرفون على أخذ دمائها ومرارتها وشحومها، وحملها إلى الأطباء لإصلاح العقاقير، وتأليف الأدوية وتقدم إليهم ألا يدخل أهل صناعة في دلسة ولا مهنة في غير ما هو فيه، ومن قصر في عمله عوقب، ومن أحسن في عمله جوزى. وكانت رتبة أهل الملاهي والألحان في قسمة الملك. وتقدم في بناء المدائن ونصب الأعلام والمنارات، وابتدع ما يستغرب من الصناعات، وإجراء المياه، وتوليد غرائب الأشجار. وأقام على أعالى الجبال سحرة يقسمون الريح[١٤٧]، ويمنعون من أراد بلدهم بأذى، وكذلك يمنعون كل طائر وسبع ووحش وهوام، وجرى في الناس على السداد والاعتدال وجعل لكل صنف من الناس صنفا من الكهنة يعلمونهم الدين، ودينهم يومئذ الصابئة الأولى، ويرفع كل صنف منهم ما يجرى من جميع ما يقولونه إلى الملك في كل يوم، وعمل البيت ذى القباب النورية، وأوقد فيها النار الدائمة تعظيما للنور. والقبط تزعم أنه أول من عمل بيتا لتعظيم النار، وقيل إن حمير الفارسى بنى

---

[١٤٧] معنى إقامته على أعالى الجبال سحرة يقسمون الريح، أنه أقام مراصد جوية وفلكية في أعالى الجبال، وجعل بها سحرة (علماء) يرصدون الرياح وسرعاتها وتحركاتها ويتحكمون في سرعات واتجاهات هذه الرياح عند اقترابها من مصر من خلال أجهزة علمية موجودة بداخل هذه المراصد، لأنه لا يعقل أن نقول أن هؤلاء السحرة كانوا يقفون فوق الجبال ويأمرون الرياح أن تنقسم وتتفرق وتبتعد عن أرض مصر فتأتمر الريح بأمرهم ؟، انظر هشام كمال عبدالحميد: (تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة)، ص ٢٩٠ .

بيتا للنار، وهو أول من عمل ذلك للفرس اقتداء بسهلون الملك بمصر. وكان السبب لعمل سهلون أنه رأى في منامه كأن أباه أتاه، فقال له انطلق إلى جبل كذا من جبال مصر، فإن فيه كوة من صفتها كذا، فإنك واجد على باب الكوة أفعى لها رأسان، فإنها إذا رأتك كثرت في وجهك، فليكن معك طائران صغيران ذكراً وأنثى، فإذا رأيت الأفعى فاذبح لها الطائرين وألقهما إليهما فإنها تأخذ برأسيهما، وتنحاش بهما إلى سرب قريب من الكوة فتدخل فإذا غابت عنك فادخل الكوة تنتهي في آخرها امرأة عظيمة من نور حار يابس، فسوف يسطع لك وجهها وتحمى بحرارتها، فلا تدنو إليها فتحترق، وقف حذاءها، وسلم عليها، فإنها تخاطبك، وأسكن إلى خطابها، وانظر ما تقوله لك فاعمل به فإنك تتشرف به. وهي حافظة كنوز جدك مصرام التي رفعها تحت مدائن العجائب المعلقة وهي تدلك عليها، وتنال مع ذلك شرفا وطاعة من قومك ورعيتك.

ثم مضى وتركه. فانتبه سهلون، وجعل يتفكر فيما رأى وتعجب منه وعزم أن ينفذ ما أمره به، فمشى إلى الجبل وحمل الطائرين معه وامتثل ما أمره به أبوه إلى أن وقف حذاء المرأة فسلم عليها، فقالت له أتعرفنى ؟ قال لا، لأنى ما رأيتك قبل وقتى هذا، قالت له: أنا صورة النار المعبودة في الأمم الخالية، وقد أردت أن تحيي ذكرى، وتتخذ لى بيتاً وتوقد لى فيه ناراً دائمة، بقدر واحدة، وتتخذ لى عيداً في كل سنة تحضره أنت وقومك، فإنك تتخذ بذلك عندى أن لك بها شرفاً إلى شرفك، وملكاً إلى ملكك، وأمنع عنك وعن قومك من يطلبك ويعمل الحيلة عليك، وأدلك على كنوز جدك مصرام. فضمن لها أن يفعل ذلك فدلته على الكنوز التي كنزها جده تحت المدائن المعلقة وكيف يصير إليها، وكيف يمتنع من الأرواح الموكلة بها وما ينجيه منها. فلما فرغ مما أراده من ذلك، قال لها فكيف لى بأن أراك في الأوقات التي أريد وأحتاج أن أسألك عما يطرأ من الأمور فأسير إليك ؟ قالت له أما هذا المكان فلا تقربه بعد وقتك هذا، ولكن إذا أحببت أن ترانى فدخن فيالوقت الذي علمته لك بكذا وكذا، أشياء ذكرتها له: منها عظام ما يقربه من القرابين والذبائح، وصموغ الأشجار. فإنى أتخيل

لك وأخبرك بكل حق وباطل يكون في بلدك.

فلما سمع ذلك منها سر به سروراً عظيماً، وغابت الصور، وظهرت الأفعى، وخرج هارباً، فلما نجا جعل على الكوة سداً ولم يؤخر ما فعلته به. وأخرج كنوز جده وعمل بـ أمسوس وغيرها من العجائب ما يطول به الذكر، فمنها القبة المركبة على سبعة أركان، في بعض مصاحف القبط أن هذه القبة يقال لها قبة القضاء، وكان السبب في بنيانها أن بعض الكهنة جار في قضية قضاها، وذلك أن بعض العامة أتاه يشكو امرأته، ويذكر أنها تأباه وهو يحبها وتبغضه، وسأل أن يقومها له بالأظهار، وكانت المرأة من أهل بيت الكاهن، فأمالها عن زوجها وأمره بتخليتها فلم يفعل، وحبسه وشدد عليه، وكان من أهل الصناعات، فاجتمع من أهل صناعته من كان قد عرف حاله، وحال المرأة معه، وأنها ظالمة له وهو لها منصف، وعلموا ظلم الكاهن له، فاستعدوا عليه عند خليفة الملك فأحضره وسأله عما ذكروه فذكر أنه لم يحكم إلا بواجب. فأحضر بعض رؤساء الكهنة، وأظهر القوم الذين شهدوا للرجل، فوقف على ظلم الكاهن فأخرج الرجل من الحبس وحبس الكاهن مكانه، وأمر بالمرأة أن تعاقب وترد عليه. ورفع ذلك إلى الملك فأمر أن يخرج ذلك الكاهن من رسم الكهان، وأن يحبس إلى أن يرى رأيه فيه، واهتم الملك لذلك وخاف أن يجرى من غير ذلك الكاهن مثل ما جرى منه، وأن يكون ما قد أبرمه من أمر المملكة وأهلها لا يتحكم له حسبما أحب، وبات مهموماً مفكراً. فلما أصبح اصطبح وتطيب وتكلم ودخن بالدخنة التى أمر بها فتجلت له تلك الصورة وخاطبته فسألها أن تعمل له عملا يقف به على حقيقة الظلم وخفيه، ويعرف المظلوم من الظالم. فأمرته أن يبنى بيتاً مركباً على سبعة أركان، ويجعل له سبعة أبواب، على كل ركن باباً، ويعمل في وسطه قبة من صفر، ويصور في أعلاها صور الكواكب السبعة. ويعمل على الباب الأول من القبة مثال أسد رابض وحذاءه من الجانب الآخر لبؤة رابضة من صفر ويقرب لهما جر وأسد، ويبخرهما بشعره. وعلى الباب الثانى، تمثال ثور وبقرة، ويذبح لهما عجلاً، ويبخرهما بشعره وعلى الباب الثالث

صورة خنزير وأنثاه، ويذبح لهما خنوصاً، ويبخرهما بشعره. وعلى الباب الرابع صورة جمل وشاة، ويذبح لهما سخلة، ويبخرهما بشعرها. وعلى الباب الخامس صورة ثعلب وحدأة وأنثاه، ويذبح لهما فرخ عقاب، ويبخرهما بريشه، ويلطخ وجوه جميعها بدم القربان، ثم يحرق بقية القرابين ويجعل رمادها تحت عتبة أبواب القبة، ويجعل لها سدنة يوقدون فيها المصابيح ليلاً ونهاراً سبعة أيام. فإذا فرغت من ذلك كله، فاجعل لكل مرتبة من تلك المراتب التي قسمتها وجعلتها على سبع طبقات باباً من تلك الأبواب، وليكن باب الأسد لأهل المملكة وسائر الأبواب لسائر المراتب، فإنه إذا تقدم إلى شيء من تلك الصور أهل الخصومات التصق الظالم بها، وشدت الصورة عليه شداً عنيفاً وآذته وآلمته حتى يخرج لخصمه من حقه، الذكر للذكر، والأنثى للأنثى، فتعرف بذلك الظالم من المظلوم. ومن كان له قبل أحد حق ودعاه إلى بعض الصور فلم يجئ معه، فأتاها المظلوم فعرفها بذلك أقعد الظالم من رجليه وخرس لسانه، ولم يتحرك من مكانه حتى ينصف صاحبه. فلم يؤخر الملك عمل القبة على ما أمرت به وشرع فيها من حينه، وأتمها على ما أحسن ما يكون هيئة وصلاحاً، واستراح من الاهتمام بأمور الناس، فلم يتظلم بعضهم من بعض. وعلم أنه لا يجوز لبعضهم ظلم بعض، مع تلك الصورة، فلم تزل تلك الصورة باقية إلى أن أزالها الطوفان مع ما أزال من أعمالهم وعجائبهم. وعملت في وقت سهلون أعمال كثيرة، وكتب سيرته وما ابتدعه من العجائب في مصحف، وعمل أدوية وعقاقير كثيرة وتماثيل متحركات. وأمر أن يحمل ذلك كله مع المصحف الذي كتب فيه سيرته ومع كنوزه وذخائره إلى ناووسه الذي يجعل فيه إذا مات، وهو قد عمله في الجانب الغربي ووضع فيه غرائب وحكمة، فلما مات عمل فيه ذلك.

ذكر سوريد بن سهلون الملك

وملك بعد ابنه سوريد بن سهلون الملك، وحزن عليه هو وأهل مملكته ورعيته، حزناً عظيماً لم يحزن على ملك قبله، وكان ملكه مائة وتسعا وتسعين

سنة. وأقام دولته ورعيته عند ناووسه شهرا ينوحون ويبكون، وأقاموا في ناووسه خدمة يخدمون أموره وسدنة يحفظون ما يجب حفظه منـه، وجلـس ابنـه علـى سرير الملك، واقتفي سيرة أبيه في العدل والصلاح وعمارة الأرض، وسياسة الناس والإنصاف بينهم، والأخذ لهم من نفسه وأهل بيته. وهو أول من جبـى الخـراج بمصر، وألزم أهل الصناعات على أقدارهم، وأول من أمر بالإنفاق علـى المرضـى والزمنى من خزائنـه وبنـى المنـارات، ونصـب الأعـلام والطلسـمات والهياكـل، وحسن عمارتها على أحسن ما تقدم لسواه، فأحبه الناس وحمدوا أمـره، وعمـل مرآة من أخلاط كثيرة[148]، كان ينظر إليها فيرى الأقاليم، وما أخصب منها ومـا أجدب، وكلما يحدث فيهـا، وكانـت علـى منـارة مـن نحـاس في وسـط مدينـة أمسوس .

وتقول القبط إنه عملها لـ مصر خاصة، وكان يرى فيها جميـع مـن يقصـدها من كل ناحية، ويعلم بذلك جميع من يقصدها فكان يأخذ أهبته لذلك، وهو أول من عمل صحيفة في كل يوم يكتب فيها جميع ما يكون في يومه، وما يعمل فيـه ثم ترفع إليه وتودع في خزائنه يوماً فيوما، فـإذا مضـى الشـهر نقلـت صـحائف أيامه إلى مصحف الملك وختم بخاتمه، وخلد في خزائنه وما صلح منـه أن يزبـره في الحجارة زبره. وكذلك ما عمل من الصنائع وما أحـدث منهـا، وكـان يعطـى الرغائب على الصناعات العجيبة والحكم الغريبة .

وعمل وسط المدينة صورة امرأة جالسة في حجرها صبى كأنها ترضـعه، فكـل امرأة أصابتها علة في جسمها مست من جسد تلك الصورة الممثلة، فيـزول عنهـا

---

[148] الأوصاف التي وصفها المسعودى على هذه المرآة تنطبق تماماً مع أوصـاف القمـر الصـناعى وشاشات العرض التليفزيونية المتصلة به وكاميرات المراقبة، فهذه المرآة في الغالب كانـت شاشـة عرض متصلة بقمر صناعى أو كاميرات مراقبة تظهر فيها صور الأعداء الذين يقتربون من الحدود، وكل مدن وقرى مصر فيعلم الملك والمسئولون منها أحـوال هـذه الـدن والقرى. انظـر هشـام كمـال عبدالحميد: (تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة)، ص ٢٩٨ .

ما تجده على ما كان[149] وكذلك إن قل لبنها، مسحت ثديها فكثر، وكذلك إن أحبت أن تعطف عليها زوجها مسحت وجهها بدهن طيب، وقالت لها أفعلى كذا وكذا. وإن قلت حيضتها وفرقت منه مسحت تحت ركبها، وإن أصاب ولدها شيء فعلت بالصبى كذلك فيبرأ، وإن عسرت ولادتها مسحت رأسى الصبى سهل، وكذلك البكر يسهل عليها افتضاضها، وإذا وضعت الزانية يدها عليها ارتعدت حتى تكف عن فجورها، وما كان من أعمال الليل يحدث ليلاً، وما كان من النهار يحدث نهاراً، وكانت تعمل أعمالاً كثيرة إلى أن أزالها الطوفان. وفي بعض كتب القبط أنها وجدت بعد الطوفان، وأنهم استعملوها وعبدوها، وصورتها في جميع برابى مصر مصورة برسمها ملونة، و الذي دلهم عليها كانوا قرابات فيلمون الكاهن، ودلوهم على جميع أعمال مصر، وسنذكر خبرهم في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى. وعمل أيضا سوريد في وقته غرائب كثيرة منها الصنم الذي يقال له بكوس المعمول من الأخلاط الكثيرة في الطب، وكان يعمل أعمالاً كثيرة في دفع الأسقام والعلل عن أهلها، ويعرفون به من يبرأ منهم فيعالجونه فيعيش، و[يعرفون من يموت] بعلامات تظهر منه، فيقصرون عن علاجه، وكان يزيل الأوصاب بأن يغسل الموضع بإزاء أصحاب العلل منه[150]، ويسقى ذلك الماء الذي يغسل به لصاحب الداء فيزول عنه، وكثير من

---

[149] تمثال المرأة هنا عبارة عن جهاز يصدر طاقة مجهولة تسرى في جسم المريض باللمس وتؤثر عليه فتسرع من شفائه وبالبرغم من التقدم العلمى الذي نعيشه فإنه لا يوجد مثل هذا الجهاز في عصرنا الحالى!!

[150] أي كانوا يقومون بدهان كل جزء من أجزاء التمثال بأدوية مختلفة كل يوم، ثم يأتى المريض فيصب الماء على ذلك الجزء ويغسله ليختلط بالمواد الكيماوية الموجودة به فيختلط الدواء بالماء ويصب في حوض موجود بالتمثال فيشرب منه فيبرأ، وهذه التماثيل الشافية التي كان يصب فوقها الماء ويشرب منه فتشفي الأمراض بما كان يطلق عليه الماء القدس، وورد بالبرديات والنقوش الفرعونية مايؤكد صحتها، وعثر على تماثيل من هذا النوع كتمثال(جدحر) الذي عُثر عليه في عام ١٩٠٩ م، بمدينة أتريب بالدلتا والمحفوظ الأن بالمتحف المصرى، وبالتمثال حوض

هذه الأعمال. وهو أول من عمل الأبرقات الأيرونيات[151]، وزبر عليها جميع العلوم. وهو الذي بنى الهرمين العظيمين المنسوبين إلى شداد بن عاد، والقبط تنكر أن تكون العادية دخلت بلدهم، والعمالقة تقول سحرهم ومنعهم من إرادتهم بشر ما يريدونه بهم، وبذلك يقول الحرانيون، وقد نقل ذلك أبو معشر في كتاب الألوف. وكان سبب بناء سوريد للهرمين أنه رأى رؤيا أثبتها في موضعها، فأحضر كهنته ومنجميه، وقص عليهم من نزول المرآة في صورة امرأة وانقلاب الأرض بأهلها، وانكساف الشمس بأسرها، وهي الرؤيا بعد، فأخبروه خبر الطوفان أنه يكون على الصورة التي كان، وذلك مذكور في كتاب تاريخ يرويه المقربون عن آخرين من القبط وجد في بعض ذراريهم على صدر ميت، وذكر أنها من ولد رجل من أهل مصر الأوائل ممن نجا من الطوفان وركب مع نوح عليه السلام في السفينة، وكان ممن آمن به وحمل ابنيه وقيل بن مصرام بن حام وكان أبدع الناس فهماً في العلوم. وكان في الكتاب أن الملك سوريد بنى في الصعيد ثلاث مدائن وعمل فيها عجائب كثيرة، وسنذكر شيئاً من أخبار هذين الأخوين إن شاء الله تعالى. وكان في الكتاب أن الملك سوريد بن سهلون ملك مصر لما رأى في منامه ما رأى، أخبر فيلمون رأس الكهنة بما رآه من الأمور، أمرهم أن ينظروا فيما تدل عليه الكواكب من أحداث في العالم، فتصيب أكثره، فأقاموا لها في وقت مسألته إياهم مسألة أمعنوا فيها النظر، فدلت على آية تنزل من السماء، وتخرج من الأرض فتعم أكثر الأرض، وهو طوفان عظيم لا يبقى به شئ. قال فانظروا هل ينجز ذلك ويعود أم يبقى هو معمولاً دائماً ؟ فنظروا فظهر أنه يعود العمران والملك، وكل شيء كما كان وعرفوه بذلك، فأمر حينئذ ببناء بربى

ماء كان يقوم المريض بصب الماء على الجزء المراد من التمثال وغسله ثم ينساب هذا الماء إلى الحوض فيشرب منه المريض فيبرأ .انظر هشام كمال عبدالحميد: (تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة)، ص ٣١٥ .

[151] المقصود بالعبارة (الأبرقات الأيرونيات) أي الأهرام الثلاثة!

وأعلام عظام له ولأهل بيته، تحفظ أجسادهم، وما أودعوه بها من أموالهم وزبروا فيها وفي سقوفها وفي حيطانها وأسطواناتها، جميع العلوم الغامضة، التي يدعيها أهل مصر بين جميع الأمم، وصور فيها صور الكواكب العظام منها وصور الصغار منها، ورسم ذلك بعلامات تعلم بها. وزبر فيها أسماء العقاقير ومنافعها، وعمل الطلسمات وأشكالها، وعلم الحساب والهندسة، وغير ذلك مما ينتفع به مزبوراً ومفسراً لمن عرف كتابهم ولغتهم. وقالوا إن هذه نازلة وكائنة إذا كانت تكون من جميع أقطار العالم إلا اليسير منه، وذلك كائن إذا نزل قلب الأسد بأول دقيقة من رأس السرطان وتكون الكواكب عند ذلك في هذه المواضع من الفلك يكون القمر معَ الشمس في أول دقيقة من الحمل، وراوس وهو المشترى في سبع وعشرين درجة من الحوت والمريخ في ثمان وعشرين درجة وخمس دقائق من الحوت، وأفردوين وهو الزهرة في سبع وعشرين درجة وثلاث دقائق من الحوت ، وهرمس وهو عطارد في سبع وعشرين دقيقة من الحوت، وزحل والجوزاء في الميزان وأوج القمر في الأسد على خمس درجات ودقائق. فلما عملوا ذلك وتحققوه قال انظروا أيضاً هل يكون بعد هذه الأفة آفة أخرى تنزل من السماء إلى الأرض تكون ضد الأخرى التي تنزل أولاً. وهي النار التي تحرق أقطار العالم، فعرفوه فقال انظروا متى يكون الكون الأخر وهو المضمر ؟ فنظروا فوجدوا أنه يكون إذ نزل قلب الأسد في آخر دقيقة من الدرجة الخامسة عشرة من الأسد فتكون الشمس معه في دقيقة واحدة متصلة بزحل تثليث الرأس، ويكون المشترى في الأسد غير مستقيم السير، وعطارد معه في دقيقة، ويكون القمر في الدلو متصلا بالذنب في اثنى عشر جزءاً، وتكون الزهرة في بعدها الأبعد مستقيمة السير ويكون المريخ في الأسد مستقيم السير، ويكون في ذلك الشمس تنطبق منه [على] الأرض [انطباقا] لم يعهد مثله. فعرفوا الملك بما ظهر لهم من ذلك، وقالوا إن قلب الأسد إذا قطع ثلاثة أدوار لم يبق من حيوان الأرض شيء متحرك إلا تلف وهلك وإذا استتم أدواره تحللت أمر الفلك، فأمر الملك

بقطع الأساطين العظام وبنشر البلاطات الهائلة واستخراج الرصاص من أرض المغرب، وإحضار الصخور من ناحية أسوان وكانت سوداء عظاماً تساق في العجل، فجعل منها أساس الأهرام الثلاثة الشرقى والغربى والملون وجميعه من الحجر الملون الأسود والأبيض. وقيل كانت لهم صحائف من خواص أشياء وعليها كتابات، فإذا قطع الحجر وتم إحكامه وضعوا عليه تلك الأشياء وضربوه فيغدو بتلك الضربة ما يغيب به عنهم ثم يعاودون ذلك حتى يصل. فوضعت أساس الأهرام ب الدهشور منها الهرم الشرقى والهرم الغربى والهرم الملون.

وكانوا يمدون البلاطة ويجعلون في وسطها قضيبا حديدا قائما، ثم يركبون عليها بلاطة أخرى مثقوبة الوسط، فيدخل ذلك في ذلك الثقب، ثم يذاب الرصاص ويصب حول البلاطة وفي الثقب بهندمة وأتقان بعد تأليف ما فيها من النقوش والكتابة والصور، حتى بلغوها من ذلك إلى ما يحار فيه الوهم، وجعل أبوابها تحت الأرض بأربعين ذراعاً في آزاج مبنية بالرصاص والحجارة، طول كل أزج منها مائة وخمسون ذراعاً. فأما باب الهرم الشرقى، فإنه من الناحية الشرقية على مقدار مائة ذراع من وسط حائط الهرم. وأما باب الهرم الغربى فمن الناحية الغربية، وهو أيضا على قياس مائة ذراع من وسط الحائط، حتى تنزل إلى باب الأزج[152] المبنى فتدخل منه. وأما باب الهرم الملون بلونين من الحجارة فمن الناحية الجنوبية يقاس أيضاً من وسط الحائط الجنوبى مائة ذراع، ويحفر حتى يوصل إلى باب الأزج والمبنى له، ويدخل منه إلى باب الهرم، وجعل طول كل واحد منهما في الهوى مائة ذراع بالذراع الملكى، وهو خمسمائة ذراع عندنا بذراعنا اليوم، وجعل ضلع كل واحد من جهاته مائة ذراع ورفعها في الاستواء حتى بلغ أربعين ذراعا فوق الأرض، ثم هندمها من كل جانب حتى تحددت أعاليها عند آخر طولها. وكان ابتداؤهم لبنائها في وقت سعد اجتمعوا عليه

---

[152] (أزج) أي بناء طولى يتحرك من أسفل إلى أعلى، والأزج: بيت يبنى طولاً، [لسان العرب]

وتخيروه، فلما فرغ منها كساها ديباجاً ملوناً من فوقها إلى أسفلها، وعمل لها عيداً لم يبق في المملكة أحد إلا حضره. ثم أمر بعمل ثلاثين مخزناً بنيت من حجارة صوان ملونة في الهرم الغربي، وملئت بآلات الزبرجد والتماثيل المعمولة من الجواهر الغالية، والطلسمات الغريبة، وآلات الحديد الفاخر والسلاح الذي لا يصدأ، والزجاج الذي يطوى فينطوى ولا ينكسر[١٠٣]، وأصناف العقاقير المفردات والمؤلفات، والسموم القاتلات وغير ذلك مما يطول وصفه، ولا يدرك عده. ونقل إلى الهرم الآخر وهو الشرقى أصنام الكواكب والقباب الفلكية، وما عمل أجداده من التماثيل والدخن الذي يتقرب بها إليها ومصاحفها، وما عمل لها من التواريخ والحوادث التي مضت والأوقات التي تحدث منها ما ينتظر، وذكر من يلي مصر إلى آخر الزمان، وكون أدوار الكواكب الثابتة وما يحدث في دورانها وقتاً وقتاً، وجعل فيها المطاهر التي فيها المياه المدبرات وما أشبه ذلك من هذه الأشياء. وجعل في الهرم أجساد الكهنة في توابيت صوان أسود، ومع كل كاهن مصحف فيه عجائب صنعته وعمله وسيرته وما عمل في وقته.

ذكر المراتب السبعة للكهنة

وكانوا على مراتب المرتبة الأولى الناظرون وهم الذين تعبدوا للكواكب السبعة لكل كوكب سبع سنين، ومعنى القاطر عندهم جامع العلم. والمرتبة الثانية لمن تعبد لستة وله أيضا اسم، والمرتبة الثالثة لمن تعبد لخمسة، والمرتبة الرابعة لمن تعبد لأربعة، والمرتبة الخامسة لمن تعبد لثلاثة، والمرتبة السادسة لمن تعبد لاثنين والمرتبة السابعة لمن تعبد لواحد ولكل واحد من أصحاب المراتب السبعة اسم يعرف به. وجعل في جهة من الهرم مرتبة من هذه المراتب في توابيتهم، وجعل مع أجسادهم مصاحفهم كتبوها في ورق الذهب، ذكروا فيها جميع ما

---

[١٠٣] الزجاج الذي ينطوى ولا ينكسر فهذه الأوصاف تنطبق تماماً على الرقائق البلاستيكية الشفافة أي المفارش البلاستيكية!!

كان وما يكون وما قد عملوه من العجائب، وجعل في الحيطان من كل جانب كما تدور أصناماً تعمل بأيديها جميع الصناعات، على مراتبها وأقدارها وصفة كل صنعة وعلاجها، وما يصلح لها. وكتب مزبوراً على الصور جميع علاجات الأشياء كلها، وعلم النواميس، وعلم كل علم ثم جعل فيها أموال الكواكب التي أهديت إليها، وأموال الكهنة وقدر ذلك لا يحصى عدداً ولا وزناً. وجعل لكل هرم منها خازناً، فصاحب الهرم الشرقي صنم مجزع من جزع[١٥٤]أسود وأبيض له عينان مفتوحتان براقتان، وهو جالس على كرسي، ومعه شبه الحربة إذا نظر إليه ناظر سمع من جهته صوت يكاد ينزع قلبه فيهيم على وجهه ويختلس عقله، ولا يكاد يفارقه الهم حتى يموت منه [١٥٥]وجعل خازن الهرم الغربى صنماً من حجر صوان مجزعاً واقفاً معه شبه الحربة على رأسه حية مطوقة، من قرب منه وثبت إليه من ناحية قصده، فتطوقت على عنقه فقتلته ثم عادت إلى رأس الصنم[١٥٦]، وجعل خازن الهرم اللون صنماً صغيراً من حجر البهت على قاعدة منه قائماً، من نظر إليه اجتذبه الصنم حتى يلصق به، فلا يفارقه حتى

---

[١٥٤] (الجزع) Onyx من الأحجار ذات الطبع البارد اليابس، والمختار منه ما كان براقاً صافياً متناسب التكوين، قال التيفاشي: الجزع أنواع كثيرة منها الغروى، والحبشى والعسلى، أما البقرانى فهو حجر مركب من ثلاث طبقات، طبقة حمراء، لا مستشف لها يليها طبقة بيضاء لا تستشف يليها طبقة بلورية تستشف، أجوده ما كان في استواء عروقه في الرقة والنعومة، وكان سليماً من الخشونة أما باقى أنواعه فأجودها ما اشتدت صقالته واستوت عروقه. وجاء في كتاب كنز التجار: إن الجزع حجر ليس في الأحجار أصلب منه جسماً، لا يكاد يجيب لمن يعالجه سريعاً، ولأجل ذلك صنعت منه الساعات الرملية والمائية التي استعملها العرب، وكانت تلك الساعات من إبداعات العقل العربي في العصر العباسي.

[١٥٥]الصوت الذي يصدره التمثال ذو تردد عالى جداً من شأنه أن يؤثر على عضلات القلب ويؤدى إلى الوفاة بعد فترة قصيرة من سماع الصوت ... صوت التمثال!!

[١٥٦] الحية المطوقة هنا عبارة عن جهاز استشعار عن بعد، بمجرد اقتراب أي شخص من التمثال تستشعر به فتنقض على عنقه وتقتله وبعد أن تؤدى مهمتها تعود إلى مكانها ... إلى رأس الصنم!!

يموت"[١٥٧]، فلما فرغ من ذلك ضمدها بالأرواح الروحانية، وذبح لها الذبائح لتمنع من أنفسها من أراد الوصول إليها، إلا من قرب لها وعمل لها بأعمال الوصول .

وذكرت القبط أن عليها كتاباً منقوشاً تفسيره بالعربية "أنا سوريد الملك، بنيت هذه الأهرام في وقت كذا من الزمان، وأتممت بنيانها في ست سنين، فمن أتى بعدى، وزعم أنه ملك مثلى فليهدمها في ستين سنة، وقد علم أن الهدم أيسر من البنيان، وإنى قد كسوتها بالديباج فليكسها من أتى بعدى حصيراً !" .

فوجدوا أنه لا يقوم بهدمها شيء في الأزمان الطوال، وأن كسوتها أيضا بالديباج مما يشق على الملك، ويتعذر إلا بفساد عظيم، وبما لم يكن [فيه] صلاح. فمنها أن الرشيد لما دخل مصر، فرأى الأهرام أحب أن يهدم بعضها ليعلم ما فيه، فقيل له إنك لا تقدر على ذلك، فقال لابد من فتح شيء منه ففتحت الثلمة المفتوحة بنار توقد وخل يرش ومجانيق يرمى بها وحدادين يعملون ما فسد منها وأنفق عليها مالاً عظيماً فوجدوا عرض الحائط قريباً من عشرين ذراعاً، فلما انتهوا إلى آخر الحائط وجدوا خلف النقب مطهرة خضراء فيها ذهب مضروب وزن كل دينار أوقية من أواقينا، وكان عددها ألف دينار فعجبوا من ذلك ولم يعرفوا معناه، فأخبروا بذلك الرشيد، وأتوه بالذهب والمطهرة فجعل يعجب من ذلك الذهب، ومن جودته وحسنه وحمرته، ثم قال ارفعوا إلى حساب ما أنفقتموه على هذه الثلمة ففعل ذلك فوجدوه بإزاء ذلك الذهب الذي أصابوه لايزيد ولا ينقص، فعجب من معرفتهم بذلك على طول المدة، وأنهم يستفتحونه من ذلك الموضع بعينه وعجب من معرفتهم بقدر ما ينفق عليه، ومن تركهم ما يوازى في الموضع، عجباً شديداً كأن لهؤلاء القوم من العلوم منزلة لا نوازيها ولا ندركها نحن ولا أمثالنا. وقيل إن المطهرة التي وجد فيها المال كانت من زبرجد، فأمر بحملها إلى خزائنه وكانت أحد ما حمله من

---

[١٥٧] الصنم الصغير يقوم بعمل المغناطيس ولكنه يجذب بشدة أي شخص يقترب منه فيلتصق به ولا يستطيع الخلاص منه ولا يفارقه حتى الموت!!

عجائب مصر .

ومن عجائبها وما يستغرب منها أن الرشيد لما فتح تلك الثلمة من الهرم أقام الناس سنين يقصدونه ويدخلونه، وينزلون فيه من الزلاقة التي فيه، فمنهم من يسلم، ومنهم من يهلك، وأن جماعة من الأحداث اتفقوا وكانوا عشرين رجلاً على أن يدخلوا الهرم، ولا يبرحوا منه إلى أن يصلوا إلى منتهي آخره أو يموتوا عن آخرهم فيه. فأخذوا معهم من الطعام والشراب ما يكفيهم لشهرين، وأخذوا الأكل والوقيد والشمع والحبال والفؤوس، وما احتاجوه من الآلات والحديد للحفر، دخلوا الهرم ونزل أكثرهم في الزلاقة الأولى والثانية، ومضوا يمشون في أرض الهرم، فرأوا خفافيش على قدر العقبان تضرب وجوههم، وانتهوا إلى ثقب تخرج منه ريح باردة ولا تفتر، فذهبوا ليدخلوه فانطفأت مسارجهم، فذهبوا ليدخلوه فإذا الثقب على قاعة كبيرة فارغة، فعلموا أن أجساد موتاهم في ذلك الموضع، وأن معها كنوزهم وأموالهم، فراموا أن ينزلوه فلم يستطيعوا على ذلك. فقال أحدهم: شدونى بالحبال، وأنزلونى في هذا الثقب حتى أصل إلى قعر هذه القاعة، ولعلى أعلم منها بعض ما تريدون، ففعل القوم بصاحبهم ذلك، وشدوا الحبال في وسطه وتعجم الثقب فأبطأ فيه، وهم يمسكون الحبال حتى انطبق الثقب عليه، فجذبه أصحابه بجهدهم وقوتهم فلم يقدروا على نزعه وسمعوا عظامه تتكسر وسمعوا صيحة هائلة سقطوا منها على وجوههم لا يعقلون، فقاموا وطلبوا الخروج، وضاق بهم الأمر وصعدوا فسقط بعضهم من الزلاقة عند صعودهم، فترك وهلك. وخرج من بقى منهم من جميع الهرم، وجلسوا في صيحة متعجبين، فبينما هم كذلك إذ أخرجت لهم الأرض صاحبهم من بين أيديهم حيا يتكلم بكلام كاهنى لم يفهموا معناه، فسره لهم بعض أصحاب الدرايات بالصعيد بأنه ''هذا جزاء من طلب ما ليس له'' ثم سقط ميتاً فحملوه، وفطن بهم فأخذوا وحملوا إلى الوالى، فحدثوا عن أنفسهم ذلك.

وفي حديث آخر أن قوماً دخلوا الهرم وانتهوا إلى أسفله وطافوه فعرض لهم مثل الطريق، فساروا فيه فوجدوا كالمطهرة يقطر منها ماء يسير ثم يفيض فلم

يدروا ما هو، ثم وجدوا موضعا كالمجلس المربع حيطانه من حجارة مربعة ملونة عجيبة صغار في نهاية من الحسن، فقلع أحدهم منها حجراً وجعله في فيه. فانسدت أذنه من الريح، ولم يزل يتصبر وهو معهم حتى دخلوا مكاناً فيه كالقوارة العظيمة فيها ذهب مضروب كثير، أعمدته كلها في غاية من الإتقان زنة كل واحد منها ألف دينار، فأخذوا منها واحداً، فلم يقدروا أن يتحركوا، ولا أن يمشوا حتى تركوه من أيديهم، ولم يصلوا منه إلى شئ. ووجدوا في مكان آخر كالصفة فيها صورة شيخ من صنم أخضر، مشتمل شملة، وبين يديه تماثيل صغار في صورة الصبيان وكأنه يعلمهم، فأخذوا منها واحداً فلم يقدروا أن يتحركوا، وساروا أيضاً في تلك الطريق، فوجدوا بيتاً مسدوداً فيه دوى هائل وزمزمة، فلم يتعرضوا له ،ومضوا فوجدوا مثل المجلس المربع فيه صورة ديك من جواهر قائم على أسطوانة خضراء، وله عينان يسرج المجلس منها، فلما دنوا منه صوت بصوت مفزع[١٠٨]، وخفق بجناحيه، فتركوه ومضوا حتى وصلوا إلى صنم من حجر أبيض في صورة امرأة منكسة الرأس، وعن جانبيها أسدان من حجارة كأنهما يريدان أن يلتقماها، فجعلوا يتعوذون ويقرأون إلى أن تجاوزوهما، وساروا إلى أن لاح لهم نور ساطع، فاتبعوه فإذا هم بهوة مفتوحة، فخرجوا منها، فإذا هم في الصحراء. وإذا على باب الهوة تمثالا[ن] من حجر أسود معهما كالمزراقين[١٠٩]، فعجبوا من ذلك ووجدوا شبه الطريق فساروا عليه يوماً كاملاً إلى أن وصلوا إلى الأهرام من خارج. وكان ذلك في زمان يزيد بن عبد الله والى مصر فأخبروه بذلك فاستعد ووجه معهم من يدخل الهوة فأطافوا أياما فلم يجدوها، وأشكل عليهم أمرها، ولم يكن لهم إليها سبيل ولا وجدوا فيها

---

[١٠٨] الديك هنا عبارة عن جهاز حراسة مثبت أمام حجرة هي في الأصل مقبرة لأحد الملوك القدامى وما من شخص يقترب من الحجرة حتى يستشعره الديك فيصرخ بصوت مفزع ويخفق بجناحيه في آن واحد!!

[١٠٩] المِزْرَاقُ: الرّمح القصير والجمع مَزَارِيقُ، انظر (المعجم المحيط)، مادة: (المزراق)، انظر شبكة الأنترنت، الموقع http://lexicons .sakhr .com

حيلة، و الذي أخرج ذلك وحده جوهرة نفيسة باعها بمال خطير. وذكر أن قوماً في وقت أحمد بن طولون دخلوا الهرم فوجدوا في طاق من أحد بيوته أشنانة زجاج فأخذوها وخرجوا بها فافتقدوا رجلاً منهم فدخلوا في طلبه إذ خرج عليهم عرياناً يضحك ويقول "لا تتعبوا في طلبي" ورجع هارباً إلى داخل الهرم، فعلموا أن الجن قد استهوته وشاع أمرهم. وقيل إن أحدهم سعى بهم فأخذ الأشنانة منهم، ومنع الناس من دخول الهرم، وأنهم وزنوا ذلك الأشنان فوجدوا فيه سبعة أرطال من زجاج أبيض صاف، فانتبه رجل من أهل المعرفة، وقال لم تتخذ الملوك هذه لباطل وما عملت إلا لشيء، ثم ملأ الأشنان بالماء ثم وزنه فوجده ملاء مثل وزنه فارغاً لا ينقص ولا يزيد. وحكى أن قوماً دخلوا الهرم ومعهم غلام يعبثون به، فخرج عليهم غلام أسود في يده عصى، فأخذ يضربهم ضرباً وجيعاً فخرجوا هاربين وتركوا طعامهم وشرابهم وبعض ثيابهم، وقد أصاب قوم في بربا اخميم مثل ذلك. وحكي أن رجلاً وامرأة دخلا للفجور فصرعا جميعاً فلم يزالا مصحوبين مشهورين إلى أن ماتا. وفي بعض مصاحف القبط أن سوريد الملك لما أخبره كهنته بخبر النار المحرقة، التي تخرج من برج الأسد فتحرق العالم فعمل في الأهرم مسارب يدخل منها النيل إلى مكان يعنيه ثم يفيض إلى موضع من أرض العرب وأرض الصعيد، وملأ تلك عجائب وطلسمات وأصناماً تنطق. وحكى بعض القبط أن سوريد الملك لما أخبره منجموه بما أخبروه قال انظروا بلدنا هذا هل تلحقه آفة ؟ فنظروا وقالوا يلحقه طوفان يأتي على أكثره، ويلحقه خراب يقيم فيه عدة سنين، ثم يغلب عليها العمران. قال وكيف يكون خرابها ؟ قال يقصدها ملك يقتل أهلها ويغنم مالها، قال ثم ماذا ؟ قالوا يكون عمارتها [على يد] من قتله قال ثم ماذا ؟ قالوا يقصدها قوم مشوهون من ناحية النيل فيملكون أكثرها قال ثم ماذا ؟ قالوا انقطع نيلها وتخلو من أهلها، فأمر أن يكتب ذلك ويزبر على الأهرام والأسطوانات والحجارة العظيمة .

وذكر رجل من أهل المغرب ممن يختلف إلى الواحات، ويحمل الأسماك إلى الواحات على جمل له أنه بات قرب الهرم، فما زال يسمع الضوضاء والغطغطة

فهاله ذلك، وتباعد عن الهرم بجمله ذلك، فكان يرى حول الهرم شبه النيران تتألق، فلم يزل مذعوراً إلى أن غلبته عيناه فنام، فلما أصبح في الموضع الذي فيه السمك رأى سماكاً آخر بحياله موضوعاً فعجب من ذلك وشد سمكه على جمله وكر راجعاً إلى الفسطاط، وحلف أن لا يقرب من الهرم بعد ذلك. وأما البرابى فلها أخبار يطول ذكرها وشرحها، وتحكى القبط في أمور الروحانيين الغالبين على الأهرام والبرابى. فذكروا أن روحانى الهرم الجنوبى في صورة امرأة عريانة مكشوفة الفرج حسناء لها ذؤابتان فإذا أردات أن تستهوى الإنسان ضحكت في وجهه واجتلبته إلى نفسها فيدنو إليها فتستهويه ويزول عقله ويهيم. وقد رأى جماعة هذه المرأة تدور حول الهرم وقت القائلة، وعند غروب الشمس ،وروحانى الهرم الأخرغلام أمرد أصفر عريان له ذؤابتان، وقد رأوه أيضاً مراراً يطوف حوله.

وروحانى الهرم الملون في صورة شيخ نوتى عليه قرطلة، وفي يديه مجمر من مجامر الطاس وهو يبخره وكذلك في جميع الأبرونيات. وأما بربا أخميم فمعروف عند أهلها أن روحانيها غلام أسود عريان، وروحانى بربا سميرا هو في صورة شيخ آدم طوال أشيب صغير اللحية. وأما بربا قفط فروحانيته في صورة جارية سوداء، تحمل صبياً أسود صغيراً. وأما بربا دنونية فروحانيته في صورة إنسان رأسه رأس أسد وله قرنان. وأما بربا بوصير فهو في صورة شيخ أبيض عليه زى الرهبان، ومعه مصحف يحمله، وأما بربا عدنا فروحانيته في صورة راع عليه كساء ومعه عصا. ولأهرام دهشور روحانيون يراهم من قرب منها من نواحيها، على طول الأيام، ولكلها قرابين وبخور يظهر بها كنوزها، وتؤلف بين الناس وبين الروحانيين الذين بها. فأقام سوريد مائة سنة وسبع سنين، وقد كان كهانه عرفوه الوقت الذي يموت فيه، فأوصى إلى ابنه هوجيف[١٦٠] وعرفه بما احتاج إليه وأمره أن يدخل جسده الهرم ويجعله في الجرن الذي قد أعده لنفسه

---

[١٦٠] ذكره المؤرخون العرب بعضهم باسم (هرجيب) وآخرون باسم (هوجيب)، وسيجىء في السطور القادمة باسم (هوجيت) !

ويغشيه بكافور، ويحمل معه ما أعد من فاخر المتاع ومن السلاح والآلات، فامتثل هوجيت جميع ما أمره به .

ذكر هوجيت الملك

وتولى أمر الملك بعده ابنه هوجيت الملك فسار سيرة أبيه في العمارة والعدل والرقة والرأفة بالناس فأحبوه. وبنى الهرم الأول من أهرام دهشور، وحمل إليه كثيراً من الأموال والجوهر، وكان غرضه جمع المال وعمل الكيمياء وإخراج المعادن ودفن كل ما تهيأ له من الكنوز في كل سنة. وكانت له قصة مع بعض جواريه فنفاها إلى ناحية الغرب، وأمر فبنيت لها هناك مدينة وأمر أن يقام فيها علم ويزبر عليها اسمها وقصتها، وأسكن معها كل امرأة مسنة من أهل بيته. وشج في أيامه رجل رجلاً فأمر بقطع أصابعه، وسرق سارق مالاً لرجل فملك رقه للذى سرق منه. وعمل منارات ومصانع وطلسمات، وملكهم تسعا وتسعين سنة ومات.

ذكر مناوس الملك

وملك عليهم ابنه مناوس الملك، وكان جباراً عظيماً وعذاباً أليماً فآذى الناس، وسفك الدماء، واغتصب النساء، واستخرج كنوز بابل، وبنى قصوراً بذهب وفضة، وفجر فيها الأنهار، وجعل حباءها من صنوف الجواهر وتمخرق في الهبات على غير ما يجب، وأغفل العمارات. وأباح أصحابه غصب نساء العامة، وكان هو يفتض النساء قبل أزواجهن، وأطاف به أهل الشر من كل ناحية.

فأبغضه الناس وكرهوا أيامه. وامتنع عليه قوم في شيء أمرهم به فأحرقهم بالنار، وسلط رجلاً من الجبارين يقال له قرناس[١٦١] من ولد إدريس بن آدم على

[١٦١] وذكر المسعودى أن هذا الفارس يدعى قرناس من ولد إدريس بن أدم وكان ذلك في زمان الملك (مناوس). ويذكر الإدريسى في كتابه(أنوار علوى الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام)،

محاربة الأمم القريبة في الماء فقتل منهم عالماً كثيراً وحده. وكان أشجع أهل زمانه، ثم هلك فاغتم عليه الملك، وأمر أن يدفن مع الملوك في الهرم، ويقال بل عمل له وأقام عنده أعلاماً، وزبر عليه أسمه وما عمل في وقته من الحروب.

وأقام مناوس ملكاً ثلاثاً وسبعين سنة، ومات وجعل في الهرم مع أجداده في حوض من صوان أبيض مصفح بالذهب والجوهر، وجعل معه كثيراً من ذخائره وأمواله وعجائبه.

ذكر الملك أفراوس

وملك عليهم ابنه أفراوس[١٦٢] الملك، وكان عالماً محنكاً فخالف أباه في فعله،

تقديم وتحقيق :ألريش هارمان، ص ١١٨): ''وأما الهرم الذي بدير بوهرميس (يقصد (الهرم المدرج) المعروف باسم هرم الملك (زوسر))، فإنه قبر (قرياس)، وكان فارس أهل مصر، وكان يُعَدّ بألف فارس. فإذا لقيهم لم يقوموا له وانهزموا. وإنّه مات فجَزِعَ عليه الملك جَزَعاً بلغ منه واكتأبت لموته الرعيّة. فدفنوه بدير بوهرميس وبنوا عليه الهرم مدرّجاً. وبقي طينه الذي بنى به مع الحجارة من الفيّوم إلى اليوم، وهذا معروف، إذا نظر إلى طينه لم يُعرف له مَعْدِنُ إلاّ بالفيّوم، وليس بمنف ووسيم له شِبْه من الطين. وأما قبر الملك ـ صاحب قرياس هذا ـ فإنه الهرم الكبير من الأهرام التي في بحريّ دير بوهرميس (يقصد الملك (منقرع) صاحب الهرم الثالث بالجيزة)، وعلى بابه لوح كذّان مكتوب فيه باللازورد، يكون اللوح ذراعين في ذراع وكلّه مملوء كتابة مثل كتاب البرابى إلى باب الهرم يصعد إليه بدَرَج بعضها صحيح لم ينخرم. وفي هذا الهرم ذخائر صاحبه من الذهب وحجارة الزمرّد، وإنما سدّ بابه حجارة سقطت من أعاليه. ومَن وقف عليه رآه بيّناً ''، بينما ذكر المقريزى (انظر: الخطط المقريزية، ص ١١٧، جـ١)أن قرياس كان فارس أهل مصر وكان يعد بألف فارس فإذا لقيهم لم يقوموا به وانهزموا وأنه مات فجزع الملك عليه جزعاً بلغ منه واكتأبت لموته الرعية فدفنوه بدير هرميس وبنوا عليه الهرم مدرجاً .و نرى أن الاسم الأصح هو (قرياس)، والأصل من (قرب)، أما (اس) فهي زائدة يونانية. (قرب) = (قر) + (إب)، أما (قر) فتعنى البارد وهي عكس (حر) ! ، و(إب) تعنى القلب وعربيتها (لب) !

وهذا يعنى أن (قرياس) كان أسمه يعنى صاحب (القلب البارد) وهو اسم ينطبق على الفارس الشجاع الذي لا يخاف الموت ولا يهابه !!

[١٦٢] ذكره المقريزى في الخطط باسم (فرعان) !

وعدل في الناس ورد النساء اللاتى غصبهن أبوه إلى أزواجهن. وعمل في وقته قبة طولها خمسون ذراعاً وعرضها مائة ذراع، وركب في جوانبها أطياراً تصفر بأصناف الأصوات المطربة لا تفتر، وعمل في وسط المدينة مناراً من صفر عليه صورة رأس إنسان من صفر كلما مضت ساعة من الليل والنهار صاح ذلك الرأس فيعلم بصياحه دخول ساعة[١٦٣] ويعرف من كل سمعه عدة الساعات. وجعل مناراً آخر وجعل فيه قبة من صفر مذهب ولطخه بلطوخات، فإذا غربت الشمس اشتعلت تلك القبة نوراً فيضيء لها كثيراً من المدينة مشبهاً بالنار لا تطفيها الرياح [١٦٤]، ولا الأمطار، فإذا كان النهار قل ضوؤها لنور الشمس. ويقال إنه

و(أفراوس) والأصل من (فرا) بعد حذف الهمزة و الزائدة اليونانية (وس) ا

و(فرا) = (فرع) باعتبار أن ا =ع، و(فرع) تعنى في المصرية (خت) .

[١٦٣] مازال الشائع بين علماء المصريات أن الفراعنة لم يعرفوا سوى الساعات المائية والمزاول، حيث لم يعثر حتى الآن سوى على نماذج من هذا النوع، لكن الحقيقة التي أكدها المؤرخون العرب وتؤكدها كل الشواهد والأدلة هي توصل الفراعنة إلى تصنيع ساعات آلية تعمل بطريقة أتوماتيكية، فالأخبار في هذا الشأن كثيرة ومتواترة)، وهذا التمثال الذي يتحدث عنه المسعودى أو هذه الساعة تعمل بطريقة آلية أتوماتيكية فتصدر أصواتاً كل ساعة تحدد مقدار الساعة فعند الساعة الخامسة تصدر خمس أصوات وعند السادسة تصدر ست أصوات وهكذا، وذكر أنه عمل في الجبل الشرقى صنماً عظيماً قائماً على قاعدة مصنوعاً بلطوخ أصفر بالذهب وجهه إلى الشمس يدور معها إلى أن تغرب في الغرب ثم يدور ليلاً حتى يحاذى الشمس مع الصبح. وهذا نوع آخر من الساعات الآلية الميكانيكية، فغالباً كان حول هذا التمثال دائرة كبرى مقسمة إلى أقسام (٢٤ قسم تمثل ٢٤ ساعة وأقسام أخرى فرعية تمثل الدقائق مثلاً) وكان هذا التمثال أو بمعنى أدق وجهه بمثابة عقرب الثوانى أو الساعات، فهو يدور كما هو واضح دورة كاملة مرة كل ٢٤ ساعة تبدأ من طلوع الشمس حيث يكون وجهه متجهاً إليها وتنتهي عند شروق اليوم التالى، فإذا نظر الناس إلى وجه التمثال في الليل مثلاً والموضع القابل له على الدائرة أمكنهم معرفة الوقت من ساعات الليل بالضبط وبالقطع كانت الآلات الميكانيكية التي تشغل هذه الساعة موضوعة داخل رأس التمثال والعامود النحاس (المنار) المثبت عليه. انظر هشام كمال عبدالحميد: (تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة)، ص ٣٢٧ .

[١٦٤] القبة التي تضئ نوراً عبارة عن إضاءة مركزية لإنارة كل أرجاء المدينة وحيث أنها تعمل ليلاً وتنطفئ نهاراً لذلك ربما كانت تعمل بالخلايا الكهروضوئية أو ما يعرف حديثاً بـ photo-electric cells !!

أهدى إلى الدرمشيل الملك بـ بابل مدهنة من زبرجد قدر خمسة أشبار، وكان استهداه ذلك ليجعلها في بيت القربان. ويقال إنها وجدت بعد الطوفان، ويقال إنه عمل في الجبل الشرقي صنماً عظيماً قائماً على قاعدة مصبوغاً بلطوخ أصفرٍ مموه بالذهب وجهه إلى الشمس يدور معها إلى أن تغرب في الغرب ثم يدور ليلاً حتى يحاذي الشمس مع الصبح. ويقال إن أفروسا كان يطلب الولد في وقته فنكح ثلاثمائة امرأة يبتغي أن يولد له منهن فلم يكن ذلك. ويقال إن في وقته عقمت أرحام النساء والبهائم، ووقع الموت لما كان الله عز وجل قدره من هلاك العالم بالطوفان. وقيل إن الأسد كثرت في وقته حتى كادت أن تدخل البيوت، فاحتالوا لها بالطلسمات المانعة والحيل المضرة بها، وكانت تغيب شيئاً وتعود، فرفعوا ذلك إلى الملك وقالوا هذه علامة مكروهة، فأمر أن يعمل لها أخاديد وتملأ ناراً وجلبوا إليها الأسد بالدخن التي تجذب روحانيتها إليها، وألقوها على النيران فاحترقت. وبنى في وقته مدائن في ناحية الغرب تلفت في الطوفان مع أكثر مدنهم، وارتفعت الأمطار عنهم، وقل الماء في النيل فأجدبوا وهلكت الزروع بالحر والريح الحارة وغير ذلك، فأضر ذلك بهم فاحتالوا لدفع النار بطلسماتهم، وكانت تذهب ثم تعود. وقيل إن الذي فعل ذلك بهم ساحر من سحرتهم كان مناوس قد غصب امرأته فأعمل الحيلة قليلاً قليلاً في إفساد طلسماتهم، لأن لكل طلسم شيئاً يقوى روحانيته وشيئاً آخر يفسدها. ولهذه العلة دخل بخت نصر الفارسي مصر، وكانت ممتنعة من جميع الملوك، فلما أفسد الساحر طلسماتهم سلط عليهم تلك الأفات وأفسد طلسم التماسيح فهاجت عليهم ومنعتهم الماء، وعذبتهم عذاباً كثيراً إلى أن فطنوا به من قبل تلاميذه. وذلك أن بعض تلاميذه لامه على ما يفعل من المضرة بقومه، فانتهره ونفخ في وجهه، فأظلم عليه بصره فرفع التلميذ أمره إلى وزير الملك، فعرف الوزير الملك بالأمر، فأمر الملك بادخال التلميذ إليه، فدخل وعرفه بصورة الحال، فأنفذ الملك إلى الساحر جيشاً ليأتوه به، فلما نظر الساحر إلى القوم مقبلين إليه دخن بدخنة أغشت أبصارهم، وارتفعت منها عجاجة صارت ناراً مضرمة حالت بينهم وبين الساحر، فهالهم أمره وخافوا على أنفسهم منه فرجعوا إلى ملكهم، وعرفوه بما جرى.

فأمر الملك باحضار جميع السحرة. وكان رسم السحرة عندهم أن يعاهدوا

ملوكهم على أن يكونوا أبدا معهم ولا يخالفونهم ولا يقصدونهم بمكروه ولا يبغونهم الغوائل، فمن فعل ذلك منهم سلب منزلته وما يملكه، وكان للملك أن يسفك دمه ودم أهل بيته، وكانوا مع الملوك على هذه الحالة، وكانوا مع ذلك يوفون بعهدهم ولا ينقضون شيئاً من عهدهم. فلما اجتمع السحرة عند الملك أخبرهم خبر الساحر، وكان يقال له أجناس وما فعله من الفساد ونقضه للعهد، وقال لهم إن لم تحضروه أهلكت جميعكم، فسألوه النظر في الأمر، فأخذ أولادهم ونساءهم رهائن بذلك وأنظرهم. فلما خرجوا من عنده تكلموا بينهم وقالوا إنكم تعلمون كثرة علم أجناس وشدة سحرة، وإنا ما لنا به طاقة، ومناوس الملك هو الذي نقض عهده، وتعدى عليه وغصبه امرأته، فينبغي لنا أن نخلص أنفسنا منه، فأجمعوا أمرهم على أن ينصرفوا إلى الملك واستأذنوه في الذهاب إليه ومداراته وتوبيخه والرفق به حتى يأتوا به الملك بأمان يأخذونه له منه، فيجدد العهد بينه وبين الملك، ففعلوا ذلك وأجابهم الملك إلى ما سألوه من ذلك، ثم مضوا إلى أجناس ولطفوا به، وقالوا له إنا ما نجهل حقك وعظم أمرك وإنا بقدرك وكثرة علمك عارفون، ولم يكن في قدر الجناية التي جنت عليك قدر ما فعلته من الأضرار بأهل بلدك الذي أنت منهم، ولا في الواجب أن تهلك عالماً كثيراً من الناس لجناية جناها عليك مناوس، ولا يجب على ملكنا وملك اليوم الذي عهده لازم لنا ولك من فعل أبيه بك وبسواك عقوبة. ولسنا نأمن أن تسلب علمك وتصير إلى أقبح عملك، فتهلك مذموماً وتمضى غير مفقود، فلم يزالوا به حتى أجابهم إلى ما أرادوه، وكتبوا بذلك إلى الملك فكتب له أماناً وجدد له عهداً ورجع إلى ما كان من طاعة الملك وحسن رأيه فيه. وردت إليه امرأته فأكرمها وردها إلى قصر الملك وعرفهم أنه لا يرى في دينه أن يلامس امرأة لامسها الملك على حال من الأحوال، لما كانوا يرعون من طاعة الملوك ويعظمون من حقوقهم، فسر الناس بذلك وعجبوا من عقله وحكمه وصلح الملك والناس وعمل لهم أجناس هذا عجائب وطلسمات كثيرة .

وملكهم افراؤس[165] أربعا وستين سنة، وهلك وليس له ولد ولا أخ، فدفن في الهرم وجعلت معه أمواله وذخائره وجوهره والصنائع التي عملت في وقته .

ذكر أرمافيوس الملك

واجتمع الناس على تمليك رجل من أهل المملكة يقال له أرمافيوس[166] فلما ملك أمر بجمع الناس إليه، فلما اجتمعوا بين يديه قال لهم: إني أرى من حولكم من الأمم مسارعة إليكم وغالبة على عداوتكم وأنا مانع بلدكم منهم وحام دياركم ودماءكم وقد تطرفت نواحيكم ويوشك أن تسير إليكم وأنا أريد منعهم بعدوهم وأقصدهم في بلادهم وتخويلكم إياهم، فأحتاج إلى معرفة حكمائكم بالأعمال الهائلة والتماثيل العجيبة.

فشكروه ودعوا له بالتوفيق والسعادة الكاملة، وقالت الحكماء: نحن نخرج مع الملك ونبلغه محابة فيما يريده من أعدائه، ونحن نخدم الجيش مكانه، ونبذل أنفسنا دونه، فشرع في ذلك. وخرج في جيش عظيم، وحارب تلك الأمم، فنكاهم نكاية شديدة، ورجع غانماً، وخلف في وجوهها جيشاً، فتألفت تلك الأمم على ذلك الجيش من كل جانب فهزمته، ورجع أصحابه مغلوبين فغاظه ذلك. وقد كان أصابته علة في سفره من تغير الأهوية وتبديل الماء، فأنفذ ابن عم له يقال له فرعان بن ميسون[167]، وكان أحد الجبابرة الذين لا يطاقون وهو أول

---

[165] أفراؤس = (أفراق) + (س)، (س) هنا زائدة لغوية، (أفراق) = (فراق) بعد حذف الهمزة، ربما هي من الأصل (فرع)، وفي اللغة المصرية القديمة (خ ت) تعنى عصا أو غصن شجرة (فرع)، وعلى ذلك نرى أن (أفراؤس) هو الصيغة اليونانية لـ (فرع) وتعنى في اللغة المصرية القديمة (خ ت) وهو إله مصرى القديم ، و يوجد ملكين من الملوك المصريين يحملون اللقب (خت)، أحدهما (سمر خت) أحد ملوك الأسرة الأولى والثانى (سانا خت) أحد ملوك الأسرة الثالثة!

[166] ذكره القريزى في (الخطط) باسم (أرمالينوس)!

[167] ذكره القريزى في (الخطط) باسم (فرعان بن مشون)!

فرعون تسمى بهذا الاسم، وتسمى به بعده من تشبه به. وقال أصحاب التاريخ من أهل مصر، إن أول من تسمى بـ فرعون غلام الوليد ابن دومع العماليقى، يقال له فرعون كان قد هرب من مولاه لما رجع من طلب النيل، وبنى المدينة التي يقال لها مدينة العقاب وتحصن بها، فقيل له فرعون وسنذكر خبره في موضعه. فأنفذ الملك ابن عمه فرعان في جيش عظيم، فأجلى تلك الأمم ونفاها إلى أطراف البحر وكر راجعاً ومعه رؤوس كثيرة وخلق كثير أسارى. فأمر الملك بنصب الرؤس حول المدينة، وقتل من صلح للقتل، وكان فيهم كاهن منهم فأمر أن ينشر بمنشار، وهو أول من فعل ذلك. وأعظم الملك ابن عمه فرعان وأكرمه وألبسه حللاً منظومة بالجوهر، وأمر أن يطاف به ويذكر فضله، ثم أنزله في بعض قصوره. وأن امرأة من نساء الملك عزيزة عليه عشقت فرعان، فأرسلت إليه تدعوه إلى نفسها فامتنع من ذلك خوفاً من الملك، ولأن التخطى كان عندهم إلى نساء الملك عظيماً. فلما طال عليها شوقها إليه أحضرت امرأة ساحرة من نساء الكهنة ولاطفتها حتى أنست بها، فذكرت أمر فرعان وما تجده من سببه وامتناعه عليها، فضمنت لها بلوغ محبتها منه، فسحرته بدخن كان عندها عملته له حتى اهتاج إليها وقدم على ودها وسهل عليه ما صعب من أمره، ودست إليه فأجابها واجتمع بها وتمكن حب كل واحد منهما من صاحبه، ودام الأمر بينهما وتمادى الأنس إلى أن ذاكرته أمر الملك وأنها لا تأمن أن يصل خبرهما به فيهلكا، وقالت له أعمل الحيلة في قتله، وأنت ابن عمه فيكون [لك] الملك من بعده ونأمن على أنفسنا، فلشدة حبه لها استحسن ذلك واستدعى بسم فدفعه إليها، فدسته في شراب الملك فمات لوقته، ودفن في الهرم مع الملوك.

ذكر فرعان الملك

وجلس فرعان الملك على سرير الملك، ولبس التاج ولم ينازعه أحد، وفرح الناس بمكانه لما كان عليه من الشدة والجرأة. وأن فرعان علا في الأرض وتجبر، وهو الذي كان الطوفان في وقته، وغصب الناس أموالهم وعمل في طريق الظلم ما لم يعمله أحد، وأسرف في القتل وامتثل أصحابه فعله، فهابته الملوك، وأقروا له، وهو الذي كتب إلى الدرمشيل بن يمحويل ملك بابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام .

وذلك أن الدرمشيل كتب إلى الأفاق يستعلم أهلها هل يعرفون آلهة غير الأصنام ؟ ويذكر قصة نوح عليه السلام، وأنه يريد تغيير ما هم عليه من عبادة الأصنام، ويزعم أن له إلهاً غيرها لايرى فكل أنكر ذلك .

ولما أخذ نوح عليه السلام في عمل السفينة كتب فرعان يأمره بقتل نوح وحرقها فأشار عليه بعض وزرائه أن لا يفعل وأن يدعها فإن كان ما ذكره نوح حقاً ركبها الملك وأهل بيته فقبل رأيه وتركها وهم بقتل نوح فمنعه الله منه. وكان عند أهل مصر علم الطوفان، ولم يقدروا كثرته ولا طول مقامه على وجه الأرض، فاتخذوا السراديب تحت الأرض وصفحوها بالزجاج وحبسوا الريح فيها بتدبيرهم، واتخذ الملك فيلمون رأس الكهنة مع نفسه، عدة له ولأهل بيته. وقد كان فرعان أقصى الكهان وباعدهم، فرأى فيلمون الكاهن ليلة في منامه كأن مدينة أمسوس قد أقبلت بأهلها وكأن الأصنام قد انقلبت على وجوهها وكأن ناساً من السماء ينزلون ومعهم مقامع يضربون بها الناس، وكأنه تعلق بأحدهم، وقال لهم: لأى شيء تفعلون بالناس ولا ترحمونهم ؟ قال: لأنهم كفروا بإلههم الذي خلقهم، قال: أما لهم خلاص ؟ قال: نعم من أراد الخلاص فعليه بصاحب السفينة. فانتبه مرعوباً وقام حيراناً لا يدرى ما يصنع، وكان له امرأة وولدان ذكر واثنى وسبع تلاميذ فأجمع على أن يلحق بـ نوح عليه السلام. ثم نام أيضا فرأى في نومه كأنه في روضة خضراء، وكأن فيها طيوراً بيضاء يفوح منها رياح المسك، وكأنه كان يعجب من حسنها، إذ تكلم بعض الطيور فقال

سيروا بنا لعلنا ننجو مع المؤمنين، فقال له ومن هم المؤمنون ؟ قال أصحاب السفينة. فانتبه مرعوباً وأخبر أهله وتلاميذه بذلك واستكتمهم إياه ثم نظر في تخفيف أثقاله، وفي بيع ما يجب بيعه مستتراً بذلك كله. فلما فرغ مما أراده دخل على الملك وقال له إن رأى الملك أن ينفذنى إلى الدرمشيل لأرى هذا الرجل الذي عمل السفينة وأناظره وأجادله على ما جاء به من هذا الدين الذي يظهره، وأتبين حقيقة أمره فليفعل، فعسى أن يكون سبب هلاكه ودفعه عما يدعيه، فأعجب الملك منه وأمره بالخروج، وكتب معه إلى الدرمشيل. فسار فيلمون بأهله وولده ومضى معه تلاميذه حتى انتهوا إلى أرض بابل فقصد نوحاً فأخبره بما قصده، وسأله أن يشرح له دينه ففعل نوح عليه السلام ذلك، فآمن به فيلمون وجميع من معه، ولم يقصد فيلمون إلى الدرمشيل ولم يدفع إليه كتاب فرعان ولا رآه .

فقال نوح عليه السلام ''من أراد الله به خيراً لم يصرف عنه ذلك'' فلم يزل الكاهن مع نوح عليه السلام يخدمه هو وتلاميذه وولده إلى أن ركبوا السفينة .

وأقام فرعان الملك متمكناً في ضلاله وظلمه، مدمناً على لهوه وقد استخف بالهياكل، فضاقت أرضهم بها، وكثر الظلم والهرج وفسدت الزروع وأجدبت الأرض من كل ناحية، وظلم الناس بعضهم بعضاً، ولم ينكر ذلك عليهم، وسدت الهياكل والبرابى وطبقت أبوابها، فجاءهم الطوفان وأقبل عليهم المطر في أربع وعشرين من الشهر. وكان فرعان سكراناً فلم يقم إلا والماء قد عظم، فوثب مبادراً يريد الهرم فتخلخلت الأرض به، وسبق يريد الأبواب فخانته رجلاه وسقط على وجهه، وجعل يخور كما يخور الثور إلى أن أهلكه الطوفان ومن دخل منهم الأسراب مات بغمها ولحق الماء من الأهرام إلى حد التربيع، وأثره ظاهر عليه إلى الآن. وقد ذكر أن مواضع سلمت من الطوفان يذكر ذلك الفرس، وتزعم أنها لا تعرف الطوفان، وكذلك الهند تزعم أنها لاتعرفه وليس بين أهل التاريخ اختلاف في عموم الطوفان لجميع الأرض .

ذكر ملوك مصر بعد الطوفان

ذكر الملك مصريم

أجمع أهل مصر أن أول من ملك مصر بعد الطوفان مصريم بن تنصر ابن حام بن نوح عليه السلام وذلك بدعوة سبقت له من جده. والسبب في ذلك أن فيلمون الكاهن سأل نوحاً أن يخلطه بأهله وولده، وقال له: يا نبى الله إننى تركت أهلى وولدى فاجعل لى رفقة أذكر بها بعد موتى، فزوج عليه السلام مصرايم بن بيصر بن حام بنت فيلمون، فولدت له ولداً فسماه فيلمون باسم جده. فلما أراد نوح عليه السلام قسمة الأرض بين بنيه، قال له فيلمون: ابعث معى يا نبى الله ابنى، حتى أمضى به إلى بلدى وأظهره على كنوزه، وأوقفه على علومه وأفهمه رموزها، فبعثه مع جماعة من أهل بيته، وكان غلاماً مراهقاً. فلما قرب من مصر بنى له عرشاً من أغصان الشجر، وستره بحشيش ثم بنى له بعد ذلك مدينة في الموضع بنفسه وسماها درمان أي باب الجنة وزرعوا وغرسوا الأشجار. وكان بين درمان إلى البحر زروع وأجنة وعمارة، وكان القوم الذين كانوا مع مصرايم جبابرة، فقطعوا الصخور وبنوا المصانع والمعالم، وأقاموا في أرغد عيش. ونكح مصرايم بنتاً من بنات الكهنة، فولدت له ولدا فسماه قبطيماً، وتزوج بعد تسعين سنة من عمره امرأة أخرى فولدت له أربعة نفر: يقطويم، واشمون، وابريت، وصابى، فكثروا وعمروا الأرض وبورك لهم فيها. وقيل إن عدد من كان مع مصرايم ثلاثون رجلاً من الجبابرة، فبنوا مدينة سموها نافة، بلغتهم معناها ثلاثون، وهي مدينة منف. وكشف فيلمون الكاهن لـ مصرايم عن كنوز مصر وعلمه قراءة خط البرابى وما زبر على الحجارة، وعرض عليهم معادن الذهب والفيروزج والزبرجد وغير ذلك، ووصف لهم عمل الصنعة فجعل الملك أمرها إلى رجل يقال له لسنطاس ثقة من أهل بيته، فكان يعملها في الجبل الشرقى، فسمي الجبل به المقطم. وعلمهم أيضاً عمل الطلسمات وكانت تخرج من البحر دواب وتفسد زروعهم، وما قارب البحر من جهاتهم فعملوا لها الطلاسم فغابت

ولم تظهر بعد. وبنوا على غير البحر مدناً منها رقوده بمكان الإسكندرية، وجعلوا وسطها قبة من نحاس مذهب والقبة مذهبة ، ونصبوا فوقها مرآة معموله من أخلاط شتى قطرها خمسة أشبار، وكان ارتفاع القبة من الأرض خمسمائة ذراع، فكانوا إذا قصدهم قاصديهم بأذاهم من البحر عملوا لتلك المرآة عملاً فألقت شعاعها إلى ذلك القاصد ومراكبه فأحرقتهم أجمعين[١٦٨]، ولم تزل على حالها حتى غلب عليها البحر فهدمها .

ويقال إن منارة الإسكندرية[١٦٩] إنما عملت تشبيهاً بها، وقد كانت أيضاً

---

[١٦٨] في مواضع عديدة من (أخبار الزمان) وكتاب (مروج الذهب) تحدث المسعودى عن البرابى التي كان الفراعنة يرصدون بها تحركات الأعداء فتظهر فيها صورهم عند اقترابهم من الحدود (وكأنها شاشات تليفزيونية راديوية ضخمة) واستخدام هذه البرابى في إبادة هؤلاء الأعداء من خلال تحطيم صورهم الظاهرة بالبرابى (وكأنها جهاز تدمير إشعاعى يقوم بتسليط الأشعة على الأعداء من بعد)، وأشار المسعودى إلى أن هذه البرابى كان عملها يعتمد على الطلسمات أي يتم تصنيعها بعلوم أسرار الطبيعة وأضاع الفلك والكيمياء والقوى الجاذبة والدافعة وخواص الأحجار والنبات والحيوان، وأن نجاح الطلسم لكى يأتى بالأعمال المرجوة منه يقتضى تصميمه عند أوضاع فلكية معينة كاقتراب درجة من درجات الفلك وقربها من هذا العالم، أو ارتفاع درجة من درجات الفلك وذلك خلال مدة معينة من السنين تصل نحو ستمائة سنة على ما يذكره أصحاب الفلسفات من المنجمين والفلكيين. انظر هشام كمال عبدالحميد: (تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة)، ص ٢٤٦ .

[١٦٩] قال الأبشيهي في (المستطرف، ص ٤٣١-٤٣٢): ومن المبانى العجيبة منارة الإسكندرية التي بناها ذو القرنين، وقيل إنها كانت مبنية بحجارة مهندسة مغموسة في الرصاص فيها حوالى ثلاثمائة بيت (طابق) تصعد الدابة بحملها إلى كل بيت (طابق) وللبيوت طاقات (شرف ونوافذ) تطل على البحر، ويقال إن طولها كان ألف ذراع وفي أعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال رجل قد أشار بيده إلى البحر، فإذا صار العدو نحو ليلة منه سمع له تصويت يعلم به أهل المدينة مجئ العدو فيستعدون له، ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صوت تصويتاً مطرباً، ويقال إنه كان بأعلاها مرآة من الحديد الصينى عرضها سبعة أذرع كانوا يرون فيها المراكب بجزيرة قبرص، وقيل كانوا يرون فيها من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم، فإذا كانوا أعداء تركوهم حتى يقتربوا من المدينة، فإذا مالت الشمس للغروب أداروا المرآة مقابلة الشمس واستقبلوا بها السفن، فيقع شعاعها بضوء الشمس على السفن فتحرق في البحر ويهلك كل من فيها وكانت الروم تؤدى

عليها مرآة يرى فيها من يقصدها من بلاد الروم، فاحتال عليها بعض الملوك، فوجه إليها من أزالها، وكانت من زجاجة مدبرة. ولما حضرت مصرايم الوفاة عهد إلى ابنه، وقد كان قسم أرض مصر بين بنيه فجعل من قفط إلى أسوان لـ قبطيم، وجعل لـ أشمون من أسوان إلى منف، ولـ أبريت الحوف كله، ولـ صابى ناحية البحر إلى قرب برقة والغرب، فهو صاحب افريقية وولده الأفارق، وأمر كل واحد من بنيه أن يبنى مدينة لنفسه في موضعه وأمرهم عند موته أن يحفروا في الأرض سربا ويفرشوه بالمرمر، ويدفنوه فيه ويدفنوا معه جميع ما في خزائنه من الذهب والفضة والجوهر. ويزبروا على ذلك أسماء الله العظام المانعة من الحوادث. فحفروا له سرباً، طولا مائة وخمسون ذراعاً، وجعلوا في وسطه مجلساً مصحفاً بصفائح الذهب، وجعلوا للمجلس أربعة أبواب على كل باب تمثال من ذهب عليه تاج مرصع بالجوهر، جالس على كرسي من ذهب قدامه آنية زبرجد، ونقشوا في صدر كل تمثال آيات مانعة، وأجلسوا جسده في مجلس زبرجد أخضر، وزبروا عليه "مات مصرايم بن بيصر بن حام بعد سبعمائة سنة مضت لأيام الطوفان، مات ولم يعبد الأصنام، فصار إلى حيث هو لا يوم هرم ولا سقم ولا حزن، وجعل جسده وماله في هذا السرب وحصنه بأسماء الله العظام، وبما لا يصل إليه بعده إلا ملك له من جدوده سبعة ملوك يأتى في آخر الزمان، يدين للملك الديان، ويؤمن بالمبعوث بالقرآن، الداعى إلى الأيمان في عواقب الأزمان" . وجعلوا معه في ذلك المجلس ألف قطعة من الزبرجد المخروط، وألف تمثال من الجوهر النفيس، وألف برنية ذهب مملوءة درايق سماً، وألف آنية مملوءة بالصنعة الألهية والعقاقير السرية، وجعلوا مع ذلك طلسمات عجيبة، وسبائك ذهب مكدسة بعضها على بعض، وسقفوا ذلك بالصخور العظام، وهالوا عليه التراب والرمال حتى سدوا ما بين جبلين متقابلين، وجعلوا عليه علامات لا تخفي .

الخراج ليأمنوا بذلك من إحراق سفنهم، ولم تزل المارة كذلك إلى زمن الوليد بن عبدالملك. . انظر هشام كمال عبدالحميد: (تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة)، ص ٢٩٣ .

ذكر قبطيم الملك

وولى الملك بعده ابنه قبطيم الملك، ويقال إن القبط منسوبون إليه وهو أول من عمل العجائب، وأثار المعادن، وشق الأنهار، ويقال إنه [لحق] البلبلة، وخرج منها بهذا اللسان القبطي، وعمل ما لم يعمله أبوه من العمارات، ونصب الأعلام والمنارات والعجائب والطلسمات.

وملكهم قبطيم ثمانين سنة، وهلك فاغتم عليه بنوه وأهله، ودفن في سرب تحت الجبل الكبير[١٧٠] الداخل، وصفح بالمرمر الملون، وجعل فيه منافذ للريح فهي تتخرق فيه بدوى عظيم هائل، وجعل فيه كروس نحاس مطلية بأدوية تضيء أبداً كأنها سرج لا تطفأ[١٧١]، ولطخوا جسده بالمرمر والكافور والمومياء وجعلوه في جرن من ذهب وثياب منسوجة بالمرجان والدر، وكشفوا عن وجهه في جرنه تحت قبة على عمد من مرمر ملون وفي وسط القبة جوهرة معلقة تنير كالسراج، وبين كل عمودين تمثال في يده أعجوبة، وجعل تحت الجرن توابيت حجارة مملوءة جوهراً وذهباً وغير ذلك من التماثيل والصنعة، وحول ذلك مصاحف الحكمة، وسدوا عليه، وزبروا عليه كما زبروا على تابوت أبيه.

---

[١٧٠] واضح هنا اختلاف الترجمات بين المؤرخين العرب من الأصل الهيروغليفي فأحدهما يترجم إلى (الهرم الكبير) وأخرون إلى (الجبل الكبير) والمؤكد أن الكلمة الأصلية التي كانت في أوراق البردى هي (إرم) وهي تعني في المصرية القديمة (الهيروغليفية) الجبل، أما كلمة (إرم) في العربية. فيقول ابن منظور: الإِرَمُ: حجارة تنصب علماً في المفازة، الإِرَمُ والأَرَمُ: الحجارة. وقيل إرم: هي مقابر قوم عاد. وبذلك نرى أن اسم (إرم) هو الاسم الوحيد الذي يعبر تعبيراً كاملاً عن الهرم.

[١٧١] المقصود بالأدوية هنا الدهانات الفوسفورية التي تعطى وميضا في الظلام عند سقوط أدنى كمية من الضوء عليها وهذه الدهانات قام الملك (كروس) بدهان النحاس بها ووضعها داخل الهرم!!

ذكر قفطويم الملك

وتولى الأمر بعده ابنه قفطويم الملك، وكان أكبر ولد أبيه، وكان جباراً عظيم الخلق، وهو الذي وضع أسرار الأهرام بـ الدهشور وغيرها، ليعمل ما عمله الأولون، وهو الذي بنى مدينة زرنده. وهلكت عاد بالريح في آخر أيامه، وأثار من المعادن ما لم يثره أحد، وكان يجد الذهب على قدر الرحى والزبرجد مثل الأسطوانة، وغرس الأسارح في صحراء الغرب مثل النخلة. وعمل من العجائب كثيراً، وعمل مناراً عالياً في جبل قفط يرى منه البحر الشرقى، ووجد هنالك معادن زئبق فعمل منه بركة عظيمة، فقيل إنها هناك إلى اليوم، وفي زمانه أثار إبليس وأعوانه الأصنام التي كان الطوفان أغرقها، وزينوا أمرها وعبادتها. ويقال إن قفطويما بنى المدائن الداخلة، وعمل فيها عجائباً، منها الماء الملفوف القائم كالعمود ولا ينحل ولا يذوب ويسمى فلطيس، وصيادة الطير إذا نصبها ومر عليها الطير سقط فيها ولم يقدر أن يبرح منها حتى يؤخذ. وعمل بها أيضا عموداً من نحاس عليه صورة طائر، فإذا قرب الوحش والأسد والحيات من المدينة صفر ذلك الطائر صفيراً عالياً، فترجع تلك الدواب هاربة. وكان للمدينة أربعة أبواب جعل لها أربعة أصنام، على كل باب صنم من نحاس لا يعبر غريب إلا ألقى عليه النوم والسبات، فينام عند الباب فلا يبرح نائماً حتى يأتيه أهل تلك المدينة، فينفخوا في وجهه فيقوم، فإن لم يفعلوا ذلك لم يزل نائماً حتى يهلك. وعمل مناراً لطيفاً من زجاج ملون على قاعدة من نحاس، وعلى رأس المنارة صورة صنم من زجاج كبيرة، وفي يده كالقوس، وكأنه يرمي به، فإن عاينه غريب وقف في موضعه ولم يبرح حتى يجيئه أهل المدينة. وكان ذلك الصنم يتوجه من ذات نفسه إلى مهب الرياح الأربع، وقيل إن هذا الصنم على حاله إلى اليوم، وإن الناس تحاموا تلك المدينة على ما فيها من الكنوز والعجائب الظاهرة خوفاً من ذلك الصنم، فإذا وقع عين إنسان عليه لا يزال نائماً حتى يهلك. وقد كان بعض الملوك عزم على قلعه بما أمكنه، فهلك في ذلك خلق كثير، ولم يقدر عليه. وقيل إنه عمل في بعض المدن الداخلة مرآة يرى

الإنسان فيها جميع ما يسأل عنه. وعمل من خلف الجبل وبين الواحات الداخلة مدناً، وعمل فيها عجائب كثيرة، ووكل بها الروحانيين الذين يمنعون منها، فلا يستطيع أحد أن يدنو منها ولا يدخلها حتى يعمل عقداً بين أولئك الروحانيين، فيصل حينئذ إليها ويأخذ من كنوزها ما أحب من غير مشقة ولا ضرر .

فأقام قفطويم ملكاً أربعمائة سنة، وأكثر العجائب إنما عملت في وقته ووقت أبيه. وأمر قفطويم فعمل له ناووس في الجبل الغربي[١٧٢] قريب من المدينة مدينة العمد[١٧٣]، وقد كان عمل لنفسه قبة قبل موته في سرب تحت الأرض معقود على أزج تحت الأرض على هيئة الدار في سعة كثيرة، وعمل حول دورها خزائن واسعة منقورة في الجبل أيضاً، وجعل في سقوفها مسارب للريح، وبلطت مع السرب وجميع الدار بالمرمر، وجعل في وسط الدار مجلساً على ثمانية أركان مصفحاً بالزجاج الملون المسبوك، وجعل في سقفه جواهر وحجارة تسرج. وفي كل ركن من أركان المجلس تمثال ذهب بيده كالبرق الذي يبرق، وعمل في وسط المجلس بركة مصفحة بالذهب، وعمل لها حواشي زبرجد وفرش حرير، وجعل على جسده بعد أن لطخ بالأدوية المجففة، وجعل حواليه ألف آنية من كافور، وأسدلت عليه ثياب منسوجة بالذهب ووجهه مكشوف، وعلى رأسه تاج مكلل، وعن جوانب البركة أربعة تماثيل من زجاج مسبوك في صورة النساء وفي ألوانهن، وبأيديهن كالمراوح من ذهب، وعلى صدره من فوق الثياب سيف فاخر من أفخر الحديد قائمه من زبرجد. وجعل في تلك الخزائن من الذخائر وسبائك الذهب والتيجان والجواهر، وأواني الحكم وأصناف العقاقير، ومن الطلسمات العجيبة، والمصاحف الحاوية لجميع العلوم ما لا يحصى قدره كثرة. وجعل على باب المجلس صورة ديك من ذهب على قاعدة من زجاج أخضر، وهو ناشر

---

[١٧٢] المقصود بعبارة (الجبل الغربي) هنا هرم خفرع!

[١٧٣] (مدينة العمد) هي (إرم ذات العماد) والمقصود بها هنا الهرم الأكبر، وللمزيد من المعلومات عن إرم ذات العماد راجع كتابنا: (قوم عاد وإرم ذات العماد).

الجناحين مزبور عليه آيات عظام مانعة، وجعل على كل مدخل أزج صورتين من نحاس مشوهتين، بأيديهما سيفان كالبرق وبين أيديهما بلاطة تحتها لوالب لابد من وطئها إذا أراد أن يدنو منها، فإذا وطأها ضرباه بسيفهما فقتلاه[١٧٤]. وفي كل أزج كوة فيها لطوخ مدبرة تسرج وتضئ طول الزمان، وسدت أبواب الأزج

---

[١٧٤] ذكر ابن إياس في (نزهة الأمم) نقلاً عن المسعودى الذي روى نقلاً عن يحيي بن بكير أن رجلاً أتى الملك عبدالعزيز بن مروان مدعياً أنه ناصح له، وأخبره عن مقبرة فرعونية بها كنز عظيم ووصف له محتويات المقبرة، فأمر له عبدالعزيز بنفقة لأجل الحفر ومجموعة من الرجال فذهبوا إلى موقع المقبرة وبدءوا الحفر فظهر لهم بلاطات ومجموعة من المرمر واستمروا في الحفر حتى ظهر لهم رأس ديك موضوع على عمود من الذهب عيناه من ياقوت أحمر وبمجرد ظهوره خرج من عينيه ضوء (شعاع) كالبرق (وهذا هو شعاع الليزر الذي يتم توليده من الياقوت الأحمر) وأبواب من الحجارة وطاقات فوقها وأعمدة من الرخام وتماثيل وصور على الحوائط لأشخاص وطيور وحيوانات، وأجران داخل المقبرة من الأحجار (توابيت) مغطاة ومسبوكة (وهذا وصف دقيق للمقابر الفرعونية والتوابيت والنقوش والصور التي ترسم على حوائط المقبرة)، فركب عبدالعزيز بن مروان وأقبل إليهم عندما وصله الخبر ونظر إلى ماظهر من المقبرة فتسرع أحد العمال ووضع قدمه على درجة من درجات السلم النحاسي الموصل إلى باقي غرف المقبرة، فلما استقرت قدمه على الدرجة ظهر سيفان من على يمينها وشمالها والتقيا على رجل الرجل فلم يدر حتى جزلته قطعاً وهوى جسمه عليها، فلما استقر جسمه على الدرج اهتز العمود المجاور للسلم وصفر الديك الموضوع عليه صفيراً عجيباً أسمع من كان بالبعد، وحرك جناحيه وظهرت من تحته أصوات عجيبة قد عملت بالكواكب والحركات (أى صنعت بطريقة هندسية وفيزيائية لها علاقة بالفلك) وكانت هذه السلالم إذا وقع عليها شيء واستقر انقلبت فتهاوى عدد كبير من العمال إلى أسفل في الحفر (السراديب) الموجودة أسفل المقبرة، فخرج عبد العزيز وقال هذا ردم عجيب الأمر ممنوع النيل نعوذ بالله منه، فأمر بقية العمال والناس الموجودين هناك بطرح ما أخرجوه من التراب مرة أخرى وغلق المقبرة والانصراف من هذا المكان، انظر هشام كمال عبد الحميد: (تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة)، ص ٢١٩ .

و ما يهمنا هنا هو أوجه التشابه بين المقبرة التي تم فتحها في عهد الملك عبدالعزيز بن مروان وبين مقبرة الملك قفطويم، والمقبرة التي تم فتحها لم يحدد موقعها ولكن المسعودى هنا يوضح لنا موقع المقبرة بالضبط فهي تقع بين الجبل الغربي (أى هرم خفرع) ومدينة العمد (أى الهرم الأكبر) !

بالأساطين المرصعة ورصوا على السقف البلاطات العظام، وردموا فوقها بالرمال. وزبروا على باب الأزج الأول في حجر عظيم " هذا المدخل إلى جسد الملك العظيم المهيب الكريم قفطويم ذى الأيدى والقوة والفخر والغلبة والقهر، حل هذا الموضع بجسده وبقي ذكره وعلمه فلا يوصل إليه، ولا يقدر عليه بحيلة إلا بعد مدد ودورات تمضي من السنين".

ذكر البودشيم الملك

وملك بعده ابنه البودشيم الملك فتجبر وتكبر، وعمل بالسحر، واحتجب عن العيون، وقد كان أعمامه صابى وأبريت ملوكاً على مواضعهم، إلا أنه كان أكبرهم سناً، فلذلك أذعنوا له. فيقال إنه أرسل إلى هرمس المصرى فبعثه إلى جبل القمر الذي يخرج النيل من تحته، حتى عمل له هناك هيكلاً للتماثيل من نحاس، وعمل البطيحة التي ينصب عليها ماء النيل. ويقال إنه هو الذي عدل جنبى النيل، وقد كان يفيض في بعض مواضع وربما انقطع في مواضع، وأمره البودشير أن يسير مغرباً لينظر ما هناك، فوقع إلى أرض واسعة متخرقة بالمياه والعيون كثيرة العشب، فبنى بها منائر ومتنزهات وأقام بها، وحول البودشير جماعة من أهل بيته، فعمروا تلك النواحى وبنوا فيها حتى صارت أرضاً عامرة كلها، وأقاموا بذلك مدة كبيرة، وخالطهم البربر ونكح بعضهم في بعض. ثم إنهم تحاسدوا وتباغوا وكانت بينهم حروب أفنتهم، فحينئذ خرب البلد وباد أهله إلا بقية منازل تسمى الواحات. ويقال إنه عمل في وقته كثيراً من العجائب، فمنها قبة لها أربعة أركان في كل واحد منها كوة يخرج منها دخان ملتف في ألوان شتى في يوم معلوم في السنة من أول سنتهم. فإذا خرج الدخان أخضر دل على العمارة والخصب وحسن الزرع وصلاح النبات، وإن خرج الدخان أبيض دل على الجدب وقلة الخيرات، وإن خرج أحمر دل على الدماء والحروب وقصد الأعداء، وإن كان أسود دل على كثرة الأمطار والسيول وفساد بعض الأرض بذلك، وإن كان أصفر دل على النيران وعلى آفات تحدث في الفلك. وما

كان منه يخرج مختلط اللون دل على مظالم الناس وفساد بعضهم لبعض وإهمال ملوكهم الأمور، وأشياء تدل على هذا الضرب، وكانت هذه القبة على منارة أقامت زماناً من ملكه ثم هدمها. ومما عمل له أيضا بالغرب في الصحراء التي تقرب منه، وكانت الوحوش قد كثرت عليهم وأفسدت زرعهم، وكذلك خنازير الماء، فعمل شجرة من نحاس أقامها في موضع فما وصل إليها من الوحش لم يستطع الحركة ولا البراح من عندها حتى تؤخذ قبضا فيقتل[١٧٥]، فاتسع الناس في لحوم تلك الوحوش، فوجه بعض الملوك المجاورين لمصر عن احتيال لتلك الشجرة فقلعها وأحتملها ليضعها في بلده فيعمل له مثلها، فلما قلعت من موضعها بطل عملها فلم ينتفع بها، لأنهم كانوا يعملون ما يعملونه من ذلك بطالع يأخذونه فلا يزال مستقيماً إلى أن يغير مكانه وينقل عنه. ومما عمل في وقته أن غراباً نقر عين صبى من أولاد الكهنة فقلعها، فعمل أبوه شجرة من نحاس عليها غراب في منقاره حية بادية الطرفين، وهو ناشر الجناحين، وكتب على ظهره كتاباً. فكان الغربان يقعن على تلك الشجرة حتى يمتن أو يؤخذن فيقتلن، فهلك كثير منها وانتفي إلى الشام وغيرها من النواحي، ولم يزل الأمر كذلك إلى أن صار لبعض ملوكهم داء لم يكن له دواء إلا أن يطبخ له غراب فيأكل من لحمه ويشرب مرقه، فطلب له غراب فلم يكن في وجوده حيلة، فوجه إلى ناحية الشام من يأتيه بغراب فأبطأ وزادت علته فاغتاظ، وأمر بنزع الشجرة فنزعت فرجعت الغربان فأخذ منها الملك ما يعالج به، فلم يعد رسوله من ناحية الشام حتى خرج الملك من علته. ومما عمل في وقته، وكانت الرمال قد كثرت عليهم من ناحية الغرب حتى ربما طمت زروعهم، فعمل لذلك صنم من صوان أسود على قاعدة منه وفي يده كالقفة فيها مسحاة ونقش على جبهته وصدره وذراعيه وساقيه كتابات، ووجه به إلى المغرب، وجعل هناك فانكشفت

---

[١٧٥] هذه الشجرة المصنوعة من نحاس تقوم بعمل موجات صوتية تجذب بها الوحوش من كل مكان وما أن يصلوا إليها فإنهم يصابون بالشلل التام ولا يستطيعون الحركة ولا البراح من أماكنهم حتى يؤخذوا قبضاً فيقتلوا، ولا يوجد مثل هذا الجهاز في زماننا الحالى!!

تلك الرمال وزحفت بها الرياح إلى ورائها لتلك الأكام العالية في صحراء المغرب، فلم يزل الرمل يندفع عنهم إلى وراء ذلك الصنم حتى صار بحيث لا يؤذيهم منه شيء ولا يضرهم. فأقام البودشير مدة ثم احتجب عن الناس وكان يتجلى لهم في صورة وجه عظيم يكون ذلك في النادر وربما خاطبهم من حيث لا يرونه وصبروا وهم في طاعته مدة طويلة، إلى أن رآه عديم ابنه وهو يأمره بالجلوس مكانه على سريره فتولى الأمر بعده وجلس على سرير ملكه ابنه عديم[١٧٦] الملك .

ذكر عديم الملك

وكان جباراً لا يطاق، عظيم الخلق، فأمر بقطع الصخور ونحتها ليبنى هرماً كما فعل الأولون. وكان في وقته الملكان اللذان أهبطا من السماء، ويقال إن عديما استكثر من علمهما، ثم انتقلا إلى بابل. وأهل مصر والقبط يقولون إن هذين شيطانان يقال لهما مهلة ومهالة، وإن الملكين بـ بابل في بئر هناك يغشاها كثير من السحرة إلى أن تقوم الساعة ومن ذلك الوقت عبدت الأصنام، واتخذت الأوثان، وقال قوم كانت الشياطين تظهر فتنصبها لهم، وقال قوم بل النمرود الأول أمر بنصبها وعبادتها .

وعديم الملك أول من صلب، وذلك أن امرأة زنت برجل من أهل الصناعات وكان لها زوج فأمر بصلبهما، على منابر وجعل ظهر كل واحد منهما إلى ظهر صاحبه، وزبر على المنابر اسميهما وما فعلاه، وتاريخ الوقت الذي عمل ذلك فيه، فانتهي الناس عن الزنا. وبنى أربع مدائن وأودعها كثيراً من صنوف العجائب والطلسمات وغير ذلك، وكنز فيها كنوزاً كثيرة وعمل على البحر الشرقى مناراً، وأقام على رأسه صنماً موجها إلى الشرق، باسط اليدين يمنع جميع دواب البحر والرمال أن تتجاوز حده، وزبر على صدره تاريخ الوقت الذي نصبه فيه. ويقال إن هذا المنار قائم إلى وقتنا هذا، ولولا هذا النار لغلب

---

[١٧٦] (عديم) = (إفتيم) = (قفطيم)، وسبق ذكرها عند توضيح معنى اللك (حصليم) !

الماء المالح على أرض مصر من البحر الشرقي. وعمل قنطرة على النيل في أرض النوبة، ونصب عليها أربعة أصنام موجهة إلى أربع جهات، في يد كل صنم منها سيف يضرب به إذا أتى آت من تلك الجهة، فأقامت على حالها مدة إلى أن تهدمت، وهو الذي عمل البربا، وهي هناك إلى اليوم، ويقال إنه عمل في إحدى المدائن الأربع التي ذكرنا [ها] حوضاً[177] من صوان أسود على ماء لا ينقص مدى الدهر، ولا يتغير بما اجتلب إليه من رطوبة الهواء والماء. وعمل فيه حيلاً عجيبة، وكان أهل تلك الناحية، وأهل تلك المدينة يشربون وينفقون منه، ولا ينقص ماؤه، وعمل ذلك لهم لبعدهم من النيل وقربهم من البحر المالح. وذكر بعض كهنة مصر أن ذلك إنما تم لقربهم من البحر المالح، لأن الشمس فيما ذكروا يرتفع نحوها بخار البحر وعذوبة ما فيه. فحبس هو من البخار جزءا بالهندسة وبالطلسمات السحرية، وجعله ينحط في ذلك الحوض، ويمده الهواء برطوبته فلا ينقص ماؤه على الدهر، ولو شرب منه العالم. وقد عمل أمام البربا حوضاً لطيفاً مدوراً وجعله على قاعدة وملأه ماء، وحبس عليه جزء من البخار الرطب، فالخلق يشربون منه ولا ينقص وهو هناك إلى هذا الوقت.

---

[177] هذا الحوض كان بمثابة محطة مياه، وقد وصفها مؤرخو العرب بألفاظ علمية في منتهي الدقة، فقولهم إن هذا الحوض كان لا يتغير ماؤه طوال السنة لأن الحوض يمده بالهواء (عن طريق جهاز مركب به بالقطع) معلومة علمية في منتهي الأهمية لأن الماء الراكد يأسن ويتغير بعد عدة أيام لكن هذا الحوض أو هذه المحطة كان بها أجهزة تقلب الماء الموجود بها وتمده بالأكسجين أولاً بأول مثل مواتير الأكسجين أو تقليب الماء التي نضعها في أحواض سمك الزينة حتى لا يفسد الماء، وكان بهذه المحطة أجهزة تقوم باستخلاص الماء من بخار أو رطوبة الهواء المتصاعدة من البحر فتقوم بتحليتها وتكوين الماء منها وإنزاله إلى الحوض، وذلك بالتكثيف أو عن طريق تكوين الماء من عناصره الذرية (ذرتين هيدروجين + ذرة أكسجين = يد٢أ) فيتم تكوين جزئيات ماء تتحد مع بعضها لتكوين قطرات الماء التي تنساب إلى الحوض بعد ذلك، وذلك بتقنيات وتكنولوجيات دقيقة وهي ما عبر عنه المؤرخون العرب بالهندسة أو بالسحر أو بالحكمة (آى بأسس علمية). انظر هشام كمال عبدالحميد: (تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة)، ص ٣١١.

وعمل أيضا قدحاً لطيفاً على مثل العمد، وأهداه حويل الملك إلى الإسكندر اليوناني، وملكهم مائة سنة وأربعين سنة، ومات وهو ابن تسعمائة سنة وثلاثين سنة. وقيل إنه دفن في إحدى المدن ذوات العجائب في أزج من رخام ملون مبطن بزجاج أصفر، وطلى جسمه بما يمسكه، وجعل حوله كثير من ذخائره، وذلك في وسط المدينة وهي محروسة بمن يمنع منها من الروحانيين. وذكر بعض أهل القبط أن ناووس عديم عمل له في صحراء قفط على وجه الأرض، وهو قبة عظيمة من زجاج أخضر براق معقود على ثمانية آزاج من صنفها، وعلى رأسها كرة من ذهب عليها طائر من ذهب ناشر الجناحين موشح بجواهر تمنع من الدخول، وفي قطرها مائة ذراع في مثلها. وجعل جسده في وسطها على سرير من ذهب مشبك بجوهر عقيق، وعليه ثياب منسوجة بالذهب مكشوف الوجه. والأزاج مفتوحة، طول كل أزج منها ثمانية أذرع، وارتفاع القبة أربعون ذراعاً، يلقى نورها على ما حولها من الأرض، لصفاء لونها وبريقها، وجعل معه في القبة مائة وسبعون مصحفاً من مصاحف الحكمة، وسبع موائد عليها أوانيها منها. ومنها مائدة من ذهب عليمون أحمر يخطف الأبصار، وهو الذي يعمل منه تيجان الملوك وأوانيها منها، ومائدة من حجر الشمس المضيء وأوانيها منها، ومائدة من الزبرجد الأخضر الذي يخطف لونه البصر وله شعاع أصفر، وهو الذي إذا نظرت إليه الأفاعي سالت عيونها وآنيتها منها، ومنها مائدة من كبريت أحمر مدبر على ما ذكروه من تدبيرهم في مصاحف كتبهم وأوانيها منها، ومنها مائدة من ملح أبيض براق صاف يكاد لونها يعشي البصر وأوانيها منها، ومنها مائدة من زئبق معقود حافتاها وقوائمها زئبق أصفر معقود، وأوانيها عليها من زئبق أحمر معقود، وجعل معه في القبة جواهر كثيرة وبراني بلور مملوءة بغرائب مدبرة، وجعل حوله سبعة أسياف صاعقية وكاهنية، وأتراس حديد مدبر أبيض، وجعل معه تماثيل افراس سبعة من ذهب عليها اللجم، وسروج من ذهب، وسبعة توابيت من صوان أسود مملوءة من الدنانير التي كان ضربها، وصور عليها صورته، وجعل معه من أصناف العقيق والسموم والأدوية المدبرة في

أواني الحنتم والحجارة على ضروبها شيء كثير. وقد ذكر من رأى القبة أنه مشى إليها مع جماعة وأقاموا عليها أياماً، فما قدروا على دخولها، وأنهم إذا وصلوا إليها على ثمانية أذرع دارت القبة عن أيمانهم من شمائلهم، وقد رأوا ما فيها، ومتى دنوا منها دارت إلى جانب آخر .

ومن عجائب شأنها، أنهم كانوا يحاذونها من كل أزج، ويتأملونها أزجاً أزجاً، فلا يرون من أزج إلا ما يرون من أزج آخر على شكل واحد، ومعنى واحد وذكروا أنهم رأوا وجهه على قدر الذراع والنصف، ولحيته كبيرة مكشوفة، وقد رأوا بدنه بطول عشرة أذرع وزيادة، وذكروا أنهم رأوا فيها عجائب كثيرة وصنوفاً من الوحش لم ير مثلها. وفي كتاب القبط أنه لا يوصل إليها إلا أن يذبح لها ديك أبيض أفرق، ويبخر بريشه على بعد، وترسل البخور مع الريح على بعد حتى يصل إليها، ويكون بالكواكب النيرة على ما كانت عليه وقت نصبها، ويكون زحل والمشترى والمريخ في برج واحد والزهرة وعطارد في برج، ويتكلم عليها بصلاة الكهنة سبع مرات، فإذا وصل إليها لطخ حائطها بدم الديك الذي ذبح ويأخذ عند دخولها من المال والتماثيل ما استحسن ولا يكثر فيها من الجلوس وذكر أن هؤلاء الذين رأوها لم يكونوا من أهل الناحية، وإنما خرجوا يطلبون غيرها، وأنهم سألوا أهل قفط عنها، فما وجدوا أحداً يعرفها ولا رآها غير شيخ منهم. فإنه ذكر أن ابناً له خرج في بعض الأمور، ومعه جمل، وأنه رآها ولم يصل إليها فبحث عن أمرها، فعرف أن قوماً من أهل المشرق جاءوا في طلب هذه القبة وأنهم أقاموا بقفط أياماً وخرجوا يريدونها، فما رجع منهم أحد ولا عرف لهم خبر .

وكان عديم الملك قد أوصى ابنه قبل موته أن يطوف ماشياً على أعمال بلاده، وأن ينصب في كل جزء من أجزاء عمومته مناراً، ويزبر عليه اسمه ويعمل له علامات وملاعب. وعمل في صحرائها مناراً، وعمل عليه صنماً ذا رأسين مقترنين، وسار إلى جزء إبريت فبنى به قبة على عمد وعلى أساطين بعضها فوق بعض وجعل على أعلاها صنماً صغيراً من ذهب. وعمل هيكلاً للكواكب، وكان

أبوه البودشير أول من أقام للكواكب هيكلاً، فتبعه ابنه على ذلك، ومضى إلى جزء صابى فعمل به منارة على رأسها امرأة من أخلاط ترى الناظر إليها جميع الأقاليم[١٧٨]. ثم رجع إلى أبيه فولاه الملك بعده وعهد إليه بما أراد ووصاه، ثم مات أبوه فلما أودعه الناووس، وفرغ منه جلس على سرير الملك شدات الملك .

ذكر شدات الملك

وهو الذي بنى الأعلام بالدهشور بالأحجار التي قطعت في زمان أبيه. وقال الذين ينكرون أن العادية دخلت مصر إنما غلط الناس في اسم شدات فقالوا شداد بن عاد لكثرة ما يجرى على ألسنتهم شداد وقلة ما يجرى شدات. وما قدر أحد قط من الملوك أن يدخل مصر إلا عبد لـ بخت نصر بما قدمه من الحيل في إفساد طلسماتها. وشدات الملك هو الذي عمل مصاحف الزيجات التي يذكر فيها الملوك، ويقال إنه وجد في بعض رموزهم ومصاحف كهانهم أن الملك بودشير بن قفطويم لما أجهد نفسه في عبادة الأنوار العلوية، وعرف أن روحانياتها قد صارت فيه حبب إليها نفسه، وجوعها واستغنى جسده عن الطعام والشراب، فلما أدمن ذلك اشتاقته الأنوار العلوية واشتاقها، فرفعته إلى مواضعها، وبرأته من شرور الأرض المؤلمة، وجعلته نوراً سابحاً داخلاً في نورها، يتصرف بتصرفها، فطوبى له من كاهن عرفت له كهانته، وأكرم بها وصير ملكاً، فسبيل من بعده أن يبلغ خطته ويجعل بمثابته. وهذا الكلام وشبيهه تضليل للناس لأنهم كانوا يتعبدون للكواكب، فيقولون مثل هذا ترغيباً في دينهم. وقد قالوا

---

[١٧٨] هذه المرآة تمثل أيضاً شاشة تليفزيونية متصلة بقمر صناعي أو تعمل كقمر صناعي وشاشة تليفزيونية ومتصلة بكاميرات مراقبة في آن واحد بتقنية هندسية والكترونية معينة هي بالقطع تختلف عن التقنيات المستخدمة حالياً فقد تكون أكثر تقدماً منها أو أقل ولكنها في جميع الأحوال تؤدى نفس الوظائف التي تقوم بها الأقمار الصناعية وشاشات العرض المتصلة بها وكاميرات المراقبة. انظر هشام كمال عبدالحميد: (تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة)، ص٢٩٨ .

أيضاً إنهم على توحيد الله وإن مدحهم لهذه الوسائط المدبرات لا يضر خالقها، وإنهم يعظمونها تقرباً إليه، كما قالت الهند والعرب وكثير من الأمم .

وعمل شدات هيكل أرمنت وأقام فيه أصناماً للكواكب من ذهب وفضة وحديد أبيض ورصاص مصفي وزئبق معقود، وهذه الأجساد المعدنية في طباع الكواكب وقسمتها. فلما فرغ منه زين بأحسن الزينة، ونقش بأحسن النقوش، وأمر فزين بالجواهر الملونة، والزجاج الملون، وكسى بالوشي والديباج، ولم يترك شيئاً من الغريب إلا عمله فيه، وكذلك عمل في المدن الداخلة من جزء صابى هيكلاً مثله، والقبة التي عملها بجزء أبريت، وعمل هيكلاً بشرف الإسكندرية، وعمل لزحل صنماً من صوان أسود على عبر النيل من الجانب الغربى .

وبنى شدات في الجانب الشرقى مدائن، وجعل في أحدهما صورة صنم قائم له إحليل ظاهر إذا أتاه المعقود والمسحور والعنين الذي لا ينتشر احليله بكلتا يديه زال عنه ذلك وانتشر وقوى على الباه. وعمل في إحداها بقرة لها ضرعان كبيران إذا مسحتهما المرأة التي نقص لبنها وتعقد ضرعها در وصلح. وفي أيامه بنيت العالية، بناها لأبن له كان سخط على أمه فحولها إليها، وأسكنها قوماً من أهل الحكمة ومن أهل الصناعات. وقيل إن سفط بنيت في أيامه والصورتين اللتين بها الملتصقتان للمهل، وكانت الحبشة والسودان عاثوا في بعض بلده فأخرج ابنه منقاوس في جيش عظيم إليهم فقتل منهم وسبا، وكل من سباه استعبده فصار ذلك سنة فيهم. واقتطع معدن الذهب، وأقام فيه من سباه منهم يعملون الذهب ويحملونه إليه، وألزم المقام معهم من يحرسهم من جيشه. وهو أول من أحب الصيد واتخذ الجوارح وولد الكلاب السلوقية من الذئاب والكلاب الأهلية، وعمل البيطرة وجميع ما يعالج به الدواب، وعمل من العجائب والطلاسم لكل شيء ما لا يحصى كثرة. وجمع التماسيح في بركة في ناحية أسيوط بطلسم لها، وكانت تنصب إليها من النيل انصبابا فيقتلها، ويستعمل جميع جلودها في السفن وغيرها، ويدخل لحومها وشحومها في الأغذية ومؤلفات العقاقير. والقبط تحكى أنه عمل بمصر اثنتى عشرة أعجوبة وطلسماً، ولم يعمل في بلد ما عمل

فيها ولا تهيأ ذلك له، وقد بقيت آثار أكثرها قائمة بعد خرابها وإفساد معالمها.

وأقام شدات بن عديم تسعين سنة ملكاً، وخرج فطرد صيداً فأكب به فرسه في هوة فقتله. وفي بعض كتبهم أنه أخذ بعض خدمه، وقد خالفه في أمر من الأمور، فألقاه من أعلى الجبل إلى أسفله فتقطع ثم ندم على ذلك من فعله، ورأى أنه سيصيبه مثل ذلك، وكان يتوقى أن يصعد جبلاً، وأوصى أن أصابه شيء أن يجعل ناووسه في الموضع الذي يلحقه فيه ما يلحقه، وأن يزبر عليه ''ليس ينبغي لذى القدرة أن يخرج عن الواجب، وأن لا يفعل ما لا يجوز له فعله، وهذا ناووس شدات بن عديم بن قفطويم الملك، عمل ما لا يحل فكوفئ عليه'' ولما هلك عمل سرب في سفح الجبل عليه قبة على مجلس قد صفح بالفضة وأجلس فيه على سرير ملكه، وجعل معه من المال والجوهر والتماثيل وأصناف الحكم والمصاحف شيء كثير، ومات وله أربعمائة وأربعون سنة.

ذكر منقاوس الملك

وولى الأمر من بعده ابنه منقاوس الملك فقام مقام أبيه، وملك بحزم وحكمة فأظهر مصاحف الحكمة، وأمر بالنظر فيها وأن تنسخ بخط العامة ليفهموها، ورد الكهنة إلى مراتبهم، وهو أول من عمل الحمام من ملوك مصر وكان كثير النكاح، وتزوج عدة نسوة من بنات عمه ومن بنات الكهنة، وجعل لكل امرأة منهن مكاناً قد أصلحه بالبنيان العجيب والصور المؤنقة والفرش الحسنة، والآلات العجيبة، وأسكنهن فيها. وقال بعض أهل الأثر إنه هو الذي بنى منف لبناته، وكن ثلاثين بنتاً ورحلهن إليها، وعمل مدناً غيرها ومصانع، وبنى هيكلاً لصور الكواكب وأصنامها على ثمانية فراسخ من منف، وعمل بتلك الناحية طلسمات كثيرة وغرائب أغرب فيها بفضل حكمته على أبيه وجده، وعمل للسنة اثنى عشر عيداً يعمل في كل عيد من الأعمال ما كان موافقاً لبرج الشهر، وكان يعظم الناس في تلك الأعياد ويوسع عليهم في أحوالهم وأرزاقهم، ورأوا معه من الخير ما لم يروه مع غيره، وفتح عليه من المعادن ما لم يفتح على

أحد قبله. وألزم أصحاب الكيمياء العمل، فكانوا لا يفترون ليلاً ولا نهاراً، فاجتمعت عنده أموال عظيمة وجوهر كثير وزجاج مسبوك من الإدرك وغيره، فأحب كنزها، فدعا أخاً له كان يكرمه ويحبه، فقال له قد كثر ما عملناه من التماثيل، وعظم ما ادخرناه من الذهب والجواهر، ولست آمن أن يتسامع الملوك بكثرة ذلك، فيتألفوا على غزونا فخذ ذلك كله، وتوجه به فأمعن في أرض الغرب، ثم انظر مكاناً حريزا خفي الأثر فأحرزه فيه. وأسس عليه وعلمه بعلامات واكتب صفة المكان وعلاماته ومن أين الطريق إليه، وعد إلى إن شاء الله تعالى. فيقول أهل الأثر إنه حمل مع نفسه اثنا عشر ألف عجلة، منها من الجواهر النفيسة ثلاثمائة، وسائرها ذهب إبريز، وصفائح مضروبة، وطرائف الملوك من آلاتهم وسلاحهم وأوانيهم، وسار في الجنوب يوماً واحداً، ثم سار في الغرب يوماً كاملاً وبعض آخر، فانتهي في اليوم الثالث إلى جبل أسود منيع ليس له مصعد بين جبال مستديرة به، فعمل تحت ذلك الجبل أسراباً ومغاير فدفن فيها ما كان معه، وردم عليه كما أمره أخوه، وعلم وزبر وأتقن ذلك جهده، ورجع إلى أخيه فأعلمه. فمكث بعد ذلك أربع سنين يبعث في كل سنة عجلاً كثيراً فيدفن فيها في أكواخ شتى، وهو الذي عمل بيتاً فيه تماثيل تنفع من جميع العلل، وكتب على رأس كل هيكل تمثال ما يعالج به، فانتفع الناس بها زماناً إلى أن أفسدها بعض الملوك بالحكمة. وفي هذه المدينة صورة امرأة من حجر مبتسمة لا يراها مهموم إلا تبسم ونسي همه، وكان الناس يتناوبونها، ويطوفون حولها، ثم عبدوها من بعد. وعمل تمثالاً طائراً روحانياً من ظفر مذهب كأنه يشير بجناحيه، ووضعه على اسطوانة في وسط المدينة، وكان لا يمر به زان ولا زانية إلا كشف عورته بحضرته، وكان الناس يمتحنون به فامتنع الناس من الزنا فرقا منه، فأقاموا كذلك إلى زمان فاكن الملك ففسد أمره وبطله. وذلك أن امرأة من نسائه وكانت حظية عنده عشقت رجلاً من خدام الملك وخافت أن يرقى ذلك إلى الملك فيمتحنها من ذلك الصنم فتفتضح فيقتلها، فأقامت مفكرة في الحيلة في ذلك، إلى أن خلا بها في بعض الليالى وهما يشربان فأخذت في ذكر

الزواني وسبهن وذمهن، فذكر الملك ذلك للصنم، وما فيه من المنافع للناس وما يستحق من فعله من الثناء والذكر الحسن، فقالت له إنه لكذلك وقد صدق الملك غير أن منقاوس لم يصب الرأى في أمره، فقال: وكيف ؟ قالت: لأنه أتعب نفسه وحكماءه فيما جعله لصلاح أمر العامة دون أمر نفسه، وهذا أكبر العجز، وإنما كان حكم هذا التمثال أن ينصب في دار الملك حيث يكون نساؤه وجواريه، فان اقترفت إحداهن ذنباً علم الملك به وجازى عليه في ستر، ولم تعلم العامة شيئا منه، فيكون ردعاً لمن في قصره عماتهم به مغتلمة، وقد غلبتها شهوتها مرة ربما في عمرها لأن شهوات النساء أكثر من شهوات الرجال، وأغلب لنقصان عقولهن عن عقول الرجال، وأما الآن فلو حدث شيء من ذلك في قصر الملك، وأعوذ بالنور الأعلى منه، وأحب امتحانه فضح نفسه، وشاع في العامة والخاصة أمره، فإن عاقب بغير امتحان كان متعدياً، وإن صبر صبر على المكروه. قال الملك صدقت فيما قلت وأنزل قولها على النصيحة والصدق، وعلم أنها لم تشر بذلك إلا لأمر وقفت عليه، ولم ترد كشفه، فلما أصبح نزع الصنم من موضعه ووضعه في قصره في مكان أعد له بلا مهلة ولا مشاورة حكيم ولا عالم، فلما نصب في القصر امتحن مراراً فلم يصنع شيئاً عند الامتحان. وندم الملك على تحريكه وأقبلت جارية الملك على ما كانت همت به من الفجور وانهمكت فيه. وهذه الأعمال إنما تعمل بعد رصد الكواكب واختبارات أماكنها في الواجب من أوقات المعمول له ذلك.

وقد ذكر أهل أخميم أن رجلاً من أهل المشرق، وكان يلزم البربا ويأتى إليه كل يوم ببخور وخلوق فيبخر ويطيب صورة كانت في عضادة باب البربا فيجد تحتها عند رجليها ديناراً فيأخذه وينصرف، ففعل ذلك وأقام عليه مدة طويلة، حتى وشى به غلام إلى عامل البلد، فقبض عليه فبذل له الرجل مالاً، وخرج عن البلد. ويقال إن منقاوس بنى هيكلاً للسحرة على جبل القمر، وقدم عليه رجلاً منهم يقال له مستهمس، وكانوا لا يطلقون الريح للمراكب المقلعة إلا بغرامة يأخذونها منهم، وكان الملك إذا ركب عملوا بين يديه التماثيل الهائلة

فيجتمع الناس ويتعجبون من أعمالهم وأمر أن يبنى له هيكل للعبادة يكون له خصوصاً، ويجعل فيه صورة الشمس والكواكب، وجعل حوله أصناماً وعجائب، فكان الملك يركب إليه ويقيم فيه سبعة أيام وينصرف، وجعل فيه عمودين، وزبر عليهما تاريخ الوقت الذي عملا فيه وهما باقيان إلى اليوم، وموضع ذلك يقال له عين شمس. ونقل منقاوس إلى عين شمس كنوزاً وجواهر وطلسمات وعقاقير ودفنها بنواحيها. وكان قد قسم خراج البلد أرباعاً، فربع منها للملك خاصة ينفقه فيما يشاء ويفعل به ما يريد، وربع لأرزاق الجند، وربع ينفقه في مصالح الأرض، وما يحتاج إليه من عمل جسورها وحفر خلجانها وأجبر أهلها على العمارة، وربع يدفن لحدث يحدث. وكان خراج البلد يومئذ مائة ألف ألف وثلاثة آلاف ألف وقسمتها على ثلاثمائة كورة وثلاث كور. وهي اليوم خمسة وثمانون كورة، أسفل الأرض خمسة وأربعون كورة، والصعيد أربعون كورة. وكان في كل كورة كاهن يدبر أمرها، وصاحب حرب، وأقام ملكاً إحدى وسبعين سنة، ومات من طاعون أصابه، وقيل إنه سم في طعامه، وعمل له ناووس في صحراء القبط، وقيل في غربي قوص، ودفن معه من المصاحف وأكاسير الصنعة المعمولة وتمثيل الذهب والجوهر، ومن الذهب المضروب شيء كثير. وقد كانت ماتت له قبل موته جارية كانت أحظى نسائه عنده، وكان يحبها حباً شديداً، فأمر بعمل صورتها في جميع الهياكل، وعمل له تمثالها بذؤابتين من ذهب أسود، وألبسه حلة من جوهر منظوم، وجعلت جالسة على كرسي من ذهب، وكانت تحمل بين يديه في كل موضع يجلس فيه ليتسلى بذلك عنها، فدفنت تلك الصورة عند رجليه، كأنما يخاطبها. ولما فرغ من أمره جلس ابنه مناوس الملك بعد أبيه على سرير الملك فطلب الحكمة بعد، مثل أبيه وأكرم أهلها، وبذل الجوائز على الغرائب التي لم يتقدم عملها لمن تقدم قبله، وأثبت كل ما عمل من ذلك في كتب تواريخهم، وزبر على الحجارة في هياكلهم .

ذكر مناوس بن منقاوس الملك

ومناوس[١٧٩] أول من عبد البقر، وكان السبب في ذلك انه اعتل علة فيئس فيها من نفسه، وأنه رأى في منامه روحانياً عظيماً يخاطبه ويقول له: لا يخرجك من علتك إلا عبادتك البقر، لأن الطالع كان وقت حلولها، فلك الثور، وهو في صورة ثور بقرنين فأمر عند انتباهه، فأخذوا ثورا أبلق حسن الصورة، وعمل له مجلساً في قصره وسقفه قبة مذهبة، وكان يبخره ويطيبه ويحسن علفه، ووكل به سايساً من خدمه يقوم به وينظفه ويكنس تحته، وكان يتعبد له سراً من أهل مملكته فبرئ من علته وعاد إلى أحسن أحواله. وقيل إنه أول من عملت له عجل مموهة بالذهب، وعليها قباب من خشب مذهب، وكانت تفرش بأحسن الفرش وتساق إلى موضع المتنزهات، وقيل إنه عملت له في علته لأنه كان لا يقدر على الركوب، وكانت البقر تجره في العجلة فكان إذا مر بمكان نزه أقام به، وإن مر بمكان خرب أمر بعمارته. وقيل إنه نظر يوماً إلى ثور من البقر التي تجره أبلق حسن الخلقة والقرنين، فأمر بتوقيفه والتعريض منه، وساقه بين يديه إلى موضع نزهته إعجاباً به، وجعل عليه حللاً من حرير منسوج بالذهب، فلما كان في

---

[١٧٩] (مناوس) = (من) + الزائدة اليونانية (اوس)، والثور في اللغة المصرية القديمة يسمى (م ن) mn، والبقرة (م ن .ت) mn .t وفي (معجم بدج) و(معجم فولكنر) وكذلك عند (غاردنر) مشتقات كثيرة من الجذر (م ن) تدل على قطعان الأبقار (م ن م ن ت) mnmnt مضاعف (م ن) وما إليها. لكن الدلالة الأصلية هي القوة، فقد كان الثور معبوداً في وادى النيل ـ وعرف في اليونانية باسم Mneves وهو الثور المقدس في مدينة هليوبوليس (عين شمس)، وكانت طقوس عبادته مطابقة في أغلب مظاهرها للمعبود (أبيسApis) في مدينة [منف] كما يقول (معجم أكسفورد للكلاسيكيات) ـ فقد كان الثور يرمز إلى القوة (قارن جذر العربية (منن) وتعني (قوة)، وكذلك (مني))، ونرى أن (مناوس) هو نفسه (مينيس) !

بقي أن نذكر أن أول ملوك الأسرة الأولى في القوائم اليونانية التي تحمل أسم الملوك الذين حكموا مصر ملك يدعى (مينيس) وهو نفسه (مين) أو (من) بعد حذف الزائدة اليونانية (يس) !

بعض الأيام خلا في موضع، وقد تفرد عن عبيده سار إليه وسجد بين يديه. فقال له: لو دام الملك على تربيتى وإكرامى، وتعبد لى كفيته مهمه على ما يريده، وقويته في جميع أموره، وأزلت عنه جميع علله. فارتاع الملك لقوله، وأمر بأن يغسل ويطيب ويكسى بالحرير المذهب ويوقف في الهيكل، ووكل به من يخدمه في جميع أموره ويتعاهده بالمسح والتطييب وأمره بعبادته. وأقام ذلك الثور يعبد مدة طويلة، وافتتن الناس به، وصار ذلك أصلاً لعبادة البقر، وبنى مواضع كثيرة في الصحراء والجبال وكنز فيها كنوزاً كثيرة وأقام عليها أعلاماً. وبنى في صحراء الغرب مدينة يقال لها ديماس، وأقام بها مناراً، وكنز حولها كنوزاً، ويقال إن هذه المدينة قائمة إلى الآن، وإن قوماً جازوا بها من ناحية الغرب فسمعوا فيها عزف الجن ورأوا نيرانهم. وفي بعض كتبهم أن ذلك الثور بعد مدة من عبادتهم له، أمرهم أن يعملوا صورته من ذهب ويعملوه أجوف، ويؤخذ من رأسه شعرات ومن ذنبه، ويؤخذ من نحاتة قرنه وأظلافه ويجعل في ذلك التمثال، وعرفهم أنه يلحق بعالمه، وأن يجعلوا جسده في جرن من حجارة، وينصب في الهيكل، وينصب تمثاله عليه، وزحل في شرفه والشمس ناظرة إليه من تثليث، وأن ينقش في التمثال ،علامات صورة الكواكب السبعة ففعلوا ذلك.

وعملت الصورة من ذهب وكللت بأنواع الجوهر، وأدخلت صنعتها سواد في بياض، وجعل جسد الثور في الحدود التي حدها، ونصب عليه التمثال فكان يخبرهم بالعجائب وبما يحدث وقتا بعد وقت، ويجيبهم بكل ما يسألونه عنه.

وعظم أمر ذلك التمثال ونذرت له النذور وقربت له القرابين، وقصده الناس من جميع أعمال مصر وما قرب منها، فكان يخبرهم بما يريدون .

وأقام مناوس ملكاً خمسا وثلاثين سنة، وهلك من سل أصابه، وعمل له ناووس تحت الجبل الغربى[١٨٠] وجعل في جرن من حجارة.

---

[١٨٠] المقصود بـ (الجبل الغربى) هنا هرم خفرع! .

ذكر مريدس بن مناوس الملك

وجعل وصيه من بعده ابنه مريدس[181] الملك، فجلس على سرير ملكه بعد أبيه وملك إحدى وعشرين سنة، وكان مضعفا فلم يبن بنياناً ولا ينصب مناراً، ولا عملت في وقته أعجوبة، فمات ودفن مع أبيه في جرن من رصاص.

ذكر أشمون الملك

وولي بعده أشمون الملك، وأشمون أخو قبطيم الملك وكان وحده من أشمون إلى منف، وفي الشرق إلى البحر المالح إلى ما حاذى برقة الحمراء، وهي آخر حد مصر، وفي الصعيد إلى حدود اخميم . وكان ينزل أشمون لأنه سماها باسمه عند

---

[181](مريدس) = (مريد) + (س)، وفي معجم الغنى مادة (مُرِيدٌ): "هُوَ مُرِيدُهُ": مِنْ طَلَبَتِهِ وأَنْصَارِهِ وَمُنَاصِرِيهِ (كَانَ مِنْ مُرِيدِيهِ)، في اللغة البربرية (أى اللغة الليبية أي لغة بعض أهل الشمال الأفريقى غير العربية العدنانية): " (إلْمِدْ) elmed دَرَسَ)، وفي العربية: لَمَدَ/ لَمَذْ < تلميذ، تلمذ، تتلمذ. وقد زعم بعض الباحثين أنها مأخوذة من العبرية ؛ و(لد) مقلوب (ملد) = لين، طري، طفل. وهو شأن المتعلم الصغير. ونرى أن (لد) مقلوب (ملد) = مند (ل=ن) !

لاحظ العبارة التي أوردها المسعودى: (و كان مضعفاً)، ومعنى (ملد) = لين طرى (أو ضعيف) !

و انتقلت بالمعنى نفسه إلى اللغات الإنجليزية في صيغةMild والألمانية في صيغةMild والنرويجية في صيغة Mild !

(وسمندس) هو أول ملوك الأسرة ٢١، (سمندس) = (س) أداة التعدية + (مند) + الزائدة اليونانية (س)!

و هذا يعنى أن (سمندس) = (مريدس) = المتعلم (التلميذ) الصغير !

وهذا الملك ذكره (ابن أياس) في كتابه (نزهة الأمم في العجائب والحكم) باسم (ميلاطس بن مناوس) !

وميلاطس = (ميلاط)، الـ (س) زائدة يونانية، (ميلاط) = (ميلاد) = (ملد) = (لد) = (مريد) وهو نفسه (سمندس)!

لكن (ابن أياس) يذكر أن مدة حكم (ميلاطس) كانت ثلاثة عشرة عاماً!

بنيانها، ونقل إليها أهله وولده وطولها اثنا عشر ميلاً في مثلها .

وأشمون أول من اتخذ الملاعب بالكرة والصولجان[١٨٢] وغير ذلك، وبنى القصور وغرس الأجنة وأقام المنائر ونصب الأعلام وبنى المدن وأكثر فيها من العجائب. والقبط تزعم أن خبر أشمون كان أكثر الأخبار ذكراً وعجائباً وسحراً. منها أنه بنى مدينة في سفح الجبل سماها أفطراطس وجعل لها أربعة أبواب جعل على الشرقي صورة عقاب، وعلى الغربى صورة ثور، وعلى الجنوبى صورة كلب، وعلى الشمالى صورة أسد. وأسكن الكهنة بسحرهم في تلك الصور روحانية، وكانت تنطق إذا قصدها القاصد الغريب، ولا يقدر على الدخول إليها إلا بإذن الموكلين بها، وجعل فيها شجرة تثمر كل لون من الفاكهة. وجعل فيها منارا طوله ثمانون ذراعاً، على رأسه قبة تتلون كل يوم لوناً حتى تمضى سبعة أيام بسبعة ألوان، ثم تعود إلى اللون الأول .

وكانت تلك الألوان تكسو المدينة لوناً شعاعياً، وأجرى حول ذلك المنار ماء ساقه من النيل وجعل في ذلك الماء سمكاً من كل لون. وجعل حول المدينة طلسمات رؤسها رؤس القرود وأبدانها أبدان الناس، كل منها لدفع مضرة واجتلاب منفعة. ودفن تحت كل صنم من الأصنام المبنية الأربعة على أبوابها صنفاً من الكنوز ولكل واحد منها قربان وبخور، وكلام يوصل به إليه، وأسكن فيها السحرة. وبنى بالقرب منها مدينة تعرف في كتبهم ذات العجائب في وسطها قبة عليها أبداً مثل السحابة تمطر مطراً خفيفاً شتاء وصيفاً، وتحت كل قبة مطهرة فيها ماء أخضر يتداوى به من كل داء فيبريه. وفي شرقها بربا لطيف له أربعة أبواب لكل باب منها عضادتان، في كل عضادة منها صورة وجه كأنه يخاطب صاحبه، وهو يكلمه بكلام يفهمه، ويخبره بما حدث في يومه. ومن دخل ذلك البربا على غير طهارة نفخا عليه فأصابته فظيعة لا تفارقة أبداً إلى أن يموت.ويقال إن في وسطها ابداً مهبط نور كأنه عمود من اعتنقه لم يعزب عن

---

[١٨٢] الحديث هنا عن لعبة تشبه لعبة الهوكى المعروفة هذا إن لم تكن هي لعبة الهوكى نفسها!

نظره شيء من الروحانيات، وسمع كلامهم ورأى ما يعملون. وعلى كل باب من أبواب هذه المدينة صورة راهب في يده كالمصحف فيه علم من العلوم، فمن أحب ذلك العلم أتى تلك الصورة فمسحها بيده وأمرها على صدره فيثبت ذلك العلم في صدره. ويقال إن هاتين المدينتين سميتا على اسم هرمس وهو عطارد وإنهما إلى الآن على حالهما. وحكى عن رجل أتى عبد العزيز بن مروان وهو والى مصر، فعرفه أنه رأى في صحراء الغرب وقد أوغل في طلب جمل له ضل، فوقع إلى مدينة خراب وأنه وجد منها شجرة عظيمة تحمل من كل صنف من الفاكهة، وأنه قد أكل منها وتزود، فقال له رجل من القبط هذه إحدى مدينة هرمس وفيها كنوز كثيرة، فوجه عبد العزيز جماعة من ثقاته، ووجهه معهم، وتزودوا زاد شهر ومشوا يطوفون تلك الصحارى زماناً، فما وجدوا لها أثراً. وكان أشمون أعدل ولد أبيه وأرغبهم في صنيعه، وأحبهم في عمل يبقى ذكره وهو الذي بنى المجالس المصفحة بالزجاج الملون في وسط النيل. وتقول القبط إنه بنى سرباً تحت الأرض من أشمون إلى انصباب النيل، وقيل إنه عمله لنسائه لأنهن كن يمضين إلى هيكل الشمس، وكان هذا السرب مبلط الأرض، والحيطان بالزجاج الملون العجيب. وقيل إن أشمون كان أطول إخوته ملكاً، وقال أهل الأثر إن ملكه ثمانمائة سنة، وإن قوم عاد انتزعوا الملك منه بعد ستمائة سنه من ملكه، وأقاموا تسعين سنة ثم كرهوا البلد واستوزروه فرحلوا عنه إلى الراهبة من طريق الحجاز إلى وادى القرى، فعمروها واتخذوا المنازل والمصانع والقرى، وسلط الله عليهم القر فأهلكهم. وعاد ملك مصر إلى أشمون بعد خروجهم من البلد، ويقال إنه عمل في وقته وزة من نحاس، وكان الغريب إذا جاء ليدخل صاحت الوزة وصفقت بجناحيها فيعلم به أهل البلد، فان أحبوا أدخلوه، وإن أحبوا تركوه. وكثرت الحيات في وقته فاحتال لها بحيلة كانوا يأخذونها بأيديهم، ويعملون من شحومها ولحومها أدوية ودرياقات. وهو أول من عمل النيروز بـ مصر، يقيمون سبعة أيام يأكلون ويشربون إكراماً للكواكب بزعمهم. وفي زمانه

بنيت البهنسا، وأقام بها مطراناً، وجعل فوقها مجلسا من زجاج أصفر وعليه قبة مذهبة، وكانت الشمس إذا طلعت ألقت شعاعها على المدينة. ويقال إنه ملكهم ثمانمائة سنة وثلاثين سنة، ومات ودفن في إحدى الأهرامات الصغار. وقيل بل عمل له طاووس في آخر أشمون ودفن معه مال كثير وعجائب كثيرة ومن الذخائر ما لا يحصى كثرة، ودفنت معه أصنام الكواكب السبعة التي كانت في هيكله، وعشرة آلاف سرج من ذهب وفضة وعشرة آلاف جام ونضار من ذهب وفضة، وزجاج مسبوك وألف برنية من العقاقير المدبرة لقبول الأعمال، وزبر على ذلك كله اسمه ومدة ملكه.

ذكر الشاد الملك

وخلف على الملك ابنه الشاد[١٨٣] الملك، فولى وهوغلام ابن خمس وأربعين سنة وكان متجبراً معجباً طماح العين، فابتز امرأة من نساء أبيه، فانكشف أمره وعرف خبره، وكان أكبر همه اللهو واللعب، فاجتمع إليه كل مله كان في ملكه وقصده كل من كان في يده شيء من أنواع الملاهي والملاعب، وانفرد للعب بهم

[١٨٣] يذكر د .على فهمى خشيم في كتابه (آلهة مصر العربية، جـ ١، ص ٩٤، حاشية رقم (٢٤) : "... (بنيمة) بمعنى (حجر) وتجمع على "بنيمات" (أحجار) واسم الجنس منها (بنيم) / ولا جدال في أن هذه الأخيرة صيغة جمع بالميم لـ (بن) = (حجر)، في اللغات العروبية، ومنها: بنى، يبني، بناء. "بن" > بنيم ..." أي أن (بنيم) = (حجر)، (سش) = (رابط أو يربط. وفي معجم لسان العرب مادة (شاد) :شاد الحائط يشِيدهُ شَيْدًا طلاهُ بالشِيْد. والبناءَ قَوّاهُ ورفعهُ وفي المعجم الوسيط مادة (شاد): شَادَ – [ش ي د]. (ف: ثلاً. متعد). شِدْتُ، أشِيدُ، شِدْ، مص. شَيْدٌ. و(شَادَ البِنَاءَ): بَنَاهُ، رَفَعُه، أعْلاهُ. و(شَادَ الجِدَارَ): طَلاهُ بِالشِّيدِ.

ويكون معنى اسم (بنيم سش) = رابط الأحجار ـ البنا ـ (أى الشاد)!!

فهل يكون (الشاد) الملك الذي ذكره المسعودى هو نفسه (بنيم سش) ـ أخر ملوك الأسرة الأولى في القائمة اليونانية ؟!

وترك النظر في أمور الناس. وعمل قصوراً من خشب عليها قباب منقوشة مموهة بالذهب، وكان يحملها على المراكب في النيل[١٨٤] ويتنزه فيه مع من يحب من نسائه وخدمه ومن يلهيه. وعمل عليه الأروقة المذهبة وفرشها بأحسن الفرش وفاخره، وكان يتنزه عليها وتجرها البقر، ويقيم في نزهته شهوراً لا يمر بموضع إلا أقام فيه، وولد من السحر توليداً كثيراً واستنفذ أكثرها في خزائن أبيه، وذهب خراجه في جرائد الملهين والنفقات في غير وجوهها، فلما أسرف في ذلك اجتمع الناس إلى وزيره فأنكروا حاله عنده، وسألوه مسألته والإشارة عليه بالإقلاع عما هو عليه، فضمن لهم ذلك، ثم فاوضه فيه وبين له ما يجب تبيينه وحذره من العواقب اللاحقة من التفريط بما يكره فلم ينته، وسلط أصحابه على الناس فأساءوا إليهم وأضروا بهم .

وخرج الملك ذات يوم إلى متنزه له قد صفح مجالسه بصفائح الذهب والفضة وغرائب الجوهر الملون، وأجرى إليه المياه وغرس فيه نفيس الرياحين، وفرشه بأصناف الفرش الملونة. وكان إذا أحب أن يخلو بامرأة من نسائه خلى بها هناك، وأنه في ذلك المتنزه، وقد أقام فيه أياماً إذ خرج غلام من بعض خدمه، فأتى بعض التجار في حاجة له، وكانت له خادم فأراد أخذها منه بغير ثمن فمنعه منها فوثب عليه يريد ضربه، فاجتمعوا عليه وضربوه حتى أسالوا دمه وحمل وقيد. واتصل خبره بالوزير وصاحب الجيش فركبا إلى الموضع وانكرا على الناس ما فعلوه وأسمعاهم فأغلظوا لهما وأسمعوهما، فانصرفا مغضبين وقالا ما نرى ستر هذا عن الملك وعرفاه الخبر، فلم يحفل بهما وأمر بالنداء في الناس من تعرضكم من خدم الملك وأصحابه فاقتلوه، فحمد الناس أمره وشكروا فعله وتواصوا بالوثوب على أصحابه، حتى إذا مضى لذلك أسبوع وجه إلى وزيره وصاحب جيشه أنه عزم أن يركب إلى صحراء الغرب يتصيد هناك، وأمر أن يركب معه جيشه، وأن يتزودوا لثلاثة أيام ففعلوا، واجتمعوا إلى بابه فاستدعى

---

[١٨٤] المقصود بالعبارة (قصور من خشب تحملها مركب نيلية) أي العوامة النيلية مثل التي تتحرك في النيل في وقتنا الحاضر!

الوزير، وأسر إليه أنه يريد الأنتقام من العامة، وخرج الملك وجيشه في أحسن زى وهيئة وسار إلى موضع غير بعيد . فلما اختلط الظلام رجع بالجيش حتى وافي باب المدينة، وأمر أصحابه أن يضعوا أيديهم في الناس فقتلوا خلقاً كثيراً، وأمر بحرق الموضع الذي قتل فيه الغلام. ثم أمر ان ينادى: هذا جزاء من أقدم على الملك من رعاياه وأصحاب مهنتهم من العامة وغيرهم، فاستغاث الناس، فأسر إلى وزيره أن يطرح نفسه بين يديه ويسأله فيهم ففعل فأمنهم، وقال لهم، من عاد منكم فقد أحل دمه فشكروا فعله وانصرفوا ورجع إلى ما كان عليه وأعظم. واحتجب عن الناس واستحلت الهياكل والكهنة فأبغضه العامة والخاصة وابتغوا له الغوائل، فاحتال عليه خاصته بطباخه وسقاته فسماه، فمات وهو ابن مائة وعشرين سنة، فكان ملكه خمسا وسبعين سنة.

ذكر الملك صاصا

وصار الملك بعده إلى ابنه صاصا*[180]، وأكثر القبط تزعم أن صاصا هذا أخو الشاد وأنه ابن مربيس الملك. ولما جلس صاصا على سرير الملك دخل الناس عليه يهنئونه، فوعدهم العدل فيهم وحسن النظر لهم، وسكن منف ونفي الملهين

---

*[180] عندما قرأت اسم (صاصا) لأول مرة توقعت أنه ترجمة لاسم الملك (تي تي) أو الملك (بي بي) على اعتبار أن الاسم هنا مكرر مرتين فتكون (صا) = (تي) أو أن (صا)= (بي) ولكن اتضح لى خطأ توقعى تماماً، ولكن في النهاية وبصورة أخرى ـ كما سترى ـ أكتشفت أن (صاصا) = (بيبي) !! . .. كيف ؟!

(صاصا) هي صيغة مبالغة من (صا)، و(صا) =(سا) وتعنى الأبن، وعلى ذلك تكون (صاصا) بمعنى الطفل الصغير جداً أي (المولود) وهو ما يسمى في الانجليزية Baby (بيبى)، فإذا أخذنا في الأعتبار أن لفظ (بيبى) ربما كانت تعنى ـ في اللغة المصرية القديمة ـ الطفل الرضيع وإنه أنتقل إلى اللغات الانجليزية في صيغة(baby)، والهولندية(de baby) والنرويجية(baby) والأسبانية في صيغة(bebè) والفرنسية في صيغة(bèbè)، والألمانية في صيغة(baby) والبرتغالية في صيغة (bebê) فهذا أمر محتمل جداً!!

وعلى ذلك يكون (صاصا)= (الطفل الرضيع) = (بيبي) وهو ثانى ملوك الأسرة السادسة!

وأهل المجالات وأهل الشر ومن كان يصحب أباه. وأصلح الهياكل ورد الكهنة إلى مراتبهم، وعمل بمنف عجائب كثيرة وطلسمات، وأجرى فيها الأنهار، ونصب العقاب الذي كان عمل قبله على موضعه وشرف هيكله ودعى إليه .

وعمل بمنف مرآة يعرف بها زمان الخصب والجدب وما يحدث ببلده، وبنى داخل الواحات مدائن، وغرس فيها نخلاً كثيراً، ونصب غرب البحر أعلاماً كثيرة، وعمل خلف القطم صنماً يقال له صنم الحيلة، فكان كل من أعجزه أمر أتاه يسأله، فيخبره ويبين له ما عزب عن معرفة منه. وجعل على أطراف مصر أصحاباً يرفعون له ما يجرى في حدود أرضه، وعمل على غربى النيل منابر إذا قصدهم قاصد يوقد عليها فيصل إليه الخبر من ليله أو من يومه، وجعل على البحر المالح مثل ذلك، ووكل بجمعها جماعة يحرسونها. وهو أول من اتخذها، ويقال إنه بنى أكثر منف، وكان له بنيان عظيم بالإسكندرية .

ولما ملك واستولى على البلد بأسره، جمع إليه حكماء أهل بلده ونظر في النجوم وكان بها حاذقاً، ورأى أن بلده لابد له من أن يدخل إليه طوفان عظيم من نيلها فيكاد يغرقها، ورأى أنه يحدث على يدى رجل يأتي من ناحية الشام. فجمع كل فاعل بمصر وجهاتها وبنى في ألواح الأقصى مدينة، جعل طول حصنها في الأرتفاع خمسين ذراعاً، وأودعها جميع الحكم والأموال، وهي المدينة التي وقع عليها موسى بن نصير في زمن بنى أمية لما قلد المغرب، لأنه لما دخل مصر، أخذ على الواح الأقصى بالنجوم وكان عنده علم منها .

فأقام سبعة أيام يسير في رمال بين سمت الغرب والجنوب، إلى أن ظهرت له مدينة فيها حصن وأبواب حديد، فرام أن يفتح بابا من أبوابها، فأعياه ذلك لغلبة الرمل عليها، وعلى ما حولها، فأصعد إليها الناس، فكل من صعد منهم وأشرف، وثب داخلها لا يعلم كيف يقع، ولا على ما يسقط، ولا ما يصيب .

ولما لم يجد فيها حيلة تركها ومضى، وقد فقد فيها جماعة من أصحابه، وحرروا عرض حصنها عشرين ذراعاً، وهلك في طريقه منصرفاً عنها جماعة من أصحابه، ولم يسمع أن أحدا قبل موسى بن نصير، ولا بعده وقع عليها. وفي

تلك الصحارى أكثر متنزهاتهم ومدائنهم العجيبة وكنوزهم العظيمة، إلا أن الرمان غلبت عليها. ولم يكن لـ مصر ملك، إلا وقد عمل للرمل طلسماً يبعدها ويوقفها، ثم تفسد طلسماتها على تقادم الأيام ولا ينبغي لأحد أن ينكر كثرة بنيانهم ومدائنهم. وما نصبوه من الأعلام العظام. فقد كان للقوم بطش لم يكن لغيرهم، وفيما يظهر من آثارهم بيان تحقيق ما يذكر عنهم. من ذلك مثل هذه الأهرام والأعلام العظام المشهورة بالإسكندرية، وفي صحراء الغرب عجائب باقية من ذلك، وما لهم من الجبال المنحوتة التي جعلوا كنوزهم فوقها، فلا يصل أحد إليها، وكذلك الأودية المنحوتة، ومثل ما بالصعيد من مدائنهم، وما نقشوه عليها من حكمهم، فإنه لو تعاطى أحد من ملوك الأرض أن يبني مثل الهرمين، أو جميعهم ما تهيأ لهم ذلك، وكذلك لو أرادوا أن ينقشوا ثوباً واحداً لطال عليهم الأمر وتركوه. وحكى عن قوم في ضياع الغرب، أن عاملاً من عمالهم عنق بهم، فدخلوا في صحراء الغرب، وحملوا معهم زادا إلى أن تصلح أمورهم ويرجعوا إلى منازلهم، وكانوا على يوم وبعض آخر، فدلجوا إلى جبل، فوجدوا عيراً أهلياً قد خرج من بعض شعابه، فتبعه نفر منهم، فأخرجه إلى مساكن وأشجار ونخل ومياه وناس، فهم يسكنون تلك الناحية، ويتناسلون ويزرعون، ولا يطالبهم أحد بخراج. وأخبروهم أنهم لم يدخلوا إلى ضياع الغرب، فصاروا نحوهم بأهليهم ومواشيهم وجميع أموالهم، فأقاموا مدة يطلبون الطريق فما وجدوه، ولا عرفوه، ولا وقفوا له على خبر، ولا تأتى لهم لوصول إليهم، فرجعوا آيسين على ما فاتهم من ذلك الموضع.

وحكى أيضاً عن آخرين انهم ضلوا في طريق الغرب، فوقعوا إلى مدينة كثيرة الماء والشجر والناس والمواشي والنخل والزرع، فأضافوهم وأكلوا عندهم وأباتوهم في دار فيها طاحونة يعمل فيها الخمر، فشربوا معهم حتى سكروا وناموا، فلما انتبهوا عند طلوع الشمس وجدوا أنفسهم في مدينة خراب ليس فيها أنيس ولا عمارة، فارتاعوا وخرجوا على وجوههم كالهاربين، وساروا يومهم على غير سمت حتى قرب المساء، فظهرت لهم مدينة أكبر من الأولى، وأعمر وأكثر أهلاً

ودواباً ونخلاً وشجراً وزرعاً ومواشى، فأنسوا بها، ونزلوا عندهم فأخبروهم بخبر المدينة الأولى. فجعلوا يعجبون من ذلك ويضحكون منهم، وإذا لبعض أهل المدينة وليمة فانطلقوا بهم إليها فأطعموهم بها، وسقوهم وغنوهم بأصناف الملاهى، وسألوهم عن أخبارهم، فأخبروهم أنهم ضلوا عن الطريق في بعض هذه الصحارى، فقالوا لهم الطريق بين أيديكم واضح، ولا يمكن أن تغلطوا فيه فإن أحببتم المسير وجهنا معكم، من يوقفكم على سمت الطريق الكبير الذي يؤديكم إلى مكانكم، وإن أحببتم أن تقيموا عندنا، أرفدناكم وزوجناكم عندنا، وكنتم أصهارنا وإخواننا، فسروا بذلك من قولهم. فأجمع بعضهم على المقام معهم، وأجمع أكثر من كان منهم له أهل وولد على أن يأخذ أهله وولده فيسير نحوهم قالوا فبتنا معهم خير مبيت، ثم نمنا فلما كان في الغد انتبهنا فوجدنا أنفسنا في مدينة عظيمة خراب قد تشعث بعض حصونها، وليس بها أحد من الناس إلا أن حولها نخلاً كثيراً قد تساقط ثمرها، وتكدس حولها. فلحقنا لذلك من الخوف والارتياع والوحشة ما كاد يتلفنا. فخرجنا منها مفكرين فيما عايناه، وإنا لنجد روائح الخمر معنا ومعاني السكر فينا ظاهرة، فلم نزل نسير يومنا أجمع، وليس بنا جوع ولا عطش، حتى إذا كان المساء وافينا راعياً يرعى غنماً له، فسألناه عن العمارة والطريق، قال إن العمارة قريب منكم، فإذا نحن بأنهار فيها الماء، فنزلنا وشربنا منها وبتنا ثم أصبحنا، فإذا نحن في غير موضعنا الذي كنا فيه، وإذا معنا الناس والعمران، وما مشينا إلا بعض يوم حتى دخلنا مدينة الأشمون في الصعيد، فكنا نحدث الناس فلا يقبلون منا. وهذه مدائن القوم الداخلة القديمة قد غلبت عليها الجن، ومنها ما قد ستر عن العيون فلا يراه أحد. وذكر بعض القبط، أن رجلاً من بنى الكهنة الذين قتلهم الشاد سار إلى الأفرنجة فذكر لملكهم كثرة كنوز مصر وعجائبها، وضمن له أن يوصله إليها وإلى ملكها وأموالها، ويدفع عنها طلسماتها حتى يبلغ جميع ما يريده، ويعرفه مواضع الكنوز. فعزم ملك الإفرنجة على غزو مصر وجهاتها، فلما اتصل بصاحب مصر أن ملك الأفرنجة تجهز إليها، عمد إلى جبل بين البحر المالح

وشرقى النيل، فأصعد إليه أكثر كنوزه، وما كان في خزائنه، وصفح ظاهرها بالرصاص. وأمر فنحتوا جوانب الجبل إلى منتهي خمسين ذراعاً، وجعلوا في آخر المنحوت منه الصور البارزة خارجة في النحت بقدر ذراع، وهو جبل مدور في جرمه إلا أنه رفيع السمك. ثم انصرف الملك إلى مصر، وتأهب بما قدر عليه، واستظهر بما أمكنه، وجعل ينتظر ملك الأفرنجة .

وأن ملك الأفرنجة حشد وجيش ما أمكنه وقصد مصر، وكان لا يمر بشيء من عجائبها وطلاسمها وغرائب أعمالها ومناراتها إلا قدر عليه وغيره وأفسد ما صادف من أصنامها، وذلك كله أمكنه بمعونة ذلك الكاهن.

حتى أتى الإسكندرية الأولى فعاث فيها وهدم كثيراً منها وغير معالمها، إلى أن دخل النيل من ناحية رشيد، وصعد إلى منف، وأهل تلك البلاد يحاربونه وهو ينتهب ما مر عليه، فوجد منفاً ممتنعة بالطلسمات الشداد، والمياه العميقة والسرادقات العالية فأقام عليها أياما كثيرة فحاربها طمعاً أن يصل إليها، فلم يقدر ورأى كثرة الناس عليها، وأنهم كل يوم يزيدون وأصحابه ينقصون، فاغتاظ على الكاهن وأراد قتله فلم يمكنه. وفر إلى أهله فسيروه حتى أمر الكهان إلى أوله من الظهور فرجع إلى حاله وهلك من أصحابه خلق كثير، واجتمع أهل النواحي فقصدوا مراكبه، فأحرقوا أكثرها فأجمع هو ومن معه على الهروب. ولما علم أهل مصر بذلك الكاهن الذي كان معه، انحشدوا إليه بما قدروا عليه من المراكب، وظفروا بأكثر أصحابه فقتلوهم وغرقوا مراكبهم، فكان أعظم مطالب ملكهم أن يخلص نفسه، فأسرع الهرب في مركب استجاده لمثل ذلك الحال. ففر وسلط الله على مراكبهم رياحاً غرقت كثيراً منها، فما عادوا إلى الأفرنجة إلا وملكهم قد ثقل بالجراحات التي أصابته، ورجع الناس إلى منازلهم وقرارهم ورجع الملك إلى مصر وترك ما كنزه في موضعه عتيداً له. ويقال إنه كان هناك إلى هذا الوقت، ولم يزل بعد ذلك الوقت يغزو بلاد الروم، وأهل الجزائر، ويعيث فيها ويخربها، فهابته الملوك .

وأقام ملكاً سبعا وستين سنة، وهلك ودفن بمنف في ناووسه الذي كان عمل

له في وسط المدينة من تحت الأرض، وجعل الدخول إليه من خارج المدينة من الجهة الغربية، وحمل إليه أموالاً عظيمة، وجواهر كثيرة وطلسمات وتماثيل كما فعل أجداده من قبله. وكان فيه أربعة آلاف تمثال على صور شتى برية وبحرية، وتمثال عقاب من جوهر أخضر عند رأسه، وتمثال تنين أخضر من ذهب مسبوك عند رجليه، وزبر عليه اسمه وسيرته وجميع أموره .

ذكر بداونس الملك

وعهد ابنه إلى بداونس[١٨٦] الملك وهو أول من ملك الأجناد وصفا له ملك مصر وكان بداونس الملك محنكاً مجرباً ذا أيد وقوة ومعرفة بالأمور، فأظهر فيهم العدل، واقام الهياكل ورد أهلها وأكرم الكهنة، وزاد في ألطافهم، وبنى بغربى منف بيتاً عظيماً للزهرة، وزبر فيه كتبا كثيرة من العلوم وكساه الحرير وعمل عيداً كبيراً اجتمع اتليه جميع الأجناد .

وكان صنم الزهرة من اللازورد موشحاً بذهب يبرق مسوراً بسوارى زبرجد

---

[١٨٦] (بداونس) = ب (أب) + (داو) + (ون) + (س) - (زائدة يونانية)، ويذكر د .على فهمى خشيم في كتابه: آلهة مصر العربية (المجلد الأول، ص ٣٦٣): "أن القرد ذاته (أى الحيوان المعروف) يُسَمى في الجبالية (البربرية) مرة "إديوْ) iddew أو "يدّيو"(yiddew ويدعى مرة أخرى "أبدّاو") abiddaw انظر Ballet;Dictionnaire Kabyle-francais,pp: ٧٨،١٦١.، إن القرد هو رمز (تحت) إله النور ولم تخرج الجبالية عن القاعدة في اعتبار القرد رمزاً للنور، أما كلمة (أبدّاوْ abiddaw (abiddaou) فقد تكون مكوّنة من مقطعين: (أب ab المصرية " ء ب (و) " = " هـ ب ". العربية: آب / هب) وتعنى: أبيض، بياض (= طائر "تحت" الأبيض = اليونانية إبيس(ibis))، إدّاوْiddaw " وتقابل العربية "ضو(ء)". فالاسم إذن مركب معناه " بياض الضوء " (= طائر "تحت" + قرده). لكن الملاحظ أن الجبالية (كالعربية) تسبق عدداً من الألفاظ التي نجدها في المصرية بالمقطع " أبو" (=بو) أى: ذو، صاحب (الأنكليزية of فمقابل "أبدّاوabiddaw في هذه الحالة عربياً: " أبو الضو(ء)" ــ أى: "ذو الضياء". فهل يكون بداونس (ذو الضياء) هو نفسه (ذو النان) . . احتمال وارد ولكنه ضعيف لبعد الحقبة الزمنية بين الملكين!

أخضر، وكان في صورة امرأة لها ضفيرتان من ذهب أسود مدبر، وفي رجليها خلخالان من حجر أحمر كالياقوت، ونعلان من ذهب، وفي يدها قضيب مرجان وهي تشير بسبابتها كالمسلمة على من في الهيكل .

وجعل حذاءها من الجانب الآخر بقرة ذات قرنين وضرعين من نحاس أحمر مموه بالذهب موشحة بحجر اللازورد ووجه البقرة محاذ إلى وجه صنم الزهرة، وجعلوا بينهما مطهرة من أخلاط الأجساد على عمود رخام مجزع فيها ماء مدبر بقوة من الزهرة يستشفي بها من كل داء، وفرش الهيكل بحشيشة الزهرة تنالوها في كل سبعة أيام. وجعل فيها كراسى الكهنة مصفحة بالذهب والفضة، وقرب فيها ألف رأس من الضأن والمعز والوحش والطير، وكان يحضره يوم الزهرة ويطوف به، وكان قد فرش الهيكل وستره عن يمين الزهرة وشمالها. وكان في أعلى قبة الهيكل صورة رجل راكب على فرس له جناحان ومعه حربة سنانها رأس إنسان معلق، وبقي هذا الهيكل إلى زمان بخت نصر وهو الذي هدمه. ويقال إن بداونس هو الذي حفر خليج بخارى فارتفع له من الخراج في بلده مائة ألف ألف وخمسون الف الف. وقصده بعض العمالقة غازياً له من الشام[١٨٧]،

---

[١٨٧] يذكر الأستاذ أحمد عيد في كتابه (جغرافية التوراة في جزيرة الفراعنة، ص١٩): ''وجغرافيا: فإن المنطقة الشمالية لليمن تسمى الشام''. ولابد من الأشارة هنا إلى أن المقصود بالشام في كتابات الأخباريين والجغرافيين العرب، منطقة ما في جزيرة العرب. حددها لنا المؤرخ التاجر (ابن المجاور الدمشقى) في كتابه الشهير (تاريخ المستبصر) في رقعة واسعة من سواحل تهامة اليمن: أما تهامة، فإنها قطعة من اليمن، وهي جبال مشتبكة وكلها مشرف على بحر القلزم مما يلى غربيها، وشرقيها بناحية صعدة وحرض ونجران، وشماليها حدود مكة وجنوبيها من صنعاء على نحو عشر مراحل . وتسمى في عدن الشّام، وتسمى في المهجم اليمن، وتسمى عند آل عمران كوش وتسمى باللغة المعروفة زبيد. وقد أتى (ابن المجاور) على ذكر بعض أودية الشام هذه قائلا: وفي أودية الشام وادى رماع ووادى الكدراء ووادى سردد ووادى مور وجميع هذه الأودية يقطع منها الخشب لأجل العمارة . ويستطرد (ابن المجاور) ليؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن الشّام جزء لا يتجزأ من اليمن :وإلى هجر أربع فراسخ، ومن هنا إلى حران يُعرف بالدرّب . . ومن هذه الحدود إلى زبيد يسمون أهلها (الشّمة) لان هذه الأعمال تسمى في زبيد الشّام ''، انظر الأستاذ أحمد الدبش: (كنعان وملوك بنى إسرائيل في جزيرة العرب)، ص٤٠.

فلما سمع به جيش وخرج إليه، ولقيه وهزمه ودخل فلسطين فقتل فيها وسبا خلقاً كثيراً، وسبا بعض حكمائها وأسكنهم مصر فهابته الملوك. وعلى رأس ثلاثين سنة من ملكه طمع السودان من الزنج والنوبة في أرضه، فهجموا على بعض الأطراف فعاثوا وافسدوا .

فأمر بجمع الجيوش من أعمال مصر، وأعد المراكب ووجه قائداً من قواده يقال له بلوطس. وفي ثلاثمائة ألف بين راكب وراجل، واتبعه بقائد آخر في مثلها ووجه في البحر ثلاثمائة سفينة وجعل في كل سفينة كاهناً يعمل أعجوبة. وسار هو في أثرهما فيمن بقى من الجيوش، فلقوا جيوش السودان وكانوا زهاء ألف ألف فهزموهم وقتل أكثرهم، فأسر منهم كثيراً، وتبعهم الجيوش حتى وصلوا إلى أرض الفيلة من أرض الزنج فأخذوا منها عدة كثيرة، وأخذ معها كثيراً من النمور والوحش وسيقت إلى مصر. ونصب على حدوده منارات وزبروا عليها مسيرة وظهوره والوقت الذي غزا فيه السودان، وذكر كل ما عمل في أيامه. ونقل إليه من أصنام الكواكب كثيراً، ومن الذهب والجوهر الملون والتماثيل الغريبة الصنعة والالات والذخائر ما لا يعلم جودته وكثرته، فلما هلك دفن فيه وزبر على بابه في الحجارة أسمه وتاريخ الوقت الذي مات فيه، جعلت عليه طلاسم تمنع منه .

ذكر الملك مماليك بن بداونس

وكان قد عهد إلى ابنه بعده مماليك[188] الملك، وكان أديبا عاقلاً كريماً حسن

---

[188] ذكر عبدالله بن سراقة: "أنه لما نزلت العماليق أرض مصر حين أخرجتها (جُرْهُمُ) من مكة نزلت مصر، فبنت الأهرام واتخذت بها المصانع وبنت فيها العجائب ولم تزل بمصر حتى أخرجها (مالك بن ذرع الخزاعى) ". ونلاحظ هنا أن (ذرع = درع على اعتبار أن ذ = د)، وفي معجم لسان العرب مادة (ترس): التُرْس صفحةٌ من الفولاذ مستديرة تُحمَل في اليد للوقاية من السيف أي الدرع . وفي معجم لسان العرب مادة (خزع) :الخِزَاعيُّ عند العامة الطويل القامة جدًا. فإذا كان (مالك) = (بنو) فإن ذرع =درع = ترس، فيكون معنى (مالك بن ذرع الخزاعى)

هو (بنوترس الطويل القامة) !. و(مالك) هو نفسه (مماليك) الملك في كتابات المؤرخ المسعودى في كتابه (أخبار الزمان) وهو الملك الذي كان موحد على دين قبطيم وهو نفسه (ماليق بن تدراس) في كتابات المؤرخ المقريزى في (الخطط) وقد تكون (تدراس) في الأصل (تراس) أي (ترس)، حرف الدال في تدراس زائدة من النسخ عند النقل من المخطوطات القديمة) فيكون: تدراس = تراس = ترس، " ... وقال عبدالله بن شبرمة الجرهمي: لما نزلت العماليق أرض مصر حين أخرجها (جرهم) من مكة بنت الأهرام واتخذت لها المصانع وبنت فيها العجائب ولم تزل بمصر حتى أخرجها (مالك بن داعر الخزاعى)، (مالك بن داعر الخزاعى) الذي ذكره (بن شبرمة) هو ترجمة أخرى للاسم لـ (بنو ترس) !. فإذا كان (مالك) = (بنو) فماذا تعنى (داعر) !. وفي معجم (لسان العرب) مادة (ترس): والتِّرس الدُّيُّوث تركيَّةٌ عامِّةٌ . و(الديوث) هو (الداعر) !!

وعلى ذلك فإن (داعر) = (ترس)، فيكون معنى (مالك بن داعر الخزاعى) هو (بنوترس الطويل القامة) !

ويبدو هنا أن المؤرخ العربي في الترجمتين أعتقد أن اللقب (بنوترس) عربى (و الحقيقة إنه يونانى بدليل وجود الزائدة اليونانية الـ (س) في آخره !) فقام بترجمة المقطع (ترس) ترجمتين مختلفتين على اعتبار أنه عربى !! . ويذكر د .على فهمى خشيم في كتابه "آلهة مصر العربية، المجلد الأول، ص ٣٥٨: '' أن (بينو) في العربية من الجذر (بَيَنَ) أى: ظهر واتّضح''، أي أن (بنو) لفظ عروبى! و(الخزاعى) تعنى (طويل القامة) وهو نفس معنى (طوطيس)، (طوطيس = طوط) + (يس)، (يس) زائدة يونانية، ويقول ابن منظور: (طوط): مفرط الطول. وقيل هو الطويل ـ فقط ـ من غير أن يقيد بإفراط) والمعروف ان الملك (طوطيس) حارب العماليق إلا أن قائد العماليق وهو (الوليد بن دومع) تغلب على (طوطيس) بعد حرب طويلة وتمكن بعدها من توحيد القطرين (أى المصرين) مصر العليا ومصر السفلى، فهل يكون (بنوترس) هو نفسه (طوطيس) و الذي ذكر في القائمة اليونانية باعتباره أول ملوك الأسرة الأولى تحت اسم (أتوتيس) ؟!

وهل (بنوترس) و(طوطيس) أسماء مختلفة للملك الذي أسماه المؤرخون العرب مالك بن داعر (أوذرع) الخزاعى ؟! . ويذكر د .رمضان السيد (تاريخ مصر القديمة، ص ١٨١): ''. ويذكر الأفريقى أن الملك (خع سخموى) كان يمتاز بطول القامة ''. والملك (خع سخموى) هو أول ملوك الأسرة الثانية . . فهل يكون هذا الملك هو نفسه (بينو ترح) ؟!

بقيت الاشارة إلى أن (ترس) تحتوى على زائدة يونانية وهي (س) وهذا يعنى أن هناك حرف ثالث جاء بعد حرف الـ (ر)، هذا الحرف قد تم حذفه وأضيف بدلا منه حرف الـ (س) .... فما هو ذلك الحرف ياترى ؟!

الوجه مجرباً مخالفاً لأبيه في عبادة الكواكب والبقر، ويقال إنه موحد على دين قبطيم ومصرايم، فكانت القبط تذمه بذلك. وكان سببه فيما ذكر، أنه رأى رؤيا فيما يراه النائم، كأنه أتاه رجلان لهما أجنحة فاختطفاه واحتملاه إلى الفلك، وأوقفاه حذاء شيخ أسود أبيض الرأس واللحية، فقال له هل تعرفني ؟ فدخلته منه روعة لحداثته، وكان سنه نيفا وثلاثين سنة، فقال له: ما أعرفك، فقال له أنا بشر، يعني رجلاً، فقال قد عرفتك، قال أنت إلاهي، فقال إنك وإن كنت تدعوني إلهاً فإني مربوب ملك، وإلهي وإلهك الذي خلق السموات والأرض وخلقني وخلقك، قال: فأين هو ؟ قال: في العلو الأعلى، [تعالى] لا تلحقه الظنون ولا تراه العيون، ولا يشبهه شيء، وهو الذي جعلنا سبباً لإقامة العالم الأسفل وتدبيره، قال: كيف نعمل إذا ؟ قال: تضمر في نفسك ربوبيته وتخلص وحدانيته تعترف بأزليته. ثم أمر الرجلين فأنزلاه إلى موضعه، فاستيقظ مذعوراً وهو على فراشه. فدعا رأس الكهنة فقص عليه رؤياه، فقال له: عاهدتك أن لا تتخذ الأصنام آلهة فإنها لا تضر ولا تنفع، قال فمن أعبد ؟ قال: الله الذي خلق السموات والأرض وخلق جميع ما فيها . قال وكيف أقدر على رد نفوس العالم عما هم عليه ؟ قال اعقد على ذلك نيتك، وأخلص ضميرك وصف به قلبك، وإذا غبت عن عيون الناس وانفردت فاعمل ما أمكنك، ودم للناس في الظاهر على ما كان عليه جدودك. فقبل الملك ذلك القول منه واعتقده وعمل به. فكان يحضر للهيكل ويسجد للصنم، منحرفاً عنه بقلبه مبغضاً له كافراً به، وهو يضمر أن سجوده لله عز وجل. واستعمل كثرة الغزوات وموالاة الأسفار والجولان

إنه بالتأكيد حرف الـ (ح) !! . فهذا الملك يبدو أن لقبه الملكي الصحيح قبل تحريفه هو (بنوترح) ! . في معجم (لسان العرب) مادة (ترح): تَرِحَ بِهِ يترَح تَرَحًا غمَّ بهِ وحزن. وبذلك يستقيم معنى (بنو ترح) أي (الأبيض الحزين) وهذا هو حال (مالك الحزين)!

ويبدو أن الناس في الأزمنة القديمة كانت تخاطب هذا الطائر العجيب بالعبارة: مالك حزين ......يا أبيض اللون ! . وتحولت (مالك حزين) إلى (مالك الحزين) !. وأصبح لازمة على (الطائر الأبيض) قبل أن يصير اسماً له ! . ولا يزال (الطائر الأبيض) ـ (بنو) ـ حزيناً (ترح) منذ القدم ولا يزال !

في البلاد، وكل ذلك لتطول غيبته عن مصر ويبعد عن الهيكل. وقال بعض أهل مصر إن الله أيده بملك من الملائكة يعضده ويرشده، وربما أتاه في نومه فأمره ونهاه، وأخبره بما يريد معرفته، فأمر الناس عند ذلك باتخاذ كل جادة من الخيل وكل جيد وجميل من السلاح، وأعد الزاد، واتخذ في بحر المغرب[189] مائتي سفينة .

وخرج في جيش عظيم في البر وفي البحر، فلقيه جموع البربر[190] فهزمهم وقتل

---

[189] (بَحرُ المغرب): وهو بحر الشام والقسطنطينية مأخَذُه من البحر المحيط ثم يمتد مشرقاً فيمر من شماليه بالأندلس ثم ببلاد الأفرنج إلى القسطنطينية فيمر ببنطس المذكور آنفاً ويمتد من جهة الجنوب على بلاد كثيرة أولها سلا ثم سَبتة وطَنجة وبجَاية ومَهدية وتونس وطرابلس والإسكندرية ثم سواحل الشام إلى أنطاكية حتى يتصل بالقسطنطينية وفيه من الجزائر المذكورة الأندلس وميورقة وصقلية وأقريطش وقبرص وردس وغير ذلك كثيرة، وقرأت في غير كتاب من أخبار مصر والمغرب أنه ملك بعد هلاك الفراعنة ملوك بني دَلُوكة. منهم دركون بن مَلُوطِس وزَبطرة وكانا من ذوى الرأى والكيد والسحر والقوة فأراد الروم مغالبتهم على أرضهم وانتزاع الملك منهم فاحتالا أن فتقا البحر المحيط من المغرب وهو بحر الظلمات فغلب على كثير من البلدان العامرة والمالك العظيمة وامتد إلى الشام وبلاد الروم وصار حاجزاً بين بلاد الروم وبلاد مصر وهذا هو البحر الذي وصفناه قبل، وعلى هذا فبحر الأندلس وبحر المغرب وبحر الإسكندرية وبحر الشام وبحر القسطنطينية وبحر الأفرنج وبحر الروم جميعه واحد ليس لهذا اتصال ببحر الهند إلا أن يكون من جهة المحيط وأقربُ موضع بين البحر الهندى وهذا البحر عند الفَرَما وهي على ساحل بحر المغرب والقلزُم وهو على ساحل بحر اليمن سوى أربعة أيام، ولو أراد مريد أن يسير من سلا إلى إفريقية ثم سواحل مصر والشام ثم الثغور إلى طرابزندة ويقطع جبل القبق ويدير من أطراف بلاد الترك إلى القسطنطينة فيصير البحر على جهته الجنوبية بعد أن كان من جهته الشمالية ويمر بسواحل الأفرنج حتى يدخل الأندلس فيقابل سَلا التي بدأ بها من غير أن يقطع بحراً أو يركب مركباً ويمكنه ذلك إلا أن المسافة بعيدة والمشقة في سلوكه صَعبة ولمروره بين أمم مختلفة الأديان والألسنة وجبال مشقة وبَواد موحشة .انظر ياقوت الحموى: (معجم البلدان).

[190] قال شمس الدين الذهبي: البربر وبربر من ولد قيدار بن إسماعيل؛ ويقال: إن دار البربر كانت فلسطين وملكهم هو (جالوت) فلما قتله نبى الله داود جلت البربر إلى المغرب وانتشروا إلى السوس الأقصى فطول أراضيهم نحو من ألف فرسخ، انظر: سير أعلام النبلاء جـ ١٨، ص٤٢٩، وقال أيضا متحدثاً عن أهل الرياسة فيهم: فأول من كان فيهم الملك من البربر

(صنهاجة) ثم (كتامة) ثم (لمتونة) ثم (مصمودة) ثم (زناتة)، وقد ذكر ابن دريد: أن (كتامة) و(لمتونة) و(هوارة) من حمير ومن سواهم، أنظر: سير أعلام النبلاء جـ ١٨، ص٤٢٨، قال ابن خلدون في تاريخه: الكتاب الثالث في أخبار البربر والأمة الثانية من أهل المغرب وذكر أوليتهم وأجيالهم ودولتهم منذ بدء الخليقة لهذا العهد ونقل الخلاف الواقع بين الناس في أنسابهم هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم ملؤا البسائط والجبال من تلوله وأريافه وضواحيه وأمصاره، يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر، ويظعن أهل العز منهم والغلبة لانتجاع الراعى، فيما قرب من الرحلة، لا يجاوزون فيها الريف إلى الصحراء والقفار الأملس، ومكاسبهم الشاء والبقر والخيل في الغالب للركوب والنتاج، وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب، ومعاش المستضعفين منهم بالفلح ودواجن السائمة . ومعاش المعتزين أهل الأنتجاع والأظعان في نتاج الابل وظلال الرماح وقطع السابلة. ولباسهم وأكثر أثاثهم من الصوف يشتملون الصماء وبالأكسية المعلمة، ويفرغون عليه البرانس الكحل ورؤسهم في الغالب حاسرة، وربما يتعاهدونها بالحلق. ولغتهم من الرطانة الأعجمية متميزة بنوعها، وهي التي اختصوا من أجلها بهذا الاسم ويقال: إن أفريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة لما غزا المغرب وأفريقية، وقتل الملك جرجيس، وبنى المدن والأمصار، وباسمه زعموا سميت أفريقية لما رأى هذا الجيل من الأعاجم وسمع رطانتهم ووعى اختلافها وتنوعها تعجب من ذلك وقال: ما أكثر بربرتكم فسموا بالبربر. والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير مفهومة، ومنه يقال بربر الأسد إذا زأر بأصوات غير مفهومة. وأما شعوب هذا الجيل وبطونهم فإن علماء النسب متفقون على أنهم يجمعهم جذمان عظيمان وهما (برنس) و(ماذغيس). ويلقب (ماذغيس) بـ (الأبتر) فلذلك يقال لشعوبه البتر، ويقال لشعوب (برنس) البرانس، وهما معاً إبناً (برنس). فذكر ابن حزم عن أيوب بن أبى يزيد صاحب الحمار: أنهما لأب واحد على ما حدثه عنه يوسف الوراق. وقال سالم بن سليم المطماطى وصابى بن مسرور الكومى وكهلان بن أبى لوا، وهم نسابة البربر :إن البرانس بتر، وهم من نسل (مازيغ بن كنعان). والبتر بنو بر بن قيس بن عيلان، وربما نقل ذلك عن أيوب بن أبى يزيد، إلا أن رواية ابن حزم أصح لأنه أوثق . وقال أبومحمد بن حزم: يقال إن (صنهاج) و(لمط) إنما هما إبنا امرأة يقال لها (بصكى) ولا يعرف لهما أب، تزوجها (أوريغ) فولدت له (هوار) فلا يعرف لهما أكثر من أنهما أخوان لـ (هوار) من أمه . قال: وزعم قوم من (أوريغ) أنه ابن خبوز بن المثنى بن السكاسك من (كندة) وذلك باطل. وقال الكلبي: إن (كتامة) و(صنهاجة) ليستا من قبائل البربر، وإنما هما من شعوب اليمانية تركهما أفريقش بن صيفي بأفريقية مع من نزل بها من الحامية. هذه جماع مذاهب أهل التحقيق في شأنهم. وفصّل ابن خلدون ما سبق بقوله: وأما إلى من يرجع

نسبهم من الأمم الماضية فقد اختلف النسابون في ذلك اختلافاً كثيراً، وبحثوا فيه طويلا. فقال بعضهم: إنهم من ولد إبراهيم عليه السلام من نقشان إبنه، وقد تقدم ذكره عند ذكر إبراهيم عليه السلام. وقال آخرون: البربر يمنيون وقالوا أوزاع من اليمن. وقال المسعودى: من غسان وغيرهم، تفرقوا عندما كان من سيل العرم. وقيل: تخلفهم أبرهة ذو المنار بالمغرب وقيل من لخم وجذام كانت منازلهم بفلسطين، وأخرجهم منها بعض ملوك فارس . فلما وصلوا إلى مصر منعتهم ملوك مصر النزول، فعبروا النيل، وانتشروا في البلاد. وقال أبو عمر بن عبد البر: ادعت طوائف من البربر أنهم من ولد النعمان بن حمير بن سبأ. قال: ورأيت في كتاب الأسفنداد الحكيم: أن النعمان بن حمير بن سبأ كان ملك زمانه في الفترة، وأنه استدعى أبناءه وقال لهم: أريد أن أبعث منكم للمغرب من يعمره، فراجعوه في ذلك، وزعم عليهم، وأنه بعث منهم لمت أبا لمتونة ومسفو أبا مسوقة ومرطا أبا هسكورة وأصناك أبا صنهاجة ولمط أبا لمطة وإيلان أبا هيلانه، فنزل بعضهم بجبل درن، وبعضهم بالسوس وبعضهم بدرعه. ونزل لمط عند كزول وتزوج إبنته، ونزل جانا وهو أبو زناتة بوادى شلف، ونزل بنو ورتجين ومغراو بأطراف أفريقية من جهة المغرب، ونزل مقرونك بمقربة من طنجة. والحكاية أنكرها أبو عمروبن عبد البر وأبومحمد بن حزم. وقال آخرون: إنهم كلهم من قوم جالوت. وقال على بن عبد العزيز الجرجانى النسابة في كتاب الأنساب له: لا أعلم قولا يؤدى إلى الصحة إلا قول من قال إنهم من ولد جالوت. ولم ينسب جالوت ممن هو، وعند ابن قتيبة أنه: ونور بن هربيل بن حديلان بن جالود بن رديلان بن حطى بن زياد بن زحيك بن مادغيس الأبتر. ونقل عنه أيضاً أنه جالوت بن هريال بن جالود بن دنيال بن قحطان بن فارس. قال: وفارس مشهور وسفك أبو البربر كلهم. قالوا: والبربر قبائل كثيرة وشعوب جمة، وهي (هوارة) و(زناتة) و(ضرية) و(مغيلة) و(زيحوحة) و(نفزة) و(كتامة) و(لواتة) و(غمارة) و(مصمودة) و(صدينه) و(يزدران) و(دنجين) و(صنهاجة) و(مجكسة) و(واركلان) وغيرهم.وذكر آخرون منهم الطبرى ، وغيره: أن البربر أخلاط من كنعان والعماليق. فلما قتل جالوت تفرقوا في البلاد وأغزى أفريقش المغرب ونقلهم من سواحل الشام وأسكنهم أفريقية وسماهم بربر. وقيل: إن البربر من ولد حام بن نوح بن بربر بن تملا بن مازيغ بن كنعان بن حام. وقال الصولي: هم من ولد بربر من كسلاجيم بن مسراييم بن حام. وقيل من العمالقة من بربر بن تملا بن مارب بن قاران بن عمر بن عملاق بن لاود بن إرم بن سام، وعلى هذا القول فهم عمالقة. وقال مالك بن المرحل: البربر قبائل شتى من حمير ومضر والقبط والعمالقة وكنعان وقريش تلاقوا بالشام ولغطوا فسماهم أفريقش البربر لكثرة كلامهم . وسبب خروجهم عند المسعودى والطبرى والسهيلى: أن أفريقش استجاشهم لفتح أفريقية وسماهم البربر وينشدون من شعره: بربرت كنعان لما سقتها من أراضي الضنك للعيش الخصيب، وقال ابن الكلبي: اختلف الناس

أكثرهم. وبلغ أفريقية، واستأصل أكثرها، وخرج منهـا، وكـان لا يمـر بأمـة إلا

فيمن أخرج البربر من الشام، فقيل داود بالوحى قيل: يا داود أخرج البربر من الشآم فانهم جذام الأرض. وقيل يوشع بن نون وقيل أفريقش وقيل بعض الملوك التبابعة. وعند البكرى: أن بنى إسرائيل أخرجوهم عند قتل جالوت. وللمسعودى والبكرى أنهم فروا بعد موت جالوت إلى المغرب، وأرادوا مصر فأجلتهم القبط، فسكنوا برقة وأفريقية والغرب على حرب الأفرنج والأفارقة وأجازوهم على صقلية وسردانية وميورقة والأندلس. ثم اصطلحوا على أن المدن للأفرنجة. وسكنوا القفار عصوراً في الخيام وانتجاع الأمصار من الإسكندرية إلى البحر، وإلى طنجة والسوس حتى جاء الإسلام. وكان منهم من تهود ومن تنصر وآخرون مجوساً يعبدون الشمس والقمر والأصنام، ولهم ملوك ورؤساء. وكان بينهم وبين المسلمين حروب مذكورة. وقال الصولى البكرى: أن الشيطان نزغ بين بنى حام وبنى سام، فانجلى بنو حام إلى المغرب ونسلوا به. وقال أيضاً إن حام لما أسود بدعوة أبيه فر إلى الغرب حياء واتبعه بنوه وهلك عن أربعمائة سنة. وكان من ولده بربر بن كسلاجيم فنسل بنوه بالغرب. قال: وانضاف إلى البربر حيان من المغرب يمنيان عند خروجهم من مأرب كتامة وصنهاجة. قال: وهوارة ولطة ولواتة بنو حمير بن سبأ؛ وقال هانيء بن بكور الضريسى وسابق بن سليمان المطماطى وكهلان بن أبى لؤى وأيوب بن أبى يزيد وغيرهم من نسابة البربر: أن البربر فرقتان كما قدمناه وهما: البرانس والبتر. فالبتر من ولد بر بن قيس بن عيلان. والبرانس بنو بربر سحو بن أبزج بن جمواح بن ويل بن شراط بن ناح بن دويم بن داح بن ماريغ بن كنعان بن حام وهذا هو الذي يعتمده نسابة البربر، وقد لخص السلاوى المغربي آراء من سبقه في أصل البربر قائلا: إن النسابين من العرب زعموا أن صنهاجة وكتامة من حمير خلفهم الملك إفريقيش بالمغرب فاستحالت لغتهم إلى البربرية والتحقيق خلاف ذلك وأنهم من كنعان بن حام كسائر البربر وتحت صنهاجة قبائل كثيرة تنتهي إلى السبعين منهم لتونة وكدالة ومسوقة ومسراته ومداسة وبنو وارث وبنو دحير وبنو زياد وبنو موسى وبنو قشتال وغير ذلك وتحت هذه القبائل بطون وأفخاذ تفوت الحصر، وكانت لهم بالمغرب دولتان عظيمتان إحداهما دولة بني زيرى بن مناد الصنهاجيين بإفريقية ورثوا ملكها من يد الشيعة العبيديين والأخرى دولة اللثمين بالمغرب الأقصى والأوسط والأندلس؛ وموطن هؤلاء اللثمين أرض الصحراء والرمال الجنوبية فيما بين بلاد البربر وبلاد السودان ومساحة أرضهم نحو سبعة أشهر طولا في أربعة عرضا وفيهم قوما لا يعرفون حرثا ولا زرعا ولا فاكهة وإنما أموالهم الأنعام وعيشهم اللحم واللبن يقيم أحدهم عمره لا يأكل خبزا إلا أن يمر ببلادهم التجار فيتحفونهم بالخبز والدقيق وإنما قيل لهم اللثمون لأنهم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم أصلا.

انظر كتاب: (الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى)، جـ ١، ص ٥.

أبادها إلى أن غزا من ناحية الأندلس، يريد الإفرنجة. وكان بها ملك عظيم يقال له أفريوس، فحشد إليه من كل النواحى، فأقام يحاربه شهراً ثم طلب صلحه، وأهدى إليه هدايا كثيرة، فقبل ذلك منه وسار عنه ودعا الأمم المتصلة بالبحر الأخضر فأطاعوه، ومر بأمة لها حوافر ولهم قرون صغار، ولهم شعور كشعور الذئبة، ولهم أنياب دلف بارزة من أفواههم، فقاتلوهم قتالاً شديداً حتى أثخنهم، فنفروا عنه إلى غيران لهم مظلمة، فلم يمكن لهم دخولها عليهم. والقبط تزعم أنه رأى سبعين أعجوبة سنذكر منها بعد هذا، وعمل على البحر أعلاماً وزبر عليها اسمه، وخرب مدن البربر حيث كانت، وألجأهم إلى قرون الجبال، ورجع فتلقاه أهل مصر بصنوف اللهو والطيب والرياحين، وفرشوا له الطرق، ودخل قصره موفوراً ظاهراً، وأخرج إليه ابنه، وكان ولد له من بعده فسر به وابتهج وكمل فرحه، واتصل خبره بالملوك فهابوه، وحملوا إليه الهدايا من كل جهة. وبلغه أن قوماً من البربر والسحرة لهم تماثيل وبخورات عجيبة يضلون بها، وتخاييل وهم في مدينة لهم يقال لها قرمودة في المغرب من أرض مصر، وقد ملكوا عليهم امرأة منهم ساحرة يقال لها سطا. واتصل به كثرة أذاهم للناس، فعزاهم حتى إذا قرب منهم ستروا عنهم مدينتهم وسحروه، فلم يرها وطمسوا مياههم، فلم يعرفها، فهلك كثير من أصحابه عطشاً، فلم يجد لهم حيلة في الوصول إليهم، فزال عنهم ثم صعد إلى ناحية الجنوب. ثم رجع إليهم على غير الطريق الذي سار إليهم عليها أولاً، فمر بهم بهيكل كانوا يحضرونه في بعض أعيادهم، فأمر بهدمه فهدم بعضه، وسقط منه موضع على جماعة من أصحابه ممن تولى هدمه فأهلكهم، فلما رأى ذلك تركهم وانصرف عنهم، وخرجوا إلى هيكلهم فبنوه وأصلحوا ما فسد منه وحرسوه بطلسمات محكمة، ونصبوا في قبته صنماً من نحاس مذهب. وكان إذا قصدهم أحد صاح الصنم صياحاً عظيماً منكراً يرعب منه كل ذى روح ويبهت، فيخرجون إليه فيصطلمونه. وكانت ملكتهم أحذق منهم بالسحر فقالوا لها نعمل الحيلة في إفساد مصر وإيذاء أهلها ؟ فقالت لهم نعم، فقالوا أنت أقدر منا، فاعملى فيها

ما رأيته. فعملت لهم أدوية سحرت فيها النيل ودفعتها إلى بعضهم، وأمرتهم أن يمضوا بها إلى مصر، والزرع في حقله على أن تؤخذ فيطرحون منها في النيل في أعلى مصر، ويغرق بعضهم على أقطار مصر، وحيث زروعهم الكثيرة، فيفرقونها في كل جهة، قليل غبار في كل جهة. فلما فعلوا ذلك فاض النيل في غير وقته وزاد على المعهود، وأقام الماء طويلا على مزارعهم، وأفسد زروعهم وغلاتهم، وكثر فيه التماسيح والضفادع وكثرت العلل في الناس وانبثت فيهم الثعابين والعقارب .

فأحضر الملك الكهنة والحكماء، وقال لهم أخبرونى عن هذه الحوادث التي حدثت في بلادنا، ولم تذكروه في الطالع الذي وضعتموه لهذه السنة، فكنا نتأهب لها. فاجتمعوا في دار الكهنة، ونظروا وبحثوا حتى علموا أنهم أوتوا من قبل ناحية المغرب، وأن امرأة عملته وألقته في النيل، وفرقته على الجهات. فعلم الملك أنه من قبل تلك الساحرة، فقال لهم أجهدوا أنفسكم في هلاكها فقد بلغت فيكم من أيذائها. فاجتمعوا إلى الهيكل الذي فيه صور الكواكب وسألوه أن يحضر معهم فلم يمكنه الخلاف، فلما أمسى لبس مسحاً، وفرش رماداً، واستقبل مصلاه، وأقبل على الدعاء والابتهال والتضرع إلى الله تعالى، وقال: يا رب أنت إله الآلهة وملك الملوك، وخالق الكل، ولا يكون شيء مما دق وجل إلا بأمرك وحولك، أسألك بجميع فضائلك وآياتك وأسمائك أن تكفينا أمر هؤلاء القوم.

فلم يزل كذلك حتى غلبته سنة من النوم، فنام مكانه فرأى كأن آتيا أتاه، فقال له قد رحم الله تضرعك، وعلم ضميرك وأجاب دعوتك، وهو مهلك هؤلاء القوم ومدمرهم وصارف عنك الماء المفسد والدواب المضرة، والأمراض المهلكة. فلما أصبح الكهنة غدوا عليه وسألوه حضور هيكلهم على ما وجههم به. فقال لهم قد كفيتم أمر عدوكم، وأزيل الماء المفسد والدواب المضرة عنكم، ولن تروا بعدها شيئاً تكرهونه، فسكتوا ونظر بعضهم إلى بعض كالمنكرين لما سمعوه، ثم قالوا له قد سررنا بما ذكره الملك دام عمره، وهم يضمرون التكذيب والاستهزاء. وخرجوا

عنه فقال بعضهم لبعض الرأى أن لا تقولوا شيئا في هذا، فإن كان حقاً ظهر سريعاً، وإن كان باطلاً اتسع لكم اللفظ في ذمه، وسيتبين أمره. فلما كان بعد يومين انكشف ذلك الماء المفسد، وجففته الشمس، وهلكت تلك الدواب المضرة فعلم القوم صدق ما أخبرهم به .

وأمر الملك قائداً من قواده ورجلاً من الكهنة أن يمضوا بجيش حتى يعلموا علم تلك المدينة، فخرجوا إليها فأتوها، فلم يروا مكروهاً ولا وجدوا مانعاً .

فلما وصلوا إليها وجدوا حصنها قد سقط، وأهلها عن آخرهم موتى، واحترق بعضهم، وأسودت وجوههم، ووجدوا بعض الأصنام ساقطة على وجوهها، وأموالهم ظاهرة بين أيديهم. فطافوا المدينة وفتشوها فلم يجدوا فيها غير رجل واحد حياً، كان مخالفاً لدينهم بسبب رؤيا رآها، ووجدوا من الأموال والجواهر وأصناف الذهب والتماثيل ما لا يحصى كثرة، ولا يعرف له قيمة. ووجدوا صورة كاهن لهم كانوا يتعبدونها، وهي من زبرجد أخضر على قائمة من حجر البسد، ووجدوا صورة روحاني من ذهب ورأسه من جوهر أحمر وله جناحان من در، وفي يديه مصحف فيه كثير من علوم مصر في دفتين من ذهب مرصعتين بذهب ملون. ووجدوا مطهرة من ياقوت أزرق على قاعدة من زجاج أخضر مسبوك، وفيها فضلة من الماء الدافع للأسقام .

ووجدوا فرساً من فضة من عزم عليه بعزائمه ودخنه بدخنه وركبه طار به فيما زعموا. ووجدوا غير ذلك من العجائب والآلات التي يستعملها السحرة[١٩١] والأصنام التي يتخذونها، فجمعوا من ذلك ما خف حمله وثقل ثمنه، وأوقروا به دوابهم من جميع العجائب والتماثيل وغرائب ما كان فيها من الأشكال، وحملوا جميعه إلى الملك، وحمل الرجل الذي وجد حياً، ووصلوا بذلك كله إلى الملك، فابتهج بذلك وحمد الله تعالى على ما أولاه، وسر الناس. وبهت منه كهنة مصر، ولم يعرفوا أصله، فوجه الملك دواباً وعسكراً ونهض معهم من شاء

[١٩١](الآت السحر) أي (الآلات الميكانيكية والإلكترونية) .

من العامة بـ أشمون ومصر، فنقلوا جميع ما كان تبقى في المدينة من شيء له خطر، فصار بأيدى الناس منه شيء كثير، واستغنى فيها كثير من مساكين العامة وسوقتهم وسيق منه إلى الملك شيء كثير جداً .

وصار الموضع بعد ذلك زماناً طويلاً مطلباً لمن أمكنه المسير إليه، وقل من مشى إليه ورجع خائباً. واستحضر الملك ذلك الرجل الذي وجد حيا فاستخبره عن أحاديثهم، فحدثه بأشياء معجبة، ثم قال: وأعجب ما رأيت منهم أنه قصد المدينة منذ دهر ملك من ملوك البربر جبار من أهل بيت تجبر، فجاء بجموع كثيرة وجيوش كثيفة وتخاييل هائلة فأغلق أهل مدينتنا حصنهم، ورتبوا المراهقين على أسوارها ولجأوا إلى أصنامهم وشيوخهم وكهنتهم يخضعون لها ويتضرعون إليها .

وكان لهم كاهن عظيم الشأن لا يكاد أن يخرج من منزله، فسار إليه رؤساؤهم، وشكوا إليه ما دهاهم من عدوهم، فخرج معهم إلى بركة لهم عظيمة بعيدة القعر، كانوا يشربون منها الماء، فجلس على حافتها، وأحاط الكهنة بها، وأقبل يزمزم على ماء البركة، فلم يزل كذلك حتى فاض الماء وفار، وخرج من وسطه نار تتأجج وخرج من وسطها وجه كدائرة الشمس وعلى ضوئها فخرت الجماعة سجوداً لذلك الوجه وجللهم نوره، وجعل يعزم حتى ملأ البركة وارتفع حتى صعد على أعلى القبة ثم ارتفع إلى السماء فسمعوه يقول قد كفيناكم أمر عدوكم، فاخرجوا فخذوا أموالهم. فخرجنا بأجمعنا متخوفين حتى وصلنا مضربهم، فوجدناهم أمواتاً لم يبق منهم حى، فأخذنا جميع ما تركوه من مال وثياب ودواب، وآلة وانصرف أهل المدينة إلى مدينتهم فرحين، وكانوا يأكلون ويشربون، فقلت لبعض الكهنة لقد رأيت عجباً من ذلك الوجه فما هو ؟ قال ملك الشمس تبدت فماتوا عن آخرهم كما رأيت، قال له الملك فما الذي أهلكهم الأن ؟ قال لا أدرى، غير أنى أفقت من نومى في الليل فسمعت هدة عظيمة إذ تهدم الحصن فأردت الخروج ولاعلم لى بذلك فإذا بأصوات أنكرتها وضوء نار وروائح حريق، وكنت ساكناً في موضع كالخان فيه خلق كثير، فصحت بكثير

منهم فلم يستجب لى أحد، فسرت أفتقد باب المنزل فوجدته مغلقا فدخلت بيتى وأوقدت سراجاً بنار كانت عندى، ثم مشيت على جميع من في الدار رجالاً ونساء صغاراً وكباراً، فلم أجد أحداً منهم حياً فأقمت في نهاية من الرعب أبتهل إلى الله عز وجل وأدعو، فلما أصبحت أقمت حتى طلعت الشمس و[بدا] النهار، فلم أسمع صوتاً ولا حركة، فخرجت فوجدت المدينة على ما وجدها أصحاب الملك. وكان هذا الرجل عاقلاً مجرباً فاتخذه الملك صاحباً ووزيراً وأنيساً، ولم يزل مماليك الملك على التوحيد لله تعالى والايمان به، وهو يسايس أهل بلاده ويداريهم عما في نفسه خوفاً من اضطراب ملكه عليه. وأمر فبنى له ناووس، وأمر أن يدفن فيه إذا مات وحده ولا يدفن معه أحد من أهله، وأمر أن لا يدفن معه ذهب ولا فضة ولا تمثال، وكتب بخطه صحيفة " هذا ناووس مماليك الملك، ملك مصر وأعمالها، مات وهو يؤمن بالله لا يعبد معه غيره، ومتبرئ من الأصنام وعبادتها، ومؤمن بالبعث والحساب والمجازاة على الأعمال عاش بكذا وكذا، فمن أحب النجاة من عباد الله، فليدن بما دان به "، وقد كان دفن بموضع آخر كنوزاً كثيرة وزبر عليها أنه لا يخرجها إلا أمة النبي المبعوث في آخر الزمان يعنى محمداً [عليه الصلاة والسلام] ودفع الصحيفة التي كتبه إلى الأمر بعده وأمره بسترها والاحتفاظ بها فإذا هو مات زبر ما فيها على ناووسه. وكان طول حياته يقصد ناووسه[192] يتعبد فيه مستتراً عن جميع العالم ولما أيقن بالموت دعا ابنه فأسر إليه التوحيد وأعلمه أنه دينه، ولم ير منه إلا الخير وأمره أن يدين به ونهاه عن عبادة الأصنام، فدان بذلك مدة حياة أبيه، ومات فدفنه ابنه في ناووسه وزبر عليه ما في الصحيفة.

---

[192] المقصود هنا بالناووس أي (هرم)، ويبدو أن الملك مماليك (بينو ترح) كان له هرم دُفن فيه عند مماته!

ذكر الملك أخريتا

فلما فرغ من أمره جلس على سرير الملك ابنه أخريتا[١٩٣] الملك، وتقلد الأمر وكان ليناً سهلاً حسن الخلق فلما مات أبوه رجع عما كان عليه من التوحيد وصار على دينهم. وكان سبب رجوعه إلى عبادة الأصنام أن أمه كانت بنت كبير من الكهان ففتنته بعد موت أبيه إلى دينها وغلبته على رأيها، فأمرت بتجديد الهياكل وشددت في عبادة الأصنام. وتزوج الملك امرأة من بني عمه، فأحبها حباً شديداً فهام بها فأفسدته على جميع نسائه، فاشتد ذلك على أمه، وكانت له قهرمانة من أهل أسيوط ساحرة لا تطاق، وكانت تميل إلى هذه المرأة لأنها كانت تعشق أخاها، فزادت في سحرها لتلك المرأة وأوحشت ما بين الملك وأمه حتى رفضها واستخف بها، وزادت في القصة حتى حلف أنه لا يجاورها، وأن يغزو ويتصرف ولا يرجع إلى مصر حتى يتصل به [خبر] موتها، ففعل ذلك وغزا بلاد الهند وأرض السودان، وكان سبب خروجه إلى أرض الهند [أن] ملكاً من ملوكها يقال له ميسور خرج في عدد كثير في البر وسايرته مراكبه في البحر ففتح بلداناً وجزائر، وأكثر القتل والسبي، وذكرت له مصر فقصدها ثم اعتل فرجع من طريقه.

فأمر أخريتا الملك فعمل مائة سفينة في صور المصرية، واستعد وخرج في ثلاثمائة سفينة وحمل المرأة معه، وحمل وجوه أصحابه .واستخلف على مصر

---

[١٩٣] وفي معجم لسان العرب مادة (خريت): قال ابن سيده: فإذا كان ذلك ، فهي من "خ ر ي" أو من "خ ر و" . والخِرِّيت الدليلُ الحاذقُ بالدلالة ، كأنه ينظر في خُرْتِ الأبْرة ؛خِرِّيتاً الخِرِّيتُ: الماهر الذي يَهْتَدي لأخْراتِ المَفاوِزِ ، وهي طُرُقُها الخفية ومَضايقُها ؛ وقيل: أراد أنه يَهْتَدي في مثل ثُقْبِ الأبرة من الطريق . ويبدو أن هذا الملك كان معنى اسمه " الدليل " ! . ويذكر د .على فهمى خشيم في كتابه (آلهة مصر العربية ص)٢٢٠ : " سمرخت: ربما تعنى "سمير البدن" "، وهذا الملك (سمر خت) جاء بعد "عنجاب " (مماليك أو ماليق) ! . وسمرخت هي نفسها "سمر خ ءت " = " سمر خرت " (على اعتبار الـ ء = ر)، " "س م ر S m r" المصرية مكونة من: سين التعدية + (م ر) بمعنى المحبوب "، وخرت = الدليل أو المرشد فيكون معنى سمرخت الدليل (أو المرشد) المحبوب.

ابنه كلكلن، وكان صبياً، وحمل معه وزيراً يقال له لاون، وكان كاهناً يقال له وسموس، وخرج فمر على ساحل البحر وعاثت مراكبه فيها، فكان لا يدخل بلداً إلا أقام فيها صنماً وزبر عليه اسمه وسيرته ووقته. وبلغ سرنديب فأوقع بأهلها، وغنم منها أموالاً وجواهر كثيرة وحمل منها حكيماً لهم بارعاً، وبلغ جزيرة بين الهند والصين ووجد فيها قوماً طوالاً سمراً يجرون شعورهم، ورأى عندهم اللعاب والطيور التي لا تعرف وشجرة الطيب والنارجيل والفواكه التي لا تكون إلا عندهم، فأذعنوا إليه بالطاعة وحملوا إليه أموالاً وهدايا فقبلها وسار عنهم، وجعل ينتقل في تلك الجزائر عدة سنين، يقال إنه غاب عن مصر في سفره سبع عشرة سنة، ورجع إلى مصر غانماً موقوراً فوجد أمه قد هلكت، وكان أهل مصر قد أيسوا منه، فورد على الناس من رجوعه أمر عظيم من الفرح، وكان معهم على حالهم من السلامة والوقور والظهور. ووجد ابنه كلكلن على ما تركه من الملك فسر بذلك وهابته الملوك، وعظم قدره في أعين الناس، ثم بنى عدة هياكل وزينها وحلاها، وأقام فيها أصناماً للكواكب ، لأنه زعم أنها هي التي أيدته في سفره حتى ظفر وغنم ونجا، وقد كان حمل معه من الهند طبيباً وحكيماً، وحملا مع أنفسهما كتبهما وعزائمهما، فأظهرا بـ مصر عجائب مشهورة. وحمل من بلاد الهند صنماً من ذهب مقرطاً بالجوهر، ونصبه في بعض الهياكل التي أقامها، وكان حكيم الهند هو الذي يقوم عليه ويخدمه ويقرب له، فكان يخبرهم بكل ما يريدونه. وأن أخريتا الملك أقام بعد منصرفه من الهند مدة ، ثم غزا نواحي الشام فأدى إليه أهلها الطاعة، ثم رجع إلى مصر وغزا نواحي النوبة والسودان فصالحوه على هياكلهم بأتاوة أدوها إليه فتركهم ورجع إلى مصر. وملكهم خمسا وسبعين سنة، وعمل لنفسه في صحراء الغرب ناووساً، وأمر أن يدفن فيه إذا مات، ثم سار إلى رقودة وعمل فيها مصانع وعجائب ، وأقام بها إلى أن مات، وابنه على الملكة بـ منف. ولما مات ضمد جسمه بالمومياء والكافور والمر وجعل في تابوت من ذهب وحمل إلى ناووسه ودفن فيه ودفن معه مال كثير وجوهر نفيس وتماثيل كثيرة وسلاح عجيبة وعقاقير وكتب

خطية. وصورت في جوانب الناووس صورته وزبر عليها ذكر السنين التي غزا فيها والبلدان التي فتحها، والمرأة التي غلبها، وسدوا باب الناووس، وزبروا اسمه ومدته عليه وتاريخ موته. وكان جميلاً سمح الأخلاق، وقتل جماعة من نسائه أنفسهن عليه واغتم عليه الكهنة لاتباعه دينهم.

ذكر كلكلن الملك

وملك بعده ابنه كلكلن الملك فعقد تاج الملك بعد موت أبيه بالإسكندرية وأقام بها شهرين، ورجع إلى منف، وكان على دين أبيه فاستبشر به أهل مصر لأنه كان يحب الكهنة وإظهار العجائب ويقرب أهلها ويكثر جوائزهم، ولم يزل يعمل طول عمره فخزّن أموالا عظيمة، ودفن منها بصحراء الغرب ما لا يوصف كثرة، وهو أول من أظهر صناعة الكيمياء بـ مصر، وكانت مكتومة وكان يطرح المثقال الواحد على القناطير من النحاس الكثيرة، فيصنعها بإذن الله تعالى ذهباً، وكان الملوك قبله رأوا كتم عملها لئلا يجتمع عليها ملوك الأمم، فترك كلكلن ذلك الرأى وعمل الكيمياء وملأ دور الحكمة منها حتى لم يكن الذهب قط أكثر منه في أيامه، ولا الخراج لأنه بلغ وقته فيما حكاه بعض القبط مائة ألف ألف وسبعة عشر ألف ألف، واستغنوا في وقته عن إثارة المعادن لقلة حاجتهم إليها، وعمل أيضاً من الحجارة المسبوكة الصنم الملون الذي ينشف شيئاً كثيراً وعمل أيضاً حجارة شفافة ملونة من الفيروزج واليشم[194] والزبرجد وغيرها .

وتحكى القبط أنه اخترع أشياء تخرج عن العقل حتى سمته الحكماء حكيم الملوك، وغلب جميع الكهنة في علمهم وكان يخبرهم بما يغيب عنهم فخافوه واحتاجوا إلى علمه .

---

[194] ويقال (اليشب) Jaspe يجلب من بلاد الترك، ولا يوصل إلى معدنه، وإنما السيل يخرجه، ويستعمله الترك والصينيون في الحلى والسيوف والسروج وأصل اليشب (لغة) باسيباس، وهي محرفة عن (ياسبيس)، وهو اليشب، وقيل فيه (اليشم) وفي اليونانية Iaspis ويماثل لون هذا الحجر لون الزبرجد الأخضر، يكثر عند جزيرة قبرص، وينفع لعلاج الصرع.

وكان نمرود إبراهيم في زمانه، ويقال إنه لما اتصل بـ النمرود وحكمته وسحره استزاره، وكان النمرود جباراً مشوه الخلق سكن سواد العراق، وكان الله آتاه قوة وبطشاً، فغلب على كثير من الأمم، فتقول القبط لما يريدون من تعظيم ملوكهم أن كلكلن لما استزاره النمرود وجه إليه أن يلقاه منفرداً من أهله وحشمه لموقع كذا.

فأقبل كلكلن للوعد وهو على أربعة أفراس، ذوات أجنحة تحمله[١٩٥]، وقد أحاط به نور كالنار وحوله صنوف هائلة من التماثيل صور بها وهو متوشح بـ تنين متحزم ببعضه قد فغر فاه وبيده قضيب من آس أخضر فكلما رفع التنين رأسه ضربه بالقضيب فأماله. فلما رأه النمرود هاله أمره فخاطبه معظماً له معترفاً بجليل حكمه، وسأله أن يكون له صاحباً وظهيراً، فأسعف رغبة النمرود في ذلك ثم افترقا. وتقول القبط إن كلكلن كان يرتفع ويجلس على رأس الهرم، ويقولون أيضاً إنه أقام على رأس الهرم مدة في قبة تلوح على رأسه حتى طمعت الملوك الذين حوله في ملكه. فقصده ملك من ملوك الغرب يقال له سادوم في جيش عظيم وأقبل من نحو وادى هيت ليكبس أرض مصر. فأقبل كلكلن حتى بلغهم ثم جللهم بشيء من سحره يشبه الغمام شديد الحرارة [١٩٦]، فأقاموا تحته

---

[١٩٥] المقصود بالأفراس الأربعة ذوات الأجنحة هو ما يشبه الطائرة في عصرنا الحديث، أما قوله: و قد أحاط به نور كالنار، فربما كان هذا النور (أو النار) يظهر في مؤخرة الطائرة !

[١٩٦] الغمامة أو السحابة التي صنعها كلكن فوق جيوش (سادوم) وكانت شديدة الحرارة هي نفسها أوصاف الغمامة أو السحابة النووية، أي أن كلكن ألقى فوق جيوش الأعداء بسحره (بعلمه) قنبلة نووية صغيرة أو محدودو انفجرت في الجو وصنعت السحابة النووية التي تشبه عيش الغراب وسقطت على جنود الأعداء فأهلكتهم جميعاً هم ودوابهم وعلى ذلك يكون كلكن حسب ما هو متوفر لنا من معلومات حتى الأن هو أول من صنع القنابل النووية واستخدمها في الحروب، ويكون الفراعنة هم أول من ملك وصنع الأسلحة النووية التكتيكية محدودة النطاق. فإن كانت هذه المعلومات التي سردها مؤرخو العرب من قبيل الخرافات أو الأساطير والمبالغات فكيف يتسنى لهم أن يعلموا تقنية عمل القنبلة النووية، وأنها شيء يلقى في السماء فيحدث سحابة شديدة الحرارة تهلك وتفنى كل من تسقط عليه أو يقع في نطاق هذه السحابة والأشعة الصادرة منها ؟، انظر هشام كمال عبدالحميد: (تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة)، ص ٢٨٧ .

أياماً لا يدرون أين يتوجهون من الحيرة. وسار هو إلى مصر فتيامن الناس به، فعرفهم بما جرى وأمرهم من الخروج إليهم ليعرفوا خبرهم، فخرجوا فوجدوهم قد ماتوا عن آخرهم، فنقلوا جميع ما خلفوه وكان كثيراً جداً . فعجب الناس من ذلك وهابته الملوك هيبة لم يهابوها لأحد قبله، وصوروا صورته في جميع الهياكل، وملكهم زماناً. وبنى في آخر عمره هيكلاً لرجل من صوان أسود في ناحية الغرب، وجعل له عيداً، وبنى في وسطه ناووساً وحمل إليه ما أراد من ذهب وجوهر وحكم وعقاقير، وعرفهم أنه ميت .

ذكر ماليا الملك

وأوصى بالملك إلى أخيه ماليا[١٩٧] الملك وكان شريباً كثير الأكل والشرب منفرداً

---

[١٩٧] نرى أن (ماليا) = (مال) + (يا)، وفي كتابه (رحلة الكلمات الثانية، ص١١١) يذكر د.على فهمى خشيم: (أجد صلة بين العربية (مال) والأنكليزية money ـ بتعاقب اللام والنون، وكلمة moneyالأنكليزية يؤثلها معجم أكسفورد الأشتقاقى إلى اللاتينية moneta وهو اسم معبودة لاتينية صُكت النقود في معبدها بروما أول ما صُكت، وقد نقول إن (مونيتا) هذه تقابل المعبودة العربية (مناة) وهي (مناة الثالثة الأخرى) إلى جانب (اللات والعزى) التي ذكرها القرآن الكريم، فلنراجع، إذن، معجم اللاتينية الأشتقاقى ذاته فإن لديه الخبر اليقين. قال في الصفحة (٤١٢) منه: إن (مونيتا) اسم المعبودة الرومانية ذا الصلة بالنقود أصله mones ـ بمعنى يحسب، يفكر ـ من ناحية وبالفرنسيةmonnaie (مال، نقود) من ناحية أخرى. وهو ذو أرومة كنعانية . هكذا بالنص. والكنعانية لغة عروبية صميمة، ورد في نصوصها المكتشفة في (أوغاريت): (م ن ي)= عدّ، حسب، و: (م ن ت) = العدّ، النصيب، الحصة. ونجدها في السريانية mena بنفس المعنى، وكذلك في العبرانيةmenah (فريحة ؛ ملاحم وأساطير . .. ص٦٧٢). ونقلها اليونان في صورةmena وكانت إحدى وحدات عملتهم على مر الزمان. ونرى أن (مينا) هو نفسه (ماليا) قبل أن يقوم المؤرخ العربي بتعريبه!

وفي كتابه (رحلة الكلمات الثانية، ص ١١٢)، يذكر د .على فهمى خشيم: (وفي معجم لسان العرب، مادة (منن) جاء: المنّ لغة في المَنا الذي يوزن به، وهو رطلان. قال ابن سيده: (المنّ) = كيل أو ميزان. ونحن نعرف أن النقود كانت توزن وزناً في الزمن القديم، وتقدر تقديراً، كما أنها تحسب حساباً وتُعدّ عداً، من هنا نجد في مادة (منن): مَنّ = حسب. وقوله عز وجل :﴿وَإِنَّ لَكَ

بالرفاهية غير ناظر في شيء من أمر الحكمة، وجعل أمر البلد إلى وزير له، فكانت أيامه صالحة لهيبة أخيه كلكلن، وتقدمهم أنه لم يمت، وأنه ذكر لهم موته لينتظر ماتجرى عليه أحوالهم. وكان ماليا معجباً بالملك محبا للنساء ومعاشرتهن فكان له ثمانون امرأة، ثم اتخذ امرأة من بعض ملوك منف، وكانت عاقلة سديدة الرأى فحمته النساء وكان بها معجباً ولها محباً، وكان له بنون وبنات من سائر نسائه، وكان أكبر بنيه يقال له طوطيس، فكان يستجهل أباه ويسترذل سيرته، فأعمل الحيلة في قتله، وحملته على ذلك أمه وجماعة من نسائه وبعض وزرائه، فهجم عليه في رواقه سكران والمرأة معه فقتله وقتل المرأة .

ذكر طوطيس الملك

وتولى الأمر بعد أبيه طوطيس[198] و جلس على سرير الملك، وكان جباراً جريئاً،

لأجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ(٣)﴾[القلم]، جاء في التفسير: غير محسوب)، وعلى ذلك يكون ماليا = مينا = مونيا، ومما يؤكد صحة هذا الاعتقاد أن (منيا) جذرها (منن) ومعناها وكما سبق أن أوضحناه وهي (مال) ثم اضاف إليها الزائدة اللغوية (يا) فأصبح الاسم الجديد (ماليا). واسم هذا الملك في الأصل كان (مونيا) وأضيف له الهمزة فأصبح (أمونيا) وهو نفسه (أمون) بعد حذف (يا) الزائدة اللغوية، ويبدو أن هناك علاقة وثيقة بين هذا الملك والإله (أمون)، فبعد موت الملك (مونيا) قام المصريون بتخليده وقدسوه وأعتبروه من الآلهة !

والاسم الأصلى كما رأيت عربى الأصل والأرومة، والعربي لا يعرّب!

[198] (طوطيس) = (طوط) + (يس)، (يس) زائدة يونانية، ويذكر د .على فهمى خشيم في كتابه آلهة مصر العربية، المجلد الأول، ص ١٨٤ : "...ويقول ابن منظور: طوط: مفرط الطول . وقيل هو الطويل ـ فقط ـ من غير أن يقيد بإفراط . ولعل الحية سميت طوطاً لطولها . " والطوط والطاط: الرجل الشديد الخصومة، وربما وصف به الشجاع ". وهذا من باب تشبيه الرجل الشديد الخصومة بالأفعى . ولا ننسى أن كلمة الشجاع ذاتها تعنى الجسور القدام كما تعنى الأفعوان أو ضرباً من الحيات لعله القصود بالتسمية الطوط أو الطاط كما يسمى الأشجع . والأشجع : ضرب من الحيات ... وهو الشجاع والشجاع بضم الشين وكسرها " . وربما حمل الملك لقب (طوطيس) لطوله المفرط !

شديد البأس مهيباً فدخل عليه الأشراف فهنأوه ودعوا له، فأمرهم بالإقبال على مصالحهم، وترك ما لا يعنيهم ووعدهم بالإحسان. والقبط تزعم أنه أول الفراعنة بمصر، وأنه فرعون إبراهيم عليه السلام، وأن الفراعنة سبعة هو أولهم. وتذاكر الناس ما عمل بأبيه وأنكروه، واستقبحوا صلبه للمرأة، وشعر بذلك فأنزلها ودفنها، واستخف بأمر الهياكل والكهان. وكان من خبر إبراهيم عليه السلام معه أن إبراهيم لما هرب من قومه ومن النمرود وأشفق من المقام بالشام لئلا يلحقه قومه فيردونه إلى النمرود، لأنه كان فر بها من سواد العراق. فخرج إلى مصر ومعه سارة امرأته، وخلف ابن أخيه لوطا بالشام، وسار إلى مصر وكانت سارة أجمل نساء العالم في وقتها، ويقال إن يوسف ورث حواء من حسنها لأنها جدته. فلما دخلا مصر ورأى الحرس المقيمون على باب المدينة حسن سارة، عجبوا منها ورفعوا أمرها إلى الملك طوطيس. وقالوا له دخل رجل من أهل المشرق، ومعه امرأة لم ير الناس أجمل منها وجهاً ولا أكمل حسناً .

فأرسل الملك وزيره فأحضر إبراهيم وسأله عن خبره وبلده فأخبره، فقال له ما هذه المرأة منك ؟ فقال له أختي، فعرف الوزير الملك ذلك فقال له أحب أن أراها، فعرف الوزير إبراهيم بذلك، فاستصعب ذلك، ولم يمكنه مخالفته وعلم

وفي الكتاب نفسه ـ المجلد الأول ـ حاشية رقم (٢٤)، ص ٢٢١، يذكر د .خشيم: "... وأحد ملوك الأسرة الأولى يسمى قاي ـ ع، قاي = عالى الذراع أو طويل الذراع أما ع = يد، ذراع ـ فإننا نذهب إلى أن أصله ع أ والهمزة إبدال من اللام (= ع ل)>، عال، عليّ ـ شأن اليد، وهذا الملك له اسم ثان قرئ سنمو كما قرئ سن بمعنى الرفيق أو الصفي. فإن كانت الأولى فهي تقابل "خ ل م و" عن طريق الأبدال، عربيتها: خِلّم = رفيق، صديق حميم، صفي. وإن كانت الثانية فعربيتها صِنو = رفيق ". وهنا نتذكر قول المسعودى في كتابه "أخبار الزمان "، ص ٢٣٢ : "وقيل إنه لكثرة ما كان حمله طوطيس إلى الحجاز سمته هاجر والعرب الصادق وكذلك يسميه كثير من أهل الأثر "، فهل يكون قاي ـ ع (سنمو = الرفيق أو الصديق) هو نفسه (طوطيس) !

وتجدر الإشارة إلى أن القوائم اليونانية تذكر أن ثاني ملوك الأسرة الأولى ملك يدعى (أتوتيس) فإذا اعتبرنا الهمزة زائدة فيتبقى (توتيس) أو (طوطيس) !

أن الله تعالى لا يسوءه في أهله. فقال لسارة سيرى إلى الملك فقد طلبك ليراك، وهو امرؤ لا يعصى، فقالت وما يصنع بى الملك وهو ما رآنى قبل وانى لفازعة منه ؟ قال أرجو أن تكونى بخير .

فقامت معه حتى دخلا على الملك في قصره، فلما رآها الملك نظر منها إلى منظر راعه وأفتنه، فأمر بإخراج إبراهيم عليه السلام، فخرج وندم على قوله إنها أخته، وهو إنما أراد أخته في الدين. ووقع في قلب إبراهيم عليه السلام ما يقع في قلب الرجل إذا غلب على أهله، وتمنى أنه لم يدخل مصر، وقال: اللهم لا تفضح إبراهيم في أهله. فكشف الله له ما وراء الحيطان حتى صار ذلك كله كالزجاج الرقيق الصافى، فرأى الملك ورآها. فراودها الملك عن نفسها فامتنعت عليه فذهب ليمد يده إليها، فقالت له إنك إن وضعت يدك على أهلكت نفسك لأن لى رباً يمنعني منك، فلم يلتفت إلى قولها ومد يده إليها فجفت يده دونها، وبقى حائراً . فقال لها زولى عنى ما أصابنى، فقالت له لا أقدر على ذلك إلا أن يشاء ربى، فإن ضمنت أن لا تعاود دعوته فعسى أن يزيل ما نزل بك. فقال لها لست أعود إلى ما فعلت، فدعت الله تعالى فأذهب ماكان به. فلما وثق بالصحة راودها ومناها، فامتنعت عليه، وقالت له قد عرفت ما جرى لك. ثم مد يده إليها فجفت واضطربت عليه أعضاؤه، فاستغاث بها وأقسم بآلهته أنها إن أزالت عنه ما به لا يعاودها. فدعت الله تعالى، فزال ذلك عنه فرجع إلى حاله، وقال لها إن لك رباً عظيماً، وليس مضيعك وأعظم قدرها، وسألها عن إبراهيم عليه السلام، فقالت هو زوجى وقريبى. قال فإنه ذكر أنك أخته، قالت صدق أنا أخته في الدين، وكل من على ديننا فهو أخ لنا، فقال نعم الدين دينكم .

ذكر حوريا بنت طوطيس الملك

فوجهها إلى ابنته حوريا[١٩٩]، وكانت من العقل والكمال بمكان كبير، فألقى

---

[١٩٩](نفرت) تقابل (الحوريّة) في العربية، انظر د .على فهمى خشيم: (آلهة مصر العربية، المجلد الثانى، ص ٥٣١). ونرى أن المؤرخين العرب عندما ترجموا أوراق البردى القديمة

الله محبة سارة في قلبها فأكرمتها وعظمتها، وأضافتها فأحسنت ضيافتها، ووهبت لها مالاً وجواهر، فأتت به إبراهيم عليه السلام فقال رديه فلا حاجة لنا به فردته فذكرت ذلك حوريا لأبيها، فعجب منها، وقال إن هؤلاء لقوم كرام وبنية طاهرة .

فتحيلت في برها بكل حيلة، فلم تقبل منها شيئاً، فوهبت لها جارية قبطية من أحسن الجوارى، وعزمت عليها في قبولها فقبلتها، وهي هاجر[200] أم إسماعيل عليه السلام، فلما أراد إبراهيم عليه السلام السفر من مصر عملت ابنة الملك حلوى كثيرة وأشياء من السكر والخبز، وأشياء كثيرة من الطعام، وملأت منها سلالاً ودكت تحت الحلوى في كل سلة جوهراً نفيساً كثيراً، وحلياً مصوغاً عجيباً، فلما جاءتها سارة مودعة لها دفعت إليها تلك السلال .

وقالت يكون هذا معك تتزودين به، قالت حتى أشاور صاحبي فشاورته. فقال إذا كان مأكولاً فخذيه، فقبلت ذلك منها وودعتها وانصرفت إلى إبراهيم عليه السلام. فخرج هو وسارة وهاجر معه، فلما أمعنوا في السير أخرجت سارة

(مصاحف القبط) ترجموا لفظ (نفرت) ـ الاسم الأصلى لابنة الملك طوطيس ـ إلى (حوريا) على إعتبار أنه يساويه في المعنى !

[200] يحاول كاتبو التوراة التقليل من قدر هاجر وذلك بتكرار وصفهم لها بالجارية!!

وهي ـ وإن كانت قد أهديت لسارة كجارية لها ـ إلا أنها في حقيقتها أميرة من أميرات إحدى مقاطعات مصر، هزم ملك مصر قومها وسباها، وقال الطبرى إن عمرو بن العاص لما فتح مصر أخبرهم بوصية النبي صلى الله عليه وسلم بهم، فقالا: هذا نسب لا يحفظ حقه إلا نبى لأنه نسب بعيد، وقالوا له: إن هاجر كانت امرأة للملك من ملوكنا، ووقعت بيننا وبين أهل عين شمس حروب انتصروا فيها فقتلوا الملك وسبوها ومن هنا تسيرت إلى أبيكم إبراهيم. وبالتالى فهي ليست جارية بالمعنى الصحيح بل أميرة تم أسرها ولها من شرف المحتد وعراقة الأصل. ثم كان لها الشرف أن تصبح زوجة لنبى الله إبراهيم عليه السلام وأماً لإسماعيل عليه السلام وأماً للعرب أجمعين، وهاجر تعنى الأجير، الجارية، الخادم، لأن الهاء في لهجة المصريين الكنعانيين في غرب (غامد) كانت للتعريف، بينما لا وجود لأداة التعريف هذه في اللهجة الكلدانية الأرامية التي هي سريانية شرقية.

بعض تلك السلال ليأكلوا منها، فلما أدخلت يدها وجدت الجوهر، فلما فتشت سائر السلال وجدتها كذلك، فأخرجت جميعه وعرفت إبراهيم عليه السلام بذلك، وعرضت عليه فباع بعضه وحفر من ثمنه البئر التي جعلها للسبيل، وفرق بعضه في وجوه الخير والبر، وكان يضيف به كل من مر به، وادخرت منه سارة.

وعاش طوطيس إلى أن وجهت إليه هاجر من مكة أنها بمكان جدب وتستعينه فأمر بحفر نهر في شرقي مصر ثم بسفح الجبل حتى ينتهي إلى مرفأ السفن على البحر المالح، فكان يحمل إليها الحنطة وأصناف الغلال، فتصل إلى جدة وتحمل من هناك على المطايا إلى مكة، فأحيا بذلك الحجاز مدة، ويقال إنها وجهت إليه بـ الحجاز تذكر ولادتها فسر بذلك، ووجه إليها ذهباً وجواهر تتخذ منه زينة لولدها فحلت الكعبة ببعضه .

وقيل إن كل ما حليت به الكعبة في ذلك العصر إنما أهداه الملك مالك مصر إليها. وقيل إنه لكثرة ما كان حمله طوطيس إلى الحجاز سمته هاجر والعرب الصادق، وكذلك يسميه أهل الأثر .

و قيل أن طوطيس سأل إبراهيم عليه السلام أن يبارك له في ولده فدعا له بالبركة في مصر، وعرفه إبراهيم أن ولده سيملكونها ويصير أمرها إليهم قرناً بعد قرن إلى آخر الزمان .

وطوطيس هذا هو أول فرعون كان بـ مصر، وذكر أنه أكثر القتل حتى في قرابته وأهل بيته وبني عمه وخدمه ونسائه وفي كثير من الكهنة والحكماء . وكان حريصاً على سفك الدماء، حريصاً على الولد، فلم يرزق غير ابنته حوريا، وكانت عاقلة حكيمة تأخذ على يديه كثيراً وتمنعه من سفك الدماء فلم ينته، وخافه كل أحد على نفسه فأبغضته ابنته وأبغضه الخاص والعام، وخافت حوريا زوال ملكهم بسببه فسمته فهلك، وملك سبعين عاماً، واختلفوا بعد موته في التملك عليهم، وقالوا لن يملك علينا أحداً من أهل بيته، وأرادوا تمليك بعض ولد ابريت، فقال بعض الوزراء قد علمتم فضل ابنته حوريا وحكمتها وما كانت

تنكر على أبيها في أفعاله، وما صنعت به ابنته حوريا وحكمتها وما كانت تنكر على أبيها في أفعاله، وما صنعت به حتى أراحت الناس منه فأين تذهبون عنها؟

و تبعه على ذلك أكثر القواد الكبار فتم لها الملك. وملكت حوريا المملكة، وجلست على سرير الملك، ودخل عليها الناس فهنأوها ودعوا لها، فأكرمتهم ووعدتهم بالإحسان، وأخذت في جمع الأموال وفي حفظها. فلم تلبث إلا يسيرا حتى اجتمع عندها من الأموال والحلى والجوهر والثياب ما لم يجتمع لملك قبلها وقدمت الحكماء والكهنة ورؤساء السحرة، ورفعت أقدارهم، وأمرت بتجديد الهياكل وإعظامها، وصار من لم يرضها ولا يرضى بفعلها يشيع خبرها إلى ابريت، فملكوا عليهم رجلاً من ولد ابريت يقال له انداحس، فعقد على رأسه تاجاً وصار إليه جماعة من بنى عمه وأهل بيته، فأنفدت إليه جيشاً تحاربه، فلما رأى أنه لا طاقة له بها دعاها إلى الصلح وخطبها إلى نفسه وذكر لها أن الملك لا يقوم إلا بالرجال، وخوفها أن يزول ملكهم بسببها ومكانها من الملك .

فعملت صنيعاً وأمرت أن يحضر الناس على منازلهم فحضروا وأكلوا وشربوا وبذلت لهم الأموال، وعرفتهم ما جرى إليه ذلك الرجل من خطبتها فبعضهم صوب الرأى وبعضهم امتنع، وقال لا نولى علينا غيرها لمعرفتنا بعقلها وفضلها وحكمتها، وهي وارثة الملك. ووثبوا على نفر مما خالفهم فقتلوهم، ثم خرجوا في جيش كثير، فلقوا جيش الخارج عليهم ابريت فهزموهم، وقتلوا كثيراً منهم، وهرب هو إلى أرض الشام، وبها الكنعانيون من ولد عملاق، فاستجار بملكهم، وأخبره خبره، ورغبة في مصر وعظم له أمرها وكنوزها، وقرب له أخذها، وضمنها له، فجهزه ملك الشأم بجيش عظيم إلى مصر، وأرسل معه على الجيش رجلاً عظيماً من أصحابه. واجتمع الناس كلهم بـ مصر وجهاتها على حوريا ففتحت خزائن أبيها وفرقت أكثرها على الناس فأحبوها، وأذعنوا لها بالطاعة وقوت السحرة بالمال ووعدتهم بالاحسان .

ذكر جيرون قائد جيش العماليق

فلما قرب انداحس بجيوش الشام أمرت السحرة أن يعملوا عملا لتلك الجيوش ، وكان المقدم على الجيوش قائداً جليلاً من عظماء قواد ملكهم، يقال له جيرون. فلما نزل أرض مصر بعثت حوريا ظئراً من عقلاء النساء إلى ذلك القائد جيرون سراً من انداحس تعرفه أنها راغبة في تزويجها إياه، لأنها لا تختار أحداً من أهل بيتها، وأنه إن قتل انداحس كيفما أمكنه تزوجته، وسلمت إليه ملك مصر ومنعت منه صاحبه. فرغب جيرون في ذلك، وفرح به، وأرسل إلى انداحس في مضربه، على حسب عادته من اكرامه طعاماً فيه سم فأكله فمات، فأرسل إليها يستنجزها ما وعدته فأرسلت إليه أنه لا يجوز لى أن أتزوجك، حتى تظهر في بلدى قوتك وحكمتك وتبنى لى مدينة عجيبة، وكان افتخارهم حينئذ بالبنيان وأقامة الأعلام والأصنام وعمل العجائب، وقالت له: انتقل من موضعك ذلك إلى غربى بلدنا فثم لنا آثار كثيرة فاقتف تلك الآثار من الأعلام وغيرها. فانتقل إلى حيث أمرته وبنى مدينة بصحراء الغرب [تدعى] أندومه، وأجرى إليها من النيل نهراً ، وغرس فيها غروساً كثيرة، وأقام بها مناراً عالياً، وعمل فوقه مجلساً وصفحه بالذهب والفضة والصفر والرخام الملون والزجاج المسبوك، وأبدع في عمله لأنها أمدته بالصناع والأموال، وكانت تكاتب صاحبه عنه بما تراه وتهاديه عنه وهو لا يعلم . فلما فرغ من بنيان المدينة أعلمها بذلك، فأرسلت إليه أن لنا مدينة حصينة كانت لأوائلنا وقد خربت وخرب حصنها، فانتقل إليها، وانظر في بنيانها وإصلاحها وإصلاح حصنها وأتقن أمورها، وأنتقل أنا خلال ذلك إلى المدينة التي بنيتها وأنقل إليها جميع ما أحتاج إليه، فإذا فرغت من إصلاح تلك المدينة أنفذ إلى حينئذ فأسير إليك لأبعد عن مدينتى وأهل بلدى، فأنى أكره أن أدخل إليك بالقرب منهم .

فمضى حيث أمرته وجدّ في إصلاح الإسكندرية الثانية وإليها أمرته أن يمضى وأهل التاريخ لا يعرفون خبر انداحس، ويذكرون أن الذي قصد مصر هو الوليد بن دموع العملاقى، وهو ثانى الفراعنة وأن سبب قصده لها أنه اعتل علة طالت

به فوجه ثقاته إلى كل جهة وإلى كل مكان ليحمل إليه مياهها حتى يعلم الماء الذي يلائم جسمه منها. فأتي غلام له مملكة مصر فرأى سعتها وفوائدها وألطافها ، فعاد إليه فأعلمه بحالها وجلى له أمرها، وحمل إليه من مائها وغرائبها. فقصدها في جيش كثيف حتى حط عليها، وكاتب الملكة وخطبها إلى نفسه فوجهت إليه من أشرف على حاله فرأى قوماً عظاماً لا تقوم بحربهم، فأجابته إلى التزويج وشرطت عليه أن يبنى لها مدينة عظيمة يظهر فيها قوته، ويجعلها إنزالها، فأجابها ودخل مصر وشقها إلى ناحية الغرب ليبنى المدينة بناحية الإسكندرية فأمرت بأن يلقى بالرياحين وأصناف الفواكه فمضى إلى ناحية الإسكندرية، وقد خربت بعد خروج العادية عنها، فنقل ما وجد فيها من حجارتها ومعالمها، ووضع أساس مدينة عظيمة، وبعثت هي إليه مائة ألف من الفعلة والخدم فأقام في بنيانها مدة طويلة حتى أنفق فيها جميع ما كان معه من المال، وكلما وضع طول يومه من الحجارة في الأساس خرجت في الليل دواب من البحر فقلعته وأخربته وغيرته فكان في ذلك دهراً فاغتم لذلك غماً شديداً وشغله الفكر فيها. وكانت حوريا أنفذت إليه ألف لبون من المعز ليشرب لبنها ويستعمله في مطبخه فدفعها إلى راع يثق به، وكان ذلك الراعى يطوف بها ويرعاها فيما هنالك، وكان إذا رجع عند المساء خرجت إليه من البحر جارية حسناء فتتوق نفسه إليها فإذا كلمها شرطت عليه أن يصارعها، فإن صرعها كانت له وإن صرعته أخذت من تلك المعز اثنين، ثم يعود يوماً آخر فيحمله حبه لها على الطمع في غلبتها فتصرعه وتأخذ اثنين، فبطول المدة نقصت المعز نحو نصفها، وتغيرت الباقيات منها لشغله بحب تلك الجارية عن الاهتمام برعيها، وتغير الراعى أيضاً في جسمه ولونه، فمر به صاحبه في بعض الأيام، فوقف عليه. فلما رأى الراعى متغيراً والمعز عجافاً فسأله عن ذلك ورأى قلتها، فسأله عن نقصانها، فوصف له الراعى الأمر على وجهه خوف سطوته، فقال له أي وقت تخرج ؟ قال قرب المساء، فلبس هو ثياب الراعى، وتولى هو بنفسه رعاية المعز يومه إلى المساء .

وخرجت الجارية فعارضها، فشرطت عليه شرطها فأجابها، فلما تصارعا صرعها وقبض عليها وشد وثاقها، فقالت له إن كان ولا بد من أخذى فسلمنى إلى صاحبى الأول، فإنه ألطف بى وقد عذبته زماناً طويلاً فردها عليه، وقال له إذا خلوت بها فسلها عن هذا البنيان الذي بنيته فيزال من ليلته من يفعل ذلك؟ فإن كان عندها علم منه فسلها إن كان في دفع ذلك حيلة ومضى وتركه معها. فلما سألها عن ذلك قالت إن في البحر دواب تخرج كل ليلة فتنزع بنيانكم، قال لها فهل في دفع ذلك من حيلة ؟ قالت نعم، فقال وما هي ؟

قالت أعلمك كلاماً تكتبه في قراطيس، وتربطه في حجارة صغار، فيدخل الرجال المصورون في مراكب صغار، ومعهم القراطيس والأنقاس في وسط النهار إلى موضع كذا من البحر، ثم يقفون ويرمون القراطيس المكتوبة في الماء يميناً وشمالاً، ثم يمكثون ساعة فلا تبقى دابة إلا أتت ذلك الموضع ودارت وظهرت فوق الماء، فيصور المصورون مثلها في تلك القراطيس، ويتحرون التشبيه ما قدروا، ويكثرون من تلك التصاوير ما أمكن، ثم يخرجون وتمثل أمثال تلك الصور من الصفر والنحاس والحجارة وتنصب أمام البنيان بينه وبين البحر. فإن تلك الدواب إذا خرجت ورأت تلك الأشكال هربت، فلم تعد إلى ذلك الموضع وعلمته الكلام حتى حفظه، فسار الراعى أول الصباح إلى صاحبه فعرفه الخبر، وكتب الكلام، ففعل الملك ذلك فانقطعت تلك الدواب، وتم البنيان، فبنى المدينة وأتمها وأكملها، وقال قوم من أصحاب التاريخ إن صاحب البناء والمعز هو جيرون المؤتفكى[٢٠١] كان قصدهم قبل الوليد، وأن الوليد أتاهم بعد حوريا فقهرهم وملك

---

[٢٠١] المؤتفكى نسبة إلى المُؤْتَفِكَات :[بصيغة الجمع] وهي مَدَائِنُ قوم لوط التي قلبها الله على قومه. وهي خمس مدن تسمى مدن السهل الخمسة وهي: سدوم وكان ملكها يسمى بارع وعمورة وكان ملكها يسمى برشاع وأدمة وكان ملكها يسمى شآن وصبوئيم وكان ملكها يسمى شمئيير، وصوغر (أوبالع) .ومَدَائِنُ قوم لوط التي قلبها الله على قومه تسمى المُؤْتَفِكَاتُ. وهي خمس مدن، تسمى مدن السهل الخمسة وهي: سدوم وكان ملكها يسمى (بارع) ويشير موقع (سدوم) إلى (سدم) بضم السين والدال، قرية وواد في اليمانيتين من خولان العالية، على بعد نحو ٣٧ ميلا شرقاً من مدينة صنعاء، وعمورة وكان ملكها يسمى برشاع وتسمى الأن (الأعمون): عزلة في بلاد

مصر .

وذكروا أن الأموال التي كانت مع جيرون نفدت كلها في تلك المدينة ولم يتم البنيان، فأمر الراعى أن يسأل تلك الجارية عن كنوز قريبة منهم، فسألها فقالت إن في موضع كذا من المدينة التي خربت ملعباً مستديراً، حوله سبعة أعمدة على رأس كل عمود تمثال صفر قائم، فقرب لكل تمثال منها ثوراً سميناً وألطخ العمود الذي تحته بدم الثور وبخره بشعرة من ذنبه وشيء من نحاتة قرنه وأظلافه، وتقول هذا قربانك فأطلق لى ما عندك، فإذا أنت فعلت ذلك فقس من كل عمود إلى الجهة التي يتوجه إليها وجه التمثال الذي فوقه مائة ذراع واحفر، وليكن ذلك في امتلاء القمر واستقامة زحل، فإنك تنتهي إذا نزلت خمسين ذراعاً إلى بلاطة عظيمة فالطخها بمرارة الثور واقلعها فإنك تجد تحتها باباً تنزل منه إلى سرداب طوله خمسون ذراعاً في آخره باب مقفل ومفتاح القفل تحت عتبة الباب، فخذه والطخ القفل ببقية مرارة الثور ودمه وبخره بشعره وبنحاتة أظلافه وقرنه، وافتح الباب وادخله بعد أن [توثق رتاجه] فإذا دخلته فإنك ترى مستقبلك صنماً من حجر في عنقه لوح صغير معلق من صفر مكتوب فيه جميع ما في الخزائن من مال وجوهر وتمثال وذخيرة ودواء وأعجوبة، فخذ منه ما شئت. وكذلك فافعل بكل عمود وتمثال فإنك تجد مثل تلك الخزانة سواء، وهذه نواويس الملوك وكنوزهم، فوصف الراعى لصاحبه جميع ما قالته

الحجرية وأدمة وكان ملكها يسمى شآن وقد أشار إليها لسان اليمن (الهمدانى) عند حديثه عن وادى خبش قائلاً: "و يصب في موسط الجوف غربيه صادراً من خبش بعد رى نخيلها وزروعها، وفروع هذا الوادى من سراة بلد وادعة وظاهرها، ويمر بمواضع مما كان من بلاد بنى مُعمر وبنى عبد والهرائم، فإنه ينحدر إلى خيْوان فيسقيها، ويمد باقيه سيل قيعتها وبُوبان والأدمة وملساء، ويلج الفج إلى خَبش فتلقاه سيول بلد بنى حرب بنداوعة من رميض وحُوث، ويُضامّه سيل الفقْع والحواريينْ والمصْرع وأثافت ودمّاج وشُوات وخرفْان وجانب الكساد وقبلة ظاهر الصيّد والعقل وجبل ذيْبان الأكبر ورخمات وحاوتّين والسّبيع "و صبوئيم وكان ملكها يسمى شمئيير ويكون موقع (صبوييم) قد بقى في (صَبْوه) وهو حصن في منطقة الحَذْب من مديرية بنى مطر وأعمال صنعاء، وصوغر (أوبالع) وكلها مواقع جغرافية متجاورة تقع داخل أرض اليمن!

الجارية، فلما سمع ذلك سر به سروراً عجيباً وعمله أسرع ما أمكنه، فوجد ما لا يدرك وصفه، ووجد من العجائب شيئاً كثيراً فأتم بناء المدينة واتصل ذلك بـ حوريا فأساءها، وإنما كانت أرادت إتعابه وإشغاله وإذهاب ماله. ويقال إنه وجد فيها من العجايب درج ذهب مختوم فيه مكحلة زبرجد فيها ذرور أخضر ومعه عرق جوهر أحمر، فمن اكتحل من ذلك الذرور وهو أشيب عاد شاباً وأسود شعره ولحيته وأضاء بصره حتى يدرك النظر إلى الروحانيين .

ووجد تمثال غراب من حجر إذا سئل عن شيء صوت فأجاب عنه، ويقال إنه كان في كل خزانة عشرون أعجوبة. فلما فرغ من بنيان المدينة وجه إليها يعلمها بذلك ويحثها على القدوم إليه، ويتشكى من طول الأمد وكثرة الشقاء له ولأصحابه، فوجهت إليه فرشا فاخرا وقالت أفرشه في المجلس الذي تجلس فيه، واقسم جيشك أثلاثاً فأنفذ إلى ثلثه فأنا ماشية عند وصوله عندى إليك ، فإذا وصلت مسافة كذا موضعا عينته له فأنفذ إلى الثلث الثانى فإذا بلغت ثلثى الطريق، فأنفذ إلى الثلث الثالث ليكون جملته من ورائى لئلا يرانى أحد منهم إذا دخلت عليك، ولا يبقى هناك إلا صبية يخدمونك ممن تثق بهم، فأنى أوافيك في جوار تكفنك من خدمنا لا ؟ أحتشم منهم ففعل ما قالت، وجعلت تحمل إليه الجهاز والأموال على كل صنف وفي كل يوم حتى علم مسيرها، فوجه إليها ثلث جيشه، فعملت لهم من الأطعمة والأشربة المسمومة فوق الحاجة.فلما وصل الجيش إليها أشغلتهم الجوارى والولدان بالأطعمة والأشربة والطيب فلم يصبح منهم أحداً حياً ومن أصبح منهم حياً قتل. وقد كانت وكلت بهم من جيوشها من يفعل ذلك، ووجهت إلى كل جهة من يضبط الطرق ويحرسها حتى لا يصل إليه خبر من ذلك وأخذت جميع ما خلفوه ونقلته إلى مصر. وسارت فلقيها الثلث الآخر ففعلت به مثل ذلك وكتبت إليه تعرفه أنها وجهت ما وصل إليها من جيشه إلى مصر ومملكتها في تلك الجهات ليحفظوها خلال كونها عنده، ثم وصل إليها الثلث الثالث من جنده فجرى أمره مجرى الثلثين الأولين إلى أن وصلت إليه ومعها عسكر مجرد من ثقات رجالها وأعيان

جيشها وفرسانها، فلم يشعر إلا وهم قد أحاطوا بـه في القصـر الـذي كـان بنـاه بالإسكندرية، فدخلت عليه هي وظئرها وجواريها معها فنفخت ظئرها في وجهه نفخة ذهب بها لبه ورشت عليه ما كان معها فارتعبت مفاصله وخـذلت قوتـه، وقالت من ظن أنه يغلب النساء فقد كذبته نفسـه، وغلبتـه النسـاء. ثـم فصـدت بعض عروقه وشربت من دمه وقالت دماء الملوك شـفاء وقتلتـه، وأخـذت رأسـه فوجهت به إلى قصرها ونصبته عليه، وحملت تلك الأموال إلى منف، وبنت منار الإسكندرية[٢٠٢] وزبرت عليها اسمها واسمه، وما فعلته به والتاريخ على المنار .

واتصل خبرها بالملوك الذين يتزاحمـون علـى بلادهـا فهابوهـا، وخـافوا مـن حيلها وأذعنوا لها وهادوها وتصـنعوا لهـا. وعملـت بـ مصـر عجائـب كـثيرة، وأمرت أن يبنى على حدود مصر من ناحية النوبة حصن وقنطـرة يجـرى النيـل من تحتها، فعملت ذلك . واعتلت حوريا فاجتمع إليها أهل بلدها وسألوها أن تقلد الملك أحداً ترضاه ليكون ملكهـم، ولم يكـن في ذلـك الوقـت أحـد مـن ولـد أبيهـا، ولا من أهل بيته يصلح للملك. فقلـدت الأمـر إلى ابنـة عمهـا، وملكتهـا عليهم وهي دليفة ماموم، وكانت جاريـة عـذراء مـن عقـلاء النسـاء وكـبرائهن، فأخذت لها المواثيق من أهل مصر وسائر بلادها، أن لا يسلموها لعدو وأن يمنعوا من يتعرض لها، وسلمت إليها مفاتيح خزائنهـا وأطلعتهـا علـى كنوزهـا وكنـوز

---

[٢٠٢] إن ما قيل في شأن منارة الإسكندرية القديمة في الكتابات الحديثة لا يتفق مع وصفها، لكـن من يراجع أقوال مؤرخي المسلمين وبعض مؤرخي اليونان عن الاسـتخدامات العسـكرية والدفاعيـة لهذه المنارة ويعيـد صـياغة هـذه النصـوص بمصـطلحاتنا العلميـة والعسـكرية المسـتخدمة حاليـاً، يكتشف من أول وهلة أن المنارة كانت تمثل منظومة عسكرية دفاعية تضم مجموعـة مـن الأجهـزة المماثلة للأجهزة الدفاعية الحديثة كأجهزة الرادار والأقمار الصناعية العسـكرية وأجهـزة التـدمير الإشعاعي والإنذار المبكر أ فكان مثبتاً بأعلى المنـارة قمـر صـناعي ورادار وجهـاز تـدمير إشـعاعي وجهاز إنذار مبكر وساعة شمسية، بالإضـافة إلى شـاشـات تشـبه الشاشـات التليفزيونيـة كانـت موجودة بأعلى قمة المنارة تظهر بها صور السفن العادية التي يتم رصدها عن طريق جهاز الـرادار والقمر الصناعي الموجودين بأعلى المنـارة. انظـر هشـام كمـال عبدالحميـد: (تكنولوجيـا الفراعنـة والحضارات القديمة)، ص ٢٩١ .

آبائها، وأمرت إذا ماتت أن يضمد جسدها بالكافور، وتحمل إلى المدينة التي بنيت لها في صحراء الغرب، وقد كانت بنت بها ناووساً عجيباً ونقلت إليه أصناماً للكواكب وزينته بأحسن الزينة وجعلت له خدمة وسدنة، وأسكنت تلك المدينة جماعة من الكهنة وأصحاب العلوم، وأسكنت بها جيشاً يحميها فعمرت تلك المدينة، ولم تزل على حالها من العمارة إلى أن أخربها بخت نصر وحمل بعض كنوزها .

دليفة تجلس على سرير الملك

وجلست دليفة على سرير الملك، واجتمع الناس إليها وتألفت كلمتهم عليها وأحسنت إلى الناس ووضعت عنهم كثيراً من الخراج لتلك السنة، وقام عليها أيمن صاحب الأندلس يطلب ثأر خاله أنداحس، واستنصر عليها بملك من العمالقة فنصره لمكانة أنداحس منه. ووجه معه قائداً بجيش كثيف، وبلغ الأمر دليفة، فأخرجت إليه بعض قوادها فالتقوا بموضع يعرف بـ العريش ، وجعلت سحرة الفريقين يظهرون العجائب العظيمة، ويسمعون الأصوات التي تفزع الأسماع، وتؤلم القلوب، وأقاموا مدة يتواقفون للحرب ثم يتراجعون، فهلك منهم عالم من الناس ثم انهزم أصحاب دليفة إلى منف وأيمن في أثرهم. ومضت دليفة في جمع من جيشها إلى ناحية الصعيد، فنزلت بـ أشمون، وأنفذت من قدرت عليه من الجيوش إليهم، فوقعت الحرب معهم بجهات الفيوم، وضعف أصحاب دليفة عنهم لكثرتهم وشدة صبرهم، فاستنصرت بأهل مدائن الصعيد فحاربوا أصحاب أيمن، فأزالوهم عن منف، وقد كانوا ظفروا بها وعاثوا فيها فهزموهم حتى ركبوا المراكب، وعدوا إلى ناحية الشمال، وكان معهم ساحر من أهل قفط ، فأظهر سحره نارا أحالت بينهم وبين أصحاب دليفة فانحازوا عنهم واستعدوا، وعادوا لما كانوا فيه من الجد والطلب. وفزع أهل مصر لطول المدة وعجز الجيوش عن مقاتلتهم، وأشفقوا من خروج مصر من أيديهم، فوجهوا سفراء بينهم على أن جعلوا البلد قسما بينهم فأجاب كل واحد منهم إلى الصلح

وأن دليفة بعد إجابتها إلى الصلح غدرت وخالفت، وأخرجت الأموال والجواهر ففرقتها في الناس، وقد كان بعضهم لامها في الصلح، فرجعت إلى الحرب، واشتد الأمر بين الفريقين ثلاثة أشهر، ثم ظهر أيمن عليها وهزمها. ولجأت إلى ناحية قوص وسار خلفها وتمكن من المملكة، فلما رأت حقيقة الأمر ونكول جندها وعجز كهنتها وسحرتها وأنها لابد لها أن تغلب سمت نفسها فهلكت.

ذكر أيمن صاحب الأندلس ملك مصر

وملك بعدها أيمن الملك صاحب الأندلس ملك مصر، فتجبر وعتا وقتل خلقا ممن كان مع دليفة، وكان الوليد بن دومع[٢٠٣] العملاقى قد خرج في جيش عظيم نبتهل في البلدان، ويغلب ملوكها ليسكن ما يوافق غرضه منها، ويعتدل صلاح جسمه فيها على ما تقدم من ذكر علته. فلما انتهي إلى الشام، انتهي إليه خبر مصر وجلالة قدرها، وأن أمرها قد صار إلى النساء وباد ملوكها، فوجه إليهاغلاماً له يسمى عوناً بجيش عظيم، فوصل إلى مصر وأيمن ودليفة يقتتلان، ففتحها وحوى أموالها وكنوزها ،وغاب خبره عن الوليد، فلم يشك في هلاكه وهلاك الجيش الذي كان معه، لما كان يعلمه من طلاسم مصر ومكر كهنتها. ثم اتصل به أن عبده قد ملكها، فسار إلى مصر وتلقاه العبد وعرفه أنه كان يسير إليه، وإنما أخره ما أراد من تعديل الملك وإصلاحه فقبل قوله. ودخل مصر

---

[٢٠٣] (ذو) = (م س) = (وليد). أى: ولد صغير = ابن، انظر د .على فهمى خشيم: (آلهة مصر العربية، المجلد الأول، ص ١٩٥)، والرعامسة أي أبناء الإله رع وأن لفظ (الوليد) تعنى الأبن ـ وهي نفسها (مس) في المصرية و(ذو) في العربية الجنوبية ـ وما يأتى بعد لفظ (الوليد) فهو صفة من صفات رع، وقد ذكر المؤرخون والأخباريون العرب أن أول الفراعنة هو (الوليد بن دومع) وأخرين قالوا (الوليد بن دمون) وغيرهم قال (الوليد بن دوما) وأيا ما كان الصواب فإن (دومع) = (دوما) ـ (على اعتبار ع= ا) = "دوموز "(على اعتبار أن (ون) زائدة لغوية) وهي صفة من صفات (رع) والاسم الأصلى هو (الوليد بن دوما) لأن (الدوما) من (الدوام) وتعنى (الأوان) فيكون معنى (الوليد بن دومع) هو (ذو أوان) !

الوليد بن دومع العمالقى وملكها فاستباح أهلها وأخذ أموالها، وتتبع ما أمكنه الوصول إليه من كنوزها، وهبط إليه أيمن بالطاعة من الصعيد ومدنها سامعا له إذ كان عسكره من قبله، ومن أعانه بملكه وجيشه حتى أخذ بثأر خاله انداحس وتم الأمر للوليد على أعظم أمر. ثم سنح له أن يمشي حتى يقف على مخرج النيل، ويغزو من بناحيته من الأمم فأقام ثلاث سنين يستعد لذلك، حتى أصلح جميع ما احتاج إليه. واستخلف عبده عونا على البلد وخرج في جيش كثيف، وعدد عظيمة، فلم يمر بأمة إلا أبادها. فيقال انه اقام في سفره سنين كثيرة وأنه مر على أمم السودان وجاوزهم ومر على أرض الذهب، فوجد فيها مواضع فيها قضبان ثابتة وهي بلاد عانة. ولم يزل الوليد يسير حتى بلغ البطيحة التي ينصب ماء النيل إليها من الأنهار التي تخرج من جبل القمر، وجبل القمر جبل شامخ عريض طويل، وإنما سمى جبل القمر لأن القمر لا يطلع عليه لأنه خرج كثيرا عن خط الاستواء، ونظر إليه كيف يخرج النيل من تحته فيمر في طرائق كثيرة كالأنهار الرقاق، فيصير بعضها إلى حظيرة عظيمة يجتمع فيها، ويصير بعضها إلى حظيرة عظيمة، ثم يخرج من كل حظيرة نهر عظيم ينصب إلى حظيرة عظيمة يجتمع النهران فيها وهي البطيحة الكبيرة، وهي بعد خط الاستواء، وقبل الأقليم الأول، ويخرج من تلك البطيحة نهر واحد، ويجوز خط الاستواء ويجرى إلى مصر ويمده نهر آخر من ناحية مكران يصب فيه عند اول جبل معظم في ثلث الأقليم الأول.

ويذكر أن هذين النهرين يزيدان وينقصان، فيهما التماسيح وسمك كأمثال سمك النيل، ويخرج منه نهر عظيم على مقربة من آخر شرقى جبل القمر .

وحكى عن الوليد أنه وجد القصر الذي فيه قماقم النحاس الذي عملها هرمس الأول في وقت البودشير الأول بن قفطويم بن مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام، وهي خمس وثمانون صورة جعلها جامعة لمن يخرج من الماء من الجبل، وبمعاقد وبمصاب مدبرة، يجرى منها إلى تلك الصور، ويخرج من

حلوقها على قياس معلوم وأذرع معدودة معلومة. ثم ينصب في أفواه الصور في أنهار كثيرة ويتصل بالبطيحتين، ويخرج منها كما قلنا إلى البطيحة الجامعة للماء الذي يخرج من جبل القمر، وقد هندس في تلك ورتب مقدارا من الماء في كل صورة معه صلاح البلدان التي يمر بها، وينفع أهلها دون الفساد، وسطح قبل انتهاء المسطح ثمانية عشر ذراعاً بالذراع التي ذرعها مقدار اثنين وثلاثين إصبعاً، فما فضل عن ذلك عدل به عن يمين تلك الصور ويسارها إلى مسارب تخرج عن يمين القصر ويساره، تنصب إلى غياض ورمال لا عمارة فيها. وقد ذكر قوم من أهل الأثر أن الأنهار الأربعة تخرج من أصل واحد من قبة في أرض الذهب التي من وراء البحر المظلم وهي سيحان وجيحان والنيل والفرات .

وذكر بعضهم أنها من الجنة وأن تلك القبة من زبرجد، وأن جميع هذه الأنهار قبل أن يسلك إلى البحر المظلم أحلى من العسل وأطيب من رائحة المسك. وممن جاء بهذا وذكره أبو صالح كاتب الليث وغيره من المحدثين ذكروا أن رجلاً من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام يقال له حايد وصل إلى القبة، وله خبر يطول ذكره .

[204][هذا الخبر الذي قال المسعودى إنه يطول ذكره أثبته هنا، وإن لم يكن هو ذكره لأنه بموضعه وهو من كتاب العظمة رواه ببغداد الفقيه أبو الحسن عباد بن سرحان وهو يحدث به إلى الأن عن شيوخه ببغداد بأسانيد ذكرها عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن النيل يخرج من الجنة ولو التمستم فيه حين يمج لوجدتم من ورقها .

حدثنى أبو الطيب أحمد بن روح، قال حدثنى على بن داود، قال حدثنا عبد الله بن صالح، قال حدثنى الليث بن سعد قال زعموا والله أعلم أنه كان رجل من بنى العيص، يقال له حايد بن أبى سالوم من العيص بن إسحق بن

---

[204] هذا الكلام الموضوع بين القوسين وجد هكذا بالأصول وهو فيما يظهر زيادة وتعليق من الناسخ أو الراوى، وقد وضعناه لذلك بين القوسين .

إبراهيم عليهما السلام أنه خرج هاربا من ملك من ملوكهم حتى دخل أرض مصر فأقام بها سنين. فلما رأى عجائب نيلها وما يأتى به جعل لله تعالى أن لا يفارق ساحله حتى يبلغ منتهاه من حيث يخرج أو يموت قبل ذلك، فسار عليه ـ قال بعضهم ثلاثين سنة في عبر الماء، وقال بعضهم خمس عشرة سنة كذا وخمس عشرة سنة كذا ـ حتى انتهي إلى بحر فنظر إلى النيل مقبلاً فصعد على ساحل البحر، وإذا هو برجل قائم يصلى تحت شجرة تفاح، فلما رآه استأنس به وسلم عليه، فسأله الرجل صاحب الشجرة وقال له من أنت ؟ فقال أنا حايد بن أبى سالوم بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم ، ومن أنت أصلحك الله ؟ قال له أنا عمران، فما الذي جاء بك هاهنا يا حايد حتى انتهيت إلى هذا الموضع، فان الله تعالى أوحى إلى أن أقف في هذا الموضع حتى يأتى أمره ؟ فقال له حايد أخبرنى يا عمران ما انتهي اليك من خبر هذا النيل، وهل بلغك أن أحدا من بنى آدم يبلغه ؟ فقال عمران قد بلغني أن رجلاً من ولد العيص يبلغه، ولا أظنه غيرك يا حايد، فقال حايد يا عمران كيف الطريق إليه ؟ فقال له عمران لست أخبرك إلا أن تجعل لى ما سألتك قال وما ذلك يا عمران ؟ قال إذا رجعت إلى وأنا حى أقمت عندى، حتى يوحى إلى بأمرك أو يتوفانى الله تعالى فتدفننى، قال له لك ذلك على، قال سر كما أنت على هذا البحر، فإنك تصل إلى موضع فيه دابة ترى أولها ولا ترى آخرها فلا يهولنك أمرها، فاركبها فإنها دابة معادية للشمس، إذا طلعت أهوت إليها لتلتقمها، حتى يحول بينها حجبتها، فإذا غربت أهوت إليها لتلتقمها، فإذا ركبتها فسر راجعاً عليها حتى تنتهي إلى النيل فانزل عنها، فإنك ستنزل وتبلغ أرضاً من حديد جبالها وأشجارها وسهلها من نحاس، فان جزتها وقعت في أرض من فضة، جبالها وأشجارها وسهلها من فضة، فان جزتها وقعت في أرض من ذهب، جبالها وسهلها من ذهب، فيها ينتهي إليك علم النيل .

فسار حتى انتهي إلى أرض الحديد، ثم منها إلى أرض النحاس، ثم منها إلى أرض الفضة، ثم منها إلى أرض الذهب، فسار فيها حتى انتهي إلى سور من

ذهب وشرفه من ذهب، فيه قبة من ذهب لها أربعة أبواب، ونظر إلى الماء ينحدر من ذلك السور، حتى يستقر في القبة، ثم يفرق فيخرج على الأنهار الأربعة. وأما ما يخرج من الثلاثة فيفيض في الأرض، وواحد يشق على وجه الأرض وهو النيل، فشرب منه واستراح وأهوى إلى السور ليصعد، فأتاه ملك، فقال له يا حايد مكانك فقد انتهي اليك علم هذا النيل، وهذه الجنة والماء ينزل من الجنة. فقال إني أريد أن أنظر إلى ما في الجنة، قال إنك لن تسطيع دخولها اليوم يا حايد، فقال أي شيء هذا الذي أراه ؟ قال هذا الفلك الذي تدور فيه الشمس والقمر وهو شبه الرحى، قال إني أريد أن أركبه وأدور فيه، فقال بعضهم إنه ركبه في دار الدنيا، وقال بعضهم إنه لم يركبه، فقال له الملك يا حايد إنه سيأتيك رزقك من الجنة فلا تؤثر عليه شيئا من الدنيا، فانه لا ينبغى لشيء من الجنة أن يؤثر عليه شيء فانه يبقى ما بقيت. قال فبينما هو كذلك إذ نزل عليه عنقود من عنب فيه ثلاثة ألوان لون كالزبرجد الأخضر، ولون كاللؤلؤ الأبيض، ولون كالياقوت الأحمر، ثم قال يا حايد قد انتهي إليك علم هذا النيل. فقال ما هذه الثلاثة التي تفيض في الأرض ؟ قال أحدها الفرات، والثانى سيحان والثالث جيحان .

فرجع حايد حتى انتهي إلى الدابة فركبها، فلما أهوت الشمس للغروب قذفت به في الموضع الذي ركبها فيه، فأقبل حتى انتهي إلى عمران فوجده قد مات. فأقام على قبره ثلاثا، فأقبل شيخ متشبه بالناس أغر من السجود، فبكى على عمران ثم أقبل إلى حايد فسلم عليه، ثم قال له يا حايد ما الذي انتهي إليك من علم النيل ؟ فأخبره، فقال له الرجل هكذا نجده في الكتب .

وكان التفاح قد ظهر في تلك الشجرة من أحسن شيء، فأغراه الشيخ وقال لـ حايد ألا تأكل منه شيئاً ؟ قال معى رزقى قد أعطيته من الجنة ونهيت أن لا أؤثر عليه شيئا من الدنيا، قال صدقت يا حايد لا ينبغى لشيء من الجنة أن يؤثر عليه شيء من الدنيا، وهل رأيت في الدنيا مثل هذا التفاح ؟ وإنما هذه الشجرة أخرجها الله من الجنة لـ عمران ليعيش منها فأنبتها له في هذه

الأرض، وليست من الدنيا وما تركها إلا لك، ولو وليت لرفعت، فلم يزل به حتى أخذ منها تفاحة فبعضه عليها عض الملك على يديه، وقال له أتعرفه ؟ هو الذي أخرج أباك من الجنة، أما انه لو سلمت بهذا العنقود الذي معك لأكل منه أهل الدنيا فلم ينفد فهو الأن مجهودك أن يبلغك، فكان مجهوده أن بلغه.فأقبل حايد حتى بلغ مصر فأخبرهم بهذا الخبر، ومات رحمه الله، وتم الخبر الذي أثبته وليس من الأم، ورجع الكلام إلى حيث انقطع][205].

وقال آخرون تنقسم هذه الأنهار إلى اثنين وسبعين قسماً، حذاء اثنين وسبعين لساناً للأمم المذكورة. وقال آخرون إنما هذه الأنهار من ثلوج تنزل في أيامها، وتتكاثف هناك فتحملها حرارة الشمس مرة بلطف ومرة بقوة، فتسيل إلى هذه الأنهار، فتسقى لما أراد الله جل وتعالى من تدبير خلقه.

ونرجع إلى ذكر الوليد لما بلغ جبل القمر رأى جبلاً عظيماً، فأعمل الحيلة إلى أن صعد عليه ليرى ما خلفه فأشرف منه على البحر الأسود الزفتي النتن، ونظر إلى النيل يجرى عليه كالأنهار الرقاق، فأتته من ذلك البحر روائح منتنة، هلك بها كثير من أصحابه فأسرع بالنزول بعد ان كاد يهلك .

وذكر قوم أنه لم ير هناك شمساً ولا قمراً إلا نوراً أحمر كنور الشمس عند غروبها وقالوا إنه أقام في غيبته مدة عشرين سنة. وأن عونا علامة تجبر بـ مصر بعد سبع سنين من مسيره، وادعى أنه الملك، وادعى أنه لم يكن عبد الوليد، وأنه أخوه وله الملك من بعده وريب على الناس، واستعان بالسحرة عليهم وأسنى جوائز السحرة والكهنة، ولم يمنعهم محابهم، فمال إليه الناس ووثقوا بأمره ولم يترك امرأة من بنات ملوك مصر إلا نكحها، ولا مالاً إلا أخذه وقتل صاحبه. وكان مع ذلك يكرم الهياكل والكهنة، فكان الناس يمسكون عنه إشفاقاً منهم من السحرة الذين أطافوا به إلى أن رأى في منامه الوليد، وكان يقول له من أمرك أن تتسمى باسم الملك ؟ وقد علمت أنه من فعل استحق القتل، ونكحت

---

[205] إلى هنا ينتهي الكلام . الذي زاده الناسخ في النسخة الأصلية .

إلى ذلك بنات الملوك، وأخذت الأموال بغير واجب، وكأنه أمر بقدور فملئت زفتاً ثم غليت على النار وأحميت، وكأنه يغمسه فيها فلما غليت أمر بنزع ثيابه، فأتى طائر في صورة عقاب فاختطفه من أيديهم وعلق به في الجو، فجعله في هوة على رأس جبل، وكأنه سقط من رأس الجبل إلى واد فيه حمأة منتنة. فانتبه مذعوراً طائر القلب، وكان في طول فعله ذلك في تملكه إذا خطرت بقلبه من ذكر الوليد خطرة يكاد عقله أن يزول فرقاً منه، لما يعلمه من فظاظته وبطشه وقوته .

وكاد مرة يوقن بهلاكه لطول غيبته وانقطاع خبره، وكان مرة يخاف أنه حي. فلما رأى الرؤيا لم يشك في حياة الوليد، فأضمر في نفسه الهرب من مصر في الأموال، فأطلع بعض السحرة ممن كان يثق به على أموره.

وقال له إني خائف من الوليد، وقد عزمت على الهرب من مصر، فما عندكم؟ قالوا له نحن نحميك على أن تقبل منا، قال قولوا، قالوا له نعمل عقابا وتعبده، فان الذي خلصك منه في نومك هو بعض الروحانيين، وهو يريد منك أن تعمل صورته فتعبده .

ذكر بناء مدينة العقاب
في صحراء الغرب خلف الأهرام

قال عون أشهد لقد قال لى وأنا أسمع : اعرف لى هذا المقام ولا تنسه. قالوا لقد بينا نحن لك ذلك. فسمع منهم وعمل عقاباً من ذهب، وعجل عينيه من جوهرتين موشحتين بأصناف العمل الغريب. وعمل له هيكلاً لطيفاً وجعله في صدره، وأرخى عليه ستور الحرير، فأقبل عليه السحرة على خدمته بالبخور والقربان، إلى أن نطق لهم، فأقام عون على عادته ودعى الناس إلى ذلك فأجابوه، فلما مضت لذلك مدة أمر العقاب ببناء مدينة يحوله إليها فتكون حرزاً له ومعقلاً من كل أحد، فأمر عون كل فاعل بمصر أن يجتمعوا له، وأمر

أصحابه أن يخرجوا إلى صحارى الغرب ويطلبوا إليه أرضاً حسنة الاستواء، ويكون المدخل فيها بين فجوج صعبة وجبال وعرة، ويتوخى أن تكون تلك الأرض قريبة من مغاض المياه، فكان مغيض الماء هو اليوم الفيوم وكان مغيضا لمياه النيل، حتى أصلحه يوسف عليه السلام، وإنما أراد عون قرب مكان المدينة من مغيض المياه ليجرى إليها الماء منها، فخرج أصحابه يطوفون في الأرض، فأقاموا في ذلك شهراً حتى وجدوا له بغيته، فلم يبق بـ مصر فاعل ولا مهندس ممن كان يفتت الصخور ويقطعها ويعمل شيئا مما يصلح للبنيان إلا وجهه، وأنفذ معهم ألف فارس في طاعتهم، وأنفذ معهم جميع الآلات، وأقام في توجيه الزاد إليهم شهراً على العجل، وطرق العجل اليوم ظاهرة واضحة في صحراء الغرب من خلف الأهرام، وهي التي يقصدها أصحاب المطالب وهي بنية مشهورة.

فلما تكامل لهم ما يريدونه من قطع الحجارة ونحتها أعدوا من العدد، وخطوا موضع المدينة وجعلوه فرسخين في مثلهما، وحفروا في وسطها بئراً، وجعلوا في تلك البئر تمثالاً من نحاس صورة خنزير ونحاسة بأخلاط، وجعلوا وجهه إلى الشرق. وكان ذلك بطالع زحل واستقامته وسلامته من المتضادين له وهو في شرفه .

وأخذوا خنزيراً فذبحوه له ولطخوا وجهه بدمه وبخروه بشعره، وأخذوا شيئاً من شعره وعظامه ولحمه ودمه ومرارته، فجعلوا ذلك في جوف خنزير من النحاس ونقشوا عليه آيات زحل. ثم شقوا في البئر أخدوداً من أربعة أوجه المدينة، وجعلوا فيها شوارع يتصل كل شارع فيها بباب من أبواب المدينة، ووصلوا ما بينها بالمنازل الحسنة والطرقات، وجعلوا حول القبة تماثيل من نحاس بأيديهم حراب، ووجوهها مقابلة لتلك الأبواب. وجعلوا أساس المدينة من حجر أسود، وفوقة حجر أحمر، وفوقه حجر أخضر، وفوقه حجر أصفر، وفوق الكل أبيض شفاف، مثقبة كلها بالرصاص المصبوب بينها، وفي قلوبها أعمدة الحديد على صفة بناء الأهرام. وجعل طول حصنها ستين ذراعاً ونصف

ذراع، وعلى كل باب من أبوابها على أعلى الحصن تمثال عقاب كبير من صفر وأخلاط، أجوف ناشر الجناحين، وعلى كل من أركان المدينة صورة فارس بيده حربة ووجهه إلى خارج المدينة، وساق الماء إلى ناحية الباب الشرقى ينحدر في صبيب إلى الباب البحرى، ويخرج إلى بطائح هناك، وكذلك من الباب الجنوبى إلى الشمالى. وقرب لتلك العقبان عقباناً ذكراً ولطخها بدمها، واجتلب الرياح إلى أبواب التماثيل فكانت الرياح إذا دخلتها يسمع لها أصوات شديدة، لا يسمعها أحد إلا هالته، وضمدها بعقارب مطلسمة تمنع الناس من دخولها إلا أن يكون مع الغريب الداخل إليها أحد من أهلها، ونصب العقاب الذي يتعبد له تحت القبة التي في وسط المدينة على قاعدة لها أربعة أركان في كل ركن منها شيطان مشوه، وجعلها على عمود زبرجد، فكان العقاب يدور على كل جهة من الجهات الأربع، ويقيم كذلك ربع السنة يقرب إليه من جهته. فلما فرغ من ذلك كله حمل إليها جميع الأموال والجواهر المخزونة بـ مصر، وما وجد في خزائن الملوك من التماثيل والحكم، وتراب الصنعة والعقاقير والسلاح وغير ذلك. وحول إليها كبار السحرة والكهنة وأصحاب الصنائع والمهن، وقسم المساكن التي بناها بينهم، لا يختلط بعضهم ببعض، وبنى حول سورها ربضا يحيط بها، وبنى فيه مساكن لأصحاب مهن الحرث والزرع وغير ذلك، وما يتعلق بالعمارة. وعقد على ما أجراه من الأنهار قناطر يجوز عليها الخارج من المدينة والداخل إليها، وجعل الماء يدور حول الربض، ونصب عليه أعلاماً ثم غرس ما وراء ذلك كله بأجناس الأشجار وغرائبها، فأقام بها من الجنات كل غريبة حسنة كثيرة الفوائد، ثم جعل ما وراء ذلك مزارع لكل نوع من الحبوب، فاستغل بذلك كله أعظم الغلات. وكان يرتفع إليه منها في السنة ما يكفيه عشر سنين وبين هذه المدينة وبين منف ثلاثة أيام، فكان يخرج إليها فيقيم بها عشرة أيام، ثم يعود إلى منف. وكان لتلك المدينة أربعة أعياد في السنة في كل وقت يتحول فيه العقاب إلى الجهات الأربع، فلما تم لـ عون ذلك أطمأن قلبه وسكنت نفسه. إلى

أن وافاه كتاب الوليد من ناحية النوبة، يأمره أن ينفذ إليه الأزودة، وينصب له الأسواق، فوجه عون ذلك كله من أحسن شيء وأتمه في المراكب وعلى الظهر. وحول جميع عياله ومن اصطفاه من بنات الملوك من مصر وكبرائها إلى خليفة يكون بين يديه .

ذكر دخول الوليد بن دومع مصر

فدخل الوليد مصر فتلقاه الناس، فشكوا إليه عوناً، وما حل بهم منه، فقال: وأين عون ؟ قالوا: فر عنك وتحصن دونك. فاغتاظ وأمر أن ينفذ إليه جيش كثيف، فعرفوه كيف بنى مدينته وأسكن فيها معه من السحرة، وأن أمره صعب فما يكون إلاّ بعد نظر شاف واستعداد كاف، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه، ويحذره التخلف عنه، ويقسم عليه إن لم يفعل وظفر به يبضع لحمه بعد المبالغة في عذابه. فرد عليه عون جواباً يقول فيه: ما على الملك مني في هذا الموضع ؟ ولا أتعرض لبلده، ولا أعبث في شيء منه لأنى عبده، وأنا في هذه الجهة حام له من كل عدو يقصده من ناحية من نواحى الغرب، ولا أقدر على السير إليه لخوفي منه على نفسى، فليقرنى الملك على حالى كأحد عماله، وأوجه إليه في كل وقت ما يلزمني من خراجه ومن هداياه، ووجه مع الجواب أموالاً جزيلة جليلة وجوهراً نفيساً، فلما رأى الملك ذلك قنع به، وكف عنه .

فأقام الوليد بمصر فاستعبد أهلها واستباح حريمهم وأموالهم مائة سنة وعشرين سنة، فأبغضوه وشتموه. وأنه ركب في بعض الأيام متصيداً، فألقاه فرسه في هوة من الأرض فقتله، وأراح الله الناس منه. وكان ابنه الريان[٢٠٦] ينكر

---

[٢٠٦](الوليد ابن الريان) أحد العمالقة وكان أقوى أهل الأرض في زمانه وأعظمهم ملكاً، والعمالقة ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، وهو فرعون يوسف عليه السلام والقبط تسميه نهراوش وقيل فرعون يوسف اسمه الريان بن الوليد بن ليث بن فاران ابن عمرو بن عمليق بن بلقع بن عابر بن أشليخا بن لوذ بن سام بن نوح وقيل فرعون يوسف هو جد فرعون موسى أبو أبيه واسمه (برخو) وكان عظيم الخلق جميل الوجه عاقلا فوعد الناس الجميل وأسقط عنهم الخراج لثلاث سنين

فعله ولا يرضاه منه، فلما هلك عمل له ناووساً قرب الأهرام، وقيل إنه دفن في أحد الأهرام.

ذكر الوليد بن الريان صاحب يوسف

ثم ملك بعده ابنه الريان الملك، وهو فرعون يوسف عليه السلام، والقبط تسميه نهراوس[٢٠٧]، فجلس على سرير الملك، وكان عظيم الخلق جميل الوجه، عاقلاً متمكناً من العلم، فدخل عليه الناس وهنأوه ودعوا له، فتكلم بجميل، ومنى الناس ووعدهم بالإحسان، وأسقط عنهم الخراج ثلاث سنين، فدعوا له وأثنوا عليه وشكروه. فأمر بفتح الخزائن وفرق ما فيها على الخاص والعام ممن حضر مجلسه، فخرجوا عنه شاكرين له محبين فيه، فملك وأحسن. وتمكنت منه أريحية الصبا، فملك على البلد رجلاً من أهل بيته يقال له المعين وهو الذي يسميه أهل الأثر العزيز، وكان من أولاد الوزراء عاقلاً متمكناً من عقله حصيف الرأى، كثير نزاهة النفس، مستعملاً للعدل والصلاح، وأمر أن ينصب له في قصر الملك سرير من الفضة يجلس عليه. وكان يغدو ويروح إلى باب الملك، ويخرج العمال وجميع الوزراء والكتاب بين يديه عند مسيره وعند رجوعه. فقام بالملك، وكفي الملك مهمه، وأصلح جميع الأمور، ووطأ البلاد، وأمن الناس، وأقام سوق العدل. والملك نهراوس منغمس في لذاته، معتكف على لهوه، لا ينظر في عمل ولا يفكر في أمر ولا يخاطبه أحد، فأقاموا لذلك حينا من الدهر، والبلد

وفرق المال فيهم، انظر: تقى الدين المقريزى: (الخطط المقريزية، جـ١، ص ١٤١). و(الوليد بن الريان) هو نفسه الملك العربي (ذو موأب) أو (ذو أب) لأن لفظ (ذو) يقابله بالعربية لفظ (الوليد)، و(مآبه) أو (موآب) تعنى الماء ـ الماء أي الماء الكثير ("مو " = ماء و" اب " = ماء في الهيروغليفية) ــ وهو ما يقابل معنى (الريان) . وهذا الملك ازدهر في عهده حفر الترع وشق القنوات، ربما كان ذلك السبب في حمله لقب (الريان)، ويعتقد أنه دفن بداخل الهرم الذي يشبه القلعة وهو الهرم المسمى بهرم ميدوم، ولمزيد من التفاصيل عن (الوليد بن الريان) وهو نفسه (بانون) ملك الهكسوس، راجع كتابنا: (فرعون وموسى).

[٢٠٧] (نهراوس) = نهر + اوس (زائدة يونانية)، (نهر) = الماء الكثير وهي تقابل معنى (الريان)!

عامر، والخراج مدر. يقال إنه بلغ في وقته تسعة وتسعين ألف ألف مثقال فجعلها أقساماً فما كان له ولنسائه ولمائدته حمل إليه، وما كان في أرزاق الجيوش والكهنة والفلاسفة وأصحاب الصنائع ومصانع البلد وإصلاح العقار والحرث والغرس وأصحاب المهن حمل إليهم، وما فضل عن ذلك كله حمل إلى خزائن الملك في قصره. ونهراوس مع ذلك غير ناظر في شيء من ذلك ولا سائل عنه، وقد عملت له عدة متنزهات على عدة أيام السنة، فكان في كل يوم في موضع منها، فإذا كان من الغد انتقل إلى موضع آخر في كل يوم في موضع من الفرش والأنية ما ليس في غيره. فلما اتصل ذلك بملوك النواحي طمعوا فيه واستضعفوه .

ذكر أبو قابوس العماليقى وغزوه لمصر

فقصده رجل من العمالقة يقال له عابد بن سجوم، ويكنى بـ أبى قابوس[٢٠٨]، فسار قاصداً إلى مصر حتى نزل على حد من حدودها. فأنفذ إليه العزيز جيشاً وجعل عليه قائدا يقال له دوناس، فقتله ذلك الملك وهزم عسكره، ودخل حدود مصر فهدم أعلاماً ومصانع كثيرة، واشتد طمعه في مصر وجهاتها. واتصل خبره بأهل مصر فأعظموا ذلك وأكبروه واجتمعوا إلى العزيز، فأمرهم أن يسيروا إلى قصر الملك، فأتوا إلى قصر الملك وجعلوا يصيحون ويستغيثون، فسمعهم نهراوس، فسأل عن حالهم، فأخبر خبر العمالقى وأنه قد دخل حدود مصر وعاث فيها، وأفسد مزارعها وغير مصانعها، وهدم أعلامها وأنه مقبل بجيوشه يريد قصر الملك، فارتاع لذلك وأنف منه، وانتبه من غفلته. وتذكر

---

[٢٠٨] (أبى) بمعنى: (صاحب)، (مالك لكذا) = (ذو) ويقال (أبو الفضل)، (أبو الخير)، (أبو الجود)، أي متملك له، موصوف به، انظر د .على فهمى خشيم: (اللاتينية العربية، ص ٣٧)، القبس = النار أو الشعلة من النار، القابوس: الجميل الوجه الحسن اللون، انظر شبكة الإنترنت: معجم لسان العرب، مادة: (قبس)، انظر شبكة الأنترنت، الموقع http://lexicons .sakhr .com:، وعلى ذلك يكون (أبى قابوس) هو نفسه الملك العربي (ذو المنار)!

القبط أنه سمع نياح الجن على أبيه، فارتاع لذلك فعرض جيشه وأصلح أمره، وخرج إلى العمالقي واتبعه إلى حدود الشام .

وقتل أكثر أصحابه، وأفسد الزرع وقطع الأشجار، وأحرق الديار، وصلب من أسره من الجيوش، ونصب أعلاماً على الموضع الذي بلغه أي لمن جاوز هذا المكان. وقيل إنه بلغ الموصل، وضرب على أهل الشام خراجاً، وبنى عند العريش مدينة عظيمة وشحنها بالرجال وملأ تلك النواحي بالجنود، وانصرف إلى مصر، فلما فعل ذلك هابته الملوك، وفزعوا منه وأعظموه وهادوه وصالحوه. ولما استقر بـ مصر حشد جنوده من جميع الأعمال، واستعد لغزو ملوك الغرب، فخرج في تسعمائة ألف، واتصل بالملوك خبره، فمنهم من تنحى عن طريقه، ومنهم من دخل في طاعته، ومنهم من بذل الأموال والذخائر وصالح بلده، ومنهم من قهره واستباحه. ومر بأرض البربر فأخذ كثيرا منها، ووجه قائداً يقال له مريطس، فركب في سفن كثيرة، وأخذ سواحل البحر فقتل بعض البربر، ودخل أرضهم وصالحه بعضهم، وحملوا إليه الأموال. ومضى الملك إلى إفريقية[٢٠٩] وقرطاجنة[٢١٠]، فصالحوه على ألطاف وأموال كثيرة حملوها إليه .

---

[٢٠٩] ذكر أبو عبد الله القُضاعى أن إفريقية سميت بـ فارق بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام وأن أخاه مصر لما حاز لنفسه مصر حاز فارق إفريقية وقد ذكرتُ ذلك متسقاً في أخبار مصر قالوا: فلما اختط المسلمون القيروان خربت إفريقية وبقى اسمها على الصقع جميعه، وقال أبو الريحان البيرونى: أن أهل مصر يسمون ما عن أيمانهم إذا استقبلوا الجنوب بلاد المغرب ولذلك سميت بلاد إفريقيه وما وراءها بلاد الغرب يعنى أنها فرقّت بين مصر والمغرب فسميت إفريقية لأنها مسماة باسم عامرها، وحدُ إفريقية من طرابلس الغرب من جهة برقة والإسكندرية إلى بجاية وقيل إلى مِليانَه فتكون مسافة طولها نحو شهرين ونصف، وقال أبو عبيد البكرى الأندلسى حدُ إفريقية طولها من برقة شرقاً إلى طَنجة الخضراء غرباً وعرضها من البحر إلى الرمال التي في أول بلاد السودان وهي جبال ورمال عظيمة متصلة من الشرق إلى الغرب وفي يُصاد الفَنَك الجيد، انظر ياقوت الحموى: (معجم البلدان).

[٢١٠](قَرْطاجَنة): بالفتح ثم السكون وطاء مهملة وجيم ونون مشددة وقيل إن اسم هذه المدينة قرطَا وأضيف إليها جنة لطيبها ونزهتها وحسنها: بلد قديم من نواحى إفريقية قال بطليموس في كتاب

ومر حتى بلغ مصب البحر الأخضر إلى بحر الروم، وعمل هناك صنماً من نحاس وهو الموضع الذي فيه الأصنام القديمة، وأقام تحته علماً عظيماً زبر عليه

الملحمة: طولها أربع وثلاثون درجة وعرضها خمس وثلاثون درجة تحت إحدى عشرة درجة من السرطان يقابلها مثلها من الجدى بيت ملكها مثلها من الحمل بيت عاقبتها مثلها من الميزان لها ثلاث درجات من الدلو بيت حياتها خمس عشرة درجة من السنبلة كانت مدينة عظيمة شامخة البناء أسوارها من الرخام الأبيض وبها من العمد الرخَام المتنوع الألوان ما لا يُحصى ولا يُحد وقد بنى المسلمون من رخامها لما خربت عدة مدن ولم يزل الخراب فيها منذ زمان عثمان بن عفان رضى الله عنه وإلى هذه الغاية على حالها عمودان أحمران من الحجر الماتع في مجلس الملك أحدهما قائم والآخر قد وقع دور كل عمود منهما ستة وثلاثون شبراً وطوله فوق الأربعين ذراعاً، وهي على ساحل البحر وبينها وبين تونس اثنا عشر ميلاً وتونس عُمرت من خراب قرطاجنة وحجارتها وقد بقى من حجارتها ما يعمر به مدينة أخرى ولم يكن بقربها عين جارية ولا قناة سارية فجلبَ عامرها إليها الماء من نواحي القيروان وبينهما مسيرة ثلاثة أيام في جبال منحازة بعضها من بعض وقد وصل بين تلك الجبال بعقود معقودة وعُمد مبنية كالمنائر العالية وجعل مجرى الماء فوق ذلك المعقود والأزج المحكم المنحوت وأهل تلك البلاد يسمونها الحنايا وهي مئون كثيرة ومن نظر إلى هذه المدينة عرف عظم شأن بانيها وسبح وقدس مُبيد أهلها ومفنيها، وذكر أهل السير أن عبد الملك بن مروان ولى حسان بن النعمان الأزدى إفريقية فلما قدمها نزل القيروان وقال: أي مدينة بافريقية أشد قيل له ليس مثل قرطاجنة فإنها دار الملك فنازلها وقاتل أهلها قتالا شديداً ثم طلبوا الأمان فأعطاهم إياه ثم غدروا فرجع إليهم حتى ملكها وهدمها فهو أول من أمر بهدمها وذلك في نحو سنة ٧٠، وقرطاجنة: مدينة أخرى بالأندلس تعرف بقرطاجنة الحلفاء قريبة من ألش من أعمال تدمير خربت أيضاً لأن ماء البحر استولى على أكثرها فبقى منها طائفة وبها إلى الأن قوم وكانت عُملت على مثال قرطاجنة التي بأفريقية. انظر ياقوت الحموى: معجم البلدان (٣/٣٧٨)، (عناة) معبودة عروبية (الأصل الكنعاني: ع ن ت) وهذه هي ذاتها ما عرف باسم (نيث) أو (ني ت) Nieth,Niet المعبودة الليبية الشهيرة في الدلتا، ذات الدرع. (الجذر nt = ت = ع ن ت = بسقوط حرف العين. وقد صارت بإسباق تاء التأنيث في الليبية القديمة، كما هو الحال في الجبالية الحديثة: تانيت(Tanit) ، وهي كانت المعبودة الأولى في قرطاجنة لفترة من الزمن، وفي ظننا أن اسم (تونس يعود إلى هذه المعبودةTanit: وتحول إلى Tanis وصارتTunus، وهي من ناحية أخرى حُورت عند اليونان ـ كما يشهد بذلك هيرودوت ـ إلى أثينا Athena التي نقلوها معبودة محاربة حامية للمدينة التي أتخذت اسمها بعد ذلك). انظر د .على فهمي خشيم: (آلهة مصر العربية، جـ١).

اسمه وتاريخ الوقت، وصفة الأمر الذي خرج إليه، وضرب على أهل تلك النواحي خراجاً. وعبر إلى الأرض الكبيرة وسار إلى الإفرنجة وسار إلى الأندلس، وصاحبها عند ذلك اللاذريق، فحاربه أياماً، وقتل من أصحابه خلقاً كثيراً. وصالحوه بعد ذلك على ذهب كثير في كل سنة يحمل إليه، وعلى أن لا يغزو أحداً في البحر ولا في البر شيئاً من حدوده، من جميع من في تلك النواحي، وعلى أن يمنع من رام شيئاً منهم من ذلك ويغالبهم عنه. وانصرف راجعاً عنه، فسار على عبر البحر مشرقاً على بلاد البربر. فلم يمر بموضع إلا خرج إليه أهله وأهدوه ودخلوا في طاعته، ومشوا بين يديه. وأخذ إلى ناحية الجنوب، فمر بناحية الكوفاس وهي أمة عظيمة فحاربوه فقتل منهم خلقاً كثيراً. وبعث قائداً له إلى مدينة على ساحل البحر المظلم، فخرج إليه ملك المدينة وأهلها يسألونه ما هو وما قصده ؟ فعرفهم القائد بحال الملك الريان وإذعان الملوك له ومصالحتهم إياه. فقالوا له أما نحن فما بلغنا أحد قط ولا رأيناه ولا ضرنا أحد ولا ضاررناه. وأخرجوا إليه مالاً وجوهراً. وصالحوه على مدينتهم. فقبل ذلك منهم. وسألهم هل ركب هذا البحر أحد قط ؟ فقالوا جميعهم إنه ما يستطيع أحد أن يركبه، وأخبروه أنه ربما أظله الغمام فلا يرونه أياماً. ثم أتاهم الملك الريان فتلقوه بهدايا وفاكهة أكثرها التوت وحجارة سود .

فإذا جعلت في الماء صارت بيضاء. وسار على أمم السودان حتى بلغ إلى مملكة الزموم الذين يأكلون الناس، فخرجوا إليه عراة بأيديهم حراب الحديد، وخرج ملكهم على دابة عظيمة الخلق لها قرون، وكان جسيما أحمر العينين فصبر للحرب صبراً عظيماً ثم ظفر به الريان، فانهزموا في أوحال وأدغال وغيران وجبال وعرة، فلم يتهيأ له أتباعهم فيها. فجاوزهم إلى قوم على خلق القرود لهم أجنحة خفاف يلتفون بها من غير ريش، ومر على البحر المظلم، فلما أمعن في السير فيه غشيهم منه غمام فرجع متيامناً، حتى انتهي إلى جبل نبارس، فرأى فوقه تمثالاً من حجر أحمر يومئ بيده، أن ارجعوا وعلى صدره مزبورا "ما ورائي أحد". وانتهي إلى مدينة النحاس فلم يصل إليها، ثم مضى في الوادى

المظلم، فكانوا يسمعون منه جلبة عظيمة، ولا يرون شيئاً منه لشدة ظلمته. ثم سار حتى انتهي إلى وادى الرمل فرأى على عين أصناما عليها أسماء الملوك قبله، فأقام صنماً وزبر عليه اسمه، فلما عدا وادى الرمل جاز إلى الخراب المتصل بالبحر الأسود المظلم، فسمع جلبة وصياحاً هائلاً، فخرج في شجعان من أصحابه يتبعون ذلك الصياح حتى أشرف على سباع عظيمة غريبة الخلق مخزمة الأنوف وبعضها يغير على بعض فيأكل بعضها بعضاً، فعلم أنه لا مذهب له من ورائها فرجع وعدى وادى الرمل، فمر بأرض العقارب فأهلكت بعض أصحابه فرجعوها عن أنفسهم بالنار وبالرقا والعزائم التي كانوا قد عرفوها حتى جاوزها. وسار حتى انتهي إلى أرض سلوقة وكانت بها حية تخرج عن الحد والمقدار، فرأوها ممتدة فظنوها ميتة، فهمموا عليها فوجدوها حية. فرجعوا عنها هاربين وتعوذوا منها بالرقا .

وتزعم القبط أنه سحرها، ومنعها من الحركة، وتركها على حالها، فلم تتحرك حتى هلكت، ويقال إن طول هذه الحية ميل وإنها كانت تبتلع الفيلة.

وسار إلى مدينة الكند وهي مدينة الحكماء، فهربوا إلى جبل وعر كان لهم صعدوا إليه من داخل مدينتهم من مواضع لا يقدر هو ولا أصحابه على الصعود فيها، فأقام على تلك الطريق يحرسها حتى عدم الماء، ولم يجد منه شيئاً وضاع أصحابه، وكادوا أن يهلكوا عطشاً. فنزل إليه رجل منهم يقال له ميدوش وكان من أفاضل الحكماء وقد غطى شعره جسده، فقال له أيها الملك المغرور أين تريد، وقد مد لك في الأجل، ورزقت فوق الكفاية ؟ ففيم تتعب نفسك وجيشك، هلا قنعت بما تملكه، واتكلت على خالقك الذي وهبك الغنى، وأعانك بهذا الخلق ! فعجب نهراوس من قوله وسأله عن الماء فدله عليه. وسأله عن موضعهم إذ لم يكن أصاب في جيشهم أثراً لسكناهم. قال نحن في موضع لا يصل إليه أحد. قال فما معاشكم ؟ قال من أصول نبات لنا نعتصم به ونقنع فيقيتنا ويكفينا اليسير منه. قال فمن أين تشربون ؟ قال من غدران لنا في الأرض يجتمع إليها الماء من الأمطار والثلوج .

قال فلم هربتم عنا ؟ قال رغبة عن جواركم، وزهادة في خلطتكم وكراهة لقربكم، وإلا فليس لنا ما نخافكم عليه .

قال فأين تكونون إذا حميت الشمس ؟ قال في غيران لنا تحت هذا الجبل .

قال فهل تحتاجون إلى مال أخلفه لكم ؟ قال إنما يحتاج إلى هذا المال أهل البذخ. ونحن لا نستعمل شيئاً منه فاستغنينا عنه بما قد اكتفينا به. ومع ذلك فإنا قد رزقنا منه ما لو رأيته لحقرت ما عندك. قال فأرنيه ! قال فسر معي، قال فانطلق الملك ونفر من أصحابه معه إلى أرض في سفح جبل يتصل بهم فرأوا فيه قضبان الذهب نابتاً، وأروه وادياً لهم على حافتيه حجارة الزبرجد والفيروزج .

فأمر نهراوس أصحابه أن يتخيروا من جياد تلك الحجارة، ويحملوا منها ما يقدرون عليه ففعلوا، ورجع بهم إلى مصر فرأوا قوماً من أهل العسكر يحملون صنماً لهم ويعظمون أمره، فجزع من ذلك، وسأل الملك أن يقيم بأرضهم، ونهاه عن عبادة الأصنام وخوفهم منها. فسأله نهراوس أن يدله على الطريق، ففعل وودعه وسار على السمت الذي وصفه له، فلم يمر على أمة إلا أثر فيها أثراً إلى أن بلغ إلى أرض النوبة، فصالح أهله على ما يحملونه إليه ثم أتى إليه دنقلة فأقام بها علما وزبر اسمه عليه ومسيره وجميع ما عمله في سفرته تلك. ثم سار منها يريد منف فلم يبق أحد إلا خرج إليه مع العزيز، وتلقوه بأصناف الطيب والرياحين والبخورات والملاهي وغرائب الألعاب. وكان العزيز قد بنى له مجلساً من الزجاج الغريب الأبيض الصنعة الملون، وجعل فيه صهريجاً من زجاج سماوى، وجعل في أرضه سمكاً من الزجاج الغريب فلما دخل منف أنزله العزيز في ذلك المجلس، وأقام الناس أياماً في لهو وسرور يأكلون ويشربون. وأمر بعرض جيشه ففقد سبعين ألفاً، وقد كانوا خرجوا في ألف ألف، وكانت غيبته أحد عشر عاماً .

ولما سمع الملوك بذكر ما عمل في سفره، وما غلب من الأمم، وما فتح من البلاد، وقتل وأسر من الخلق هابوه وخافوه، لشدة بأسه وعظيم سلطانه.

وتجبر نهراوس فبنى في الجانب الغربي قصوراً من رخام، ونصب عليها أعلاماً فكان يغشاها أبداً، ويقيم فيها أياماً كثيرة، وكان الخراج في وقته تسعة وتسعين ألف ألف، فأمر بالزيادة في طلب العمارات، وطلب وجوه الزيادة فيها من أحسن الطرقات لا من رديئها. وأمر بإصلاح الجسور في الجهات، والتحمل في أن يزيد الماء في انبساطه في الأرض، ففعل ذلك كله حتى وافي الخراج مراده وزاد عليه.

ذكر يوسف الصديق عليه السلام

وقالت القبط: إن في مدته دخل البلد غلام من الشام له أخوة يحسدونه، فاحتالوا عليه حتى بيع من تجار يقصدون مصر، وكانت قوافل الشام تعرس بمصر بناحية الموقف اليوم، فأوقف الغلام للبيع[٢١١] ونودى عليه، وهو يوسف الصديق عليه السلام، فبلغ وزنه ذهباً ووزنه فضة، فاشتراه العزيز ليهديه للملك، فلما أتى به إلى منزله رأته زليخا[٢١٢] امرأته، وكانت ابنة عمه فقالت له اتركه عندنا نربيه ففعل، وكان من أمره معها وعشقها له ما قصه الله تعالى في كتابه، وكانت تكتم حبها عنه، حتى غلبها الأمر، فتزينت له وجاءته فعرفته عشقها له، وأنها مطاوعة له في كل ما يريده منها، وأنها لابد لها منه، وحبته بمال عظيم، فامتنع عليها، ولم يجد عنها مهرباً، فرامت تقبيله فأبى عليها، فهجمت عليه ولم تزل تعاركه وهو يمتنع إلى أن دخل زوجها فوجده هارباً عنها وكان عنينا لا يأتي النساء، فقال لهما ما هذا فجعل يوسف عليه السلام يعتذر إليه، وقالت هي كنت نائمة فأتاني يراودني عن نفسي، ففطن أن الأمر كان

[٢١١] يذكر (الطبرى) في تاريخه: الذي باع (يوسف) في مصر يدعى (مالك بن دعر بن بويب بن مديان بن إبراهيم)، وأن الذي اشتراه هو (قطفير بن رويحب)، وهو (العزين).

[٢١٢] ذكر ابن الأثير أن اسمها راعيل (زوجة العزين)، انظر ابن الأثير: (الكامل في التاريخ، المجلد الأول، ص ١٤١)، قال مجاهد: أسمها (راعيل بنت رعابيل). وقال السدى: (زليخا بنت تمليخا). وقالوا اسمها (راعيل) ولقبها (زليخا)!

منها .

فقال ليوسف عليه السلام أعرض عن هذا؛ أي عن اعتذارك، وقال لزليخا استغفرى لذنبك، فإنك قد أخطأت. واتصل خبر الغلام وجماله بالملك، وأن العزيز ابتاعه له، فلما لم يره سأله عنه أنكر المعين أمره وغير له خبره، وغلظ فيه عليه، وثقف الغلام عنده في القصر ومنعه الخروج فنسى خبره. وكان نهراوس قد عاود الانعكاف على اللذات، والاحتجاب عن الناس لما كان العزيز كفاه من أمر الملك والرعية .

واتصل خبر زليخا مع يوسف عليه السلام بنساء من نساء أصحاب الملك فعيرنها بذلك. فأحضرت منهن جماعة وعملت لهن طعاماً، فلما أكلنه أحضرت لهن شراباً، وأجلستهن مجلسين مجلساً حذاء مجلس، مذهبين جميعاً، وفرشتهما بالديباج الأصفر المذهب، وأرخت عليهما ستور الحرير والديباج. وجلسن فيهما للشراب وقدمت بين أيديهن فاكهة كثيرة، وسكاكين أنصبتها من الجوهر، وقالت لهن اقطعن من هذه الفاكهة بهذه السكاكين، ويقال إن الذي كان ينزل بين أيديهن أترج وهو المتكأ، فأمرت المواشط بتزيين يوسف عليه السلام. وإخراجه إلى المجلس الذي كانت تجلس هي فيه والنسوة للشراب. وكانت الشمس ذلك الوقت محاذية لذلك المجلس. فأخذته المواشط ونظمن شعره بأصناف الجوهر. وألبسنه ثوب ديباج أصفر منسوج بدوائر مذهبة. وفيها صور خضر صفار. وعدلن شعره على جبينه إلى قرب حاجبيه. ووصلن جبهته، وعقربن على خديه صدغيه، وردن ذؤابته على صدره. ودفعن إليه بمذبة ذهب شعرها أخضر. فلما فرغ النسوة من أكلهن وجلسن للشراب، وأحضرت الفواكه وسقتهن أقداحاً دفعت إليهن السكاكين، وقالت لهن قد بلغنى ما أخذتن فيه من أمرى مع عبدى. فقلن لها إن الأمر على ما بلغك إلا أنك أعلى عندنا قدراً من هذا ومثلك يرتفع عن أولاد الملوك لحسنك وشرفك وعقلك، فكيف كنت ترضين بعبدك ؟ قالت لم يبلغكن الصدق عنى. ولم أرض لنفسى بذلك، فلو

رضيته لكان هو أهلاً لذلك، وأشارت إلى المواشط بإخراجه، فرفعت ستور المجلس الذي يحاذى مجلسها وأقبل يوسف عليه السلام والمذبة بيده، وهن يرمقنه، محاذيا للشمس. فأشرق المجلس وما فيه بوجه يوسف عليه السلام وارسل مع نور الشمس شعاعاً فكاد يخطف ابصارهن. وأقبل يوسف عليه السلام والمذبة بيده وهن يرمقنه حتى وقف على رأسها يذب عنها، وهن لا يعقلن، وقد وضعن تلك السكاكين على أيديهن وأصابعهن، فقطعنها مكان الفاكهة ولا يشعرن بذلك ولا يجدن ألما وهي تخطبهن فلا يفهمن خطابها للذى أدهشهن من النظر إلى وجه يوسف عليه السلام. فقالت لهن زليخا ما لكن قد اشتغلتن عن فهم خطابى بالنظر إلى عبدى ؟ فقلن معاذ الله أن يكون هذا عبدك أو يكون هذا بشر إن هذا إلا ملك كريم، ولم تبق منهن واحدة إلا أنزلت وحاضت من محبته.

فقالت لهن زليخا عند ذلك فهذا الذي لمتننى فيه، فقلن لها ما ينبغي لأحد أن يلومك بعد هذا، ومن لامك فقد ظلمك فدونكه، وقالت قد فعلت فأبى على فخاطبنه إن قدرتن واعدنه الخير منى وحذرنه عقوبتيعلى رده لى، فكانت كل واحدة منهن تدعوه إلى نفسها سراً، وتبذل له ما قدرت عليه وهو يمتنع، فإذا قطعت رجاءها منه لنفسها حينئذ خاطبته عن زليخا، وقالت له مولاتك تحبك وأنت تكرهها، وما ينبغي أن تخالفها وهي تبلغك إلى أفضل المنازل، وتعطيك من الأموال والجواهر فوق ما يرضيك، فيقول ما لى بذلك من حاجة، فلما رأين ذلك منه أجمعن على أخذه غصباً. فقالت زليخا ما يجوز ذلك ولا يمكن، ولكنه ان لم يفعل لأمنعنه اللدات، ولأنزعن عنه جميع ما أعطيته ولأسجننه. فقال يوسف عليه السلام رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه، فأقسمت بإلهها، وكان صنماً من زبرجد أخضر باسم عطارد أنه إن لم يجبها إلى ما تريده لتعجلن له ذلك وكشفت عن الصنم واستعانته على أمره، ثم أمرت بنزع ثيابه وألبسته الصوف وسألت زوجها أن يحبسه لها ليزول عنها ذكرها به فمال إلى قولها لئلا يظن الناس بأهله القبيح، وعسى [أن] ينفي عنها القالة بذلك. فأمر بحبسه

فحبس. فأقام في السجن[٢١٣] بضع سنين. ورأى الملك في منامه كأن آتياً أتاه فقال له إن فلانين قد عزما على قتلك، وكان صاحبى طعامه وشرابه. وفي غد تقف على أمرهما. فلما أصبح قررهما فاعترفا وقيل اعترف أحدهما، وأنكر الآخر فأمر بحبسهما وكان اسم صاحب الشراب مرطيس .

وكان يوسف عليه السلام براً رؤفاً بأهل السجن، يصبرهم ويعظهم ويعدهم بالفرج، ويفسر أحلامهم. إلى أن أخبره صاحب طعام الملك وصاحب شرابه برؤياهما كما جاء به القرآن، فأخرجا من السجن. وكان كما أخبرهما أن قتل أحدهما وهو الذي أقر ونجا الآخر الذي لم يقر. وهو صاحب الشراب .

ولما رأى الملك في نومه البقرات والسنابل وأراد أن يعبر رؤياه عرفه الساقى خبر يوسف عليه السلام. فأرسل إليه إلى السجن ففسرها له وقيل إن الملك قال للرسول سله عن الرؤيا قبل أن تقصها عليه ففعل. فقال الملك عند ذلك فجئنى به. فرجع الرسول إليه ليخرجه ويحمله إلى الملك. فقال له يوسف عليه السلام لست أخرج حتى يكشف الملك عن أمر النسوة اللاتى قطعن أيديهن وحبست من أجلهن. فأمر الملك في الوقت، فأحضرت زليخا والنسوة وكشف عن حقيقة الأمر فوقف عليه، وأقرت زليخا والنسوة بما كان منها. فوجه الملك إليه وأخرج من السجن وغسل من دونه ونظف وألبس من الثياب ما يليق به مثله على الملك. فلما دخل على الملك ورآه امتلأ قلبه من حبه. فأنزله وأكرمه وسأله عن الرؤيا ففسرها له كما قال الله عز وجل في كتابه.

فقال الملك ومن يقوم بذلك ؟ فقال له يوسف عليه السلام أنا فإنى به عليم .

---

[٢١٣] قال (القضاعى): سجن يوسف عليه السلام في (بوصير) من عمل الجيزة، وأجمع أهل المعرفة من أهل مصر على صحة هذا المكان، وكان الوحي ينزل عليه فيه وسطح هذا السجن معروف بإجابة الدعاء فيه، وبنى على أثر هذا السجن مسجداً، وهو هناك يعرف بمسجد موسى، وكان في قديم الزمان إلى أيام الحاكم بأمر الله لهذا السجن وقت معلوم في يوم من السنة يخرج إلى زيارة هذا السجن غالب أهل مصر من الرؤساء وعامة أهل مصر ويقيمون هناك نحو ثلاثة أيام وينفق في هذه الثلاثة أيام أموال جزيلة في المأكل والمشرب وغير ذلك ويجعلون هذا على سبيل الفرجة.

فخلع عليه خلع الملك وألبسه تاجاً. وأمر أن يطاف به، ويركب الجيوش معه. ويرد إلى قصر الملك، ويجلس على سرير العزيز، فكان ذلك واستخلفه الملك مكانه وسماه العزيز. وقال قوم كان العزيز قد هلك، فتزوج يوسف عليه السلام امرأته، فلما خلا بها قال لها هذا أفضل مما كنت أردت ؟ فقالت له إن زوجي كان عنينا ولم يترك امرأة في حسنك وهيبتك إلا صبا قلبها إليك. فأقام يوسف عليه السلام يدبر ملك مصر كيف شاء، وجاءت سنى الخصب فأخذ يوسف غلاتها فخزن أكثرها في سنابلها، واشترى الغلات الجسيمة، وأكثر غلات الناس، وخزن من ذلك ما لا يحصر قدره. ثم جاءت سنى الجدب وبدأ النيل في النقصان، فكان ينقص في كل سنة أكثر من نقصانه في السنة التي قبلها، فغلا السعر حتى بيع المأكول بالجوهر والمال والثياب والآنية والعقار. وكاد أهل مصر أن يرحلوا عنها لولا تدبير يوسف عليه السلام، وقحط أهل الشام، فكان من قصة إخوة يوسف ما قصه الله تعالى في كتابه .

ذكر يعقوب عليه السلام ودخوله أرض مصر

ووجه يوسف إلى أبيه فحمله إلى مصر وجميع أهله، وخرج في وجوه أهل مصر، فتلقاه وأدخله على الملك، فأحبه الملك وعظمه. فقال له يا شيخ كم سنك، وما صناعتك، وما الذي تعبده ؟ فقال له أما سنى فعشرون ومائة سنة، وأما صناعتى فلنا غنم نرعاها فنحن ننتفع بها ونعيش منها، وأما الذي أعبده فرب العالمين، وهو رب آبائى وآبائك وإلهي وإلهك وإله كل مخلوق وخالق كل شئ. وكان في مجلس الملك كاهن عظيم القدر عندهم، يقال له فيناس، فلما سمع قول يعقوب عليه السلام ضاق به ذرعا، وقال لـ نهراوس بلغتهم إنه يجرى خراب مصر على يد ولد هذا فقال له نهراوس، فبين لنا خبره .

قال فيناس لـ يعقوب عليه السلام إن كل إله لا تراه العيون فليس بشيء، فغضب يعقوب عليه السلام، وقال كذبت أي عدو الله، وطغيت في هذه الدنيا، إن الله تعالى شيء وليس كالأشياء، وهو خالق كل شيء لا إله غيره .

قال فصفه لنا، قال إنما يوصف المخلوق لا الخالق عز وجل، لأنه ارتفع عن الصفات، فهو واحد قديم أول أزلى قاض بكل شيء مدبر لكل شيء بلا كيف هو، حاضر في كل مكان لم يعزب عن علمه مثقال ذرة في ظلمات البحر، ولا أعماق الأرض، ولا في أطباق السموات وهو يرى ولا تراه العيون ولا يحيط به فكر ولا يحويه مكان، وكان قبل المكان والزمان، وخلق المكان والزمان .

ثم قام يعقوب صلى الله عليه وسلم مغضباً ليخرج، فأجلسه الملك وأمر فيناس أن يكف عنه، ويأخذ في غير ذلك، قال كم عدة من دخل معك من الرجال ؟ قال ستون رجلاً. قال فيناس للملك كذلك نجد في كتبنا أن خراب مصر يجرى على يد قوم يدخلون مصر في هذا العدد من الشأم من صنف هؤلاء .

قال الملك أيكون ذلك في أيامنا ؟ قال لا ولكن إلى أمد بعيد، ولكن الصواب أن يقتله الملك ولا يستبقى من ذريته أحداً. قال الملك نهراوس إن كان الأمر كما تقول فلا يمكننا دفعه ولا علينا منه ضرورة إذا لم نخف أن يجرى ذلك في مدتنا أن نقتل هؤلاء القوم، وهم يذكرون أمر إله عظيم .

وغيرنا ممن يخاف أن يدور ذلك عليه أحق بالنظر فيه، وقد قبل قلبى قول هذا الرجل، وأعجبنى أمره، وهو شيخ جليل القدر، وليس إلى إذايته سبيل، فخاطبه بألين كلام وناظره إن شاء مناظرتك. فجرت بين يعقوب عليه السلام وبين فيناس بعد ذلك مخاطبات لين له فيها القول، وظهر فيها يعقوب عليه السلام . وأحب يعقوب أن يعرف خبر مصر ومدائنها وعجائبها وسحرها وطلسماتها، فسأل عن قليل ذلك وكثيره فيناس عند خلوته به .

واستحلفه بحق فرعون أن لا يكتمه شيئا منه، فوصف له ذلك كله وبينه وشرح غرائبه، حتى لم يخف عن يعقوب عليه السلام شيئاً منها. فأقام يعقوب بمصر ونهراوس يجله ويعظمه إلى أن حضرته الوفاة، فأوصى أن يحمل إلى مكانه من الشأم، فجعل في تابوت، وخرج معه يوسف عليه السلام ووجوه أهل مصر حتى بلغوه إلى موضعه، ودفن فيه عليه السلام، وقيل إن عيصو منعه من دفنه هناك لأن إسحق عليه السلام وهبه الموضع، فاشتراه يوسف عليه السلام منه

بحكمه، ودفنه فيه. وأقام يوسف بـ مصر وولد له فيها، ويقال إن نهراوس آمن بيوسف عليه السلام، وكتم إيمانه خوفاً من فساد ملكه. وملك نهراوس مائة وعشرين سنة، وفي وقته عمل يوسف عليه السلام الفيوم لأبنة الملك، وكان أهل مصر قد تنقصوا الملك، وقالوا قد كبر وذهب عقله، فأخبر يوسف عليه السلام، فقال نهراوس ما أبالى ولكنى قد وهبت لابنتى ناحية كذا وكذا، وهي مغايض مياه ومروج، وأحب أن أدفع عنها صبيب المياه وأخرج عنها ما حصل فيها حتى ترجع أرضاً عامرة مغلة، فأعمل في ذلك وأحكم ما يمكن. فخرج يوسف عليه السلام فدبرها وأخرج المياه منها، وقطع مادتها منها، وبنى جسورها وقلع أدغالها وردها أرضاً عظيمة العمارة جسيمة الغلة، وهي أرض الفيوم، وفرغ من ذلك كله في مدة قريبة، فعجب الناس من فطنة الملك وحكمة يوسف عليه السلام. ويقال إن نهراوس أول من بنى بـ مصر وبنى اللاهون، وجعل الماء فيه مقسوماً موزوناً، ثم مات نهراوس.

ذكر الملك داروم بن الريان

واستخلف ابنه دريموس، ويسميه أهل الأثر داروم[٢١٤] بن الريان وهو الفرعون الرابع عندهم. ولما ملك خالف سنة أبيه، وكان يوسف خليفته، لأن أباه أمره بذلك وأكد عليه فيه، فكان يوسف عليه السلام يسدده فربما قبل منه وربما خالفه .

وظهر في وقته معدن فضة على ثلاثة أميال من النيل، فأثار منه شيئاً عظيماً،

---

[٢١٤] (داروم) هو نفسه (دارم)، وفي معجم لسان العرب: الأدْرَمُ الذي لا حَجْمَ لعِظامه والدَّرْماءُ الأرنب ؛ ومنه الأدْرَمُ الذي لا أسنان له والأوْنُ: الثِّقْلُ ، والدَّرِمَةُ والدّرّامَةُ من أسماء الأرنب والقَنفُذ. والدَّرّامُ: القنفذ لدَرَمانه . والدرَمانُ مِشْيَةُ الأرنب والفارِ والقَنْفُذِ وما أشبهه ، والفعل دَرَمَ يَدْرِمُ . والدّرّامُ القبيح المِشْيَةِ والدَّرامةِ، المعاجم العربية، معجم لسان العرب، مادة (درم)، انظر شبكة الإنترنت، الوقعhttp://lexicons.sakhr.com، ونرى أن (دارم) تعنى (الأرنب) ! ، فلماذا أطلقوا عليه هذا الاسم ؟!

وعمل منه صنماً على اسم القمر، لأن طالعه كان على السرطان، ونصبه على قصر الرخام الذي كان أبوه بناه في شرقي النيل. ونصب حوله أصناماً كلها من فضة وألبسها الحرير الأحمر، وعمل للصنم عيداً في كل شهر، وهو إذا دخل القمر بالسرطان. وكان ينتقل إلى مواضع شتى يتنزه، وكلما أراد أن يضر الناس منعه يوسف عليه السلام من ذلك ودفعه عن رأيه بأى وجه أمكنه، إلى أن مات يوسف عليه السلام وله مائة وثلاث وعشرون سنة، فأمر به داروم فكفن في ثياب الملوك، وجعل في تابوت رخام، ودفن في الجانب الغربى من النيل وخصب، ونقص الجانب الشرقى. فأخرج تابوته من الجانب الغربى ونقل إلى الجانب الشرقى فدفن فيه ونقص الجانب الغربى. فاتفق رأيهم أن يجعلوه في الجانب الغربى سنة وفي الشرقى سنة، ثم حدث لهم من الرأى أن شدوا حول التابوت حلقاً من نحاس وثاقاً ثم ربطوه بحبال وشدوه شداً وثيقاً محكماً ولووه لويا وثيقا ثم دلوه في وسط النيل، وتركوه هناك فأخصب الجانبان جميعاً وقيل إن داروم استوزره بعد بلاطس الكاهن، فكان بلاطس يطلق له ما كان يوسف عليه السلام منعه عنه، وعمله على أذى الناس وأخذ أموالهم، فبلغ بهم من ذلك مبلغاً كبيراً. فكان لا يسمع بامرأة حسناء إلا وجه إليها فحملت إليه. وفشا ذلك في المملكة واضطرب الناس من فعله .

فخاف بلاطس ان يفسد أمن المملكة، ويتلف الملك من فعله، فدخل إليه وأشار عليه أن يتودد إلى الناس، ويعتذر منهم ويرد نساءهم، فأمره الملك أن ينادى في الحضور ثم لبس أفخر ثيابه، ودخل الناس إليه فشكوا إليه ما حل بهم، فاعتذر إليهم وأسقط عنهم خراج ثلاث سنين. ثم أمر بعمل قصر من خشب فيه عجائب كثيرة، وكان يركب فيه هو ونساؤه وحشمه، ورجع إلى ما كان عليه من ابتزاز النساء، ونهب الأموال، واستخدام الأشراف والوجوه، من القبط من بنى إسرائيل إلى أن ركب في ذلك القصر يوماً، فلما كان في بعض الليالى وقد أحدق النيل بالبلد، وكان الماء من الجبل إلى الجبل، وامتد القمر على الماء وهو في قصره الخشب، فأراد أن يعدى من العدوة إلى العدوة الأخرى، فلم

يتهيأ له سوق القصر بسرعة لعظمه، فركب مركبا لطيفاً مع ثلاثة نفر من خدمه وامرأة أبيه الساحرة. فلما توسط البحر هاجت ريح عاصفة، فانقلب المركب وغرق هو ومن معه، وأصبح الناس شاكين في أمره إلى أن وجدت جثته بشطنوف فعرف بخاتمه، وبجوهر كان يتقلد به، فحمل إلى منف .

ذكر معازيوس الملك

وقدم الوزير ابنه معازيوس[٢١٥] وأجلسه على سرير الملك، وكان صبياً فبايع له الجيش وأسقط عن الناس الخراج الذي كان أبوه أسقطه وزادهم سنة وضمن لهم

---

[٢١٥] ذكره المقريزى باسم (معدان)، (معدان) = (معد) + (ان)، (ان) زائدة للأضافة، معد: المَعْدُ الضُخْم . وشيء مَعْدٌ غليظ وتَمَعْدَدَ غلُظ وسَمِن اللحياني، والمَعِدَةُ والمِعْدَةُ موضع الطعام قبل أن يَنحدر إلى الأمعاء ؛ وقال الليث: التي تَسْتَوْعِبُ الطعامَ من الانسان. ويقال: المَعِدةُ للانسان بمنزلة الكرشة لكل مُجْتَرٍّ ؛ وفي المحكم: بمنزلة الكرش لذوات الأظْلافِ والأخْلافِ، والمَعْدَان الجنبان من الإنسان وغيره، وقيل: هما موضع رِجْلَي الراكب من الفرس، انظر شبكة الإنترنت، المعاجم العربية، معجم لسان العرب، مادة (معد)، الموقع: http://qamoos .sakhr .com ، ونتذكر هنا اسم (خيان) ملك الهكسوس وهو عبارة عن (خيان) = (خي) + (ان)، ‘‘ ونجد الأستاذ "إمبير" في معجمه القارن: ((A-١٥: Ember يكتب الكلمة الصرية " خ ي " Placenta) مشيمة) بيد أنه يقابلها بكلمة عربية مختلفة تبدأ بحرف الخاء هي الأخرى: " خَويّ " من "خواء البطن". وتقدم لنا مادة " خوي " العربية مجموعة من المشتقات يدور مُعظمها حول التجويف والفراغ، و"ان" زائدة للإضافة، لاحظ أن معدان = "معد + "ان"، معد: المَعْدُ الضُخْم. وشيء مَعْدٌ غليظ وتَمَعْدَدَ غلُظ وسَمِن اللحياني، والمَعِدَةُ والمِعْدَةُ موضع الطعام قبل أن يَنحدر إلى الأمعاء ؛ انظر شبكة الأنترنت، المعاجم العربية، معجم لسان العرب، مادة (معد)، الموقع: http://qamoos .sakhr .com ، ونرى أن "خيان " ترجمها المؤرخ العربي بالخطأ إلى "معدان"!!، ويذكر د.على فهمى خشيم في كتابه (آلهة مصر العربية): ‘‘ ولك بالطبع أن تقارن اللهجات العربية الحديثة: خُو، خُويْ، خُويَا/ خَيْ، خَيّ)، الأخيَّة والأُخَيّه والآخِيّة: واحدة الأواخى ‘‘. أي المشتقة من الجذر العربي أخ. فيكون المعنى الصحيح لـ (خيان) = الزعيم، الرئيس، أو كبير القوم أو القائد أو (حاكم المجندين الشباب). وليس (معدان) أي صاحب البطن (أوالكرش) كما ترجمها المؤرخ العربي قديماً !!

الأحسان فأطاعوه ورد نساءهم، وهو خامس الفراعنة، وكان في زمنه طوفان آخر ببعض البلد. وكان وزير أبيه قد هلك، فاستوزر كاهناً يقال له أملادة، فلما رأى من الأسرائيليين ما فعلوه أنكره، وأشار أن يفرد لهم من البلد [لئلا] بهم يختلط غيرهم، فأقطعوا موضعاً من قبلي منف، وعملوا لأنفسهم متعبداً كانوا يتلون فيه صحف إبراهيم عليه السلام. وأن رجلاً من أهل بيت الملكة عشق امرأة من الإسرائيليين، وأراد أن يتزوج، فأبوا عن ذلك. وتغلب أحد ملوك الكنعانيين على الشام وامتنع أهله أن يحملوا الضريبة إلى ملك مصر، وأقبل على ملازمة الهياكل والتعبد فيها، فأعظم الناس أمره فتجبر في نفسه، وأمر الناس أن يسموه (ربا)[٢١٦]، وترفع أن ينظر في شيء من أمر الملكة، فجمع الناس وقال لهم قد رأيت أن أجعل أمر الملك إلى ابن اقسامس[٢١٧]وأكون من ورائه إلى أن يغيب شخصي عنكم كما وعدت، فرضوا ذلك، وقالوا الأمر أمر الملك ونحن عبيده، ومن رضيته الآلهة فحكم الخلق أن يرضوه ولا يخالفوه .

ذكر أقسامس الملك

فأقام ابنه أقسامس الملك، وجلس أقسامس على سرير الملك، وتوج بتاج أبيه وأقام الناظرون بين يديه ورتب الناس مراتبهم، وقسم الكور والأعمال، وأمر

---

[٢١٦] أي ادعى الألوهية.

[٢١٧] ذكره ابن إياس باسم (أكسايس) في كتابه: (نزهة الأمم في العجائب والحكم)، تقديم وتحقيق د .محمد زينهم محمد عزب، ص ٥٥. وذكره السعودى باسم (أقسامس) في (أخبار الزمان)، ص ٢٦٧. و(مس = ذو) وتبقى (أكسا) أو (أقسا) مجهولة المعنى . وفي لسان العرب مادة (القساء): ابن الأعرابي: أَقْسَى إذا سكن قُساء ، وهو جبل ؛ قال ابن بري: قُساء بالضم والمد ، اسم جبل ، ويقال: ذو قُسا، وفي القاموس المحيط مادة (قسا): ذُو(قَسِي) طريقُ اليمنِ إلى البَصْرَةِ . ونرى الأصل من (قسا) أو (قسى)، أي أن (أكسايس) كان لقبه العربي (ذو قسى) قام المؤرخ العربي بترجمة (ذو) إلى (مس) وترك (قسى) أو (قسا) كما هي ودخلت الهمزة في أول الاسم فتحول إلى (أقسامس) أو (أكسامس) ! !

بأبساط العمارات، وأوسع على الناس في أرزاقهم، وعلا أمره وطال ملكه، وعمل مدنا كثيرة أسفل الأرض وعجائب كثيرة يطول ذكرها، ويقال إن بخت نصر لما ظفر بمصر أخذ من عمله عجائب كثيرة، فأقام أول ولايته سبع سنين بأجمل أمر وأصلح حال. ومات وزير أبيه فاستخلف رجل من أهل بيت المملكة، يقال له ظلما ابن قومس، وكان شجاعاً ساحراً كاهناً كاتباً حكيماً ذهنياً متصرفاً في كل فن. فصلح أمر المملكة بمكانه وأحبه الناس، فعمل معالم كثيرة وعمر الخراب، وبنى مدناً، ورأى في نجومه أنه سيكون جدب وشدة، فاستعمل ما استعمله نهراوس الملك وقد تقدم ذكره. وبنى الهياكل، وقيل إن منارة الإسكندرية بنيت في زمانه، وفي زمانه هاج البحر المالح فغرق كثير من القرى والأخبية والمصانع. وحكى أن أقسامس تغيب عن الناس مدة، وقيل مات وكتموا موته، وكان ملكه إلى أن غاب عنهم إحدى وثلاثين سنة، وأقاموا إحدى عشرة سنة يدبر ملكهم ظلما الكاهن .

ولما افتقد الناس الملك اضطربوا وتغيروا على ظلما، واتصل بهم أنه سمه وقتله، فقالوا لابد لنا من النظر إلى الملك، فعرفهم أنه قد تخلى عن الملك وولى ابنه لاطس، فما قبلوا منه، وأمر الجيش فركبوا في السلاح .

ذكر لاطس الملك

وكان لاطس[٢١٨] الملك جلس على سرير الملك ولبس التاج وكان جريئاً معجباً

---

[٢١٨] (لط): ولَطَّ على الشيء وألَطَّ: ستر، والاسم اللَّطَطُ ولَطَطْتُ الشيءَ ألُطّه سترتُه وأخْفيته. واللَّطُّ السِتْر. ولطَّ الشيءَ: ستَره؛ ولطَّ السِّتر: أرْخاه. ولطَّ الحِجاب: أرْخاه وسدَله؛ اللَّطُّ في الخبَر: أن تَكتُمه وتُظْهر غيره، وهو من الستر أيضاً؛ ومنه قول الشاعر: وإذا أتاني سائلٌ، لم أعْتَلِلْ، ـــلا لُطَّ مِنْ دُونِ السَّوامِ حِجابي ولَطَّ عليه الخَبَرَ لَطّاً: لَواه وكتَمه. الليث: لَطَّ فلان الحَقَّ بالباطل أي ستَره. انظر شبكة الإنترنت، المعاجم العربية، معجم لسان العرب، مادة (لط)، الموقع: http://qamoos .sakhr .com، ونرى أن الاسم الأصلى لـ (كاتم) قبل أن يقوم المؤرخ العربي بترجمته من أوراق البردى هو (لاط) أو (لاطس) والسين هنا زائدة يونانية!

خلقاً، فوعد الناس جميلاً وقال أنا مستقيم لكم ما استقمتم، وإن ملتم عن الواجب ملت عنكم، وألزم الناس أعمالهم، وحط جماعة من الوجوه عن مراتبهم، وصرف ظلما بن قومس عما كان عليه من خلافته. واستخلف رجلاً يقال له لاهوق من ولد صا الأكبر بن تدارس، ودفع إليه خاتمه، وكان كاهناً وأنفذ ظلماً عاملاً على الصعيد، وأنفذ مع جماعة من الإسرائيليين، وجدد بناء الأعلام وأصلح الهياكل، وبنى قرى كثيرة، وأثيرت في وقته معادن كثيرة وكنوز. وكان محباً للحكم ثم تجبر وعلا، وأمر أن لا يجلس أحد في قصر الملك لا كاهن ولا غيره، بل يقومون على أرجلهم إلى أن ينصرفوا، وزاد في أذى الناس والعنف بهم، ثم جمع أموالهم وكنزها، وطلب النساء فابتز منهن خلقاً كثيراً، وقصد الناس بسطوته وفظاظته. واستعبد بني اسرائيل، وقتل جماعة من الكهنة فبغضه الخاص والعام، ثم حشد عليه ظلما الذي صرفه وولاه الصعيد فجاءه بجيش كثيف، وخرج إليه بلاطس الملك، فحاربه طلما فظفر بـ بلاطس وقتله، وسار حتى دخل منف فعاث فيها .

ذكر الملك ظلما بن قومس (فرعون)

ونزل قصر المملكة ظلما[219] بن قومس، فجلس على سرير الملك وحاز جميع ما كان في خزائنهم، فهذا الذي تذكر القبط أنه فرعون[220] موسى صلى الله عليه

[219] آخر ملوك الهكسوس يدعى (أبوفيس) ويسميه (أفريكانو) نقلا عن (مانيتون): إرشليس Erchlis، وهذا الملك له اسم أخر (إشيسEches) أو (أسيس)، (أسيس)= (أش) + (يس) (زائدة يونانية)، (أش) في المصرية هو (إله الرماد)، آش = آس في العربية تعنى الرماد، يقول ابن منظور: " الأسُ: بقية الرماد بين الأثاني في الموقد، وقال الأصمعي: الأسُ: آثار النار وما يعرف من علاماتها "، انظر د .على فهمى خشيم: آلهة مصر العربية، المجلد الأول، ص ٢٩٦، ونرى أن (الرماد) لفظ يفيد (السواد)، لاحظ أن اسم (فرعون) كان (ظلما) وهو لفظ يفيد (السواد) أيضاً ا ، وهذا يعنى أن (أشيس) = (ظلما)، أي أن (أشيس) هو نفسه (فرعون)!!

[220] نرى أن اللقب فِرعون يمكن أن ينطق كالتالى: فِـ - رع - عا - ون ومعناه:(فِ) = معنى الرمز الهيروغليفى: " حية قرناء . أفعى. (HOMED VIPER) في المصرية f t:ف ت " = "

حـنش . أفعـى"، "fy أف ي " (في الكتابـة الديموطيقيــة) = " أفعـى ". مـن الثابـت أن الحرف/الرمز الهيروغليفي الذي يدل على "الفاء" مشتق من " ف ي " و" ف ت " (أفعى). ومن الواضح أن " ف ت " مؤنث " ف ي " وأن هذه الأخيرة هي " ف ع ي " بسقوط حرف العين .(رع) = إله الشمس، ويوصف (رع) بأنه (الواحد الذي يعلو) . (عا) = ‘‘ وتترجم في العادة بأنها تعني: العظيم أو الكبير great لكن باحثاً ممتازاً، هو الأستاذ مارسيل كوهن، يرجعها إلى العربية (عال) بمعنى (مرتفع) وهو لفظ يتفق تماماً مع طبيعة قصر الملك المرتفع البناء، ولا يبعد عن معنى العظمة والكبر، فإذا انتبهنا إلى أن أواخر الحروف في عدد وافر من الكلمات كثيراً ما يهمل أو " يؤكل " في اللغة المصرية القديمة، وأنه لا وجود لـلام في الرموز الهيروغليفية، وهي كثيراً ما تبدل همزة عرفنا أن كلمة (عال) هي المقصودة في هذا المقام . وقد تعرضت هذه الكلمة للتحريف في عدد من اللغات في المنطقة . ولكن لابد من الأنتباه إلى ما ورد في القرآن حين تحدث عن فرعون في ثلاث مواطن ووصفه فيها بالعلو في سورة يونس الأية (٨٣): ﴿ فَمَآ آمَنَ لِمُوسَىَ إلا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىَ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأرض وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾، وفي سورة الدخان الأيات [٣٠ -٣١] ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيَ إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ٭ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾، وفي سورة النازعات الأية (١٧): ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى؟(، والأية (٢٤)(فَقَالَ أَنَاْ رَبُّكُمُ الأعْلَىَ ﴾. ومن المفهوم هنا أن هذا العلو يعني الاستعلاء أي التجبر والطغيان في موضع الذم. وهذا هو الواقع، فقد كان الفراعين مستعلين فعلا، بل متألهين أو مُـؤلهين، يعبدون باعتبارهم أرباباً أو أبناء الرب. ودقة القرآن الكريم وحكمته هي التي أدت إلى وصف الفرعون بالعلو. مما ينطبق مع واقع الحال معنى ومبنى، من هذا العرض الموجز للقب (فرعون) في تطوره التاريخي وتركيبه اللغوى يتبين لنا أنه اسم عروبي صميم، (Wnون): الوجود المقدس / الحرم . وتنبغى الأشارة إلى أن (ون) في المصرية تدل على الوجود المقدس، أو المبارك، أو الوجود الإلهى، أو الخلق الربانى . . أي (التكوين). ومن هنا كان ارتباطها وارتباط مشتقاتها بالفعل الإلهى، وبالقداسة، وبالمعابد، وما إليها بسبيل، وعلى ذلك يكون المعنى الحقيقى لـ (ون) هو (الرب) أو (الإله) !

و يكون معنى اللقب (فرعون) هو (الرب) أو (الإله) الأعلى للسماء والأرض !!

أليس هذا بالضبط ما ذكرته تلك الأية الكريمة عن فرعون: ﴿فَقَالَ أَنَاْ رَبُّكُمُ الأعْلَىَ(٢٤) ﴾ [سورة النازعات]. والطريف أن صورة الأرنب هذه أداة رمزية للتعبير عن صوتين هجائيين يؤديان معنى في نمط الكتابة الهيروغليفية، وذلك لاشتراك اللفظ بين (ون) (تعنى أرنب) و(ون) تعنى (الوجود)!

(ون) لا وجود لها في معاجم اللغة العربية بمعنى (الإله) أو أي معنى آخر ! . ولكنها تحولت إلى (ول)، على أعتبار (ن=ل)، ثم دخلت الهمزة في مقدمتها فأصبحت (أول)، والأول بمعنى (رقم واحد) !

والمؤكد أيضاً أنها انتقلت إلى اللغة الإنجليزية في صيغة One وإلى الإيطالية والأسبانية في صيغة Uno والفرنسية في صيغةI'un وكلها تعنى (واحد) أو (الواحد) وهو أيضاً اسم من أسماء الإله !!

وفي التنزيل: ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فرعَونَ أَتَذَرُ مُوسَىَ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرض وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧)﴾[الأعراف]، وفي تفسير القرطبي : ''... قَالَ الْحَسَن: كَانَ فِرْعَوْن يَعْبُد الأَصْنَام ، فَكَانَ يَعْبُد وَيُعْبَد . قَالَ سُلَيْمَان التَّيْمِيّ: بَلَغَنِي أَنَّ فِرْعَوْن كَانَ يَعْبُد الْبَقَر . قَالَ التَّيْمِيّ: فَقُلْت لِلْحَسَنِ هَلْ كَانَ فِرْعَوْن يَعْبُد شَيْئًا؟ قَالَ نَعَمْ ؛ إِنَّهُ كَانَ يَعْبُد شَيْئًا كَانَ قَدْ جَعَلَ فِي عُنُقه. وَقِيلَ: مَعْنَى (وَآلِهَتك) أَيْ وَطَاعَتك، كَمَا قِيلَ فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُون اللَّه (٣١) ﴾[التَّوْبَة] إِنَّهُمْ مَا عَبَدُوهُمْ وَلَكِنْ أَطَاعُوهُمْ ؛ فَصَارَ تَمْثِيلاً. وَقَرَأَ نُعَيْم بْن مَيْسَرَة (وَيَذَرُك) بِالرَّفْعِ عَلَى تَقْدِير وَهُوَ يَذَرُك. وَقَرَأَ الأَشْهَب الْعُقَيْلِيّ (وَيَذَرْك) مَجْزُومًا مُخَفَّف يَذَرك لِثِقَلِ الضَّمَّة. وَقَرَأَ أَنَس بْن مَالِك (وَنَذَرُك) بِالرَّفْعِ وَالنُّون. أَخْبَرُوا عَنْ أَنْفُسهمْ أَنَّهُمْ يَتْرُكُونَ عِبَادَته إِنْ تَرَكَ مُوسَى حَيًّا. وَقَرَأَ عَلِيّ بْن أَبِي طَالِب وَابْن عَبَّاس وَالضَّحَّاك (وَإِلاهَتك) وَمَعْنَاهُ وَعِبَادَتك. وَعَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَة كَانَ يَعْبُد وَلا يُعْبَد ، أَيْ وَيَتْرُك عِبَادَته لَك. قَالَ أَبُو بَكْر الأَنْبَارِيّ: فَمِنْ مَذْهَب أَصْحَاب هَذِهِ الْقِرَاءَة أَنَّ فِرْعَوْن لَمَّا قَالَ ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَى(٢٤) ﴾[النَّازِعَات] و﴿ مَا عَلِمْت لَكُمْ مِنْ إِلَه غَيْرِي(٣٨) ﴾[الْقَصَص]، نَفَى أَنْ يَكُون لَهُ رَبّ وَإِلاهَة . فَقِيلَ لَهُ: (وَيَذَرك وَإِلاهَتك) ؛ بِمَعْنَى وَيَتْرُكك وَعِبَادَة النَّاس لَك. وَقِرَاءَة الْعَامَّة (وَآلِهَتك) كَمَا تَقَدَّمَ ، وَهِيَ مَبْنِيَّة عَلَى أَنَّ فِرْعَوْن اِدَّعَى الرُّبُوبِيَّة فِي ظَاهِر أمرِهِ وكَانَ يَعْلَم أَنَّهُ مَرْبُوب. وَدَلِيل هَذَا قَوْله عِنْد حُضُور الْحِمَام ﴿آمَنْت أَنَّهُ لا إِلَه إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيل(٩٠) ﴾[يُونُس] فَلَمْ يُقْبَل هَذَا الْقَوْل مِنْهُ لَمَّا أَتَى بِهِ بَعْد إِغْلاق بَاب التَّوْبَة. وكَانَ قَبْل هَذَا الْحَال لَهُ إِلَه يَعْبُدهُ سِرًّا دُون رَبّ الْعَالَمِينَ جَلَّ وَعَزَّ ؛ قَالَهُ الْحَسَن وَغَيْره . وَفِي حَرْف أُبَيّ (أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمه لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْض وَقَدْ تَرَكُوك أَنْ يَعْبُدُوك (. وَقِيلَ: (وَإِلاهَتك) قِيلَ: كَانَ يَعْبُد بَقَرَة ، وَكَانَ إِذَا اِسْتَحْسَنَ بَقَرَة أمر بِعِبَادَتِهَا ، وَقَالَ: أَنَا رَبّكُمْ وَرَبّ هَذِهِ . وَلِهَذَا قَالَ :﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلا جَسَدًا (٨٨) ﴾[طه]. ذَكَرَهُ اِبْن عَبَّاس وَالسُّدِّيّ. قَالَ الزَّجَّاج: كَانَ لَهُ أَصْنَام صِغَار يَعْبُدهَا قَوْمه تَقَرُّبًا إِلَيْهِ فَنُسِبَتْ إِلَيْهِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ أَنَا رَبّكُمْ الأَعْلَى﴾. قَالَ إِسْمَاعِيل بْن إِسْحَاق: قَوْل فِرْعَوْن ﴿أَنَا رَبّكُمْ الأَعْلَى ﴾ يَدُلّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ شَيْئًا غَيْره . وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْمُرَاد بِالالاهَةِ عَلَى قِرَاءَة اِبْن عَبَّاس الْبَقَرَة الَّتِي كَانَ يَعْبُدهَا. وَقِيلَ:

وعلى نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. وأما أهل الأثـر فيزعمـون أنـه الوليـد بـن مصعب [221]، وأنه من العمالقـة وذكـروا أن الفراعنـة سـبعة.[222]وكـان ظلمـا فيمـا

أَرَادُوا بِهَا الشَّمْس وَكَانُوا يَعْبُدُونَهَا. قَالَ الشَّاعِر: وَأَعْجَلْنَا الالاهَـة أَنْ تَئُوبَا ''. وفي تفسير بن كثير: "... عَنْ اِبْن عَبَّاس وَمُجَاهِد وَغَيْره وَعَلَى الْقِرَاءَة الأُولَى قَالَ بَعْضهمْ: كَانَ لِفِرْعَوْن إِلَه يَعْبُدهُ قَالَ الْحَسَن الْبَصْرِيّ كَانَ لِفِرْعَوْن إِلَه يَعْبُدهُ فِي السِّرّ . وَقَالَ فِي رِوَايَة أُخْرَى كَانَ لَهُ حَنَّانَة فِي عُنُقه مُعَلَّقَة يَسْجُد لَهَا ". وللمزيد راجع كتابنا: (فرعون وموسى)، ص١٢٨.

[221] وفي اللسـان، مادة: صعب. ومن أشهر من سمي مصعباً: مصعب بن الزبير. قـال: وكـان ذو القرنين المنذر بن ماء السماء يلقب بالصعب، قـال لبيـد: والصـعبُ ذو القـرنين أصبح ثاويـاً ٭ بالحِنْو، في جَدَثٍ، أُمَيْمَ، مقيم وقد كان اسم الصعب (أو لعله لقب) منتشراً في اليمن القديمة علماً على الملوك والزعماء مثل: الصعب بـن الأقـرن، الصـعب بـن ذى مرائـد، الصـعب بـن القـرين، الصعب بن مالك. انظر في مواطن متفرقة: (ملوك حمير وأقيـال الـيمن، قصـيدة نشـوان الحمـيرى وشرحها، دار العودة، بيروت، ١٩٨٦ م)، انظر د.على فهمـي خشـيم: (آلهـة مصـر العربيـة)، المجلد الأول، ص ١٩٩، حاشية رقم (٢٠)، ويقال إن اسمه الوليد بـن مصـعب بـن أراهـون بـن الهلوت بن فاران بن عمرو ابن عمليق بن بلقع بن عابر بن أشليخا بن لود بن سام بن نـوح وإنـه من العمالقة وكان قصيراً طويل اللحية أشهل العين اليمنى صغير العين اليسرى أعرج، في جبينـه شامة، وزعم قوم أنه من القبط وأن نسبه ونسب أهل بيته مشهور عندهم، ويكنى (أبا مرة) وهـو أول من خضب بالسواد لما شاب دله عليه أبليس، هل الوليد من أسماء الفراعنة ؟

حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ حَدَّثَنَا ابْنُ عَيَّاش قَالَ حَدَّثَنِي الأَوْزَاعِيُّ وَغَيْرُهُ عَن الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ قَـالَ : وُلِـدَ لأَخِـي أُمِّ سَـلَمَةَ زَوْجِ النَّبِـيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلامٌ فَسَمَّوْهُ الْوَلِيدَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ سَـمَّيْتُمُوهُ بِأَسْـمَاءِ فَرَاعِنَتِكُمْ لَيَكُونَنَّ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْوَلِيدُ لَهُوَ شَرٌّ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ ويذكر ابن منظور أنه: " في الحديث أنه (أى النبى) دخـل علـى أم سـلمة وعنـدها غـلام يسـمى الوليد فقـال (النبـى): " اتخـذتم الوليـد حنانـاً. غيّـروا اسمـه ". أي تتعطفـون علـى هـذا الاسـم فتحبونه. وفي رواية أنه من أسماء الفراعنة " (اللسـان، مادة: حنن) وفي مـواطن أخـرى كـثيرة عند الأخباريين والمؤرخين العرب المسلمين، يتردد اسم " الوليد " باعتباره مـن أسمـاء الفراعنـة . فلماذا " الوليد " بالذات ؟

الجواب يكمن في أن هذه الكلمة ليست إلا الرادف العربي لكلمتين أخـريين تـدخلان في ألقـاب ملوك مصر الأقدمين بشكل يكاد يكون متواتراً حتى لا يكاد يخلو لقب أي فرعون مـن أحـدهما ؛

الأولى " س، sa " أو " ز، za " غاردنر: ص ٤٧١) ومعناها: ابن، ولد ـ وتدخل في ألقاب من مثل: " سا ـ رع "، " سا ـ حر " أي: ابن الشمس (رع)، ابن الصقر (حُر) . والثانية: " م س ms " ونجدها في ألقاب من مثل: " رع ـ م س " (رعمسيس / رمسيس)، " ت ح ت ـ م س " (تحتمس)، " أ ح ـ م س " (أحمس) = رع ولد، تحت ولد، أح ولد (أنظر: غاردنر ٧٤ Eg Gr ., p). ومعناها كذلك: ابن رع، ابن تحت، ابن أح .... . إلخ . إن كلا من " س ، " / " ز ، " و" م س " تعنى في المصرية: ولد / ابن، وهما من (أسماء) الفراعنة تدخلان في تلك السلسلة الطويلة من ألقاب التبجيل، باعتبار الفرعون ابناً لإله من الآلهة بحسب غلبة عبادته على مصر في فترات التاريخ، سواء كان (رع)، أو (حر) أو (أمون) أو (تحت) أو غيرهم. وقد ظلت هذه " النبوة " الألهية في ذاكرة الأجيال حتى بلغت الأخباريين العرب فسجلوها. وكل ما في الأمر أنهم استعملوا مرادفاً آخر لـ (ذو) و(م س) هو (وليد) أى: ولد صغير = ابن، و اسم (مصعب) اسم عربى صريح، وجذره (صعب)، وهو يفيد الشدة، نقيض الذلول، والمصْعَب: الفحل، وبه سمى الرجل مصعباً، ورجل مصعب: مسوّد (في أهله)، وفي اللسان، مادة: (صعب) ومن أشهر من سمى مصعباً: مصعب بن الزبير . قال: وكان ذو القرنين المنذر بن ماء السماء يلقب بالصعب، قال لبيد: والصعبُ ذو القرنين أصبح ثاوياً ، بالحِنْوِ، في جَدَثٍ، أُمَيْمَ، مقيم وقد كان اسم الصعب (أو لعله لقب) منتشراً في اليمن القديمة علماً على الملوك والزعماء مثل: الصعب بن الأقرن، الصعب بن ذى مراثد، الصعب بن القرين، الصعب بن مالك. انظر في مواطن متفرقة: (ملوك حمير وأقيال اليمن، قصيدة نشوان الحميرى وشرحها، دار العودة، بيروت، ١٩٨٦ م)، انظر د .على فهمى خشيم: (آلهة مصر العربية)، المجلد الأول، ص ١٩٩، حاشية رقم (٢٠). وهذه المعانى الدالة على القوة نجدها واضحة في الألقاب الطويلة التي كانت تسبغ على الفرعون إجلالا وتقديراً، بيّنها جاردنر (Eg .Gr ., p ٧١٥) من مثل: " كا ـ ن خ ت = ka n h t " الثور القوى (الناشط)، " ن ب = n b " السيّد (المسوّد = نبى، رب) . ونجدها في قائمة الفراعين أخر معجم " بدج " (ص ٩١٧ ـ ٩٤٦) في اسم " أخناتون " مثلا " أخ = قوة + نون الأضافة + إتن = الشمس / أتون). ويأتى غاردنر (Eg .Gr ., p ٥٦٢) بكلمة " وس ر w s r " ويترجمها: powerfulقوى، Wealthy غنى . بينما يترجم " فولكنر (a Con .Dict. of M. Eg p ٦٨)" نفس الكلمة إلى الأنكليزية Strong قوى / شديد و influential مؤثر، إلى جانب ما ذكره "غاردنر" من معان تدور في هذا النطاق . أما " بدج " فقد بدأ متردداً بين مختلف الأراء في كتابه الذي خصصه للحديث عن (أوزيريس) في جزءين كبيرين، وأورد مختلف الصيغ لكتابته في العصور الأولى بمصر وفي عصر البطالمة، وبالخط القبطى إلى جانب القلم السيريانى، مقلباً إمكانية نطقه بمختلف الصور ومحاولا استخلاص المعنى المقصود دون

يحكى عنه قصيرا طويل اللحية، أشهل العينين صغير العين اليسرى، في جبينه شامة، وأنه كان أعرج. وزعم قوم أنه كان لقيطاً، والدليل على ذلك ميله إليهم ونكاحه فيهم، ولما جلس في الملك اضطرب الناس عليه، فبذل الأموال ورغب من أطاعه، وقتل من خالفه فاعتدل أمره. وكان أول ما عمله أن رتب المراتب وشيد الأعلام وبنى المدن، وخندق الخنادق، وعمل بناحية العريش حصناً، وكذلك على حدود مصر، واستخلف هامان[٢٢٣]وكان يقرب منه في نفسه. وأثار بعض

الوصول التي رأى قاطع . لكنه في مؤلفه عن " (آلهة المصريين (The Gods of (The Egyptians,ii,p ١١٣) قرأ الاسم " وس ر w s r " وترجمه إلى الانجليزية: Strength might ,power, شدة، جبروت، قوة ، ومما سبق رأينا أن الأبن أو الوليد = ذو، كذلك " ذو " تعنى صاحب، والصعب أو الشدة = وسر، فيكون الوليد ابن صعب أو الوليد بن مصعب = ذو ـ وسر، وكذلك (ذو وسر) تعنى (صاحب الشدة) = شداد أي أن الوليد بن مصعب هو نفسه ذو ـ وسر وهذا هو لقبه العربي !!

(ذو) تعنى (الابن) أو (الوليد) = (مس)، (وسر) تعنى الشدة أو الصعوبة أو القوة وهي صفة من صفات (رع) وعلى ذلك فإن اللقب (ذو وسر) يعنى (مس رع) أو (رع مس) أي (ابن رع) أي أن (ذو وسر) كان من الرعامسة (أبناء رع) ومعروف أن (فرعون) كان من الرعامسة. وعلى ذلك يكون ذو وسر (فرعون) هو نفسه الملك (زوسر) الذي وضعه المؤرخ المصرى (مانيتون) ضمن أحد ملوك الأسرة الثالثة في قائمته الشهيرة بـ (قائمة مانيتون) وهي القائمة التي تضم أسماء الملوك الذين حكموا مصر منذ القدم ! . .راجع كتابنا: (فرعون وموسى)، ص ١٣١.

[٢٢٢] من الأمور المثيرة للدهشة أن أهل اليمن يقولون إنه خرج من وادى (ضهر) سبعة من الفراعنة، ووادى (ضهر) على بعد ساعتين من صنعاء وهي أطيب بلاد اليمن فاكهة، الأستاذ/أحمد الدبش: (موسى وفرعون في جزيرة العرب)، ص٨٤، الهمدانى، الأكليل، جـ٨، تحقيق: الأب أنستانس ماري الكرملي البغدادى، ص ٧٤.

[٢٢٣]هل يكون (هامان) الذي ذكر في القرآن هو نفسه (أمحوتب) ؟

و(أمحوتب) هو وزير البناء في عصر الملك (زوسر)، فهل يكون الملك (زوسر) هو نفسه (فرعون)؟ !!!

و الآن وقد وضحت الصورة وظهر أن (زوسر) هو نفسه (فرعون) ... فكيف يكون (أمحوتب) هو نفسه (هامان) ؟ !!!

فهل يكون مهندس العمارة (أمحوتب) هو نفسه (هامان) وزير فرعون ؟ !!!

الإجابة: نعم ... ولا شك في هذا!

فالقرآن عرّب (شاؤل) ـ اسم عبرى ـ إلى (طالوت)، لأن (شاؤل) تعنى (الطويل)، وعرّب (يصهر) ـ اسم عبرى ـ إلى (قارون) بمعنى (المضيء) أو (منير الطلعة) وهو نفس معنى (يصهر) في العبرية والقرآن لم يعرّب (فرعون) لأن اللقب (فرعون) عربى الأصل وكمان الأرومة ... والعربي لا يعرّب!

لكن المحيّر في الأمر أن القرآن عرّب (أمحوتب) وهو اسم عربى إلى (هامان) وهو اسم عربى أيضاً وبنفس المعنى ألا وهو (الرئيس)!!

(أمحوتب) = (أ) + (محو) + (تب)، (أ)= الهمزة وهي زائدة لغوية، أما عن (تب) فيذكر د.على فهمى خشيم في كتابه (آلهة مصر العربية)، المجلد الأول، ص ١٢٠) : "(ت ب) Tp رأس: في العربية، مادة تب(ب): الأتب: الجبل المرتفع . التبة: الربوة . التاب: الشيخ (الرئيس، من: رأس) ". أي أن (تب) المصرية =(تاب) العربية = (رأس) = (هامة) ومنها اشتق القرآن الاسم (هامان) !. وفي مادة (تبب) (ثلاثي "تب") يورد (اللسان): " والتاب: الكبير من الرجال، والأنثى: تابّة "

فما السبب يا ترى ؟

الإجابة تكمن في أن الاسم (أمحوتب) صحيح إنه (اسم عربى) ولكن المؤكد أن صاحب الاسم لم يكن عربياً!!

وقد تكون هذه اشارة قرآنية إلى أن (هامان) لم يكن عربياً لذلك قام القرآن بتعريب اسمه من (أمحوتب) إلى (هامان) وبنفس المعنى في إشارة إلى أن صاحب هذا الاسم كان أجنبياً !!

و نعود إلى تحليل اسم (أمحوتب) ويتبقى لنا المقطع (محو) وهذه كانت بلد (هامان) !! . الـ (تمحو) أو (أرض المحو) ـ ولمعرفة المزيد عن التمحو، راجع د .على فهمى خشيم: (آلهة مصر العربية)، المجلد الأول، ص ٥١ ـ لكن من المؤكد أنها بلد إفريقية !!

ويذكر المقريزى في الخطط عن حفر هامان لخليج سردوس: "فلا يعلم بمصر خليج أكثر انعطافًا منه لما فعل هامان في حفره كان هامان نبطيًا". "والنبيط هو السواد وقيل سموا بذلك لأنهم استنبطوا الأرض وعمروها وكانوا أصحاب عمارة وتدبير "، وعلى ذلك يكون المقصود بالعبارة: ". .كان هامان نبطياً " أي كان هامان من السود (أى العبيد) الذين كانوا يسخرون في أعمال البناء والزراعة!!

ولعل هذا يفسر لنا سر خضوع (هامان) التام لفرعون!

ويذكر د. على فهمي خشيم في كتابه (آلهة مصر العربية، المجلد الأول، ص ٦٢): ''. .أن (النبط) تعبير أطلق على من كان غير عربى قح بإجمال'' .

أى أن (هامان) كان من نسل (حام) أي (السود)، ويبدو أن هناك خفايا وأسرار لعداء رهيب كان موجوداً بين بنى إسرائيل ومن هم من نسل (حام)، هذا العداء جعل كاتب الأسفار التوراتية يتجاهل تماماً ذكر سيرة (هامان) في التوراة وكأنه لم يكن !!

ربما لهذا السبب لم يأت أي ذكر لـ (هامان) في التوراة !!

وبقيت الإشارة أن تب (في المصرية) = تاب (في العربية) = الهامة أو الرأس أو المرتفع الجبلى وانتقلت إلى اللغات الإنجليزية والألمانية في صيغة Top والفرنسية في صيغة Toupie والإيطالية في صيغة tappo والهولندية في صيغة de top والبرتغالية في صيغة Topo والنرويجية والسويدية في صيغة Topp والأسبانية Tope بنفس المعنى والأصل من (تب) المصرية العربية !

وجاء في سفر (التكوين/٩): [١٨وكَانَ بَنُو نُوحٍ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنَ الْفُلْكِ سَاماً وَحَاماً وَيَافَثَ. وَحَامٌ هُوَ أَبُو كَنْعَانَ. ١٩هَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ بَنُو نُوحٍ. وَمِنْ هَؤُلاَءِ تَشَعَّبَتْ كُلُّ الأَرْضِ. ٢٠وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحاً وَغَرَسَ كَرْماً. ٢١وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ. ٢٢فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجاً. ٢٣فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. ٢٤فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ ٢٥فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ. عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ». ٢٦وَقَالَ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْداً لَهُ. ٢٧لِيَفْتَحِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْداً لَهُمْ»]. الواضح هنا تماماً أن هذه القصة مختلقة من الأساس ولا سند لها من الحقيقة، أما سبب اختلاقها هو الانتقام من نسل حام بأكمله بأن يشمله اللعنة التي أطلقها النبي نوح عليه وفي نفس الوقت تشويه صورة نوح النبي الكريم وتصويره في صورة رجل سكير انكشفت عورته ففضحه أحد أحفاده !!

وكل ذلك يؤكد أن هناك قصة مجهولة أما أن يكون قد تم حذفها من التوراة أو أن بنى إسرائيل لا يحبون ذكرها من الأساس !!

هذه القصة ملخصها أن بنى حام (أى السود) قد أذلوا وأهانوا بنى إسرائيل وأذاقوهم العذاب المرير ... فما هي هذه القصة ياترى ؟!!

إذا أخذنا في الاعتبار أن (هامان) كان أسود أي من نسل حام وهو في نفس الوقت مهندس البناء في زمن (فرعون)، ولابد كذلك أن مشاريع البناء التي كان يقوم بأعمال البناء عمال من بني إسرائيل كانوا يعملون بالسخرة، و كان لهذه المشاريع رؤساء من العمال، هؤلاء الرؤساء الذين اختارهم هامان لهذه المهمة مؤكد كانوا من بني جلدته أي من السود الأشداء الأقوياء !!

والذين كانوا لا يتوانون لحظة عن الضرب بالكرابيج لكل من يرونه يتباطأ في عمله أو يتكاسل أو لا يعمل كما ينبغي !!

وجاء في القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩)﴾ [البقرة]، ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (١٤١)﴾ [الأعراف]، ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٦) ﴾ [إبراهيم]،وجاء كذلك ما يؤكد مذلة وهوان بني إسرائيل في مصر في زمن (هامان) وهو ما ورد في سفر (الخروج/١): [١٣فَاسْتَعْبَدَ الْمِصْرِيُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعُنْفٍ ١٤وَمَرَّرُوا حَيَاتَهُمْ بِعُبُودِيَّةٍ قَاسِيَةٍ فِي الطِّينِ وَاللِّبْنِ وَفِي كُلِّ عَمَل فِي الْحَقْلِ. كُلُّ عَمَلِهِمِ الَّذِي عَمِلُوهُ بِوَاسِطَتِهِمْ عُنْفًا.]، (الخروج /٣): [٧فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ ٨فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ .... ٩وَالآنَ هُوَذَا صُرَاخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَتَى إِلَيَّ وَرَأَيْتُ أَيْضًا الضِّيقَةَ الَّتِي يُضَايِقُهُمْ بِهَا الْمِصْرِيُّونَ]. (الخروج/٦): [٥وَأَنَا أَيْضًا قَدْ سَمِعْتُ أَنِينَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يَسْتَعْبِدُهُمُ الْمِصْرِيُّونَ وَتَذَكَّرْتُ عَهْدِي. ٦لِذلِكَ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنَا الرَّبُّ. وَأَنَا أُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ وَأُنْقِذُكُمْ مِنْ عُبُودِيَّتِهِمْ وَأُخَلِّصُكُمْ] . ومن كل هذا نفهم أن بني إسرائيل كانوا يتعرضون للعذاب المهين وكانوا أذلة ويعيشون في مهانة عندما كانوا في مصر، وكان من نتائج ذلك كله، أن غدا العرف الشائع بين الإسرائيليين أنهم يتشاءمون تشاؤماً تقليدياً بالأيام التي قضوها في مصر ويحسبونها بلية البلايا ومحنة المحن في تاريخهم كله، وقد مرت بهم محنة السبي، ولكنهم لايتشاءمون بها كما تشاءموا بالمقام في مصر ولا يجعلون الخروج من بابل (في عام ٥٣٩ ق.م) عيداً باقياً متجدداً كعيد الخروج من مصر !

و أمحوتب كان إدارياً ومهندساً وكاتباً وأيضاً طبيباً وكان يتولى الإشراف على كل الأعمال الإنشائية الملك، وكان حائزاً على لقب رئيس النحاتين، وكان أيضاً كبيراً لكهنة رع في مدينة ايونو. وأدت شهرته إلى تقديسه في العصر المتأخر . وفي الواقع أن تاريخ حياته وأعماله لا تزال غير معروفة جيداً، فنعرف أنه كان مستشاراً للملك وكان هو المخطط لهذه المجموعة المعمارية

وإليه يرجع الفضل في البناء بالأحجار بدلا من الطوب والخشب اللذين كانا يستخدمان من قبل . وهناك روايات من العصر الفارسي والبطلمي تجعل منه سيداً للفنون كلها واعتبر ابناً للمعبود بتاح. وليس هذا الاختراع المعماري ذو النتائج الهامة أو شهرته كرجل حكيم التي تنسبها إليه المصادر الأدبية، هما اللذان وضعاه في مصاف المعبودات، بل الكتب التي ألفها هي التي سمت به إلى هذه المكانة الرفيعة، وقد اختفت هذه المؤلفات، ولا نعرف أين توجد مقبرته لذلك ينثر الكتبه بعض النقاط من الماء قبل البدء في كتاباتهم وذلك وفاء له. وكان أيضاً موضع تكريم من تلاميذه، وقد نظر إليه في العصر المتأخر كمعبود وشيدت له مقصورة في سقارة سماها اليونانيون Asklepietion وأصبحت مثل المصحة التي يلجأ إليها كل العجزة من أنحاء مصر كلها. وانتشر الأحتفال به في كل أنحاء البلاد. وشيدت له المقاصير في مختلف المعابد في منطقة طيبة في الكرنك، وفي البر الغربي في الدير البحرى ودير المدينة. وأخيراً في فيله حيث خصص له بطليموس الخامس مقصورة. وكان ذا شهرة كبيرة عند اليونانيين واسموه أموتس ـ Imouthes، بل إنهم شبهوه بمعبود الطب الإغريقى (اسكليبيوس). وقد عثر على كتب وقائية تختص بنشر وصفاته الطبية الشافية . وعلى الرغم من أنه لم يحمل في الواقع لقب الوزير ثاتى ـ Thati إلا أنه كان يمارس أعباء هذه الوظيفة، حيث كان الملك ووزيره الأول يعملان معاً فعلا''. انظر د. رمضان السيد: (تاريخ مصر القديمة، جـ١، ص١٩٢).

فهل يكون أمحوتب (هامان) أحد الهرامسة ... وتحديداً هرمس الثالث ؟ !!

جاء في كتاب (طبقات الأطباء والحكماء لأبى داود سليمان بن حسان الأندلسى المعروف بابن جلجل الذي ألفه عام ٣٧٧ هـ)، هرمس الثالث: سكن مدينة مصر. كان بعد الطوفان. وهو صاحب كتاب الحيوان ذوات السموم. وكان فيلسوفاً طبيباً، عالماً بطبائع الأدوية القتالة والحيوانات العدية وكان جوالا في البلاد طوافاً بها، عالماً بنصبه الدائن وطبائعها وطبائع أهلها، وله كلام (حسن) في صناعة الكيمياء نفيس، يتعلق منه إلى صناعات (كثيرة) كالزجاج والخرز والغضائر وما أشبه ذلك، وكان له تلميذ يعرف اسمه إسقلابيوس''. ويذكر د .سعيد محمد ثابت عن أسطورة "إيزيس وأوزيريس" في كتابه (فرعون موسى من يكون . . وأين . .ومتى، ص١٨٦): '' . . وذات يوم كانت إيزيس في الخارج طوال اليوم وعادت لتجد حورس يتلوى ألماً ويكاد يكون ميتاً وذلك لأن ست لم يستطع أن يدخل الأحراش في شكله الحقيقى فاتخذ شكل حية سامة زحفت على الطفل حورس وعضته، وتحكى بقية القصة كيف فشل كل سحر أتت به إيزيس أو كل من طلبت منه المعونة من سكان الأحراش والصيادين وأخيراً تطلب إيزيس المعونة من الإله الأعلى رع وتسمع شكواها في قارب ملايين السنين الذي يضطرب سيره ويضطر تحوت ـ وزير أوزيريس العظيم ـ إلى النزول من القارب حيث يدور بينهم حوار، يخبر فيه تحوت إيزيس

الكنوز وصرفها في بناء المدائن والعمارات، وحفر خلجاناً كثيرة، ويقال إنه الذي حفر خليج سودوس[٢٢٤] فكان كلما عرجه إلى قرية من قرى الحوف حمل

أنه سيطرد السم من جسد حورس ولن يكون هناك طعام وستغلق المعابد ولن يترك البؤس العالم وستسود الظلمة الأبدية وتجف الآبار ولن تكون هناك محصولات أو نبات حتى يشفي حورس، ويشفي حورس وتفرح إيزيس وكل سكان الأحراش ". وسبق وأن فسرنا في كتابنا السابق أن (أوزيريس) هو (فرعون) وعلى ذلك يكون وزيره (تحوت) هو "هامان"(أمحوتب) وواضح من سرد الأسطورة أن تحوت ـ وزير أوزيريس ـ كانت له خبرة بالسموم وطرق علاج السموم (تماماً مثل هرمس الثالث) بدليل نجاحه في علاج (حورس) الذي كاد أن يقتله سم الحية (ست). بقي أن نذكر أن هرمس الثالث كان بمصر وكان عالماً بنصب المدائن والعمارة وصناعة الكيمياء مثلما كان (هامان) المهندس المعمارى لـ (فرعون) الذي كان عالماً بأمور الكيمياء وهو أول من خضب شعر فرعون بالسواد وينسب إليه اختراع الأجرة (الغراء) واستخدامها في البناء كما كان عالماً بالطب والعمارة وهو الذي شيد الصرح ومدينة "بررعمسيس "، و(هامان) هو نفسه (أمحوتب). راجع كتابنا (فرعون وموسى)، ويذكر ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ، ص ١٨٢): " فقال موسى لفرعون: هل لك في أن أعطيك شبابك فلا تهرم، وملكك فلا ينزع، وأرد إليك لذّة المناكح والمشارب والركوب، فإذا مُت دخلت الجنّة وتؤمن بي ؟ فقال: لا حتى يأتي هامان، فلمّا حضر هامان عرض عليه قول موسى، فعجّزه وقال له: تصير تعبُد بعد أن كنت تُعبد ! ثم قال له: أنا أردّ عليك شبابك، فعمل له الوسمة[وَسْمَةٌ، وَسِمَةٌ – [و س م]. (نبـ).: جِنْسُ نَبَاتٍ عُشْبِيٍّ، مِنْ فَصِيلَةِ الصَّلِيبِيَّاتِ، أَنْوَاعُهُ عَدِيدَةٌ، يُعْرَفُ بِوَرَقِ النِّيلِ، أَكْثَرُهُ بَرِّيٌّ وَبَعْضُهُ عَلَفِيٌّ، وَبَعْضُهُ صِنَاعِيٌّ يُسْتَعْمَلُ لِلصِّبَاغِ]فخضبه بها، فهو أول من خضب بالسواد ". ونفهم من هذا أن (هامان) كان عارفاً بأمور الكيمياء فهل كان (هامان) أحد الهرامسة ؟ !!

[٢٢٤] ذكره المسعودى وابن أياس باسم خليج سردوس . سَرْدُوسُ: قال ابن عبد الحكم كانت خلجان مصر سبعاً على جوانبها الجنات منها خليج سردوس. قال عمرو بن العاص: استعمل فرعونُ هامانَ على حفر خليج سردوس فلما ابتدأ حفره أتاه أهل كل قرب يسألونه أن يجرى الخليج تحت قريتهم ويعطونه مالا فكان يذهب إلى هذه القرية من نحو المشرق ثم يرده إلى قرية من نحو القبلة ثم يرده إلى قرية في المغرب ثم يرده إلى قرية في القبلة ويأخذ من كل قرية مالا حتى اجتمع له في ذلك مائة ألف دينار فأتى بذلك يحمله إلى فرعون فسأله فرعون عن ذلك فأخبره بما فعل في حفر فقال له فرعون ويحك إنه ينبغي للسيد أن يعطف على عباده ويفيض عليهم ولا يرغب فيما في أيديهم رُدّ عليهم أموالهم فرَدَ على أهل كل قرية ما أخذ منهم جميعه فلا يُعلَم في مصر خليج أكثر نفعاً من سردوس لما فعله هامان في حفره، وقال ابن زولاق لما فرغ

إليه أهلها مالاً، فاجتمع من ذلك شيء كثير، فأمر برده على أهله. وبلغ الخراج في وقته سبعا وستين ألف ألف، وكان ينزل الناس على منازلهم وهو أول من عرف العرفاء على الناس.

ذكر ميلاد موسى عليه السلام

وكان ممن صحبه من الإسرائيليين رجل يقال له أمرى وهو عمران أبو موسى عليه السلام، فجعله حرساً لقصره يتولى حفظه وإغلاقه بالليل. وكان قد رأى في كهانته أنه يجرى هلاكه على يد مولود من الإسرائيليين فمنعهم المناكحة ثلاث سنين لأنه رأى أن ذلك المولود يكون فيها، وأن امرأة أمرى يعنى عمران أتته بعض الليالى بشيء أصلحته له فواقعها فحملت بـ هارون[٢٢٥]، ثم واقعها في السنة

هامان من حفر خليج سردوس سأله فرعون عما أَنْفَقَهُ عليه فقال أنفقت عليه مائة ألف دينار أعطانيها أهل القرى، فقال له: ما أحوَجك إلى من يضرب عنقك آخذ من عبيدى مالا على منافعهم رُدها عليهم ففعل. انظر ياقوت الحموى: (معجم البلدان)، ص٤٤٧، جـ٢، ويذكر الأستاذ أحمد عيد (جغرافية التوراة في جزيرة الفراعنة، ص١٩): ''وجغرافيا: فإن المنطقة الشمالية لليمن تسمى الشام''، وقد أتى (ابن المجاور) على ذكر بعض أودية الشام هذه قائلاً: وفي أودية الشام وادى رماع ووادى الكدراء ووادى سردد، انظر الأستاذ أحمد الديش: (كنعان وملوك بنى إسرائيل في جزيرة العرب)، ص٤٠،وقد يكون (وادى سردد) في الأزمنة القديمة هو نفسه موقع (خليج سردوس) بعدما جف، حيث (سردد) = (سردوس) بعد إضافة (وس) الزائدة اليونانية .

[٢٢٥] نجد أن الجذر العبرى (هار) معناه (جَبَل)، و(هار) العبرية بمعنى (جَبَل)، يُكَنّى بها عبرياً عن القوة والثبات والصمود واشتق منه (هارون)، زيد بالواو والنون، إما على الصفة المُشَبّهَة (كما قالت العبرية إشتون من إشت أي شبيهُ المرأة)، وإما على التصغير تودداً وتحببا، فهو جُبَيْل. ونجد في معجم محيط المحيط مادة (هير): واليَهْيَرُ الحجر الصُّلْبُ الأحمر . الحجرُ اليَهْيَرُ: الصُّلْبُ، ومنه سمى صمغ الطلح يَهْيَراً وقيل: هي حجارة أمثال الأكف، وقيل: هو حجر صغير، قال: وربما زادوا فيه الألف فقالوا: يَهْيَرَّى. أي أن (هار) العبرية هو الاسم (يهير) العربي وكلاهما يفيد معانى القوة والثبات والصمود واشتق منهما (هارون) !

الثالثة فحملت بـ موسى عليهما السلام، فرأى في كهانته أنـه قـد حمـل بـذلك المولود، فأمر بذبح المولودين الذكور من بنى إسرائيل، ولم يتعرض لـ أمرى لقربه منه، ولحراسته قصره. إلا أن موسى كان من أمره ما قصه الله عز وجل في كتابه من أمر التابوت وقذف أمه في النيل إلى أن صار إلى تحت قصره، وأخـذ امرأتـه له واسترضاعها لأمه .

وامتنع فرعون من قتله إلى أن كبر وعظم شأنه، ورد فرعـون كـثيراً مـن أمـره وجعله من قواده، وكانت له سطوة، ثـم وجهـه لغـزو الكوشـانيين، وكـانوا قـد عاثوا في أطراف مصر، فخرج في جيش كثيف ورزقه الله الظفر، فقتل منهم خلقاً وأسر خلقاً وانصرف غانماً سالماً، فسر به فرعون وامرأته. فاستولى وهوغلام علـى

وعندما جانس القرآن اسم (هارون) على معنى القوة والشدة ربما لأن اشتاق اسمه في العربية مـن اسم ذلك الحجر الصلب الأحمر !

أى أن اسم (هارون) في العربية يعنى الحجر (الجبل) الصلب تماماً مثلما الحال في العبرية !!

ويذكر الأستاذ/رؤوف أبوسعدة (من إعجاز القرآن، جـ٢، ص ٣٠): "... (يَهَر) وهو جـذر ممات في عبرية التوراة لم يبق منه إلا (يهَير) بمعنى الصليف ذى الصـلف". ونـرى أن (يهَـير) العبرية قد تعنى في الأصل القوة والشدة والصلابة ومنها اشتق اسم (هارون) تماماً مثلما اشتق مـن (يهير) العربية والتي تحمل نفس المعنى !!

وعروبة الأسماء التي وردت في القرآن هو أمر يقرره القرآن الكريم في عدة سـور، مـن ذلـك قولـه تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(٢) ﴾ [يوسف]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيـاً وَلَـئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاوَاقٍ(٣٧) ﴾ [الرعـد]، ﴿وَكَـذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً(١١٣) ﴾ [طه]،

﴿قُرْآناً عَرَبِياً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨) ﴾ [الزمر]، ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِياً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) ﴾ [فصلت] ، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِياً لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَـا وَتُنـذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧) ﴾ [الشورى]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَـاهُ قُرْآنـاً عَرَبِياً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(٣) ﴾ [الزخرف] ، ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَـابُ مُوسَـىٰ إِمَامـاً وَرَحْمَـةً وَهَـٰذَا كِتَـابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِياً لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْـرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ (١٢) ﴾ [الأحقـاف]. فهـل تـرى في القرآن أعجمى ؟ !

كثير من أمر فرعون، وأراد أن يستخلفه حتى قتل رجلاً من أشراف القبط، وكان يقرب من فرعون فهرب منه. وخرج إلى ناحية مدين، وتزوج ابنة ثيرون، وهو شعيب عليهما السلام، على أن يرعى غنمه وأنساه بأجلين فقضى أتمهما وأرسله الله إلى فرعون. وولدت امرأته فذهب يقتبس لها ناراً، فكلمه الله تعالى في جبل الطور، وقال له: امض إلى فرعون، وأيده بأخيه فترك امرأته محلها ومضى لرسالة ربه. وولدت امرأته فأرسل الله تعالى جبريل بما يصلحها من آلة الولادة وختن ابنها، وكانت الغنم تغدو من عندها وترجع إليها بغير راع. وحمل جبريل عنبه السلام الغلام حتى أراه موسى وهو سائر إلى مصر فقبله، وتفل في فيه ورده إلى أمه، ومر بها رجل من آل شعيب فردها إلى مدين، وصار موسى إلى مصر ولقى أخاه هارون ولم يثبته لطول غيبته، وكان يغتسل على شاطئ النيل، فاستضافه فأضافه وأطعمه جلباناً مطبوخاً قد ثرد فيه ثريد، وتعارفا وسر بعضهما ببعض وعرفه ان الله عز وجل أرسله ونبأه هو وأخوه، وجعله له عضداً. وغدوا إلى فرعون وأقاما أياماً، وعلى كل واحد منهما جبة صوف، ومعه عصاه التي أخذها من شعيب عليهما السلام ومنها كانت إحدى آياته، فكانا يأتيان في كل يوم ويجلسان ببابه فلا يصلان إلى فرعون لشدة حجابه، إلى أن دخل إليه مضحك كان له فعرفه حالهما، وقال بالباب رجلان يطلبان الأذن عليك، ويزعمان أن إلههما أرسلهما اليك، فأمر بإدخالهما وخاطبه موسى وأراه آية العصا، وآيته في بياض اليد، وهما آيتان من تسع، وكان من خطابه إياه ما قصه الله في كتابه. فغاظ فرعون أمره وهم بقتله، فمنعه الله تعالى منه وشغله عنه، ورأى طلما فرعون كأن على صورة غمامة قد اقبلت، فمسحت على عيونهم فعموا. ثم أمر قوما آخرين بقتله، فرأى كأن ناراً قد أتت فأحرقتهم، فازداد عليه غيظاً، وقال له من أين لك هذه النواميس العظام ؟ أسحرة بلدى علموك هذا، أم تعلمته بعد خروجك من عندنا ؟ قال هذا من ناموس السماء، وليس من نواميس الأرض. قال ومن صاحبه ؟ قال صاحب البنية العليا، قال بل علمتها من بلدى، وأمر بجمع السحرة والكهنة وأصحاب النواميس فقال

اخرجوا على أرفع أعمالكم، فإني أرى نواميس هذا الساحر رفيعة جدا، فعرضوا عليه أعمالهم فسره ذلك، وأحضره وقال له فقت على سحرك وعندى من يوفي عليك، فواعدهم يوم الزينة، وهو يوم عيد كان لهم، على أن من غلب منهما اتبعه الآخر، وكان جماعة من أهل البلد اتبعوا موسى صلى الله عليه وسلم .

ذكر لقاء موسى عليه السلام والسحرة في يوم الزينة

وكانت السحرة مائة ألف وأربعين ألفا، فعملوا من الأعمال ما يرى الوجوه ملونة ومشوهة، ومنها الطويل ومنها العريض، ومنها المقلوب جبهته إلى أسفل ولحيته إلى فوق، ومنها ما له قرون ومنها ما هو عظيم على قدر الترس ومنها ما له آذان عظام، ومنها ما يشبه وجوه القرود. وفي كل فن وفي كل صورة، وأجساماً عظاماً ما تبلغ السحاب، وحيات عظيمة بأجنحة تطير إلى الهواء، ويرجع بعضها على بعض. وحيات يخرج من أفواهها نار يخيل للعالم أنها تكاد تحرقه، وحيات برؤس وشعور، وأذناب فيها رؤس، وتماثيل في طرق الشياطين. ثم عملوا دخاناً يغشى أبصار الناس، فلا يرى بعضهم بعضاً، ودخاناً يظهر صوراً مثل النيران في الجو، على دواب مثل ذلك يصدم بعضها بعضاً، وتسمع لها قعاقع وضجة، وصوراً أخرى على دواب خضر، وصوراً سوداً على دواب سود .

فلما رأى فرعون ذلك سر هو وجماعته ممن حضر معه، واغتم موسى صلى الله عليه وسلم، ومن كان آمن به وكفر إيمانه خوفاً على فتنة الناس بذلك وضلالهم. وكان للسحرة ثلاث رؤس، فلما رأى موسى صلوات الله عليه ذلك وضاق به ذرعاً أتاه جبريل عليه السلام، وقال له لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك، فسر بذلك موسى عليه السلام، وطمع في إيمان الناس وسكن خوفه فأسر إلى عظماء السحرة وقال قد رأيت ما صنعتم، فإن قهرتكم أتؤمنون بالله ؟ قالوا نشهد لنفعلن، فرآه فرعون، وقد أسر إليهم فغاظه وهم بمعالجة الجميع، ثم توقف ليعلم آخر القضية، والناس يهزؤون منه ومن أخيه وعليهما

دراعتان من صوف، وقد احتزما بالليف، ومع موسى عليه السلام عصاه. فسمى موسى عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم ثم حلق العصا ورفعها في الجو ورفعها جبريل عليه السلام حتى غابت عن عيونهم، ثم أقبلت في صورة ثعبان عظيم له عينان كالترس تتوقدان ناراً، وتخرج من فيه ومن منخره، وهو يزيد غضباً لله تعالى، فلا يقع من زبده شيء على أحد إلا أبرصه، وبرصت من ذلك ابنة فرعون والثعبان فاتح فاه .

وذكر أن أمه كانت حاضرة قريباً منهم، فابتلع الثعبان جميع ما عملته السحرة ومائتى مركب كانت مملوءة عصياً وحبالاً، وجميع من كان فيها من الملاحين. وكان في النهر الذي يتصل بدار فرعون عمد كبيرة وحجارة، وكانت قد حملت إلى هناك ليبنى بها، وأقبل الثعبان إلى قصر فرعون ليبلعه، وكان في قبة له على جانب القصر يشرف على عمل السحرة، فوضع الثعبان نابه تحت القصر، ورفع نابه الآخر إلى أعلى القبة ولهب النار يخرج من فيه، وقد أحرق مواضع من القصر، فصاح فرعون عند ذلك، واستغاث بـ موسى صلى الله عليه وسلم فزجره فعطف على الناس ليبتلعهم، وبلع بعضهم فسقط بعضهم على وجوه بعض. وذهب ليبتلعهم فأمسكه موسى عليه السلام، وعاد في يده عصا كما كانت ولم يروا لتلك المراكب أثراً، وكان فيها من الحبال والعصى والناس والأعمدة والحجارة وما شربه من ماء النهر حتى بانت أرضه تراباً .

فلما رأى السحرة ذلك، ولم يروا لتلك الأعيان أثراً قالوا ما هذا عمل الآدميين! وإنما نصنع مخاييل لا تغيب عن الأعيان، فقال لهم موسى أوفوا بوعدكم وإلا سلطته عليكم فيبتلعكم كما ابتلع غيركم. فعندها آمن السحرة بموسى عليه السلام، وجاهروا فرعون، وقالوا هذا من فعل إله السموات وليس من فعل إله الأرض. فقال فرعون قد علمت أنكم واطأتموه على وعلى ملكى حسداً منكم لى، وأمر مثل ذلك، وجاهره فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف .

وكانوا يرون مساكنهم من الجنة قبل أن يموتوا، وجاهرته امرأته ففعل بها المؤمن ففعل به مثل ذلك. وكان الروحانى قد قال له إنى رب السماء وأنت رب

الأرض قد استخلفتك فيها، فأنت رب كل من سكنها من الخلق، فتجبر وادعى الربوبية وشق الأنهار وغرس الأشجار. فلما كان من أمر موسى عليه السلام ما كان، فسد ذلك الروحاني وسقطت الطلسمات، وبعض الهياكل والمنارات وخرت الأصنام على وجهها، وعلت آيات موسى، وبطل ما كان من الطوفان والجراد والقمل والضفادع، فتحول ماؤهم دماً، فكانت الإسرائيلية تسقى القبطية من فمها ماء فيعود في فم القبطية دما عبيطا، وتعض على الرغيف لتأكل منه فتعض على الضفدع، وأتلف الجراد والقمل جميع ذروعهم، وهدم الماء أبنيتهم، وبعض منازلهم وتبين للناس أنه لا ينفعهم. وضاق صدر فرعون من ذلك، فرجع إلى مداراة موسى عليه السلام، ووعده أن يستخلفه على ملكه، وأشار عليه هامان والكهان أن لا يفعل. ثم أمر الرعية أن يقتلوا موسى، فخرج جماعة من الموضع الذي فيه لذلك، فأتت نار فأحرقتهم. ورأى فرعون كأنه أخذ برجليه، ونكس على رأسه في حظيرة نار، وكأنه يستغيث، ويقول إنى لمؤمن بـ موسى وربه فخلوا عنه، فدعا هامان وعرفه ذلك، وقال له لم يبق بعد هذا شئ، وأريد أن أؤمن بـ موسى، فقال له هو الذي عمل لك الرؤيا ليهولك، فتريد أن تكون عبداً بعد أن كنت رباً ! وتستخف بك رعيتك، وتسلب ملكك ! قال فتلطف به وبعد ذلك منعه منه، وكان يبعث إليه سراً ويستنظره، فلما تم الأجل ولم يفعل فرعون شيئاً كثر البلاء عليهم، وتهدمت منازلهم وفسدت زروعهم وكثرت الأيات في منازلهم .

وكان الناس قد خافوا موسى وهابوه، وكانوا يؤمنون به سراً، فمن آمن به زال عنه الأذى فلما زاد الأمر على فرعون أحضر موسى وقال له إن أحببتك ما لى عندك ؟ قال أردد شبابك، وأضعف عمرك، وآمنك من جميع العلل، ومن زوال ملكك، وأعلى يدك على من ناوأك من الملوك، وأكثر فيك نشاطك، وأكلك وشريك. قال له فرعون إن فعلت ذلك فقد أنصفت فأنظرنى إلى غد، ثم شاور هامان فمنعه، وقال له نموت غداً أصلح لنا، قال فلما يئس منه قال فأطلق لى بنى إسرائيل قال إنما تريد إخراجهم من بلدى لتكون عليهم أميراً ملكاً، وأنا

أنتفع بخدمتهم، وهذا حسد منك لى. قال له موسى عليه السلام فانتقل على أن لا تدعى الربوبية ، قال إذا أنقص من أعين الناس، قال فإن الله سيهلكك ويهلك قومك، وتصير أرواحكم إلى نار حامية؛ قال فإنى أفعل ذلك معك سراً ولا أفعله جهراً، وأقرب للأهل القرابين العظام .

قال موسى عليه السلام إن إلهي لا يرضيه إلا أن يؤمن به الناس أجمعون، فأما أن تؤمن به وحدك سراً دون الناس، فلا يرضيه ذلك ولا يقبله منك سراً حتى تظهره. قال وإن لم تفعل ذلك فإن الله مهلك وأهلك، وعلامة هلاكك أن لا يبقى لك هيكل إلا تهدم ولاصنم إلا خر، وقد خالفت ما دعوتك إليه مراراً كثيرة، وأنا أحذرك الخلاف، وإن الله سيعجل لك العقوبة ولا ينظرك .

ثم إن فرعون طول مطل موسى عليه السلام بما وعده في أمر بنى إسرائيل، ولم ينجزه، ورأى موسى عليه السلام أنه لا يرجع إلى خير ولا ينفع فيه وعظ، وخاف أن يفجأ بنى إسرائيل بإيذاء كثير، فعزم على الخروج عنه بـ بنى إسرائيل .

وحضر لـ بنى إسرائيل عيد كانوا يجتمعون فيه ، فأمر موسى عليه السلام نساء بنى إسرائيل أن يستعرن حلى نساء القبط، ويأخذن منه ما يقدرن عليه من ثيابهن، ويتزين به في عيدهن، ففعلن ذلك، ثم دعونهن في عيدهن فأكلن معهن وشربن .

ذكر خروج موسى عليه السلام من مصر

وكان موسى عليه السلام أبعدهم قليلاً إلى المشرق، وأمر أن يبعدوا هنالك، فلما أكلوا وشربوا ألقى الله تعالى على القبطيين رجالاً ونساء السبات حتى منعهم من كل شيء. ثم سار موسى عليه السلام بجميع بنى إسرائيل من أول الليل، وكان عددهم ستمائة ألف وأربعين ألفا ونيفاً. وأخرجوا تابوت يوسف عليه السلام من النيل وحملوه معهم، دلتهم على موضعه عجوز مؤمنة من القبط، ومضت معهم .

فسار بـ بني إسرائيل إلى ناحية بحر القلزم[٢٢٦]ليخفي آثارهم، فلما كان من آخر الليل عرف فرعون بخروجهم، وما فعلوه بنساء القبط من إعارة حليهن إلى الإسرائيليات ودعائهن به، فجلس لوقته ونادى في الناس، فلما اجتمعوا أمرهم أن يتأهبوا للركوب في آثارهم وأجلهم ثلاثة أيام .

وخاطب كل من قرب منهم وبعد من جيوشه وحشوده أن لا يتأخروا عن لحاقه طرفة عين، فلما أصبح في اليوم الرابع ركب الناس، وركب معهم يتقدمهم واتبعوا آثار بني إسرائيل، ولم يبق أحد من أولاد الملوك ولا من أتباعهم ولا من فيه فضل إلا سار معه، فيقال إنه كمل عددهم، وزاد على موسى عليه السلام ستة آلاف ألف. فلم يمر موسى عليه السلام بعلم من أعلامهم إلا سقط، ولا بصنم إلا سقط لوجهه، وساروا مقربين حتى لحقوهم على ساحل البحر .

فلما أحس موسى عليه السلام بهم، قال لأخيه هارون تقدم إلى البحر وكنه بأبي العماس، وأمره أن يكف عنا موجه، ويسكن عنا حركته، حتى أصل أنا ومن معي. فمضى هارون لذلك، وركب موسى عليه السلام، فلما وقف موسى على البحر ضربه بعصاه، فانشق لوجهه، وظهرت فيه اثنتى عشرة طريقة، فدخل كل سبط على طريق، وجعل بينهم طاقات رقيقة من الماء ليرى بعضهم بعضا، فدخل القوم، ودخل موسى عليه السلام في آخرهم.

---

[٢٢٦]في بحر القلزم بين (القلزم) و(أيلة) جزيرة تسمى (تَارَانُ) يسكنها قوم من الأشقياء يقال لهم بنو جدان يستطعمون الخبز ممم يجتاز بهم ومعاشهم السمك وليس لهم زرع ولا ضرع ولا ماءٌ عذب وبيوتهم السفن المكسرة ويستعذبون الماء ممن يمرُ بهم في الديمة وربما أقاموا السنين الكثيرة ولا يمر بهم إنسانٌ وإذا قيل لهم ماذا يقيمكم في هذا البلد قالوا: البطن البطن أي الوطن الوطن، قال أبو زيد في بحر القلزم ما بين (أيلة) و(القلزم) مكان يعرف بتاران وهو أخبث مكان في هذا البحر وذاك أن به دَوَرَان ماء في سفح جبل إذا وقع الريح على ذروته انقطعت الريح قسمين فتلقى المركب بين شعبتين في هذا الجبل متقابلتين فتخرج الريح من كليهما كل واحدة مقابلة للأخرى فيثور البحر على كل سفينة تقع في ذلك الدوران باختلاف الريحين فتنقلب ولا تسلم أبداً وإذا كان الجنوب أدنى مهب فلا سبيل إلى سلوكه مقدار طوله نحو ستة أميال وهو الموضع الذي غرق فيه فرعون وجنوده. انظر ياقوت الحموي: (معجم البلدان).

ذكر غرق فرعون

فلما رآهم في البحر هم بتركهم خوفاً من البحر، فأقبل جبرئيل عليه السلام بفرس بلقاء، فدخل في أثرهم، فلما رآها فرس فرعون اقتحم به في أثرها، فلم يقدر فرعون على إمساكه، لأنه كان حصاناً، وقد كان طال عمره .

فلما دخل فرعون اتبعه قومه عن آخرهم، فلم يبق في البر أحد منهم فتوسطوا البحر، وقد خرج موسى عليه السلام ومن معه من الناس، فأمر الله تعالى جل جلاله جبريل عليه السلام أن يطبق البحر على فرعون وقومه ففعل .

فلما رأى ذلك فرعون قال: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) ﴾ [يونس]، ولم يقلها صحيح النية، فلما سمعه جبريل عليه السلام رجمه بكف من الحمأة ضرب بها وجهه، وسد بها فاه، خوفاً أن يرحمه الله تعالى بذلك القول[٢٢٧].فغرق الجميع ولم يفلت منهم

---

[٢٢٧] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ وَعَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: رَفَعَهُ أَحَدُهُمَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَدُسُّ فِي فَمِ فِرْعَوْنَ الطِّينَ مَخَافَةَ أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ يُوسُفَ بْنِ مِهْرَانَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَمَّا أَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ قَالَ :.آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ .فَقَالَ جِبْرِيلُ يَا مُحَمَّدُ فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا آخُذُ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ فَأَدُسُّهُ فِي فِيهِ مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ .
قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ حَدَّثَنِي كَعْبُ بْنُ عَلْقَمَةَ عَنْ عِيسَى بْنِ هِلَالٍ الصَّدَفِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ .

[٢٢٧] روى أن الله تعالى أهبط (جبرائيل) على صورة آدمي حسن اللباس فدخل على (فرعون) فقال له (فرعون) من أنت فقال عبد من عبيد الملك جئتك مستفتياً على عبد من عبيدي ملكته من نعمتي وأحسنت إليه كثيراً فاستكثر على وبغى وجحد حقي وتسمى باسمي وادعى في جميع ما

أحد، وحملت أرواحهم إلى النار، ولما هلكوا طرح الله تعالى [جملة منهم] على عبر البحر، منهم فرعون في موضع مرتفع من الأرض، حتى رأوه وعرفوه[٢٢٨] وبين

أنعمت عليه أنه له وأني لست المنعم عليه قال (فرعون) بئس ذلك العبد من عبد قال له (جبرائيل) فما جزاؤه عندك قال جزاؤه أن يغرق في هذا البحر قال له (جبرائيل) أسالك أن تكتب لى بخطك ذلك فكتب له فأخذه (جبرائيل) وخرج إلى (موسى) فأخبره بذلك وقال يا (موسى) إن الله يأمرك أن ترحل من موضعك فنادى (موسى) في (بنى إسرائيل) وأمرهم بالرحيل فارتحلوا وهم يومئذ ستمائة ألف .

[٢٢٨] في فترة ما بعد فرعون :قال ابن عبد الحكم لما أغرق الله آل فرعون بقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من أشراف أهلها أحد ولم يبق بها إلا العبيد والأجراء والنساء فاتفق من بمصر من النساء أن يولين منهم أحداً وأجمع رأيهن أن يولين امرأة منهن يقال لها (دلوكة بنت زبا) وكان لها عقل وحكمة ومعرفة وتجارب وكانت في شرف منهن وموضع وهي يومئذ بنت مائة وستين سنة فملّوكها [(دلوكة) مشتقة من (دلك)، و(دلك) الدهر فلاناً أي أدبه وحنكه. و(الدليك) أيضا رجل قد مارس الأمور والجمع (دلك)، انظر شبكة الإنترنت، المعاجم العربية، معجم محيط المحيط، مادة (دلك) الموقع الموقع:

http://qamoos .sakhr .com ، وعلى ذلك نرى أن المؤرخين العرب قد ترجموا اسم الملكة التي حكمت بعد غرق فرعون ـ من مصاحف القبط ـ من الهيروغليفية إلى العربية والأصح أن يكون لقبها الملكى (دلك)، وحرف (ل) فيالعربية = (ر) في المصرية القديمة، وعلى ذلك يكون لقبها الملكى (درك) أو (دركون) أي المحنكة أو الحكيمة صاحبة المعرفة والتجارب !] فخافت دلوكة أن يتناولها الملوك فجمعت نساء الأشراف وقالت لهن إن بلادنا لم يكن يطمع فيها أحد ولا يمد عينه إليها وقد هلك أكابرنا وأشرافنا وذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم وقد رأيت أن أبنى حصناً أحدق به جميع بلادنا فأضع عليه المحارس من كل ناحية فإنا لا نأمن من أن يطمع فينا الناس فبنت جداراً أحاطت به على جميع أرض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجاً يجرى فيه الماء وأقامت القناطر والترع وجعلت فيه محارس ومسالح على كل ثلاثة أميال محرس ومسلحة وفيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل وجعلت في كل محرس رجالا وأجرت عليهم الأرزاق وأمرتهم أن يحرسوا بالأجراس فإذا أتاهم آتٍ يخافونه ضرب بعضهم إلى بعض الأجراس فأتاهم الخبر من أي وجه كان في ساعة واحدة فنظروا في ذلك فمنعت بذلك مصر ممن أرادها وفرغت من بنائه في ستة أشهر وهو الجدار الذي يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد منه بقايا كثيرة قال المسعودى :و قيل انما بنته خوفاً على ولدها وكان كثير

القنص فخافت عليه سباع البر والبحر واغتيال من جاور أرضهم من الملوك والبوادى فحوّطت الحائط من التماسيح وغيرها. فملكتهم (دلوكة بنت زبا) عشرين سنة تدبرأمرهم بمصر حتى بلغ صبى من أبناء أكابرهم وأشرافهم يقال له دركون بن بلوطس فملكوه عليهم فلم تزل مصر ممتنعة بتدبير تلك العجوز نحواً من أربعمائة سنة ...... ''.[بما أن (دلوكة) = (دركون) فالأصح أن يكون ابنها (بلوطس بن دركون) وليس (دركون بن بلوطس) كما ذكر المقريزى في خططه !]، فلما قدم بختنصر بيت القدس وظهر على بنى اسرائيل وسباهم وخرج بهم إلى أرض بابل قصد مصر وخرب مدائنها وقراها وسبى جميع أهلها ولم يترك بها شيئاً حتى بقيت مصر أربعين سنة خراباً ليس فيها ساكن يجرى نيلها ويذهب لا ينتفع به، ويذكر ياقوت الحموى عن تلك الفترة: ''... وخلت مصر بعد غرق فرعون من أكابر الرجال ولم يكن إلا العبيد والأماء والنساء والذرارى فولوا عليهم دلوكة، كما ذكرناه في حائط العجوز، فملكتهم عشرين سنة حتى بلغ من أبناء أكابرهم وأشرافهم من قوىَ على تدبير الملك فملّكوه وهو دركون بن بلوطس، وفي رواية بلطوس [بلطوس = (بلط) + (وس) زائدة يونانية، (بلط) = (ملط) أو (ملد) ومعنى (ملد) = لين طرى (أو ضعيف) = المتعلم (التلميذ) الصغير!

وفي اللغة البربرية (أى اللغة الليبية أي لغة بعض أهل الشمال الإفريقى غير العربية العدنانية): " إلْمِدْ) elmed "تَرَسَّ)، وفي العربية: لَمَدَ/ لَمَذَ > تلميذ، تلمذ، تتلمذ. وقد زعم بعض الباحثين أنها مأخوذة من العبرية ؛ و(لمد) مقلوب (ملد) = لين، طري، طفل. وهو شأن المتعلم الصغير. ونرى أن (لد) مقلوب (ملد) وأنتقلت بنفس المعنى إلى اللغات الأنجليزية في صيغةMild والألمانية في صيغةMild والنرويجية في صيغة Mild !

و يبدو أن هذا اللقب كان يطلق على كل من كان أميرا أو ولى العهد حيث إنه يكون قليل الخبرة وصغير السن أي (ملد) أو (ملط) أو (بلط) !]، وبلطوس هو الذي خاف الروم فشق من بحر الظلمات شقاً ليكون حاظراً بينه وبين الروم، ولم يزل الملك في أشراف القبط من أهل مصر من ولد دركون هذا وغيره وهي ممتنعة بتدبير تلك العجوز نحو أربعمائة سنة إلى أن قدم بختنصر إلى بيت المقدس وظهر على بنى إسرائيل وخرّب بلادهم فلحقت طائفة من بنى إسرائيل بـ قومس بن نقناس ملك مصر يومئذ لما يعلمون من منعته فأرسل إليه بختنصر يأمره أن يردهم إليه وإلا غزاه، فامتنع عن ردهم وشتمه فغزاه بختنصر فأقام يقاتله سنة فظهر عليه بختنصر فقتله وسبى أهل مصر ولم يترك بها أحداً وبقيت مصر خراباً أربعين سنة ليس بها أحد يجرى نيلها في كل عام ولا ينتفع به حتى خربها وخرب قناطرها والجسور والشروع وجميع مصالحها إلى أن دخلها أرميا النبي عليه السلام، فملكها وعمرها وأعاد أهلها إليها، وقيل: بل الذي ردهم إليها بختنصر بعد أربعين سنة فعمروها وملك عليها رجلا منهم فلم تزل مصر منذ ذلك الوقت مقهورة، ثم ظهرت

الروم وفارس على جميع الممالك والملوك الذين في وسط الأرض فقاتلت الروم أهل مصر ثلاثين سنة وحاصروهم براً وبحراً إلى أن صالحوهم على كل شيء يدفعونه إليهم في كل عام على أن يمنعوهم ويكونوا في ذمتهم، ثم ظهرت فارس على الروم وغلبوهم على الشام وألحوا على مصر بالقتال، ثم استقرت الحال على خراج ضُرِبَ على مصر من فارس والروم في كل عام وأقاموا على ذلك تسع سنين ثم غلبت الروم فارس وأخرجتهم من الشام وصار صلح مصر كله خالصاً للروم وذلك في عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في أيام الحديبية وظهور الاسلام.

ولكن ..ما الذي حدث بعد غرق فرعون ؟

لم يذكر لنا المؤرخون العرب في كتاباتهم ماذا حدث بعد غرق فرعون وكيف استقبل الشعب المصرى هذا الخبر وما هو شكل الجنازة ومن أين خرجت وإلى أين انتهت ؟

و كذلك لم تذكر الكتب السماوية (التوراة والإنجيل والقرآن) ماذا حدث بعد غرق فرعون ؟

لكننا نستطيع أن نتخيل ماذا يمكن أن يحدث بعد غرق فرعون ؟

و كيف استقبل الشعب المصرى هذا النبأ ؟

صدمة الشعب المصرى لموت فرعون..

ويبدو أن الشعب كان يتساءل أين فرعون . . أين الإله!!

ولنا أن نتخيل ماذا حدث بعد موت (فرعون).... . بالطبع لقد كانت الصدمة كبيرة بالنسبة لأتباعه وقاسية على الشعب ... لقد صدموا بموته وهو في نظرهم الإله الأعلى !!

فكيف يموت الإله الأعلى ؟ !!

لقد تحجرت الدموع في العيون !

الصدمة والذهول عمت على الشعب وخيم الحزن على البلاد !

كان الشعب المصرى يتساءل في ذهول ولا يكاد يصدق:

أافترسه سبع فأكل لحمه !

أم سقط من فوق جبل مرتفع فلقى مصرعه !

أم ضُرب برمح فشقه نصفين !

لقد اعتقد الشعب أن فرعون مات ميتة صعبة، وكان من الصعب أن يفلت منها أحد !

فخاف أتباع فرعون أن يبلّغوا الشعب أن فرعون الذي ادعى أنه الإله الأعلى قد مات غريقاً !!

فكيف يموت الإله الأعلى !!

الرجل الذي كان يردد العبارة: أنا ربكم الأعلى ... مات غرقاً !

فقد اختار المولى عز وجل لفرعون ميتة غريبة وعجيبة!

أضعف الأشياء في الكون والتي كان يدّعي زوراً وبهتاناً أنه هو خالقها ... هذا الشيء الضعيف الذي لا حول له ولا قوة ألا وهو الماء ... الماء قتل فرعون !

من لديه الجرأة ليبلغ الشعب هذا النبأ الغريب والعجيب والحزين في آن واحد !

أيقن أتباع فرعون أن الشعب لن يصدق أن فرعون كان الإله الأعلى . . فكيف يموت الإله الأعلى !!

فما كان من أتباع فرعون أنهم أذاعوا في جموع الناس أن فرعون ـ الإله الأعلى ـ لم يمت ولكنه انتقل بروحه إلى العالم الأخر !!

لقد سبقكم الإله الأعلى (فرعون) إلى العالم الآخر لكى يبدأ محاسبتكم لأنه هو الإله الأعلى ... والإله الأعلى هو الذي يحاسب البشر بعد موتهم !!

مات فرعون وانتقلت مومياؤه لكى تدفن في الهرم الأكبر عن طريق وضع مومياته في تابوت وانتقل من الجزيرة العربية (حيث غرق هناك على سواحل الحجاز) عبر نهر النيل بواسطة المراكب الخشبية حيث كان النيل يمر من هناك في تلك الأزمنة القديمة ومنها إلى الهرم الأكبر حيث كان مثواه الأخير واصطف جموع الشعب على جانبى النهر وكانوا يبكون بحرقة وهم يحملون سلات البردى المليئة بالورود، وكانوا يقذفون مياه النهر بالورود أثناء سير المركب الجنائزى ـ الذي يحمل مومياء فرعون ـ وهم يهتفون بحرقة: الخلود لفرعون ...... الخلود لفرعون !!

ووصل المركب الجنائزى إلى منطقة الأهرام ودفن فرعون في الهرم الأكبر وتحديداً في أعلى حجرة في الهرم الأكبر، وبعد دفن فرعون اعتبر المصريون أن المراكب الخشبية التي حملت مومياء فرعون مراكب مقدسة لأنها حملت مومياء الإله !

و رفضوا أن تستعمل مرة أخرى لأى غرض فكان عليهم أن يدفنوها بجوار مقبرة فرعون !

فدفنت هذه المراكب تحت الأرض بالقرب من هرم خوفو في حفرة غطيت بالأحجار الضخمة !

وهذه المراكب قد أطلق عليها بالخطأ مراكب خوفو أو (مراكب الشمس) !

[يرى د .عبد المنعم أبوبكر أن الرأى السائد عن مراكب الشمس، وهو أن الإله رع يستخدمها في رحلة النهار والليل، يرى أن هذا الرأي يصعب قبوله لعدة أسباب أهمها أن الحفر التي وجدت حول الهرم سواء في الجهة الشرقية أو الجنوبية هي حفر مختلفة في الحجم مما يدل أنها تختلف

في الغرض كما أن مراكب الشمس كما صورتها النقوش المصرية لها رموز خاصة لم نجدها على المراكب المكتشفة، انظر جورج بوزنر: معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة: أمين سلامة، ص ١٥٣، الحاشية السفلى].

ووقف جموع الشعب خارج الهرم الأكبر وهم لا يصدقون أن فرعون قد مات!

أصيبوا بالذهول والصدمة لموت فرعون فأخذوا يرددون بحرقة:

فرعون لا يمكن أن يموت .... كلا لن يموت أبدا !

فرعون لا يمكن أن يموت .... كلا لن يموت أبدا !

فسبحان من له الدوام ...اختار المولى عز وجل أضعف شيء في الكون ليقتل به فرعون !

بقي أن نذكر أن فرعون ذكر بالعلو في القرآن الكريم: ﴿فَمَآ آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرض وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٣)﴾ [يونس]، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً عَالِينَ (٤٦) ﴾[المؤمنون]، ﴿ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِّنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) ﴾ [الدخان].

ونجد في القاموس المحيط، شبكة الإنترنت، انظر الموقع:

http://qamoos .sakhr.com، مادة (عال): (عالَ): جارَ ومالَ عن الحَقّ والميزانُ نَقَصَ وجارَ.

أليس هذا هو حال فرعون في تعامله مع بنى إسرائيل والتفرقة بينهم وبين المصريين !

أليس هذا ما جاء بالأية الكريمة: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرض وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَآءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) ﴾ [القصص]

إن فرعون كان متقدم جداً ... تقدما يفوق الخيال.. ولم يكن هناك أي ملك على وجه الكرة الأرضية يضاهيه في تقدمه !!

فرعون لكى ينصب نفسه "إلها أعلى" ويقول لشعبه: أنا ربكم الأعلى !

لابد وأن يكون قد صنع كل شيء !

اغتر فرعون بنفسه عندما اعتقد أنه بإمكانه أن يصنع كل شيء وأى شيء، فقال في نفسه: إذا كان الإله الأعلى يصنع كل شيء وأنا كذلك أصنع كل شيء، إذاً فأنا الإله الأعلى !!

إن فرعون وصل لأعلى درجات الكفر ونصب نفسه (إلها أعلى) فهذا يعنى أنه كان متقدما بصورة تفوق كل خيال وتصور !!

الله ذلك في كتابه الكريم الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

تم وكمل كتاب أخبار الزمان وما أباده الحدثان وعجائب البلدان، والغامر بالماء والعمران، بمعونة الله وقوته، فله الحمد والشكر على ما أولى من النعم الجسام والبر والأنعام. على يد أضعف عباد الله وأحوجهم إلى الرحمة والمغفرة والرضوان عبد الرحمن بن محمد بن محمد البصرى سامحه الله وغفر له ولوالديه، ولمن كان السبب في كتابته ولمن قرأ فيه ولجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات. ووافق الفراغ في نسخه يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى أحد شهور سنة اثنين وثمانين وثمانمائة أحسن الله على بها. والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله آمين آمين وصحبه وسلم، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أستغفر الله الكريم.

	التاريخ الزمنى لقوائم الملوك و الأسرات (مانيتون)					التاريخ الزمنى فى قوائم المؤرخين
	الأسرة	أسماء الملوك		مدة الحكم	مجموع سنوات حكم الأسرة	
		القوائم اليونانية	القوائم المصرية			
		١ مينيس	نعرمر[228]	٦٢		ق.م
		٢ أتوتيس[229]	حور عحا	٤٧		٣٢٠٠
		٣ كنكنيس	دزر	٣١		
العصر العتيق	١	٤ أوتيفاس	وادجي	٢٣		
		٥ اسغايلوس	أودمو	٢٠	٢٥٣	
		٦ ميبدوس	انزيت (عنج إب)	٢٦		
		٧ سمريس	سمرخت	١٨		
		٨ بنيمسش[230]	كاعا	٢٦		

[229] (أتوتيس)، فإذا اعتبرنا الهمزة زائدة فيتبقى (توتيس) أو (طوطيس) !
(طوطيس) = (طوط) + (يس)، (يس) زائدة يونانية، ويذكر د.على فهمى خشيم فى كتابه (آلهة مصر العربية، المجلد الأول، ص ١٨٤): "...ويقول ابن منظور : طوط : مفرط الطول. و قيل هو الطويل ـ فقط ـ من غير أن يقيد بإفراط. ولعل الحية سميت طوطاً لطولها. " و الطوط و الطاط : الرجل الشديد الخصومة، و ربما وصف به الشجاع ".وهذا من باب تشبيه الرجل الشديد الخصومة بالأفعى. و لا ننسى أن كلمة "الشجاع" ذاتها تعنى الجسور المقدام كما تعنى الأفعوان أو ضرباً من الحيات لعله المقصود بالتسمية "الطوط" أو "الطاط" كما يسمى الأشجع. و "الأشجع : ضرب من الحيات ... وهو الشجاع و الشجاع بضم الشين و كسرها ". وربما حمل الملك لقب "طوطيس" لطوله المفرط !. وفى الكتاب نفسه ـ المجلد الأول ـ حاشية رقم (٢٤)، ص ٢٢١، يذكر د.خشيم : "... وأحد ملوك الأسرة الأولى يسمى (قاي ـ ع)، (قاي) = (عالى الذراع) أو (طويل الذراع) أما (ع) = يد، ذراع ـ فإننا نذهب إلى أن أصله (ع أ) و الهمزة إبدال من اللام (= ع ل)<' عال، عليّ ـ شأن اليد، وهذا الملك له اسم ثانٍ قرئ (سنمو) كما قرئ (سن) بمعنى الرفيق أو الصفي. فإن كانت الأولى فهى تقابل (خ ل م و) عن طريق الإبدال، عربيتها (خِلْم) = رفيق، صديق حميم، صفي. و إن كانت الثانية فعربيتها (صِنو) = رفيق ". وهنا نتذكر قول المسعودى فى كتابه (أخبار الزمان) : " وقيل إنه لكثرة ما كان حمله طوطيس إلى الحجاز سمته هاجر و العرب (الصادق) و كذلك يسميه كثير من أهل الأثر "، فهل يكون (قاي ـ ع) (سنمو = الرفيق أو الصديق) هو نفسه طوطيس !

[٢٣٠] يذكر د.على فهمى خشيم فى كتابه (آلهة مصر العربية، جـ١، ص٩٤، حاشية رقم (٢٤)) : ... (بنيمة) بمعنى (حجر) و تجمع على "بنيمات" (أحجار) و اسم الجنس منها (بنيم) / و لا جدال فى أن هذه الأخيرة صيغة جمع بالميم لـ (بن) = (حجر)، فى اللغات العروبية، و منها : بنى، يبني، بناء. "بن" < بنيم ...'' أى أن (بنيم) = (حجر)، (سش) = (رابط) أو (يربط)، ويكون معنى اسم (بنيم سش) = رابط الأحجار (أى الشاد) !!

ويذكر المسعودى فى (أخبار الزمان، ص ١٧٥) : ''وخلف أشمون على الملك ابنه (الشاد) الملك، فولى وهو غلام ابن خمس و أربعين سنة و كان متجبراً معجباً طماح للعين...'' .

فهل يكون (الشاد) الملك الذى ذكره المسعودى هو نفسه (بنيم سش)أخر ملوك الأسرة الأولى فى القائمة اليونانية ؟!

[٢٣١] ذكر المؤرخون أن الملك (نعر مر ـ NerMer) ـ هو موحد القطرين ـ لأنهم وجدوه فى الرسم يلبس التاج المزدوج فى جانب منه و يلبس تاج الصعيد فى الجانب الأخر. و يكتب اسمه على صورة السمكة التى تقرأ فى المصرية بلفظ : (نعر ـ Ner)، وهو الاسم العام فى الأسماك، دون تخصيص فى النوع. و أن العلامة الرمزية التى تشبه الوتد، أسفل من تلك، لفظ مصوت مختصر ينطق (Mer مـر)، و يعنى غالباً : المحبوب أو القرب. وقد ذكر العلامة (جاردنر Gardiner)، فى كتابه : (مصر الفراعنة) : أن قراءة كلمة " نعر مر NerMer "، ليست مؤكدة تماماً. ويذكر د.على فهمى خشيم فى كتابه (آلهة مصر العربية، المجلد الأول، ص٢١٨): ''(نعر مر) : لقب مكون من كلمتين : (١) (ن ع ر $n^{c}r$ ـ و تترجم إلى الإنكليزية Catfish التى تعنى : سمكة السلّور، أو الصلّور (القرموط و الشلبة و البياض). وليس بالضرورة تحديد اسم السمكة أو نوعها، فقد تطلق على أية سمكة من الأسماك دون تمييز. لكننا نرى أن المعنى الأصلى ليس (السمكة) و لكنه (الماء) وهما مرتبطان كل الارتباط. (و لنا هنا أن تقارن كلمة (نون) فى العربية التى تطورت إلى معنى (سمكة) ولكنها فى اللغات العروبية القديمة ـ ومنها المصرية ـ عنت (الماء)). وباعتبار (ن ع ر) تعنى (الماء) فهى تقابل بالضبط الأكادية (نارو) nâru التى تترجم فى (معجم وير، ص ٢٣٧) إلى : مجرى مائى، نهر، جدول، قناة مائية. وهذه بالتحديد العربية : (نهر). (٢) (م ر m r ـ وقد تعنى : محبوب، حبيب. وعربيتها هنا : رم < رام (مقلوب (م ر) < مروم (بإضافة الميم سابقة زائدة). كما قد تعنى : قوى، مسيطر، سيد. وعربيتها هنا : مر < مرء (=سيد)، و الجذر الثلاثى (مرر) و يفيد القوة ''، فيكون معنى (نعرمر) = (سيد الماء) أو (المسيطر على الماء) وهو ما يكافئ معنى (الريان) !

أى أن (نعرمر) هو نفسه (الوليد بن الريان) !

وللمزيد من المعلومات عن (الوليد بن الريان) راجع كتابنا : (فرعون و موسى) .

		١ بويسوس	حتب سخموى	٣٨		ق.م
		٢ كاينجوس	رع نب	٣٩		٢٩٨٠
		٣ بنوتريس[٢٣٢]	نتر . أن	٤٧		

[٢٣٢] ذكر عبدالله بن سراقة "أنه لما نزلت العماليق أرض مصر حين أخرجتها (جُرْهُمُ) من مكة نزلت مصر، فبنت الأهرام و اتخذت بها المصانع و بنت فيها العجائب و لم تزل بمصر حتى أخرجها (مالك بن ذرع الخزاعى) ".و نلاحظ هنا أن (ذرع = درع على إعتبار أن ذ = د)، وفى معجم لسان العرب مادة (ترس) : التُّرْس صفحةٌ من الفولاذ مستديرة تُحمَل في اليد للوقاية من السيف أى الدرع. وفى معجم لسان العرب مادة (خزع) :الخِزَاعيُّ عند العامة الطويل القامة جدًا. فإذا كان (مالك) = (بنو) فإن ذرع =درع = ترس، فيكون معنى (مالك بن ذرع الخزاعى) هو (بنوترس الطويل القامة)!

و(مالك) هو نفسه (مماليك) الملك فى كتابات المؤرخ المسعودى فى كتابه (أخبار الزمان) وهو الملك الذى كان موحد على دين (قبطيم) وهو نفسه (ماليق بن تدراس) فى كتابات المؤرخ القريزى (الخطط القريزية) وقد تكون (تدراس) في الأصل (تراس) أى (ترس) ـ حرف الدال فى تدراس زائدة من النسخ عند النقل من المخطوطات القديمةـ فيكون : تدراس = تراس = ترس، " ... وقال عبدالله بن شبرمة الجرهمى : لما نزلت العماليق أرض مصر حين أخرجها (جرهم) من مكة بنت الأهرام و اتخذت لها المصانع و بنت فيها العجائب و لم تزل بمصر حتى أخرجها (مالك بن داعر الخزاعى) ،و (مالك بن داعر الخزاعى) الذى ذكره بن شبرمة هو ترجمة أخرى للاسم لـ (بنو ترس) !

فإذا كان (مالك) = (بنو) فما ذا تعنى (داعر) !

وفى معجم لسان العرب مادة (ترس) : والتِّرْس الدُّيُوث تركيّةٌ عامّةٌ. و الديوث هو (الداعر) !!

وعلى ذلك فإن (داعر) = (ترس)، فيكون معنى (مالك بن داعر الخزاعى) هو (بنوترس الطويل القامة) !

ويبدو هنا أن المؤرخ العربى فى الترجمتين أعتقد أن اللقب (بنوترس) عربى ـ و الحقيقة إنه يونانى بدليل وجود الزائدة اليونانية الـ (س) فى آخره ! ـ فقام بترجمة المقطع (ترس) ترجمتين مختلفتين على اعتبارأنه عربى !!

ويذكر د.على فهمى خشيم فى كتابه (آلهة مصر العربية، المجلد الأول، ص ٣٥٨): " أن بينو فى العربية من الجذر (بَيَنَ) أى : ظهر و اتّضح"، أى أن (بنو) لفظ عروبى !

	٢	٤ تلاس ٥ سثنس ٦ شاريس	برى . ابش سندچي[٢٢٣] نتركا	١٧ ٤١ ١٧	٣٠٢	

بقيت الإشارة إلى أن (ترس) تحتوى على زائدة يونانية وهى (س) و هذا يعنى أن هناك حرفا ثالثا جاء بعد حرف الـ (ر)، هذا الحرف قد تم حذفه و أضيف بدلاً منه حرف الـ (س). ....
فما هو ذلك الحرف يا ترى ؟!
إنه بالتأكيد حرف الـ (ح) !! .فهذا الملك يبدو أن لقبه الملكى الصحيح قبل تحريفه هو (بنوترح) !. فى معجم لسان العرب مادة (ترح) : تَرِحَ بِهِ يترَح تَرَحًا غَمٌ بِهِ وحزن. وبذلك يستقيم معنى (بنو ترح) أى (الأبيض الحزين) وهذا هو حال (مالك الحزين) !
ويبدو أن الناس فى الأزمنة القديمة كانت تخاطب هذا الطائر العجيب بالعبارة : مالك حزين ......يا أبيض اللون !. وتحولت (مالك حزين) إلى (مالك الحزين) !
و أصبح لازمة على (الطائر الأبيض) قبل أن يصير اسماً له !
و لا يزال الطائر الأبيض (بنو) حزيناً (ترح) منذ القدم و لا يزال !

[٢٢٣](سندچى): هذا الملك الأقرب أن يكون أسمه (سنج) و الملاحظ أن التعبير عن الرعب، أو الخوف، فى اللغات العروبية، وكذلك الأمر فى كثير من اللغات الأخرى، يكون بكلمة أو تعبير يفيد معنى البرودة، و لعل ذلك يرجع إلى أن الخوف يجمد الأطراف و يرسل قشعريرة البرد فى الأوصال، كما يقال فى تعبيرنا العاصر (جمد دمه) خوفاً. وفى المصرية تفيد snd (يكتبها د.عبدالعزيز صالح (سنچ)) تعنى (الخوف). ويقابلها (كومن) ـ (M.Cohen;Essai Comparatif) بالعربية (ثلج). فاسم هذا الفرعون عربيًا : (الثلج) ـ (الرعب) أو (الثالج) ـ (المثلّج، باعث البرد فى أطراف خصومه، أى : المرعب). انظر د. على فهمى خشيم : (آلهة مصر العربية، المجلد الأول، ص٢٢٢). ونرى أن(سنچ) = (ثلج)، على أعتبار أن (س = ث، ن = ل)، وهذا يعنى أن (سنچ) لفظ يفيد البياض ،فإذا أخذنا فى الاعتبار ما ذكره ابن إياس فى كتابه (بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ص١١٦) : ˮ قال وهب بن منبه لما أمات الله الريان ابن الوليد ملك مصر وكان مكرماً عند بنى إسرائيل وكانوا يعبدون الله علانية فملك بعده ابنه (سنجاب)ˮ ،(سنجاب) = (سنچ) + (إب)، ويذكر د.على فهمى خشيم فى كتابه (آلهة مصر العربية)، المجلد الأول، ص ٢٢٢ : (إب) ib : قلب. عربيته (لب). وهذا يؤدى بنا إلى أن (سنچ إب) أو (سنجاب) تعنى صاحب (القلب الأبيض) !، و(سنجاب) لقب منسوب لـ(دارم) بن الريان " و لكن الأصح أن هذا اللقب يخص الملك (بينو ترح) طبقاً لما كتبه المسعودى عن السيرة الذاتية لـ (ماليق بن تدراس) فى (أخبار الزمان) !

			٧ نفركرس	نفركارع	٢٥		
			٨	خع سخم	٤٨		
			٩ سيزر خريس	خع سخموى	٣٠		
	٣	١ مخروفيس	ساناخت	٢٨	٢١٤	ق.م ٢٧٨٠
		٢ تسورثروت	دزوسر	٢٩		
		٣ تيريوس	نخرفرس	٧		
		٤ سويفيس	دزوسر الثاني	١٧		
		٥تورسرتاسوس	تودورتس	١٦		
		٦ آخس		١٩		
		٧ سفورس	نب كارع	٤٢		
		٨ ميزوخريس		٣٠		
الدولة القديمة		٩ كرفيرس	خوني	٢٦		
	٤	١ سورس	سنفرو	٢٢	٢٧٧	ق.م ٢٦٨٠
		٢ سوفس الأول	خوفو	٦٣		
		٣ سوفس الثاني	خفرع	٦٦		
		٤ منكريس	من كاورع	٦٣		
		٥ راتويسزس		٢٥		
		٦ بينخرس		٢٢		
		٧ سبرخيرس	شبسكاف	٧		
		٨ تمفيتس		٩		
الدولة القديمة	٥	١ اوسر خيرس	وسر كاف	٢٨	٢٤٨	ق.م ٢٥٦٠
		٢ سفراس	ساحورع	١٣		
		٣ نفرخيرس	نفر كاورع	٢٠		
		٤ سيسيري	نفر اف رع	٧		
		٥ خيرس	نيورس رع	٢٠		
		٦ راتورس		٤٤		
		٧ منخرس	منكاو حور	٣٩		
		٨ تاتشيرس	جدكا رع	٤٤		
		٩ اونوس	اوناس	٣٣		

	٦	١ أوتوبس ٢ فيوبس الأول ٣ منتوسوفيس ٤ فيوبس الثانى ٥ منتى سوفيس ٦ نيتو كريس	تيتى ببى الأول مرن رع ببى الثانى	٣٠ ٥٣ ٧ ١٠٠ ١ ١٢	٢٠٣	ق.م ٢٤٨٠
عصر الاضمحلال الأول	٧	٧٠ تـوالى علـى الحكم	سبعون حاكما		٧٠ يوم	ق.م ٢٢٨٠
	٨	٢٧ ملك من ملوك منف			١٤٦	ق.م ٢٢٨١
	٩	١ اخيتوس ١٨ ملك من ملوك هيراكليوبوليس			٤٠٩	ق.م ٢٢٤٢
	١٠	١٩ ملك من ملوك هيراكليوبوليس			١٨٩	ق.م ٢١٣٣
	١١	١٦ ملك من ملوك ديوسبوليس			٤٣	ق.م ٢١٤٣
الدولة الوسطى	١٢	١ امن امس ٢ سيزونخورس ٣ امن امس٢ ٤ سيزوستريس ٥ لاخاريس ٦ اموريس ٧ امن امس ٨ سكمبوفريس	امنمحعت الأول سنوسرت الأول امنمحعت الثانى سنوسرت الثانى سنوسرت الثالث امنمحت الثالث امنمحعت الرابع الملكة سبك نفرو	١٦ ٤٦ ٣٨ ٤٨ ٨ ٨ ٨ ٤		٢٠٠٠ ق.م ١٩٧٠ ق.م ١٩٣٨ ق.م ١٩٠٣ ق.م ١٨٨٧ ق.م ١٨٤٩ ق.م ١٨٠١ ق.م ١٧٨٨ ق.م
عصر الاضمحلال الثانى	١٣	٦٠ ملك من ملوك ديوبوليس		٤٥٣		١٧٧٨ ق.م
	١٤	٧٦ ملك من ملوك كسويس		١٨٤		١٦٥٢ ق.م
	١٥	٤٣ ملك من ملوك طيبة ٤٣ ملك من ملوك تانيس		١٥١		١٦٧٠ ق.م

	١٦	٣٢ ملك من ملوك تانيس		٥١٨		١٥٦٧ ق.م
	١٧	١ ساليتس	سخم ر رع حتب	١٩	٢٥٩	١٥٥٧ ق.م
		٢ بنون بابون	انتف	٤٤		
		٣ اباخناس		٣٦		
		٤ ستاعين[٢٣٤]		٦١		
		٥ سيتوس	سقنن رع الأول	٥٠		
		٦ سرنوس	سقنن رع الثان	٢٩		
		٧ آست	كامس	٢٠		
الدولة الحديثة	١٨	١ آموس	احمس الأول	٢٥		١٥٧٥ ق.م
		٢ خبروس	امنحتب الأول	١٣		
		٣ امنوفنيس	تحتمس الأول	٢٤		
		٤ امترِيس	تحتمس الثان	٢٢		
		٥ ميزافريس		١٢		
		٦ سفراجموتوزيس	حتشبسوت	٢٦		
		٧ توثموزيس	تحتمس الثالث	٩		
		٨ امنوفيس	امنحتب الثان	٣١		

[٢٣٤] قد يبدو من الوهلة الأولى أن ستاعين (ستع أو سطع) لفظ يفيد الارتفاع أو الطول و لا شئ غير ذلك !

ويذكر د.على فهمى خشيم فى كتابه[٢٣٤] : ''كان (تحت) يعتبر ربّاً للقمر، وفى العصور المتأخرة اكتسب لقب (إتن ـ ح ض) ـ (الأتون الأبيض أو الفضى) ـ وتقول إحدى الأساطير إن (تحت) انبثق من رأس (ست)، و يمكن تفسير الخلفية الكونية لهذا التصور بأنه عبر قوة إله النور ينبثق القمر من (ست) ممثل قوة الظلام''، لكن من المكن أن نقول أن (تحت الابن خرج من ست الأب) أو (وُلد من ست) !

وهذه الرؤية توضح لنا أنه يمكن اعتبار الأسم (ستاعين) على أنه مكوّن من مقطعين (الأب + الابن) : (ستاعين) = (ست) + (اعين) أو (إعن)، (ست) : ممثل قوة الظلام، (إعن) : القرد الخاص بالمعبود "تحت" (إله النور) ويسمى فى المصرية (إ ع ن). أى أن (ستاعين) هو دمج ممثل الظلام (ست) مع ممثل إله النور(إعن) فى اسم واحد = (تحوت) !

و(تحوت) هو أحد ألقاب (حض ـ ون) ـ (الضحاك بن علوان) ـ وهو نفسه الوليد بن دومع العماليقى (ذو أوان) !

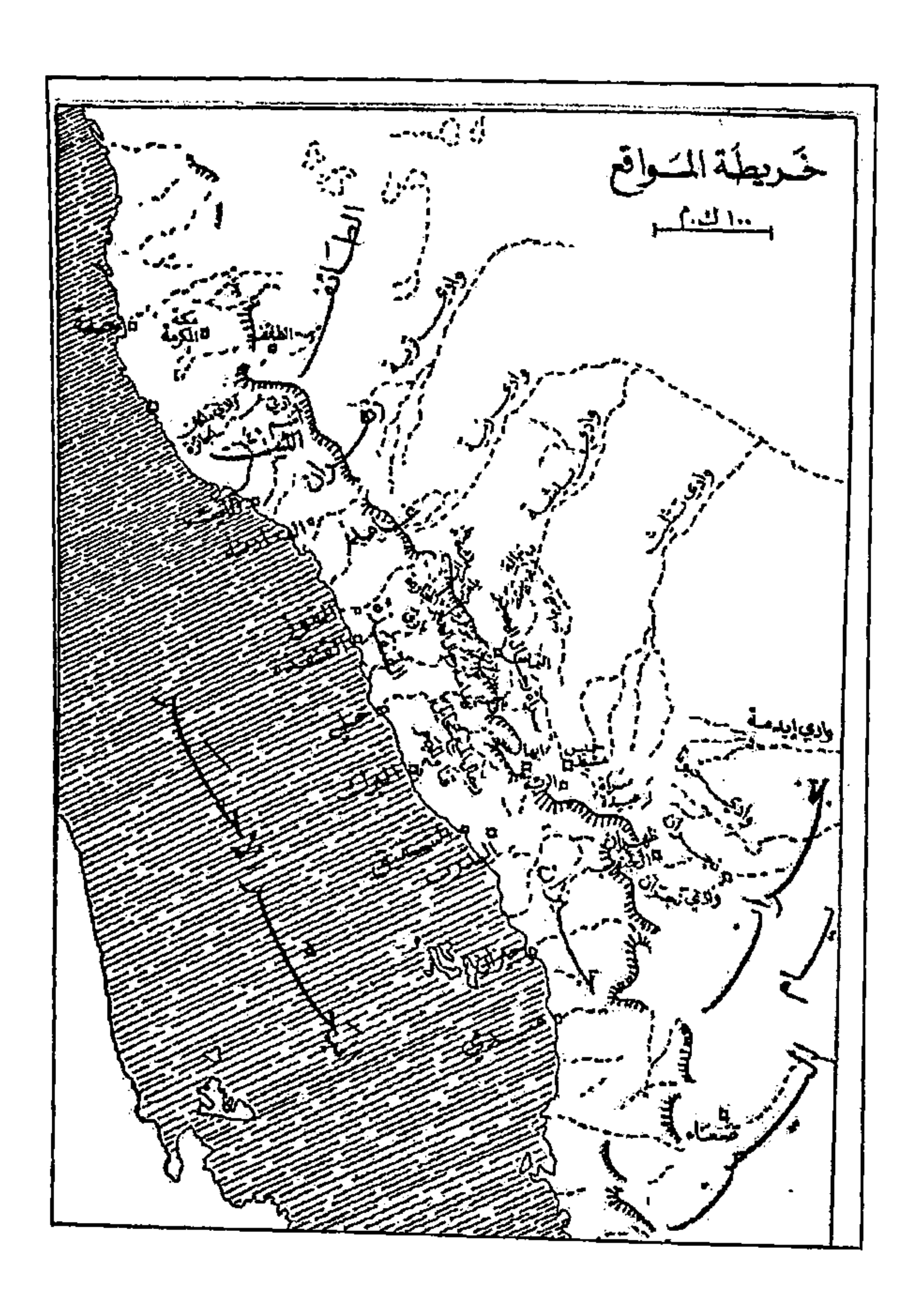
أى أن (ستاعين) هو لقب الوليد بن دومع العماليقى وهو نفسه (شلاتيس) ملك الهكسوس !!

		٩ اورروس	تحتمس الرابع	٣٧		
		١٠ اخيرس	امنحتب الثالث	٣٢	٢٦٢	
		١١راثوس		٦		
		١٢ خيرس	امنحتب الرابع	١٢		
		١٣ اخيرس	اخناتون	١٢		
		١٤ارميزيس	سمنخ كارع	٥		
		١٥ رمسيس	توت عنخ امون	١		
		١٦امنوفتاح	آى	١٩		
			حورمحب			
	١٩	١ سيوتس	سيتى الأول	٢١		١٣٠٣ ق.م
		٢ راباكس	رمسيس الثانى	٦٦		
		٣امينوفيتس	مرنباح الأول	١٠		
		٤ امن ــ امس	امنمس	٥	١٠٩	
		٥ ثوريس	مرنبتاح الثانى	٧		
		٦	تاوسرت			
الدولة الحديثة	٢٠	١ ستناخت	ستنخت	٢		١١٩٢ ق.م
		٢ اوسيمارى	رمسيس الثالث	٣٢		
		٣ رمسيس الرابع	رمسيس الرابع			
		٤رمسيس الخامس	رمسيس الخامس			
		٥رمسيس السادس	رمسيس السادس			
		٦ رمسيس السابع	رمسيس السابع	١٠١		
		٧ رمسيس الثامن	رمسيس الثامن			
		٨ رمسيس التاسع	رمسيس التاسع			
العصر المتأخر		١ سمندس	حريحور			
		٢ بوسنس	بيفتخس			
		٣ نفرخرس	ماساهدتا			

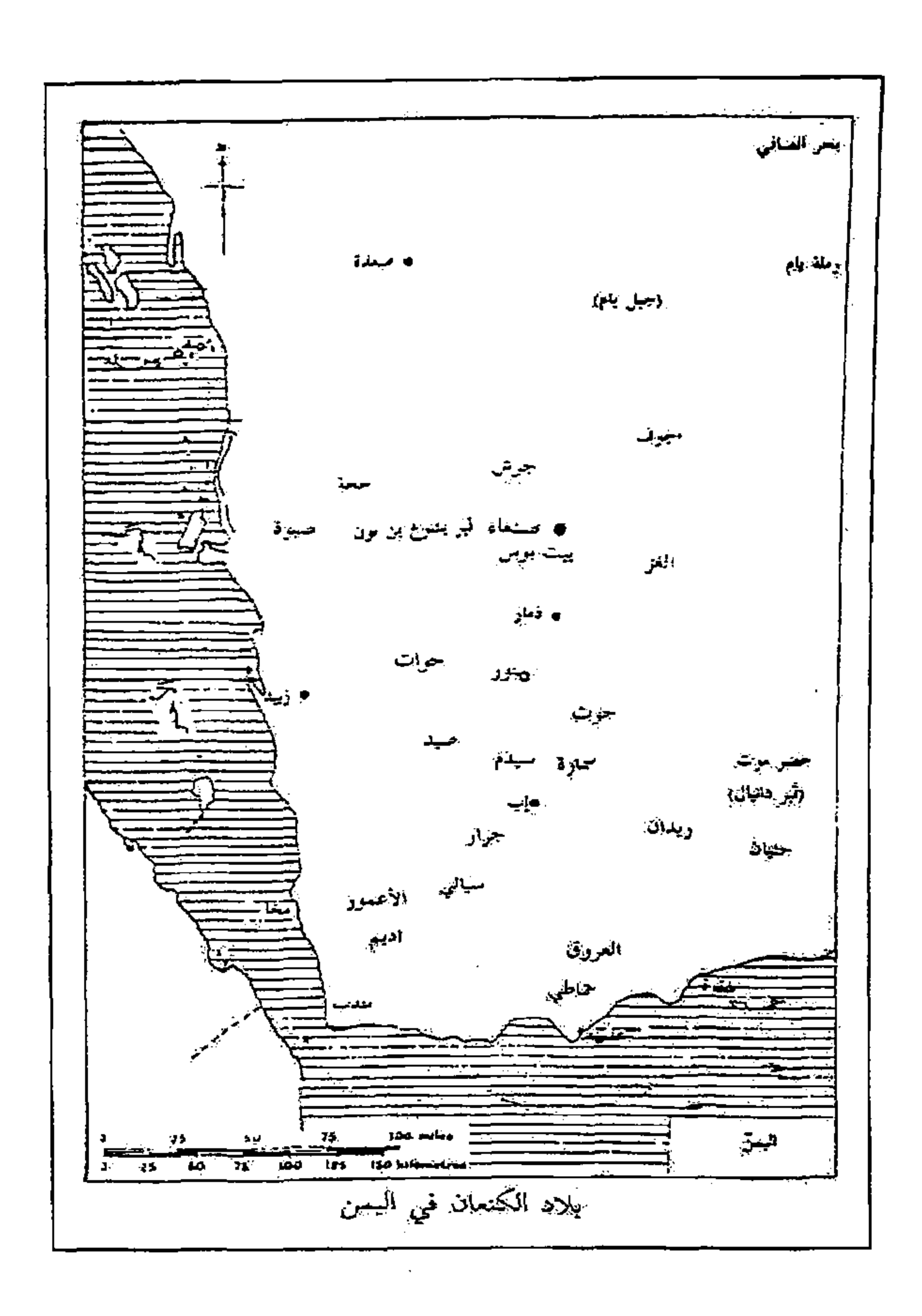
	٢١	٤امنو فيتس	بونس الأول			
		٥ اوسر خور	سمندس	١٣٠		
		٦ بسناخس	بتوزم			
		٧ بوسشنس	بونس الثاني			
	٢٢	١ سيسونخس	شيشنق الأول	٢١		٩٥٠ ق.م
		٢اوسرثون	أوسركون الأول	١٥		
		٣تاكيلوتس ألول	تاكيلوت الأول	٢٩		
		٤	أوسركون الثاني	١٣		
		٥	شيشنق الثاني			
		٦ تاكيلوتس	تاكيلوت الثاني			
		٧سيسوغخس	شيشنق الثالث			
		٨	بامى			
		٩حوراسوس	حورسا إيزيس			
	٢٣	١بتوباتس	بادو باست	٤٠		٨١٧ ق.م
		٢أوسرخو	أوسركون الثالث	٨		
		٣بساموس	تاكيلوت الثالث	١٠		
		٤زت	رود أمون	٣١		
	٢٤	١بوخورس	تفنحت			٧٣٠ ق.م
		٦	بوخاريس	٦		
العصر المتأخر	٢٥	١ساباكوس	شبكا	٨		٧١٦ ق.م
		٢سبنجوس	شبتاكا	١٤		
		٣ تاركوس	تهارقا	٨		
	٢٦	١ بسفناتوس	بسماتيك الأول	٧		٦٨٠ ق.م
		٢تخبزوس		٦		
		٣نختو الأول	نخاو الأول	٨		
		٤بسمانيكوس	بسماتيك الثاني	٤٥		
		٥نخاو الثاني	نخاو الثاني	٦		
		٦بسامونيس		٦		
		٧وافريس	واح اب رع	١٩		
		٨ اموزيس	أحمس الثاني	٤		

		٩ بسماخريتس	عنخ كا ان رع	٦ ش		
		١ كاميزيس	قمبيز	٦		٥٢٩ ق.م
		٢داريوس	دارا ألأول	٣٦		
		٣كسركي الأكبر	خشيا رشا	٢١		
		٤ ارتابانوس		٧ أشهر		
	٢٧	٥ارتاكسركس	ارتكشاشا	٤١ ٢		
		٦كسركس	خستيارشا الثاني	شهر		
		٧سودياتوس		٧ شهر		
		٨داريوس الثاني	دارا الثاني	١٩		
	٢٨	٦اميرتيوس	امون حور	٦		٤٠٤ ق.م
		١ نفريتس[٢٣٥]	نفريتس الأول	٦		٣٩٨ ق.م
	٢٩	٢ اخوريس	هكر ـــ اكوريس	١٣		
		٣ بساموتس		١		
		٤ نفريتس	نفريتس الثاني	٤ ش		
		١ نختانيس	نختانبو الأول	١٨		٣٨٧ ق.م
	٣٠	٢ تيوس		٢		
		٣ نختانبوس	نختانبو الثاني	١٨		

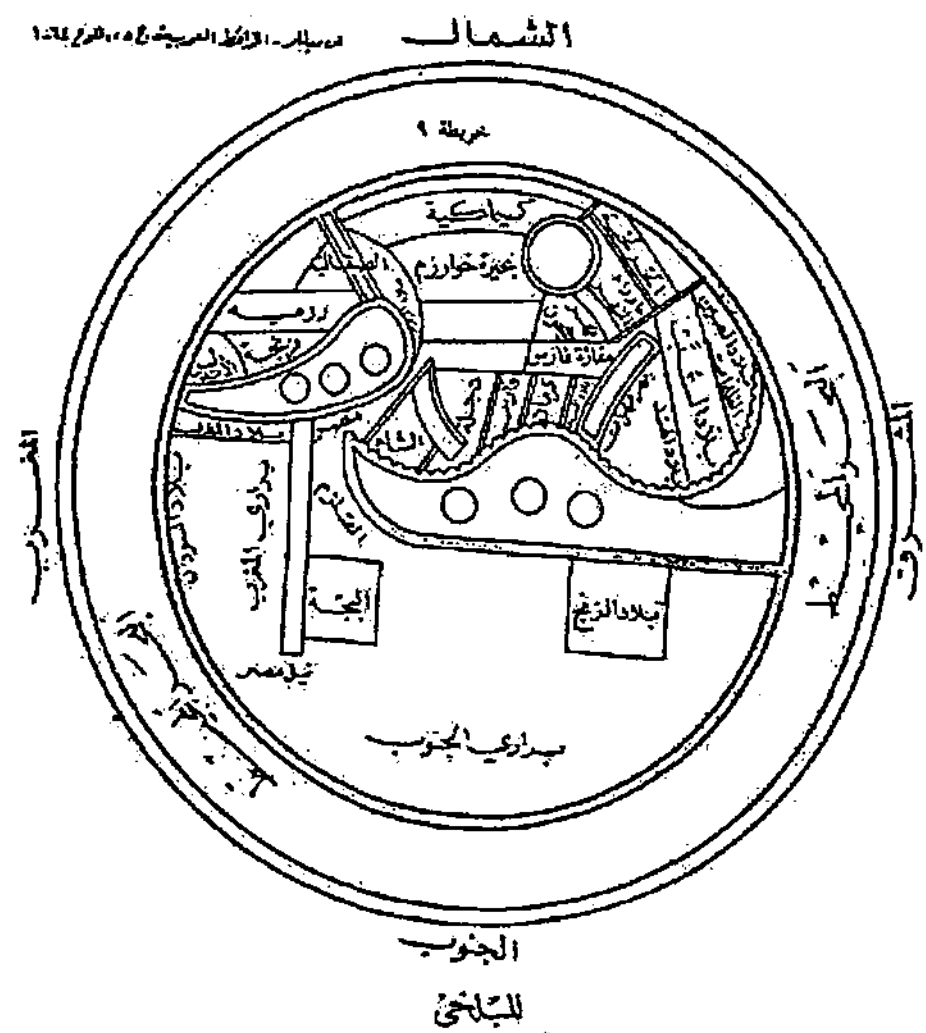
[٢٣٥] (نفريتس) = (نفريت) أي (نفرت) + (س) زائدة يونانية ،(نفرت) تقابل (الحوريّة) في العربية، انظر د.علي فهمي خشيم : (آلهة مصر العربية)، المجلد الثاني، ص ٥٣١. ونرى أن المؤرخون العرب عندما ترجموا أوراق البردى القديمة (مصاحف القبط) ترجموا لفظ (نفرت) ـــ الاسم الأصلي لابنة الملك طوطيس ـ ثاني ملوك الأسرة الأولى ـ إلى (حوريا) على اعتبار أنه يساويه في المعنى !



خريطة المواقع
١٠٠ ك.م
وادي ابدمة



بلاد الكنعان في اليمن



للبلخي
توفي سنة ٣٢٢ هـ (٩٣٤م)

خريطة العالم كما رسمها البلخي
(قبل سنة ٣٢٢ هـ - ٩٣٤ م)
ويلاحظ جعله طرف البحر الأحمر (القلزم) [illegible]



أمحوتب (هامان)

صُورَة الأَرض

للشريف الإدريسي المتوفى ٥٦٠هـ - ١١٦٤م

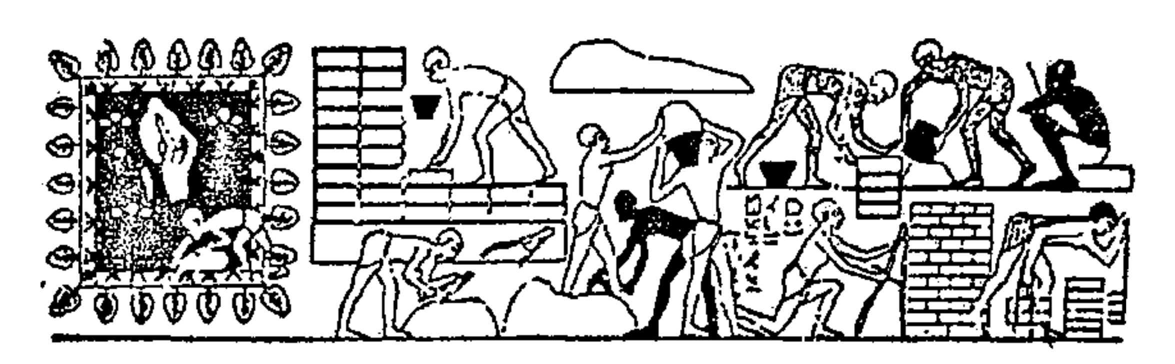


خريطة العالم كما رسمها «الشريف الإدريسي»

(توفي سنة ٥٦٠ هـ - ١١٦٤ م) .

ويلاحظ شكل الجزء الشمالي للبحر الأحمر في استوائه

من الشرق للغرب إلا من انحناء بسيطة مقابل سيناء .



تسخير بني إسرائيل في عمل الطوب وأعمال البناء – يلاحظ
اللون الأبيض لبشرة العمال مقارنا باللون الأسمر للملاحظين والعصا
في يد الملاحظ الجالس في أقصى اليمين من الرسم العلوي.
(لوحة في مقبرة الوزير «رخ مي رع»).

نقلا عن الكتاب المقدس كتاريخ – وارنر كيللر ، ص ١١٠

المراجع

أولاً :القرآن الكريم

ثانياً: الكتاب المقدس

ثالثاً: كتب عربية حديثة

- د.على فهمى خشيم: آلهة مصر العربية، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨، القاهرة .

- د.على فهمى خشيم: آلهة مصر العربية، المجلد الثانى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨، القاهرة .

- د.على فهمى خشيم: رحلة الكلمات الثانية ،الدار الجماهيرية للنشر والإعلان، ط٢، مصراتة، ليبيا .

- د.كمال سليمان الصليبى: خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، ط٤، ١٩٩٨، دارالساقى، دمشق .

- د.كمال سليمان الصليبى: التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة: عفيف الرزاز، الطبعة الرابعة، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان .١٩٩١

- د.أحمد داوود: العرب والساميون والعبرانيون وبنواسرائيل واليهود ،ط١، ١٩٩١، دار المستقبل، دمشق .

- د.فيليب حتى، د.إدوارد جرجى، د.جبرائيل جبور: تاريخ العرب، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، ط٩، ١٩٩٤، بيروت .

- فريد مجيد: أسرار وخفايا الفراعنة، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط١،

٢٠٠١عمان، الأردن .

ـ د.رشدى البدراوى: إبراهيم وإسماعيل ولوط عليهم السلام ،قصص الأنبياء والتاريخ، جـ٢ ،ط٢، أكتوبر ٢٠٠٤، القاهرة .

ـ د.رشدى البدراوى: إسحق ويعقوب ويوسف وأيوب وشعيب عليهم السلام، قصص الأنبياء والتاريخ، جـ٣، ، أغسطس ١٩٩٧، القاهرة .

ـ د.رشدى البدراوى: قصص الأنبياء والتاريخ (موسى وهارون عليهما السلام)، جـ ٤، القاهرة .

ـ غطاس عبد الملك الخشبة: رحلة بنى إسرائيل إلى مصر الفرعونية .. والخروج، ط٢، يناير ١٩٩٩، دار الهلال، القاهرة .

ـ فراس السواح: الحدث التوراتى والشرق الأدنى القديم، ط٤، دار علاء الدين، ١٩٩٩، دمشق .

ـ هشام كمال عبدالحميد: (تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة)، مكتبة النافذة، ٢٠٠٦، القاهرة .

ـ أحمد الدبش: موسى وفرعون في جزيرة العرب، ط١ ،أغسطس ٢٠٠٤، دار خطوات، دمشق .

ـ أحمد الدبش: كنعان وملوك بنى إسرائيل في جزيرة العرب، دار خطوات، سوريا .

ـ أحمد الدبش: عورة نوح ولعنة كنعان وتلفيق الأصول ،ط١، ٢٠٠٧ ،دار خطوات، سوريا .

ـ د.سعيد محمد ثابت: فرعون موسى من يكون ..و أين؟ ..ومتى ؟!، دار الشروق، ط ١، ١٩٨٧، القاهرة .

ـ أحمد عيد: جغرافية التوراة في جزيرة الفراعنة، مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر، ط١، ١٩٩٦، القاهرة .

ـ خالد على نبهان: فرعون وموسى، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٥ .

ـ خالد على نبهان: قوم عاد وإرم ذات العماد، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٦ .

ـ خالد على نبهان: كشف المستور في سر الهرم المكنون، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٧ .

ـ خالد على نبهان: النبي إبراهيم عليه السلام ..كان عربياً !!، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٧ .

ـ محمد أحمد مصطفى: المؤثرات الخفية في العلوم الروحانية .

ـ إيفان كونج: السحر والسحرة عند الفراعنة، ترجمة: فاطمة محمود .

ـ محمد عبدالمعين خان: الأساطير والخرافات عند العرب، دار الحداثة، ١٩٨٠، بيروت .

ـ د.عادل الألوسي: الجواهر والأحجار الكريمة في التراث والحضارة العربية، مركز الحضارة العربية ،ط١، ٢٠٠٤، القاهرة .

ـ أحمد غسان سبانو: هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ط١، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢، دمشق .

ـ م/أسامة يحيي: لغز الهرم الكبر، مكتبة النهضة المصرية، يناير ٢٠٠٢، القاهرة .

ـ جيمس هنرى برستد : فجر الضمير، ترجمة: د.سليم حسن، مكتبة الأسرة مهرجان القراءة للجميع، ١٩٩٩، القاهرة .

ـ جواد على: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت ـ ومكتبة النهضة بغداد ١٩٨٧ .

ـ د.رمضان السيد: تاريخ مصر القديمة، جـ١، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية، مشروع المائة كتاب، القاهرة .

ـ أمين فريحة: ملاحم وأساطير .

ـ محمد حسنين هيكل: حياة محمد، ط١٣، مكتبة النهضة المصرية،

١٩٦٨، القاهرة .

ـ إريك هورنونج: ديانة مصر الفرعونية .. الوحدانية والتعدد

ـ الأب جرجس داود داود: أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والإجتماعي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٨، بيروت، لبنان .

ـ محمود سليم الحوت: الميثولوجيا عند العرب، دار النهار للنشر، ١٩٧٩، بيروت .

ـ جرجي زيدان: أنساب العرب

ـ وائل أحمد عبد القادر: الأصل العربي للحضارات، مكتبة الحرمين للعلوم النافعة، ١٩٩٨، القاهرة .

ـ ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميرى، المعافرى): السيرة النبوية، تحقيق: السقا، الأبيارى، الشلبى ـ دار الكنوز الأدبية .

ـ د.على على السكرى: علوم الأرض عند العرب، كتاب المعارف العلمى، دار المعارف، ١٩٩٩، القاهرة.

ـ حسين يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدى: كتاب الإفصاح في فقه اللغة، الجزء الثاني، ١٩٦٧، القاهرة .

ـ فرج الله صالح ديب: كذبة السامية وحقيقة الفينيقية، دار نوفل، ط١، ١٩٩٨، بيروت .

ـ فرج الله صالح ديب: التوراة العربية وأورشليم اليمنية، دار نوفل، ط١، ١٩٩٤، بيروت .

ـ د.أحمد حجازى السقا: تاريخ العرب القديم، مكتبة النافذة، ط١، ٢٠٠٣، القاهرة .

ـ د.أحمد حجازى السقا: نقد التوراة، مكتبة النافذة، ط١، ٢٠٠٥، القاهرة.

ـ د.ماجد عبدالله الشمس: في أصل العرب ومواطنهم، ط١، دار علاء الدين

للنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠٠٤، دمشق .

- د.سيد كريم: لغز الحضارة المصرية، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٦، القاهرة .

- د.عبدالحليم نورالدين: تاريخ وحضارة مصر القديمة، الخليج العربي للطباعة والنشر، ط٢، القاهرة .

- زياد منى: جغرافية التوراة ... مصر وبنو إسرائيل في عسير، رياض الريس للكتب والنشر، ط١، يناير ١٩٩٤، لندن .

- لواء أحمد عبدالوهاب: إسرائيل حرفت الأناجيل وإخترعت أسطورة السامية ! ، ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة .

رابعا: كتب التراث

- تفسير الألوسى - روح المعانى

- الشهرستانى: الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، منشورات الحلبى وشركاه ،١٩٦٨، القاهرة .

- عبد الحى بن أحمد بن العماد الحنبلى: شذرات الذهب

- د. محمود بن الشريف: الأديان في القرآن

- الشريف أبى جعفر محمد بن عبدالعزيز الحسينى الإدريسى: أنوار علوى الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام، تحقيق وتقديم: ألريش هارمان، سلسلة نصوص ودراسات الكتاب رقم (٣٠)، المعهد الألمانى للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٩٩١.

- سير أعلام النبلاء، جـ ١٨

- أبى داود سليمان بن حسان الأندلسى(ابن جلجل): طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، طبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، ١٩٥٥، القاهرة .

- عزالدين ابن الأثير الجزرى: الكامل في التاريخ، المجلد الأول، دار الكتاب

العربى، بيروت .

ـ الألوسى البغدادى: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، عنى بشرحه وتصحيحه وضبطه: محمد بهجة الأثرى، دار الكتب العلمية، بيروت .

ـ تاريخ ابن خلدون: الكتاب الثالث في ذكر أخبار البربر، مطبعة بولاق، مصر .

ـ السلاوى المغربى: كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، جـ ١

ـ المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط١ ، دار الأندلس للطباعة والنشر، ١٩٦٥ ، بيروت .

ـ البيرونى :الجماهر في معرفة الجواهر .

ـ اليعقوبى: البلدان .

ـ ياقوت الحموى: معجم البلدان، دار صادر، ١٩٧٧ ، بيروت، لبنان .

ـالشيخ محمد بن أحمد بن أياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة .

ـ ابن اياس: نزهة الأمم في العجائب والحكم، تقديم وتحقيق: د. محمد زينهم محمد عزب، ط١ ، ١٩٩٥ ، مكتبة مدبولى، القاهرة .

ـ تقى الدين المقريزى: كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، جـ١ ، ١٩٩٩ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة .

ـ ابن زولاق: فضائل أهل مصر وأخبارها وخواصها، تحقيق د.على محمد عمر، مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٩ ، القاهرة

ـ أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب: الأصنام، تحقيق: أحمد زكى، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٢٤، ١٩٦٥ ، القاهرة ـ عن طبعة دار الكتب المصرية .

ـ محمد بن جرير الطبرى: تاريخ الطبرى المعروف بـ تاريخ الأمم والملوك، جـ١ ، ط١ ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧ هـ .

ـ جمال الدين أبى الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد الشيباني الدمشقي (إبن المجاور): تاريخ المستبصر صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، أعتنى بتصحيحها: أوسكر لوففرين ،ط٢، منشورات المدينة، ١٩٨٦، بيروت .
وهب بن منبه: التيجان في ملوك حمير، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، الطبعة الأولى ١٣٤٧ هـ .
ـ عبيد بن شرية الجرهمى: أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها، طبعة حيدر آباد الركن، ١٣٤٧ هـ .
ـ القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد .
ـ الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى: صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن على الأكوع الحوالى، ط١ ،١٩٩٠، مكتبة، صنعاء .
ـ د.منى زيادة: جغرافية التوراة: مصر وبنو إسرائيل في عسير، ط١، ١٩٩٤، دار رياض الريس للكتب والنشر، لندن .

خامساً: دووابن شعر

ـ ديوان قيس بن الحظيم، تحقيق: ناصر الدين الأسد ،ط٢، دار صادر، بيروت ١٩٦٧ .
ـ ديوان النابغة الذبيانى ـ المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت .

سادساً: مجلات عربية

ـ مجلة العربي الكويتية

سابعاً: المعاجم العربية

ـ ابن منظور: لسان العرب، جـ١٢، ط١، دار صادر، بيروت .
محمد فؤاد عبدالباقى: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، كتاب الشعب، دار الشعب، القاهرة .

ثامناً: المراجع الأجنبية

Cerney:Anc.Eg.religion

Eg.grammar , Gardner

W.Budge;Osiris and the Egyptian Resurrection

F.Reichmann:The Sources of Western Literacy

تاسعاً: شبكة الإنترنت

المعاجم العربية : http://qamoos.sakhr.com

مكتبة المهتدى : http://www.al-maktabeh.com

محتويات الكتاب

كتب صدرت للمُحقق :

ـ فرعون وموسى ... دراسة تاريخية عن فرعون والفراعنة العماليق بمنهج عربي جديد، مكتبة النافذة، ٢٠٠٥ .

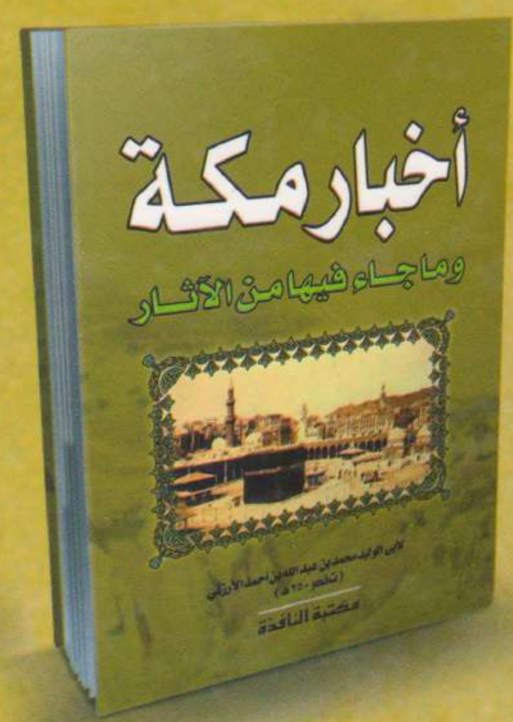
. قوم عاد وإرم ذات العماد ... دراسة تاريخية عن قوم عاد وإرم ذات العماد بمنهج عربي جديد، مكتبة النافذة، ٢٠٠٦ .

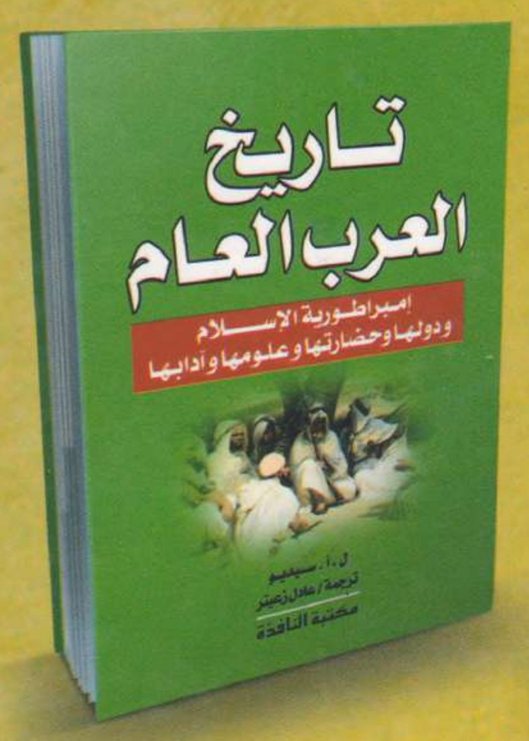
. كشف المستور في سر الهرم المكنون !

دراسة تاريخية عن الأهرامات المصرية وأبو الهول بمنهج عربي. علمي جديد، مكتبة النافذة، ٢٠٠٧ .

. النبي إبراهيم عليه السلام .. كان عربياً !!

دراسة تاريخية عن النبي إبراهيم عليه السلام بمنهج عربي جديد، مكتبة النافذة، ٢٠٠٧ .





مكتبة النافذة